مكتبة
الرسول المصطفى (ص)
باهتمام: محسن أحمد الناصح

الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

واليهود

جعفر العارف الكشفي



الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله واليهود

سرشناسه	: عارف کشفی، جعفر
عنوان و نام پدیدآور	: الرسول المصطفی (ص) و الیهود/جعفر عارف کشفی : (مترجم حیدر تبریزیان).
مشخصات نشر	: مشهد؛ سنبله، ۱۳۸۷ .
مشخصات ظاهری	: ۵۷۲ ص.
فروست	: موسوعه الرسول المصطفی (ص)؛ ۲۶ .
شابک	: ۹۷۸-۹۶۴-۳۹۲-۵۶۹-۷
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: عربی.
عنوان قراردادی	: رسول مصطفی و یهود . عربی.
موضوع	: محمد (ص)، پیامبر اسلام ، ۵۳ قبل از هجرت ، ۱۱ ق.-- روابط با یهودیان.
موضوع	: اسلام و یهودیت .
موضوع	: یهودیت و اسلام .
موضوع	: یهودیت - تاریخ .
شناسه افزوده	: تبریزیان، حیدر ، مترجم
رده بندی کنگره	: ۱۳۸۷ ۵۰۴۳ر۱۵ع/۲۳/۴۶
رده بندی دیویی	: ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی	: ۱۳۳۲۴۰۴

نشر سنبله

الرسول المصطفی صلی الله علیه و آله و الیهود

نویسنده : جعفر عارف کشفی

مترجم : حیدر تبریزیان

ناشر : سنبله

چاپ : دقت

شمارگان : ۱۰۰۰ نسخه

تعداد صفحات : ۵۷۲ صفحه وزیری

چاپ اول : پائیز ۱۳۸۷

هماهنگی و نظارت چاپ : هادی عدالتیان

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۳۹۲-۵۶۹-۷

قیمت : ۹۰۰۰۰ ریال

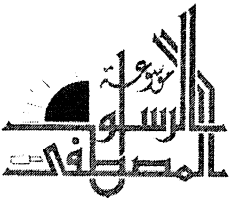
شبكة الفكر
alfeker.net

موسوعة
الرسول المصطفى (ص)
باهتمام: محسن أحمد الخاتمي

الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

واليهود

جعفر العارف الكشفي



(٢٦)

العنوان البريدي في لبنان:
بيروت- المشرفية – شارع المقداد – مقابل كاليري حمود
تلفاكس : ٠٠٩٦١١-٢٧٣٩١٣
e-mail : alathar٢٠٠٢@yahoo.com

العنوان البريدي في إيران:
مشهد - ص. ب. ٤٤٣٦/٩١٣٧٥

الفاكس: ٢٢٢٢٤٨٣ (٥١١ - ٠٠٩٨)

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

مركز التوزيع و النشر في ايران: انتشارات سنبله
مشهد- خيابان سعدي- پاساژ مهتاب- طبقه منهاي يك- هاتف: ٢٢١٦٧٥٣(٠٠٩٨-٥١١)

كافة الحقوق محفوظة و مسجلة للناشر
الطبعة الأولى: بيروت ١٤٢٩ – ٢٠٠٨
الطبعة الثانية: مشهد ١٤٢٩ – ٢٠٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

الأحزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الموسوعة

الفكر الإسلامي يرتكز على أساسيّات عقائدية ثابتة لا محيد عنها، وهي التوحيد والنبوة والمعاد، والنبوة في الثابت الإسلامي هي العقيدة بجميع الأنبياء والرسل من آدم أبي البشر إلى خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله.

ومن جملة الأنبياء هو النبي العظيم موسى بن عمران عليه السلام حيث بعث بعد وفاة النبي يوسف بفترة ليستنقذ بني إسرائيل وغيرهم من براثن الجهل والشرك والتخلف والظلم الفرعوني الجاثم على صدر المجتمع آنذاك .

وهكذا كان ...فقد التفَّ حوله قومه بنو إسرائيل وبعد أن استطاع بمعاجز الهية أن يتغلب على الفراعنة ويستنقذ المستضعفين من قيود الظلم وينشر تعاليم التوراة، التحق بالرفيق الأعلى، واستمرت مسيرة الأنبياء في سلالة بني إسرائيل وبرز منهم ملوك جبابرة حاولوا بكل ما استطاعوا من جبروت وبغي أن ينسفوا ما بناه موسى والأنبياء من بعده حتى تجاوزوا كل الحدود وقتلوا كثيراً من الأنبياء، وساعدهم في الإنحراف والتعدي بعض أحبار اليهود وعلمائهم وبدأوا بتحريف التوراة والتعاون مع الظالمين وأكل مال المحرومين .

وبعد مئات من السنين بعث الله من بينهم عيسى بن مريم عليه السلام ليصحح المسيرة ويقف أمام الإنحرافات والتعديات ويُرجع شريعة موسى الى نصابها الزلال الشفاف الناصع، فتصدت له جبابرة بني اسرائيل وعتاتهم وحاولوا قتله.

وحدثت فترة من بعد هذا الرسول العظيم حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً وخاتماً لهذا المسيرة الربّانية السّماوية . وكان بنوإسرائيل ينتظرون بعثته على أحرّ من الجمر ويستفتحون قدومه، وبدأوا يتوافدون على يثرب وما حوله حيث كانوا يجدون في كتبهم أن هذه المدينة الصغيرة سيكون لها الدور العظيم في بناء صرح النبوة الخاتمة.

ولكن الذي حدث، كان على عكس ما كانوا يتمنونه، فبنوإسرائيل كانوا يعتبرون أنفسهم وقومهم طلائع البشرية وصفوتها بل كان المنحرفون منهم

يعتبرون السلالات البشرية الأخرى حيواناتٍ خلقها الله مسخرة لخدمة سلالة بني إسحاق، ومن الطبيعي في عقيدتهم الشاذة المخالفة لتعاليم أنبيائهم أن يختار الله النبي الموعود من سلالة إسحاق، وفجئةً بعث الله محمداً العربي منحدراً من نسل إسماعيل أخي إسحاق، فانصدم اليهود بهذا الإختيار الإلهي وكأنّ الله قد فرض على نفسه الإستئذان من هذه الشرذمة لإتخاذ قراراته ومشيئاته .

هذا من جهة ومن جهة أخرى إنصدم اليهود مرة أخرى بما يطرحه هذا النبي الجديد حيث يساوي بين الناس ومن كل قوم، فلا فرق عنده بين بني إسحاق وبني إسماعيل وبين غيرهما إلا بالتقوى ومعنى ذلك أن هذا الدين الجديد سيقلب كل الموازين الإجتماعية رأساً على عقب، وبذلك فان ممن الممكن أن يصعد العبد الحبشي أو الأسير الفارسي على أكتاف الأحبار والحاخامات الذين طالما إمتصوا دماء الفقراء والمستضعفين وبذلك تنهد شوكتهم وتزول سيادتهم على الناس، فوقفوا أمام رسول الله ﷺ بكل ما كانوا يمتلكون من قوة ومال وسلاح ودهاء ومكر وسياسة.

فتارة ببثِّ الشبهات وتحريك المشركين في الفترة المكيّة وتارة بالإستسلام المشوب بالحذر وذلك بعقد المعاهدات مع الرسول عند ما قامت حكومته في يثرب، وبعدها بدأوا بالتحالف مع الحزب القرشي المشرك وذلك بمده بالسلاح والوعود بالتعاون العسكري ضد الرسول، وتارة أخرى بزرع الفتن والتحالف مع المنافقين من أصحاب النبي ﷺ وبعد اليأس من كل المحاولات أعلنوا الحرب على الإسلام والمسلمين جهرة .

والعجيب في تاريخ اليهود وخاصة الذين كانوا في الجزيرة العربية وفي يثرب و حواليها بالذات، أنهم كانوا يتخذون الموقف الخطأ دائماً، فالسياسي المصلحي المحنّك هو الذي يبقي على نفسه وعلى قومه في خضم الصراعات، ولكننا نرى أن المواقف اليهودية كانت تنصبُّ دائما في ضرر اليهود أنفسهم إلى أن وصل بهم الأمر إلى انهيار كياناتهم وخراب قلاعهم وحصونهم ونفيهم عن يثرب وحواليها.

أجل فإن لكل قاعدة إستثناءات محدودة، فقد إستطاع بعض اليهود من الأحبار وغيرهم من التصدي للنفس الأمارة بالسوء، حيث انصاعوا لبشارات كتبهم وأوامر أنبيائهم فتقبلوا الرسالة المحمّدية وبصدور رحبة وصنعوا من أنفسهم منارات للتاريخ حيث أصبحوا حججاً على بني قومهم .

واليوم وفي عصرنا الحاضر حيث يتكرر التاريخ مرة أخرى، نجد أن الصهيونية اليهودية بتعنتها وإستعلائها وطغيانها إستطاعت أن تسخّر طاقات القوى العظمى في العالم بدهاء ومكر وحيلة لصالح مطامعها وجشعها وكبريائها، وإننا إذ نشاهد الأوضاع العالمية التي هي اليوم بحاجة أكثر مما مضى الى الإستقرار والأمن والسلام، نجد أن الجهلاء اليهود بدأوا منذ عقود من الزمن بخلط الأوراق في مختلف أرجاء العالم وكأنهم لا يريدون إتخاذ الدروس من الماضي، وهذا وإن كان يتلاءم مع الايديولوجية العرقية الشاذة التي يحملها الصهانية على مرّ التاريخ، ولعل التاريخ والحاضر لا يستغرب من ذلك، ولكن الغريب هو انخداع الكثيرين خاصة العالم المتحضّر بمكر الصهانية وإفسادهم في الأرض، فإن المحايدين من المراقبين للأوضاع العالمية في هذا العصر وهم ينظرون الى ما يجري في العالم من حروب وفتن وما يحاك وراء الكواليس من خطط جهنمية بأيدي صهيونية خفية، بدأوا يحذرون من سوء مغبة الأوضاع في مجمل أقطار العالم .

وقد قام أخي الفاضل السيد جعفر العارف الكشفي بتأليف هذا الكتاب باللغة الفارسية وقد أخذ الأخ الفاضل حيدر تبريزيان مهمة ترجمته إلى العربية مشكوراً حيث حاول المؤلف أن يكشف تفاصيل التعامل اليهودي مع الرسالة المحمدية الخاتمة منذ البعثة النبوية وحتى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، ومن هذه التفاصيل ستُدرك الحالة النفسية التي يحملها اليهود طيلة التاريخ، وقد استطاع المؤلف أن يمزج بين الحدث التاريخي والنص القرآني ليحلَّ كثيراً من الألغاز في الفترة ما بين البعثة النبوية المباركة ووفاة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله.

وإننا إذ نقدم هذا الكتاب من سلسلة هذه الموسوعة الى التواقين للمعرفة، نسأل الله أن يأخذ بأيدي الخيّرين والمصلحين في هذا العالم في سبيل بسط الأمن والسّلام والرفاه على كل أرجاء المعمورة ونسأل الله الهداية لكل المنحرفين من كل

الأديان وندعوا الله بتعجيل فرج المنقذ الحقيقي الإمام المهدي المنتظر، عجّل الله فرجه الشريف حتى يراه العالم كله وقد آزره السيّد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، رافعاً راية القسط والعدل والطمأنينة للجميع، أنه سميع مجيب .

مشهد المقدسة - محسن أحمد الخاتمي

١٥ محرم الحرام/ ١٤٢٩ هـ ٢٤ يناير /٢٠٠٨م

كلام للمؤلّف

بعد حصول الثورة المعرفية التي شكّلت تجاوزاً خلّاقاً لكثير من العقبات والتقييدات الفكرية، وأوجدت تحديداً وتضييقاً في دائرة المستحيل التفكير فيه، وبعدما دخلت البشرية في فضاء فكري آمن يضمن لها حرية التعبير عن الرأي أكثر من السابق، وكذلك تفتّحت أذهان البشر وتنامى الشوق إلى قراءة تاريخ الإسلام من جديد وما يترتب عليه من إستنباط أحكام إلهية يحدث ذلك متزامناً مع إستيثاق الأواصر بين الأُمم وتزايد الاتصالات والروابط الفردية والجماعية، رأيتُ من المناسب فتح الملفّ الخاص بتعامل النبي صلى الله عليه وآله مع اليهود وبالعكس، ذلك الأمر الذي طالما تناوله القرآن الكريم وجاءت به الآيات والسور، ولكن لم يحظ بالإهتمام الكافي لدى المحققين، فشمّرت عن ساعد الجدّ وقمت بجمع نضائد من المعلومات مستنبطاً لها من القرآن والأحاديث النبويّة وكلمات الأئمة الطاهرين عليهم السلام وأخذت في دراستها مستعيناً بأخبار المؤرخين وتحقيقات المحققين المعروفين، ثم شرعت بصياغتها بقلمي القاصر، وما هذا الكتاب الذي بين يديك إلا نضدة من تلك النضائد.

وكان الإهتمام الأكبر هو تسليط الضوء على دور أمير المؤمنين صاحب مقام الولاية الشامخ والآخذ بزمام زعامة الخلق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي إستقام الإسلام بسيفه، ولعب دوراً في تثبيته وترسيخه، فكان هلاك الكفار وأهل الضلال ومن زمرتهم اليهود على يديه، ذلك الدور الذي نسيه أو تناساه أكثر المحققين، تعصباً وظلماً، فبادرت إلى جبران ذلك التضييع والخسران، متمنياً أن يلفت أنظار العلماء، ويحظى بقبول أهل البصائر.

والسلام عليكم ورحمة الله

مقدمة

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَ دَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ وَ جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَ سَعِيدِهَا،

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَ رَسُولِكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَ الْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَ الدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَ الدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ وَ لَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَ أَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَ هُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَ الْآثَامِ وَ أَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَ نَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَ خَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَ بَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَ رَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ. (خطبة ٧٣ نهج البلاغة)

ثم صل وسلم وزد وبارك على عترته الميامين الطيبين الطاهرين المعصومين الذين ألزمت مودتهم وأوجبت طاعتهم ، لاسيّما صاحب الدعوة النبوية والصولة الحيدرية صاحب الأمر و العصر والزمان، وارث الأنبياء وخاتم الأوصياء، بقية الله وحجة الله وإبن رسول الله، المهدي بن الحسن العسكري عليهما السلام، الذي بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، عجل الله تعالى فرجه ورزقنا الله رؤيته، ومنّ علينا بالقيام بخدمته، وجعلنا من خير أنصاره وأعوانه .

لا شك أن أفضل دورة شهدها التاريخ وأفضل عصر عاشته البشريّة، هي فترة ظهور نبي الإسلام المكرّم، تلك الدّورة التي ولي فيها أُمور المؤمنين وتزعمهم مدبّر إلهي وحكيم متعقل مصحوباً بهداية مباشرة من خالق البشر وتثقيف متواصل بنزول آيات القرآن، وهي دورة إكمال النبوّة وإتمام الرسالة التي تجلت فيها دولة الحق لبرهة من الزمن على أمل أن تتجلى بكامل ظرائفها في حكومة الإمام المهدي المنتظر.

فرسالة النبي محمّد ﷺ هي الرسالة الخاتمة التي تمتد إلى يوم القيامة، بمعنى عدم مجيء نبيّ من بعده ينسخ دينه، وفي ذلك يقول القرآن: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (١)، وكذلك يقول: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

ذلك الرسول الذي ملئ علماً وحكمة ونوراً ومعرفةً، فكان محلاً لمشيئة الله ومظهراً لإرادته وخليفته في أرضه ومجرياً لأحكام دينه بين الناس، فكان لذلك معصوماً من الخطأ والزّلل، يعود كلامه وسلوكه مثالاً وقدوةً لعامّة البشر، فتمّت إرادة الله سبحانه على أن يبعثه في وسطٍ يسوده الجهل والضلال وعبادة الأصنام، ليدعو الناس إلى أكمل الشرائع الإلهية وأسمحها.

وكان في ذلك الوسط الذي بعث فيه، طوائف من أهل الكتاب ولعل اليهود يشكّلون نصف المجتمع الذي يبلّغ في دائرته ﷺ، فكانوا من مخاطبيه، على أنهم جماعة يرون أنهم أصحاب دين وكتاب سماوي ويدّعون العلم والمعرفة، وكان منهم مَن يسكن بمكة المعظمة وأغلبهم في المدينة المنورة وأطرافها.

وبذلك إنفتحت باب السعادة أمام تلك الجماعات لما صار من نصيبهم أفضل الرسل الإلهيين والحكماء الرّبانيين، ومن علوّ نجمهم حلّوا في زمان ذلك النبيّ العظيم الذي عبّر عنه الوحي بأنه رحمة للعالمين، فكان وجوده مظهراً للرحمة الإلهية لعامة البشر.

واليهود الذين كانوا قد خاضوا التجربة الدينيّة و العلميّة من قبل، و يعلمون معنى متابعة النبي ومحاسنها، وهم على إطلاع كامل بالرسول الخاتم وأن ظهوره يكون في مكة ومهاجره المدينة، كان بإمكانهم إسقاط تلك المعلومات على مصاديقها الخارجية.

---

(١) التوبة :٣٣.

(٢) سبأ : ٢٨.

وبالتالي الإستفادة العظمى من هذه الفرصة والدخول في رياض السّعادة الدنيوية والخلود في جنان السّعادة الأُخروية، بل كان بإمكانهم السبق والمبادرة بما يمتلكونه من الخلفيات إلى الإيمان بهذا النبي ﷺ، والحظو بأقرب المنازل عنده والجهاد في ركابه من أجل إعادة النموذج الذي يحبونه، مثل ما فعله أصحاب يوشع النبي و داود النبي وجنودهما في مجال نشر الدين والإسلام، حتى يتمكنوا من إضاءة نور الإيمان في ربوع الشرك المظلمة خصوصاً الحجاز، ولكن المؤسف أنهم وكما فعلت قريش وقفوا بوجه النبي ودعوته وقاوموا أمام الانخراط في صفه، بل لم يتركوا مجابهته ومناقضته في كل حال.

كيف نستوعب ذلك الجمود على المعتقد و ردّ كل الواضحات؟! والعجيب أن الرجل الذي كان يُعرف بمحمّد الأمين وخلوصه معلوم للجميع، كيف صار يتّهم ويكذّب، ويجابه من قِبلِ قريش وغيرها؟، ألم يكفهم ثباته واحتماله الأذى والتكذيب، والمماشاة مع مكذبيه بالعطف والرحمة والمداراة، وكذلك إصراره على شرح موقفه وبيان حاله وما نزل عليه من الوحي، وآيات القرآن التي يتلوها عليهم بمضامينها الإنسانية العالية، واستدلاله بما في كتب الماضين التي بشرت به وبرسالته الخاتمة، وتمسكه بكلمات العلماء الشاهدة له، وهو يتوخى العلامات المذكورة في تلك الكتب والكلمات ويطبقها على مصاديقها ويظل يذكّرهم بها ويكررها، لم يتجاوز في كل ذلك الدعوة الحسنة والعرض الهادئ، فلماذا يقابل مثل هذا النبي بالأذى والصدّ الفعلي والقولي من قِبل أهل مكة وغيرهم؟.

يجب الإذعان بأن المتضرر الأول من أهل الحجاز هم اليهود، الذين كانوا أحرى من غيرهم بالإيمان به وتصديقه، بينما نجدهم أشدَّ من وقف أمامه وصاروا عبئاً على دعوته وسدّاً في طريقه من دون هوادة، ولم يتناهى ذلك العداء إلا بإصطدامهم بالمصير الأسود وإنتهاء أمرهم إلى أسوأ العواقب.

ولما وصل النبي ﷺ إلى المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار، صار في صدد تحقيق محيط آمن ومستقر في المدينة لتتوفر الأرضية المناسبة للحوار والتبليغ، ويأخذ المنطق والإستدلال الصدارة ويحل محل التعصّب والجهالة، ولذلك قام بمنح اليهود الحقوق المدنية الكاملة، كما وافق على طلب اليهود الهدنة وعقد معهم

عهداً و موادعة ليحيل دون بروز أي مشكلة، ويشلّ أسباب التوتر ودواعي العنف مهما أمكن، وبذلك إستطاع اليهود البقاء على معتقدهم إلى أن يتعين مصير الرسول صلى الله عليه وآله مع قومه قريش، وتعهدوا في المقابل بعدم عمل أي شيء ضد النبي و المسلمين، ولا يعينون أعداءه عليه، فهذا أقل ما هو متوقع من اليهود ولم يكلفهم النبي صلى الله عليه وآله ولم يحملهم على الصعبة بل عاملهم بمقتضى اللطف والرحمة، فتمكن اليهود من البقاء على دينهم والعيش بسلام في المدينة وغيرها من البلاد، التي صارت تحت نفوذه، يتمتعون من أمن تلك المناطق واقتصادها الحرّ، هذا وقد تعهد رؤساء اليهود بعدم الإقدام على أي عمل يسيء النبي والمسلمين وأنهم متى ما خالفوا ذلك إستحقوا العقوبة وكان دمهم هدراً وأموالهم للمسلمين.

فقام النبي صلى الله عليه وآله بكتابة عهد مستقل لكل طائفة، ووقّع رؤساء كل واحدة من تلك الطوائف العهد الخاص بهم.

كل ذلك الهدوء والتنعم ظل باقياً إلى أن حدثت معركة بدر وخرج الرسول صلى الله عليه وآله منها منتصراً على قريش، وصارت دولته تستتب وتجد الطريق إلى شرعيتها وحقانيّتها وأخذت قواعدها تترسّى في المدينة، عندها بدأ غضب اليهود ينمو ويتزايد، وصاروا بصدد التحرّك والتحرّش شيئاً فشيئاً، عندها طالبهم الرسول صلى الله عليه وآله بتحديد موقفهم بشكل واضح وشفاف، ولو أنهم يرغبون البقاء على معتقدهم فيلزمهم رعاية بنود العهد الموقّع بحذافيره، أو اختيار غير ذلك مما يحمل عواقب وخيمة.

نعم فإن الرّسول صلى الله عليه وآله الذي أصّل الأصل القائل : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ** ﴾ (البقرة ١٥٦) من يوم دخوله المدينة وجاءت بذلك الآيات القرآنية التي عرضها الرسول صلى الله عليه وآله على الجميع وبيّنها للمسلمين بشكل خاص، حتى لا يجبر أحدٌ أحداً على الدخول في هذا الدين، ولكنه لم يسمح لأحد أن يصدّ الآخرين عن الدخول في دينه ولا إيجاد المضايقات والإستفزازات، ولايرضى بعرقلة إنتشار الإسلام وشقّ عصا المسلمين بوجه من الوجوه.

والمستفاد من الأخبار وكتب التاريخ والحديث، أن الرسول كان يستعمل كمال المتانة والرفق عند الجواب على أسئلة اليهود وغيرهم، وعند الكلام مع كل إنسان، وكان يستقبل ذلك برحابة صدر واسعة حتى كان بإمكانهم أن يأتوا إلى النبي في أي ساعة من النهار أو الليل ويطرحون عليه الأسئلة ويسمعون جوابها، والمعروف أن كثيراً من آيات القرآن في الحقيقة هي جواب على تلك الإسئلة والحجج التي يحتجون بها. وفي رواية أن أحد علماء اليهود سأل الرسول أكثر من مائة مسئلة فأجابه الرسول صلى الله عليه وآله على كل تلك الأسئلة بواسطة الوحي، وكان بعضها مطابقاً لتعاليم التوراة، ليتم الدليل على صدق الرسول صلى الله عليه وآله.

والظريف أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يعتمد على بعض اليهود ويثق بهم حتى أنه إستخدم بعض اليهود ليكتبوا له الكتب والرسائل الخاصة والسرية في أول الهجرة، واستمر ذلك لعدة سنوات يكتبون له بالعربية والعبرية معاً.

وقيل إنه جاء في يوم من الأيام إلى الكنيسة وأخذ يستمع إلى قراءة التوراة، و لكن القارئ أسقط بعض الآيات المتضمنة للبشارة بالنبي و لم يقرأها، فطلب منه النبي أن يقرأ فصول التوراة بالكامل ولا يكتم الحقائق.

ولما شاهد ذلك أحد اليهود، عرف صدق الرسول صلى الله عليه وآله، فقرأ تلك الجملة عن ظهر الخاطر، لأنه كان يحفظ التوراة وآمن بالرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وشهد الشهادتين في ذلك الموضع.

ومثل ذلك مشهود في سيرة النبي صلى الله عليه وآله فإنه كان يحرص على إيمان أهل الكتاب وخصوصاً اليهود أكثر من إزاحتهم عن طريقه، حتى أنه كتب إلى أهل خيبر كتاباً وأورد فيه آيات من الكتاب المقدس التي تبشربه، وكذا كلام الحبرالزكيّ ابن خراش(حواش)، الذي قدم من الشام إلى المدينة وذكر لهم العلامات على ظهور النبي صلى الله عليه وآله وهذا أوانه، وأخذ يذكرهم ذلك ويشفع كلامه بالبرهان والدليل.

وكان يصرّ النبي صلى الله عليه وآله على إيمانهم بكل وسيلة فكان يريهم كل ما يطلبونه من المعاجز التي يأذن الله سبحانه بها، حتى لا يبقى أيّ عذر في مخالفته.

والمثير للدهشة أنه لم يؤمن من اليهود مع كل ذلك الوصف، ولم يصدقوا بكتابه خلا بعض الأحبار والرؤساء، ولكن إسلام ذلك البعض مثل حصين بن سـلام ومخـيريق اليهودي، مع سوابقهم المشرقة بين اليهود لم يؤثر فيهم ولم يؤدّ إلى هدايتهم، فما هو السبب في عدم متابعة اليهود مثل هذين العلمين في تصديق الرسول صلى الله عليه وآله؟.

يجب أن نطلب الجواب في تصرف عامة رؤساء اليهود وصفاتهم، فإنهم الذين حالوا بمكرهم واستكبارهم دون انخراط عامة اليهود في الصفّ الإسلامي ومنعوهم من التحليق في الفضاء الإيماني العطر، والتذوّق من حلاوة الوحي وشهد الرحمة الإلهية، على أننا لانصرف أنظارنا عن وجود التعصّب الدّيني والعنصري، والتمسك الأعمى بالدّيانة اليهوديّة فهو السبب الآخر لعدم دخولهم في الإسلام.

هذا و يخبرنا القرآن عن حزن الرسول صلى الله عليه وآله واغتمامه لبقائهم على الكفر:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ.. ﴾[1].

والسرّ في ذلك الحزن يكمن في عاقبة اليهود المرّة في الدنيا والآخرة و إصرارهم على الكفر، وقد نذروا أنفسهم للموت والنجاسة والعقوبة الأبدية بذلك الإصرار، فإن ذلك الحزن يمثّل حرص الرسول عليهم، ولعل الآية تعبير آخر عن قوله تعالى :﴿حَرِيصٌ عَلَيكُم ﴾(التوبه ٢٥٦)، ولايستطيع التاريخ أن ينكر شدة اشتياق الرسول صلى الله عليه وآله إلى إيمان عامة الناس والسّير في السبيل الموصل إلى النعيم والعناية الإلهية وكذا رغبته في تخلّق المجتمع البشري بالأخلاق السامية وحظوهم بالتربية الإلهية، وعندما يأبى الناس ذلك ويصرّون على الكفر، يتألم لذلك، لأنه يراهم على حافة خطر، والآيات بهذا المعنى كثيرة.

---

(١) المائدة: ٤١.

وبناءاً على ذلك فإن نبي الرحمة لم يكن يرغب في قتل اليهود ولا في مصادرة أموالهم ومنازلهم، بل كان يريد لهم السّلام الذي يتيح لهذا المعارض أن يستسلم للحقيقة التي عرفها في قرارة نفسه، ويترك العناد والتعصب الأعمى، ويهتدي صراطاً مستقيماً لا عوج فيه ولا يحرم نفسه وغيره من هذه السعادة.

وحينما نقول إن رسالة الرسول صلى الله عليه وآله عالمية، فهو يعني عدم كونها حكراً على طائفة خاصة، و يتمكن عامة البشر الإطلاع عليها و على معارفها الحقّة، كما يمكنهم العيش في ظل الدولة الإلهية مستفيدين من أحكامها السماوية العادلة، التي تضمن الحياة الطيّبة، فإذا ما أراد حاكم أو رئيس أن يتعرض لهذا الأمر الإلهي ويضع العوائق والسدود أمامه، يكون قد رمى بنفسه في ساحة الخطر وعليه أن يتحمل عواقب ذلك الأمر.

يجب أن نلحظ أن التاريخ لم يعكس أخلاق اليهود وسيرتهم بشكل كامل حتى يتضح السبب في إصرار اليهود وتعنتهم مع علمهم بالحقيقة، فإنهم قد إستحبوا الدخول في صراع ومواجهة مع النبي صلى الله عليه وآله إلى حدّ إعلان الحرب والتدبير الجادّ لقتله وقتل أصحابه، وتنزلوا في ذلك الصراع إلى مماشاة المشركين والإستعانة بهم.

وعلى العكس من ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وآله بات يصرّ على هدايتهم وإرادة صلاحهم، وهكذا ظل يماشيهم في كل الظروف ما لم يؤدِّ إلى وقوع دين الله في خطر، وعندما يصبح دين الله في خطر يختلف الحال ولم يَبق معه سبيلٌ للصّبر والتأني، حتى لحظة واحدة، ولم يجد بداً من اتخاذ القرار الحازم كالذي عرف عنه صلى الله عليه وآله في غزوة بني قريظة.

فإنا سنقرأ في هذه الغزوة أن الله سبحانه من أجل دفع عادية اليهود كلّف نبيّه بمهمة فورية ولم يمهله بمقدار أن يصلي صلاة العصر، ولم يحدّثنا التاريخ عن الظروف وأعمال اليهود التي سببت كل ذلك الإستعجال وعدم الإمهال.

نحن نعلم أن الآيات القرآنية هي التي تحدّد مسيرة النبي صلى الله عليه وآله وتعيّنها، وإنما كان عمل النبي صلى الله عليه وآله هو تبيين تلك الآيات للناس، مثل أن يوحى للرسول صلى الله عليه وآله

محاربة من يحاربه من دون تعدي، أي بهذا الحد، ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾[١]، فإن الرسول لا يتجاوزه مهما كلف الأمر، وفي موضع آخر يأمره بمقارعة رؤوس الكفر: ﴿ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ...﴾[٢] فإن هذه الأوامر تحدد وظيفة الرسول وترسم مسيره في الحرب مع المشركين واليهود، وهكذا جميع غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسراياه تشرب من هذا المشرب.

ومما يؤسف له أن أغلب الطوائف اليهودية إختارت طريق الباطل، فداست بذلك عزّتها وشرفها، بل أنها خانت المجتمع البشري، وشغلت أفضل أوقات الرسول صلى الله عليه وآله في حروب كان في غنى عنها، فصادروا بذلك أثمن الفرص الذهبية التي تقرر أن تصرف في مجال تعالي المجتمع البشري وترسية قواعد ضخمة وأساسية، يبني عليها مدارس العلوم والحكمة الإلهية المتعالية وتنفتح أبوابها على عامة الناس، فلم يدعوا الرسول يستقر حتى لحظة واحدة، حتى ينصرف ببال فارغ إلى وضع الحجر الأساس لنظام حكومي عادل، وتأسيس مدرسة للتعليم وتفسير آيات القرآن لعامة البشرية.

و إضطر الرسول صلى الله عليه وآله إلى اتخاذ طريقة خاصة للتعامل مع اليهود تضمن الحفاظ على حرمة الديانة الموسوية وكتاب الله التوراة الذي يحتفظ اليهود منه بآياتٍ ظلت باقية بين أيديهم، كما يرسم الطريق للأجيال اللاحقة في مجال التعامل مع أهل الكتاب بصورة عامة، ويعطيهم خطة عمل يعملون عليها عند حصول مواجهة مع أهل الكتاب كالتي حصلت مع اليهود، ولذلك كان تسليط الضوء على هذا الجانب بدرجة من الأهميّة بحيث يحتاج إلى دراسة متكاملة ودقيقة.

---

(١) البقرة : ١٩٠

(٢) التوبة : ١٢

وبعد الوقوف على أن الرسول صلى الله عليه وآله يعمل بأمر الله وكان معصوماً من الخطأ، ومع الإلتفات إلى أن خمس ما أُوحي إليه يتعلق ببني إسرائيل، تعرضنا إلى كيفية تعامل الرسول المتمحض في العدل و الإحسان مع يهود عصره، الذين يشكلون ما يناهز النصف من مخاطبيه، ونصف سكان دائرة تبليغه وتحركاته.

وإنطلاقاً من معرفة اليهود بالنبي الخاتم من سابق الزمان وحتى قبل ولادته كما يعرفنا ذلك القرآن بصريح آيتيه المدنية والمكّية، القائلة بمعرفة اليهود للنبي كمعرفتهم أبنائهم، صرنا إلى تجميع الأخبار التي تصب في هذا السبيل وبوتقتها في قالب علمي، كي يتسنى لنا معرفة حقيقة ذلك النبي العظيم أكثر فأكثر، ويكون دليلاً لغير المسلمين ليعلموا أن اليهود وقفوا أمام مصلح عالمي واعترضوا طريقه عبثاً.

ولما أردنا الشروع في هذا المشروع الهادف، رأينا ضرورة فتح باب للبحث عن أصل توحيد إبراهيم الخليل عليه السلام، نكون بذلك قد شرعنا الكتاب بإسمه حتى نعلم علاقته وعلاقة إبنه إسماعيل بأهل مكة وبناء الكعبة ودين الإسلام الحنيف، ونسبته مع شخص الرسول صلى الله عليه وآله، وكذا دراسة سبب إنتساب اليهود إلى إبراهيم عبثاً.

ثم نعطف عنان الكلام إلى الحديث عن بعض الأنبياء من ذرّية إبراهيم عليه السلام لنتعرض بشكل أوسع إلى رسالة النبي موسى بن عمران عليه السلام، الذي يعدّ منعطفاً كبيراً في تاريخ بني إسرائيل، بل عامّة البشر، وبالتالي تسليط الأضواء على منشأ اليهودية ومعرفة حقيقة إنتسابهم إلى دين موسى عليه السلام، وهل إن اليهودية المطروحة هي من دين موسى عليه السلام، وهل يمكن عدّها على حساب دين ذلك النبي المبعوث من قبل الله سبحانه وتعالى؟.

وفي مبحث آخر صرنا إلى إستعراض خلقة محمد صلى الله عليه وآله، بما يحمله من مواصفات النّبوة وإطلاع كبار اليهود على ذلك، وتنبؤهم بقرب زمان آخر رسول و آخر مبعوث من قِبل الله سبحانه وتعالى، مع تعقيبه ببيان حقد اليهود على ذلك النبي صلى الله عليه وآله قبلها وبعدها إلى زمان بعثته.

كما رأينا من الضروري تسليط الضوء على دليل تواجد اليهود وبني إسرائيل في جزيرة العرب خصوصاً في مكة المكرمة الذي هو مثار للبحث عند المحققين واختلافهم في أصل تواجدهم فيها، وصرنا نطلب الشواهد الكثيرة من القرآن على تواجدهم في مكة، ثم إستطردنا الكلام حول حضورهم في اليمن.

ولا يخلو من ضرورة معرفة حال اليهود القاطنين أطراف المدينة و تمييز العرب المتهودة من يهود بني إسرائيل، وذلك لأجل تفاوت تعامل الطائفتين مع النبي صلى الله عليه وآله تفاوتاً فاحشاً، نتمكن من خلال هذا البحث من رفع الغموض عن بعض النقاط المظلمة.

والمفتاح الآخر لحل بعض الألغاز وفتح بعض الأبواب المغلقة هو وجود الإشارة في القرآن إلى اليهود الأوفياء وفصلهم عن اليهود المعاندين والمعتدين، الذي يكون التعبير عنهم بـ(الذين كفروا من أهل الكتاب)، وهناك أخبار قليلة ومجملة تشير إلى أحوالهم، حاولنا التعرض لها بشكل موجز مشفوعاً بذكرالآيات القرآنية كل ذلك تحت عنوان : «اليهود في القرآن، أوائل الهجرة، وأواسط الهجرة، وأواخر الهجرة »، ولا يخفى أن مسألة اليهود في القرآن بحاجة إلى دراسة مستقلة وعميقة وشاملة، يمكنكم ملاحظتها في كتاب «اليهود في القرآن» للمؤلف.

ويبقى المبحث الأساسي لهذا الكتاب وكما يعلم من عنوانه هو البحث عن كيفية تعامل نبي الإسلام مع يهود بني إسرائيل الساكنين في حوزة الرسول التبشيرية، وذلك في مرحلتين، المرحلة الأُولى من حين الهجرة إلى غزوة بني قينقاع، و المرحلة الثانية من غزوة بني قينقاع إلى صلح خيبر، قمنا بتحليلنا الشامل حول أسباب حقد اليهود وعوامله والدواعي التي دعتهم إلى الإصطفاف في الصف المخالف، ومن ثم عوامل تورّط كل طائفة منهم في خوض الحرب معه بمفردهم، أو بالتعاون من الآخرين، وتفصيل ما حدث في تلك المعارك وآثارها وعواقبها بالنسبة للمجتمع اليهودي والمجتمع الإسلامي، على أن لا يخلو ذلك التحقيق من نتائج مستجدة، و لامن الإشارة إلى بعض الحلَق المفقودة التي تفتح الباب للباحثين و تدعوهم إلى الخوض في تفصيل أكثر.

ولعل آخر ما سنتعرض له مما يرتبط بالجماعات اليهودية هو إخراجهم من الجزيرة العربية على يد عمر بن الخطاب، ومعرفة الدواعي والأسباب، وهل جاء منسجماً مع توصيات النبي صلى الله عليه وآله أو جاء مناقضاً للعهد الذي أبرمه النبي صلى الله عليه وآله مع اليهود، فيكون فيه بعض الإجحاف، أخذنا بتحليل سبب إقدام عمر على ذلك و الداعي الذي دعاه إلى ذلك العمل بالتفصيل، الذي قد لا تجده في أيّ كتاب آخر.

ومن إمتيازات هذا الكتاب هو تسليط الضوء على دور أمير المؤمنين علي عليه السلام، الذي كان عوناً وناصراً ومغيثاً للنبي صلى الله عليه وآله، ولسانه الناطق وسيفه القاطع، ولعل أغلب مصارعات النبي صلى الله عليه وآله معهم كانت على يد ذلك المقدام في الحروب، وهي الحقيقة التي أغفلها أو تغافل عنها محققو العامة في الغالب، أو لم يعطوها حقها وثقلها الحقيقي، وقد يكون في ذلك تعمّدٌ إذا لم يكن مجرد سهو ونسيان، ولذلك تفلّتوا بشكل آخر عن تسليط الضوء على شجاعة ذلك الإمام الهمام ومواقفه المشرّفة، فتابعهم على ذلك المستشرقون الذين يعتمدون بطبيعة الحال على المصادر السنّية فزادوا في الطين بلة وعتموا المسألة أكثر فأكثر، فجازوا بذلك الظلم الفاحش على أفضل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، وهو الإمام من بعده ووصيه وصنوه في الأخلاق والشيم والسلوك و العلم والقدرة الذي قال عنه الرسول: **"ياعلي أنت مني وأنا منك، كالضوء من الضوء"**، فإن هذه الشخصية الفذّة لاقت هجراً قاسياً في أكثر مؤلفات العامّة وكتبهم، حيث عدّوه كواحد من الصحابة أو حتى أقلّهم. إلى حدٍ أن الأمر إشتبه على البعض، حتى صار مثل شكر الله الرومي في كتابه بهجة التواريخ، يقول:«من المسلّم أن عمر بن الخطاب وأبابكر أفضل من علي، عليه السلام واختلفوا في تفضيل عثمان على عليّ والحق أن عثمان أفضل».

لاحِظ تجاوز الحد وإساءة الأدب قد بلغ بهم إلى أي مرحلة، وإلى أي حدّ، بلغ تظليل الواقع وستر الحقائق والإعراض عن الآيات القرآنية التي نزلت في شانه والأحاديث النبويّة الممجّدة له ؟ !!

والإمتياز الآخر لهذا التأليف هو بسط الكلام في مسألة فدك التي كانت من مناطق اليهود واستولى عليها الرسول صلى الله عليه وآله من دون أن يوجف عليها بخيل

ولاركاب فكانت فيئاً، ونحلها النبي بأمر من الله سبحانه بنته فاطمة الزهراء عليها السلام وكتب بذلك كتاباً وأشهد عليه، وتعتبر فدك هي آخر منطقة من مناطق اليهود العمدة التي اصطلح عليها الرسول صلى الله عليه وآله وكان صلحه عاماً شاملاً لعامة مناطق اليهود التي لم يستولِ عليها المسلمون بعد، وقمنا بالتنقيب حول هذا الأمر مع ذكر الحديث الدالّ على ذلك، فحققنا بعض النتائج وإن لم نستوعب البحث بشكل كافٍ وهو بحاجة إلى الفحص والتحقيق أكثر.

ولا يخفى عليك أن هذا الكتاب كان أكثر تفصيلاً وبسطاً، ولكن المصادر الموجودة ساكتة عن كثير من الحقائق، ولعل الأيدي اليهودية و الحكومات الظالمة الأموية والعباسية لعبت دوراً في إخفاء تلك الحقائق وتحريفها، فأدّى إلى بقاء حلقات فارغة كثيرة وظلت التحقيقات التي قام بها محققون في الدول العربية ناقصة و بعضها مجرد تكرار، بينما ظل التعصب طاغياً عليها، ولا يمكن عقد الآمال على المستشرقين في هذا الجانب، لأنهم مهما خاضوا في بحث بهذا الشأن صاروا يدافعون عن اليهود، ويلقون باللائمة على النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين، الأمر الذي دعاني إلى التحسس بوجود فراغ في هذا الجانب، يمكن سده بملاحظة الأحاديث الواردة عن أهل بيت النبي عليهم السلام، فإن الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت تفوق أخبار المؤرخين اعتباراً و دقة، لأن المؤرخين كانوا تحت وطأة الحكام وسلاطين الجور، فكان رعاية ما يرضيهم في التدوين طاغياً ومقدماً على رعاية مصالح الدين، ولم يكن المؤرخ ليتحسس الخطورة في نقل الوقائع التاريخية مثل ما يتحسسها راوي الحديث، لأن فيه كذب وافتراء على النبي وأهل البيت عليهم السلام مع أن الرواة الإمامية لم يكونوا ليساوموا الحكام ولم يقعِ منهم في أسناد الأخبار التاريخية إلا القليل، وبذلك كانت الأحاديث أكثر اعتباراً، بحيث لا يبقى مجال لإحتمال الوضع الذي يتذرع به معاندوا أهل البيت وأتباعهم، خصوصاً مع ملاحظة شدة تدقيق الرّواة وتحذرهم في نقل الأحاديث، على أن الأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام تتضمن معارف عظيمة ويكمّن فيها أسرار لا تجدها في غيرها، فمن يعرض عنها يكون قد عرّض نفسه للحرمان عن كثير من الحقائق،

ولعل الكتاب الذي بين يديك يسدّ تلك الثغرة ويجبر ذلك الحرمان، لأن الاعتماد فيه على أحاديثهم وأقوالهم أكثر من غيرها.

وفي النهاية نذكر على أن لكل حقيقة نوراً ويكمن في الوصول إليها لذّة، و في قبولها شرف عظيم، يجب أن يكون هو المقصود الأساسي في كل تحقيق وتنقيب، وبدورنا ندعوا كل الطلبة الجامعيين وغيرهم إلى ذلك الهدف، وندعو لهم و لأنفسنا الله سبحانه أن يوفّقنا لذلك.

السيد جعفر العارف الكشفي

القسم الأول

الفصل الأول

في التعرّف على أنبياء الله

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الله عزوجل مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته وعلّمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه أخلاقهم وأحوالهم أحدٌ من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق اليه، وجعل حبهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كل قوم باتّباع ملّة رسولهم، ثم أبى أن يقبل طاعة أحد إلا بطاعتهم ومعرفة حقهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم و جاههم عند الله، فعظِّم جميع أنبياء الله ولا تنزّلهم بمنزلة أحد من دونهم، ولا تتصرف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم، إلابيان محكم من عند الله، وإجماع أهل البصائر، بدلائل تتحقق بها فضائلهم ومراتبهم، وأنّى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله ؟وإن قابلتَ أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأتَ صحبتهم وأنكرتَ معرفتهم وجهلت خصوصيتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة، فإياك ثم إياك[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **بعثت على أثر ثمانية آلاف نبي منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل**[2].

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله: **أول المرسلين آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله . وكانت الأنبياء مائة ألف وعشرين ألف نبي، الرسل منهم ثلاثمائة.**

وخمسة منهم أُولو العزم:نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله

وخمسة من العرب: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله .

وخمسة سريانيون: آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم.

وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى .

---

(١) بحارالأنوار ١١: ٣٧.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي : ٢٥٣. بحارالأنوار ١١: ٣١

والكتب التي أُنزلت على الأنبياء مائة كتاب وأربعة كتب، منها على آدم خمسون صحيفة، وعلى إدريس ثلاثون، وعلى إبراهيم عشرون، وعلى موسى التوراة،وعلى داود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل،وعلى محمد صلى الله عليه وآله القرآن المجيد.[1]

(1) - بحار الانوار :١١: ٤٢و٤٣

الكلام الأول

إبراهيم خليل الرحمن

النبي إبراهيم عليه السلام من الأنبياء أُولي العزم وله شريعة برأسها، وهو والد سلالتين بشريتين عظيمتين يعني بني إسماعيل وبني إسحاق، ولذا نجد أن أكثر من ثلاثة أرباع أهل الأرض يكنون له الاحترام وينسبون أديانهم وعقائدهم إليه، وقد إصطفى الله من أولاده وذراريه آلاف الأنبياء بعثوا لأجل هداية البشر، وليتكامل ذلك الشرف بأعظم شرف وأفخر اعتزاز أنه جد أشرف المخلوقات وأكرم الرسل وخاتمة الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

وما إنفك أتباع الديانات السّماوية المختلفة يرمقون سنّته التوحيدية وثورته العارمة على عبادة الأصنام وهجرته في سبيل الله بعين الاحترام، هذا وقد شُحنت كتبهم بأخباره وأحواله التي أهمها في هذا المورد كتاب التوراة، أعني فترة ما قبل نزول القرآن، وكذا فقد كان هناك مصادر تاريخية قديمة أُخرى تنقل أخباره عند اليهود غير التوراة.

ونحن نجد أن الله سبحانه وتعالى قد رسم في القرآن أفضل صورة وعكس أجمل طابع عن شخصية النبي إبراهيم الخليل عليه السلام، فإن ما جاء به في هذا المجال يعد كافياً ووافياً للغاية، ومعه لا حاجة إلى الرجوع إلى الكتاب المقدس أو كتب اليهود الأُخرى للتعرف على هذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله.

ولكن من أجل التعرف على مدى قصور التوراة الفعلية في مجال التعريف بهذا النبي العظيم والوقوف على أسباب ذلك، يستوجب أن نستعرض آيات القرآن الواردة في ذلك وبموازاته نقوم بإلقاء نظرة عابرة على ما تعكسه التوراة عن ذلك النبي العظيم من أجل المقايسة.

منزلة النبي إبراهيم عليه السلام في آخر الكتب السماوية

نجد في القرآن أن الله سبحانه وتعالى يأمر الرسول ﷺ بأن يذكر النبي براهيم عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾[1]، كما أخبر عن أن الله سبحانه وتعالى قد منح إبراهيم الرشد وعلمه الحكمة فقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾[2]، كما قام بوصف ثورته على عبادة الأصنام وعدها من درايته وفهمه وكمال عقله فقال عز من قائل: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾[3] هذا وقد شمّر ساعد الجد في هذا الميدان فلم يستثن أحداً حتى عمه آزر فإنه نهض في مخالفته وجدّ في نصحه إلى أن يئس وتبرأ منه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[4].

ثم إنه تمكن وبشجاعته المتميّزة أن يحطم الأصنام التي يعبدها الوثنيّون ويشطب على كل تلك العقائد الخرافية ويخط عليها خطوط البطلان على الرغم من أنه كان وحيداً بلاناصر ولامعين، فأشاد القرآن بوقفته تلك و ذكر أنه بمفرده أُمة : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[5].

أي أنه أُمة موحدة ومطيعة لله سبحانه وتعالى على الدوام، وما زالت صرخته التي أعلنها في أندية الشرك وربوع الوثنيين مدوية في العالم وما زال إعلانه العداء

---

(١) مريم : ٤١.

(٢) الأنبياء : ٥١

(٣) الأنبياء : ٥٢ — ٥٦.

(٤) الأنعام : ٧٤

(٥) النحل :١٢٠.

السافر للمشركين، ذلك العداء الذي لا يتوقف عند حدٍّ دون الإقرار بالتوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد، ذلك العداء الباقي في أُذن التاريخ وبذلك صارت طريقته أسوة يقتدى بها : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[١].

فأراه الله سبحانه وتعالى على أثر ذلك، ملكوت السّموات والأرض ليبلغ منزلة اليقين الرفيعة :﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[٢]، و يدخل في زمرة الموفين بعهدهم : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[٣]، وأكثر من ذلك أنه سبحانه خلع عليه لباس الخلّة ليكون خليل لِلّه : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[٤]، وأعقبه بالتسليم عليه : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٥].

ذلك السلام الذي يستتبع السلامة في الدنيا والآخرة، وهو السلام الذي جعل من نار نمرود جنّة على إبراهيم : ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٦].

---

(١) الممتحنة : ٤.

(٢) الأنعام :٧٥

(٣) النجم: ٣٧.

(٤) النساء : ١٢٥.

(٥) الصافات : ١٠٩.

(٦) الأنبياء : ٦٩.

و لما اضطرّ إبراهيم للخروج من مدينته و دياره على أثر ضغوط المشركين انقلب سائحاً وخارجاً في سبيل الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ولم يتركه ربه الرحيم به وأسكنه هذه المرة في الأرض المقدسة، الشام وفلسطين: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾[1].

والمعلوم أن هجرته لم تكن لأجل القتال بل لأجل هدف آخر. فمكث فيها دهراً حتى كبر سنه ولم يرزق ولداً، عندها دعا ربّه وطلب أن يرزقه ولداً صالحاً: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾، فبشّره الله سبحانه وتعالى بمولود صالح وحليم: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[2]، فآنسه باسماعيل عليه السلام.

وفي هذا الحال واجه امتحاناً صعباً حيث أُمر بأن ينقل إبنه إسماعيل و زوجته هاجر من الشام وفلسطين إلى جبل فاران، فبادر بعد التوكّل على الله سبحانه وتعالى ونقلهما إلى مكّة المعظّمة وهي أرض جرداء ليس فيها ماء ولا كلاء، غير أنها بجوار حرم الله وأمنه فأسكنهما هناك، ولما أراد الرجوع وقصد تركهما تضرع إلى الله سبحانه أشد التضرع و قال: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[3].

وبعد مضي عدّة سنوات حينما بلغ إسماعيل ريعان الشباب وكان إبراهيم يحبه ويأنس برؤيته جاء الامتحان الأصعب لما أمره الله سبحانه وتعالى في رؤيا رآها أن يذبح هذا الولد-وهو أول ولد له _ ويقدمه قرباناً لله سبحانه وتعالى كأصعب إمتحان، فأخبرإبنه إسماعيل بالأمر وكلّمه في ذلك، فسلّم إسماعيل لأمر الله سبحانه

---

(١) الأنبياء: ٧١.

(٢) الصافات:١٠٠ _١٠١.

(٣) إبراهيم: ٣٧.

ووضع جبينه على الأرض صابراً محتسباً ليتحقق هذا الأمر الإلهي [١].

نعم فقد وفّى الوالد والولد وظهر صدقهما وإخلاصهما عندما سلّما لهذا البلاء العظيم أقصى تسليم، ولكن الإرادة الإلهية كانت شيئاً آخر، حيث أرسل الله سبحانه وتعالى كبشاً من السماء_كما جاء في الخبر_ ليذبح مكان إسماعيل، و تلزم الإشارة إلى أن إبراهيم بُشّر بعد ذلك بمولود آخر اسمه إسحاق : ﴿ **وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ [٢]. ثم رزق بعد سنوات .

ولما نجا إسماعيل من الذبح، كلّم الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام في بناء بيته وأن يعينه على ذلك إبنه إسماعيل فأمره أن يبني الكعبة التي لم يبق منها سوى الأساس والقواعد، وكلّفه بأن يرفع جدرانها و يطهرها ويهيئها للطائفين و المصلين : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ** ﴾ [٣].

فجعل الله سبحانه ذلك البيت مفيض ثوابه ومنحه، وموضع أمان و استقرار للناس، وجعل من موطن إبراهيم عليه السلام وموضع قدمه مصلى ومحل عبادة، فأوجب على كل من يطوف بالبيت أن يصلي ركعتين خلف ذلك المقام :﴿ **وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾، كما و جعل حِجر إسماعيل في المطاف كي يبرهن على قربه من ربه، وجعل منه كالشفيع والوسيط لمن يتوجه إليه .

---

(١) أشير إلى هذا الذي ذكرناه بشكل مختصر في سورة الصافات: ١٠٢ –١١١.

(٢) الصافات: ١١٢ – ١١٣.

(٣) الحج : ٢٦.

وبهذا كان هذان الأب والإبن حارسين لبيت التوحيد كي يتعرف الناس على حراس كعبة القلوب الحقيقيين.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس ويدعوهم بصوت رفيع إلى حجِّ ذلك البيت فقال : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1].

وعقيب ذلك فقد صرّح القرآن بأن إبراهيم نال مرتبة عظيمة على أثر إمتحانه بكلمات فلما أتمهن، اختاره الله سبحانه وتعالى للإمامة :﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

دعا ء إبراهيم في القرآن

وبعد بناء البيت الحرام وفي هذه البرهة الحسّاسة والمكان الحساس دعا إبراهيم دعاءً تجلّت آثاره للعيان، وهي تظل تتجلى في ملكوت السّماوات وفي أرجاء البسيطة، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا

---

(١) الحج: ٢٧.ـ كلمة حج وحجج، بالعبرية هگگ، وتعني الإجتماع عند الشيء والطواف حوله، أو نفس الإجتماع، وذكر العلامة الطباطبائي أنه كان في زمان موسى عليه السلام شريعتان شريعة إسحاق وشريعة إسماعيل وكان حج بيت الله من شريعة إسماعيل وليس من شريعة إسحاق وهذا ما يدعو للتأمل لان ما من نبي الا وقد حج بيت الله، أضف إلى ذلك أن في كتاب محضر الشهود أن الحج الذي يحج فيه اليهود و يزورون أور شليم في كل عام ثلاث مرات، هو عمل مخترع لا أساس له. (محضر الشهود : ٤٤ – ٥٣).

وذلك لأن أورشليم لم تكن في زمان النبي موسى وإنما شيدت في زمان داود وعلى يديه وبينه وبين موسى أربعمائة عام، وكان داود على شريعة موسى ولم تكن له شريعة أخرى .

(٢) البقرة : ١٢٥. للتعرف على الكلمات يراجع كتاب إكمال الدين

﴿ مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، فلم تقتصر هذه الآيات على بيان فضيلة إبراهيم في بناء البيت فقط، بل بينت أيضاً مقام إسماعيل الشامخ حيث أعان أباه في ذلك العمل.

كما وأبانت حرص إبراهيم على عامة ذراريه بل عامة البشرية، لما دعا بأن يبعث فيهم رسولاً، فاستجيب له وتحقق دعاؤه في وجود النبي الكريم الخاتم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله الذي هو من أحفاد إسماعيل ومن ذريته، والذي ستبقى نبوته و آثاره إلى يوم القيامة، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يترك أن يقول: (**أنا دعوة ابي إبراهيم**)[2].

وبعد ذلك نجد أن إبراهيم عليه السلام يشكر الله سبحانه على هديته المتمثلة في وجود إسماعيل وإسحاق ويطلب منه أن يجعلهما وابنائهما من المصلين، كما يستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع مؤمني العالم ويطلب العفو لهم من الله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[3].

وما دعاؤه لوالديه إلاوهو دليل على أن أبويه كانا موحدين، وبذلك فالآيات الدّالة على مجادلة إبراهيم مع أبيه في شأن عبادة الأصنام، إنما المراد به عمّه آزر

---

(١) البقرة: ١٢٧ – ١٢٩.

(٢) كلمة منهم في الآية إشارة إلى ذرية إسماعيل قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخا بني عامر إن حقيقة قولي وبدء شأني أني دعوة إبراهيم عليه السلام، (البحار١٥: ٣٩٧) .

(٣) إبراهيم: ٣٩ – ٤١.

الذي كان ينحت الأصنام، وجاءت تسميته بالأب لأجل شيوع إستعمال كلمة الأب في العمّ عند العرب، ومع ذلك فالمثير للدهشة أن بعض المسلمين من محققي السنّة وبعض اليهود يصرون على أن والد إبراهيم عليه السلام كان مشركاً يعبد الأصنام [١]!

وصية إبراهيم الخليل في القرآن

يذكر القرآن ما وصى به إبراهيم عليه السلام أبناءه وكذا ما وصى به يعقوب أبناءه ويبيّنه لعامة الناس فيقول: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [٢].

تتحدث هذه الآيات عن الإسلام والمسلم وليس عن اليهودية و النصرانية، فالذي وصى به إبراهيم عليه السلام هو اعتناق الإسلام لأنه دين الله ودين جميع أنبيائه.

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ

---

(١) يقول الأستاذ الدكتور بادكاري في كتابه تقهقر البشرية : "إن والد إبراهيم توفي قبل ولادة إبراهيم". فمن الطبيعي يكون إبراهيم عند عمّه آزر والأدب يقتضي أن يسميه أباً. ومن ناحية أخرى فإن التوراة تذكر في عداد من سافر مع إبراهيم أباه تارح، (سفر التكوين، الاصحاح١١ فقرة ٣١) فإذا كان هو مشركاً كيف يصحب إبراهيم في هجرته ويترك داره وديارة ويسافر معه، وبعد كل ذلك فإن قوله تعالى: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ يدل على أن أجداد النبي ﷺ كلهم موحدين.

(٢) البقرة : ١٣٢ – ١٣٣.

فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[1]، فهذه الآية تدلّ على أن دين إبراهيم هو الإسلام وهو دين الجهاد[2]، وفي نفس الوقت هو دين الرفاه والاستقرار كما وتدل عن أن أول من سمى أتباع النبي محمّد صلى الله عليه وآله وعامة موحدي العالم بالمسلمين هو النبي إبراهيم عليه السلام، نعم فإن الحديث عن ذلك طويل جداً، لا نبغي الخوض فيه.

والمهمّ أن من يتابع إبراهيم ودينه هم من ذوي العقول ومن يعرض عنه فهو سفيه بنص القرآن :﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3].

ولما كان المشرَّع في هذه الأمة هو نفس ما شُرّع في الأمم السابقة : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[4]. فالإسلام وحده هو طريق

---

(١) الحج : ٧٨.

(٢) جاء في حديث أن إبراهيم كان نبي السيف ،وعن الامام الكاظم عليه السلام قال:أول من قاتل في سبيل الله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أسرت الروم لوطا فنفر إبراهيم واستنقذه من أيديهم .(قصص الأنبياء للجزائري :١: ٩٨)

(٣) البقرة : ١٣٠.

(١) الشورى : ١٣.

الهداية وكل ما وراءه فهو بدعة وغير مقبول، فهذا الدين هو الدين الذي له لون سماوي وصبغة إلهية يصبغ بها أهل الإيمان: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾، (١) و(٢).

والآن وقد مضى أكثر من ثلاثة آلاف سنة من زمان النبي إبراهيم عليه السلام وقد بعث آلاف الأنبياء من أجل تبليغ دينه وأكثرهم من بني إسرائيل، مهمتهم هي تبليغ أحدية الباري والتبشير برسالة النبي محمد ﷺ، ولما كان مرور الأيام يساعد المنافقين والمشركين على إيجاد التحريف والإنحراف في آثار الأنبياء وأسفارهم و سننهم، فقد كان تواتر الأنبياء خصوصاً في بني إسرائيل يبتني على هذا الأساس ويتبع هذه الحكمة، وهو بقاء هاتين الحقيقتين في الديانة الإبراهيمية حيّتين وظاهرتين على الدوام.

والمثير للدهشة أن عدد الأنبياء قد تجاوز الأربعة آلاف نبي إلى زمان السيد المسيح عيسى عليه السلام والقرآن -الناطق بالحق والصدق - قد بيّن هدف بعثة المسيح بشكل مختصر وكنموذج لمهمّة سائر الأنبياء : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ

---

(٢) البقرة : ١٣٨.

(٣) «كان النبي يحيى عليه السلام في الصحاري المحاذية لنهر الأردن يعظ الناس ويهتف في اليهود بأني أعمّدكم بماء التوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست اهلا ان احمل حذاءه ، هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار،الذي... (إنجيل متي٣: ١٢) ولا يعرف الاصطلاح الدقيق العبري أو الآرامي للتعميد الذي ترجم باليونانية بباپ تيسيموس، ويحتمل قوياً أن يكون معادله «صبعوثه» والذي يعادله في القرآن «صبغة» فهو و إن يكتفي بحلّ اللغز وكشف الستار عن تنبؤ يحيى عليه السلام بل هو شاهد مثير آخر على أن كتاب المسلمين المقدس هو وحي مباشر من الله، والرسول هو المتلقي لذلك الوحي « صبغة الله هي الإيمان وروح القدس الذي يدخل حبّ محمد وعلي في قلوب المؤمنين ويجعل منه جوهرة يرضاها الله سبحانه وتعالى».ترجمة ما في كتاب «محمد در توراة وإنجيل: ٢٠٠ — ٢٢٠.»

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

المؤسف أنا نجد أن كلام عيسى قد حرّف من بعده والقيت عليه ستائر الجهل و التعصب، ولكن لم يبعث من بني إسرائيل نبي آخر يزيل تلك الستائر.

ولولا رسالة النبي المكرم ولسان الوحي المليح لم يتجلى للناس حقائق دين إبراهيم و دين ذراريه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[2].

ذرية إبراهيم خليل الرحمن

المستنبط من آيات القرآن أن أنبياء بني إسرائيل هم من أبناء إسحاق وذريته وقد جاءت أسماء طائفة منهم في القرآن مثل يعقوب ويوسف والأسباط، وموسى، وعيسى وأيوب وداود وسليمان ويونس واليسع و....

وكلمة « ذرّيـة » في هذه الآيات مستعملة في معنى خاص يعطي الإرتباط النسبي والروحي معاً : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3].

---

(١) الصف : ٦.

(٢) المائدة : ١٥.

(٣) العنكبوت :٢٧. وكذلك في سورة الأنعام ٨٤-٨٦: وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ

ولم يتعرض القرآن لأبناء إسماعيل سوى أنه ذكر أن ذريته باقية نسلاً بعد نسل إلى قيام القيامة فيقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

وقد جاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود في الآية هم آل محمد»[2]، هذه الحقيقة بمثابة من الأهمية بحيث يمكن القول بأن أهم ما كرم الله به إبراهيم يتجلى في رسالة نبي الإسلام[3]، وذلك لأن الإمامة تبقى في عترته إلى يوم القيامة.

وقد جاء في التوراة أن إبراهيم رزق عدة أولاد بعد ما شاخ وكبر سنّه، كما شاهدنا أنه بشر في التوراة بإثنى عشر عظيم من نسل إسماعيل، بينما القرآن لم يذكر لإبراهيم من الأولاد سوى إسماعيل وإسحاق.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾

(١) آل عمران: ٣٤ و٣٣.

(٢) يجب أن نذكر على أن الآيات الواردة في النبي إبراهيم عليه السلام تتضمن نكات دقيقة معرفية وتربوية واجتماعية وتاريخية إذا أردنا التعرف لها فإنه يطول المقام .من أراد ذلك يرجع إلى التفاسير، وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام في شأن النبي إبراهيم ومقاماته فانظر فيها المجامع الحديثية مثل البحار٣٦: ٢١٤، كتاب الروضة للكليني، إكمال الدين للصدوق، كتاب الاختصاص للشيخ المفيد.

(٣) وبركاتك التي باركت فيها على إبراهيم خليلك عليه السلام في أُمة محمد، (مفاتيح الجنان، دعاء السمات)

إبراهيم في التوراة

إن توراة موسى عليه السلام ليست بأيدينا حتى نشاهد مدى الثناء على إبراهيم عليه السلام ومدحه، والتوراة التي بأيدي اليهود هي أهم مصادر المؤرخين في قضية إبراهيم، وهي مع ذلك لم تتعرض لأوائل حياة إبراهيم التي كانت في مدينة أور الكلدانية، ولكن تعرض بعض المؤرخين مثل فلاسفيوس في كتابه عتيقات اليهود إلى بعض زواياها مما يدل على وجود مصادر أُخرى غير التوراة تتضمن الوقائع التاريخية للثلاثة آلاف سنة السابقة التي تغذي التاريخ، و الظريف أن عبد الأحد داود يذكر أن اكثرمضامينها مطابقة لما جاء في القرآن[1].

وأما ما تحكيه التوراة عن حياة إبراهيم وإن كان فيه بعض المطابقة للقرآن ولكن يخالفه في كثير من الموارد ويناقضه، فالتوراة لا تقاس بالنسبة للقرآن في مجال التعريف بإبراهيم، ديانته وقداسته، نبوته ورسالته، خلته وإمامته، شهامته وشجاعته وغيرته ونجابته.

فالتوراة إنما تذكرتكريم الله سبحانه وتعالى لعبده إبراهيم من زاوية النعم الدنيوية فقط، وذلك كإعطائه الأرض المقدسة وكثرة نسله في أطراف الأرض وغيره[2].

---

(١) محمد در تورات وإنجيل : ٢٦.

(٢) فقد جاء في التوراة الحالية: وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه إرفع عينيك وأنظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أُعطيها ولنسلك إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد، (سفر التكوين: ١٣ :١٤- ١٦)

وجاء في بحارالأنوار٣٦: ٢١٥ :سمعت من جماعة من ثقات أهل الكتاب أنه موجود في توراتهم الآن : وليشمعيل شمعتيخا هينه برختى اوتو وهيفريتي أوتو وهربتى أوتو بماود ماود شنيم عاسار نسينيم يوليد ونتيسو لغرى كادول، (التكوين، الفصل ١٧ :٢٠)_ وسمعتهم يترجمونه هكذا:ومن إسماعيل اسمعتك أني باركت إياه وأوفرت إياه وأكثرت إياه في غاية الغاية اثنى عشر رؤساء يولدون ووهبته قوما عظيما . اقول: الذي يظهر من الأخبار أن مادماد اسم محمد صلى الله عليه وآله بالعبرانية أي أكثرت نسل إسماعيل بسبب محمد صلى الله عليه وآله فحرفوه لفظا ومعنىً وعلى ما ذكروه أيضا المراد بغاية الغاية هو النبي صلى الله عليه وآله لأنه في غاية الغاية من الكمال.

فالتوراة الفعليّة تصرّ على أن والد إبراهيم كان مشركاً وأنه من عبدة الأوثان، كما وتصرّ على أن البركة تشرع منه وتسري إلى إسحاق وأولاد إسحاق، وتجعل الفضائل والمناقب لإسحاق ويعقوب إصالة، ثم هي مستمرة في نسل يعقوب وباقية فيهم ويرون أن جميع الناس هم خدم لهم [١].

كما وقد حاول اليهود أن يجعلوا الذبيح هو إسحاق بدل إسماعيل، لكي تكون هذه الفضيلة لإسحاق، ولذا جعلوا إسمه مكان إسماعيل ولكن الصفة يعني «البكروالإبن الأول» ظلت بدون تحريف، ومن ذلك يعلم وقوع التحريف و التبديل والتغيير بوضوح [٢].

وكذا جاء في بشارة الله سبحانه وتعالى لهاجر، بانه بارك على عامة أُمم الأرض بذريتها والمعلوم أن هاجر هي أُم إسماعيل وليست ام إسحاق.

كما بشرها وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة، وقال لها ملاك الرب: أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعينه إسماعيل لأن الرب قد سمع

---

(١) وكما نعلم أن كتابة التوراة الحالية كانت على أساس التعصب القومي والعرقي، مع العلم أن إسماعيل هو الولد الأول لإبراهيم وبمقتضى أعراف البدو يكون هو الوارث لمقام الأب ولكنه لم يخص بشيء من ذلك.

فقال إبرام :أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي اليعاذر الدمشقي وقال إبرام ايضا إنك لم تعطيني نسلا وهو ذا إبن بيتي وارث لي .فاذا كلام الرب اليه قائلا لا يرثك هذا .بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم اخرجه الى خارج وقال أنظر الى السماء وعدّ النجوم إن استطعت ان تعدّها وقال هكذا يكون نسلك.(التكوين ١٥: ٤-٨) ومعلوم أن هذا الخطاب لم يكن في زمن قد ولد لابراهيم ولد، ثم رزق اسماعيل وفي بعض النسخ جاء:«الذي يخرج من رحمك» اشارة الى أن رحم سارة رحم ابراهيم بانها زوجته ولكن رحم هاجر ليس رحم ابراهيم لانها أمَتَه وبهذا الكلام ارادوا انصراف كلام الرب الى إسحاق ولكن هذا مردود لان هاجر هي زوجته برضا سارة واسماعيل إبنه بصراحة التوراة ووارثه.

(٢) وفي كتاب« محمد در تورات وانجيل: ٢٦-٣٠ »:ومعلوم بوضوح ان حذف اسم إسماعيل عن الآيات الاولى حتى السابعة من الفصل الثاني والعشرين من سفر التكوين ليس الا إنكار ميثاق الله تعالى مع إبراهيم في إبنه إسماعيل.....

لمذلتك وإنه سيكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن[١].

فهذه الجمل يمكن أن تشير إلى الحقائق القرآنية فهي تعرف إسماعيل بأنه الذبيح وأن ذريته هي المالكة إلى يوم القيامة.

ومن المناسب الإشارة إلى عداء المترجمين اليهود والنصارى في هذا الموضع حيث جاؤا بتعابير عجيبة وغريبة.

منها أنهم ذكروا أن توراة موسى ذكرت أن إسماعيل رجل وحشي يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن[٢].

وهكذا ليس في التوراة أيّة إشارة إلى بناء الكعبة ولا مراسم الحج ولا مقام إبراهيم وقد تناسى الكتّاب اليهود بناء مظهر التوحيد والأثر الباقي الذي شيده إبراهيم وذلك لأن إسماعيل ساعده في بناء هذا البيت وهو الوارث الحقيقي لهذا الشرف والمنقبة.

---

(١) التكوين ١٦ :١٠ ــ ١٢: "ويومر لنه ملخ ادنای هربا اربه ات زر عح ولا بيسا فرمر وب ويومرلنه ملئخ ادنای هيناخ ها راو يولدت بن وقارات شمري يشيما عل كي شامع ادنای ال بيخ وهوء يهيه بر ءآدام يا دمو بكل ويد كل بو وعل پ̈ن كل احا ويشكون"

قال مؤلف محضر الشهود : اما لفظ "پ̈ارء "الموجود في التوراة بهذا الشكل : اي الپ̈ المعجمة في الاول وتليها الراء ثم الهمزة واذا قدمت الهمزة فيه تعني الشرف مما يناسب المقام تماما، ولكن الموجود في نسخ التوراة والذي يستفاد من كتاب شاراشيم الذي هو من الكتب المعتبرة في اللغه العبريه بمعنى المنتفع و الكثير وابن الصحراء والبدوي والذي يحب الصيد .وكل واحد من هذه المعاني مما يناسب المقام بوجه .

(٢) رسالة كشف الآثار في قصص بني اسرائيل، دكتور كيت قسيس اگستی ترجمة ١٧٩٩ص١٤٢ وفي ترجمة رحمان پور للتوراة الفعلية (سفرالتكوين ١٦:١٢) من منشورات انجمن كليميان تهران بالفارسي : «اوانساني وحشي (بدوى) خواهد بود .باهمه در افتاده وهمه با او درافتاده ونزديك برادرانش ساكن خواهد شد» .(تورات، ترجمه فارسي، جلد اول ص٢٠)

بنا ء الكعبة وصمت الكتاّب اليهود

أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون إبراهيم الذي يُعدّ بمفرده اُمة واحدة، مظهراً للتوحيد وهو الذي يلي بناء بيت التوحيد لتحيى بسببه الفطرة الإلهية في العالم مرة اُخرى، ولتخلد حياة الموحدين إلى يوم القيامة، وليتوجهوا بدعوته إلى قبلة العشاق ويقبلوا عليها.

ففي تلك الأحوال جاء ابراهيم _بأمر من الله سبحانه وتعالى_ من الشام إلى مكة فأراه جبرئيل أساس الكعبة حتى يبنيها بمعونة ولده إسماعيل والملائكة المقربين، ليرفع ذلك الأساس ويعيد بناء قبلة المسلمين من جديد وليجعل من مقامه مصلى للعابدين، ثم جاء الأمر من الله أن أذّن في الناس بالحج.(الحج:٥٧)

و لقد شاهد عالم التكوين نور هذا النداء و وصل هذا الكلام إلى كل إنسان في أية مرحلة من الخلقة ونفذ في سمعه، وكتب في صحيفة كل ملبٍ حجة مقسومة. ثم عطف على تعليم سالكي طريق الحقيقة والمتسلقين إلى قمم المعرفة مناسك الحج، ذلك السفر الذي لايعرف فيه المِلك من الرعية، ولا الفقير من الغني، ولا الراجل من الراكب، فالجميع في صف واحد، ولباس واحد، وطريقة واحدة، ولهم حضور في صعيد واحد، بالنداء الواحد، ملبين : **لبّيك اللّهم لبّيك، لبّيك لا شريكَ لكَ لبّيك** .....

فإن إبراهيم عليه السلام الذي قد أقدم على ذبح إبنه في سبيل الله، كان قد ظهر منه كمال الإخلاص وحقيقة العبودية لله، يشرع الآن هذه السُنّة السنيّة ويحج بيت الله سبحانه كأول طليعة في طريق عبادة الله جل جلاله، وصار يضع بعض العلائم من ذلك التسليم والرضا للأجيال القادمة ويكون قدوة لسالكي طريق التوحيد.

ففي الحال الحاضر أكثر من أربع أخماس البشر يصدقون هذه الواقعة، بينما تجاوز كتّاب التوراة الحد في الظلم على ساحة إبراهيم المقدسة، حيث لم يذكروا هذه الواقعة المهمة الفريدة من نوعها، وهي مشحونة بالعظمة والجلال الإلهي، والمقام الملكوتي، والمبيّنة لدين إبراهيم وطريقته، فقد سكت هؤلاء الكتاب عن هذه الواقعة ولم يوصلوا إلى أسماع الآخرين شيئاً منها، لماذا كل هذا التعتيم؟ لا

وجه له سوى أنه يزيد من شرف إسماعيل والإسماعيليين، فاستطاع اليهود خلال أكثر من ألفي عام من إلقاء ستار التعصب والكتمان على هذه الحقيقة الناصعة، حتى جاء القرآن المجيد ببيان ساحر وموجز ليزيل الستار عن هذه الواقعة العظمى.

كما أن القرآن عكس جوانب مضيئة أُخرى عن أحوال النبي إبراهيم عليه السلام بينها حقائق طالما اكتتمها اليهود، فإن القرآن يعدّ إبراهيم مثالاً للرأفة والرحمة، والحلم والصبر، والصدق والصلابة، و العفة والنجابة، و الشجاعة والشهامة، والخلة والصفاء، والتوكل والإخلاص، وأعلى من جميع ذلك يعتبره صاحب مقام الإمامة الرفيع.

ومن ثم، يحرى بنا أن نعلن للجميع: أن القرآن يعتبر رسول الله صلى الله عليه وآله محمداً المصطفى ألصق الناس وأقربهم من النبي إبراهيم عليه السلام ويرى أن حسبه ونسبه عائد إليه عليه السلام، وبذلك يكون أئمة الشيعة المعصومون من أبناء الرسول هم الوارثون الحقيقيون لإبراهيم لأنهم عندهم علم الكتاب والحكمة والملك العظيم إلى قيام القيامة وأنهم القادة والأئمة لجميع أهل العالم .

وفي زماننا هذا قد وصلت النوبة لذلك الكوكب الدرّي، حفيد إسماعيل الذبيح ومن ذرية إبراهيم الخليل، الحادي عشر من أبناء الرسول من نسل علي والزهراء البتول، قلب عالم الإمكان ووليّ هذا الزمان وإمام الإنس والجان، الحجة بن الحسن صاحب العصروالزمان، وهو حي وغائب، يستضيء بنوره العالم. عجل الله تعالى ظهوره، فعلى جميع مستضعفي العالم وفي كل الأرجاء، الإكثار من الدعاء بالفرج صباحاً ومساءًوالتضرع إلى الله سبحانه وتعالى والإبتهال لتعجيل فرجه الشريف وأن يجعلوا وردهم الدائم «اللهم عجل فرج مولانا صاحب الزمان».

وفي الختام قيل: إن النبي إبراهيم الخليل عليه السلام ولد في الخامس و العشرين من شهرذي القعدة، يعني يوم دحو الأرض المشهور، اليوم الذي دحيت فيه الأرض وسطحت من تحت الكعبة، فكان تولد مجدِّد بناء الكعبة في هذا اليوم مناسبا جداً، لأن ارتباطه الوثيق بهذا البيت مما لا يمكن إنكاره.

الكلام الثاني

الأنبيا ء من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام

النبي إسماعيل عليه السلام

تعرّفنا على أن النبي إسماعيل تُرك و هو صغير و اُمه وحيدين في أرض مكة الخالية من الماء والكلاء والزرع ليتوطنا هناك، ففجّر الله سبحانه وتعالى لهما عين زمزم يروي عطشهما ويؤمن إحتياجهما من الماء، وبسبب هذه العين صارت قبيلة جرهم ترغب في التوجه إلى مكة والمقام عندها وإلى جانبهما مع العلم أن قبيلة جرهم كانت تتكلم بالعربية ولأجل ذلك فتق لسان إسماعيل الذي كان يتكلم بلغة أبيه و هي الآرامية أو السريانية بالعربية وصار يتكلم بهذه اللغة.

مع الالتفات إلى أن اُم إسماعيل «هاجر» هي جارية قبطية أهداها ملك مصر للنبي إبراهيم عليه السلام اولسارة زوجته، وقيل إنها من العمالقة وهم يتكلمون باللغة العربية وهذا عامل آخر على تكلم إسماعيل بالعربية[1].

وجاء في الخبر أن إسماعيل هو أول نبي تكلم بالعربية الفصحى من نسل إبراهيم.

ذكر في مروج الذهب أن بني كركر[2]، بعد ما أصابهم الجفاف في وادي تهامة رأوا طيراً تحوم حول مكة فإهتدوا إلى وجود الماء هناك ونزلوا عند هاجر وولدها.

وذكر اليعقوبي أن أبناء جرهم بن عامر ذهبوا إلى تهامة وسكنوا عند النبي إسماعيل بن ابراهيم، فتزوج إسماعيل من نسائهم،وواحدة منهن سامة بنت المهلهل

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي١: ٨٥ و١٨٥.وصرح الدكتور طعيمة بأن هاجرمصرية ومن العمالقة والعرب البائدة وهم عبارة عن عاد وثمود وطسم وجديس وعماليق، ومن العماليق أيضاً كناعنة الشام وفراعنة مصر، (بنو إسرائيل بين النباء القرآن وخبر العهد القديم : ١٣١).

(٢) رئيسهم هو سميدع بن هوبر بن لاوي بن قيطوربن كركر بن حيدان.(موسوعة التاريخ الاسلامي١:١٨٤)

بن سعد بن عوف بن هيني بن نبت بن جرهم، وكذا قيل إن إحدى نسائه هي حنفاء بنت الحارث بن مضاض الجرهمي.

وكان لإسماعيل عشرة أولاد أو اثنا عشر ولداً اسم أحدهم قيدار، وهو جدّ الرسول الخاتم[١] عليه السلام وبذلك كان رسول الله ﷺ من نسل إسماعيل وبينهما ثلاثة آلاف سنة تقريباً، وجاء ذكر أسماء أبناء إسماعيل الإثني عشر في كتاب التوراة.

والذي يلزم ذكره إن إسماعيل عمّر ١٣٧ سنة وتوفي في مكة، ودفن في حجر إسماعيل[٢]، وكانت سدانة بيت الله الحرام بيده، وأخلفه إبنه نابت ومن بعده أولاده نسلاً بعد نسل حتى وصلت النوبة إلى أياد، ثم خرجت من يد هذه السلالة، وصارت في يد خزاعة، ثم رجعت بعد قرون اليهم.

إسحاق النبي عليه السلام

يعتبر القرآن إسحاق الإبن الثاني لإبراهيم عليه السلام وقد أشاد به ووصفه بأنه غلام عليم، كما وصف عن أخيه إسماعيل بغلام حليم، وقد جاءت البشارة بولادته بعد عشر سنوات من ولادة إسماعيل عليه السلام، بشر بها الملائكة إبراهيم عليه السلام، نجد الحديث عن ذلك الحفل المنور في سورة الذاريات: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾،

---

(١) يرى البعض أن نسب النبي ﷺ يصل إلى إسماعيل من نابت إبنه ، كما ورد في الحديث.

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامي ١: ١٨٦.

وبموجبها فإن هذه البشارة شملت سارة زوجة إبراهيم، كما جاء في موضع آخر: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾[1].

كان إسحاق على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام وكان يبلِّغ دينه وهو من الأنبياء الإلهيين.

وقد تكرر ذكرُ إسم إسحاق في القرآن عشر مرات في مواطن مختلفة، وقد عرَّفه بأنه صاحب قدرة ومكانة وأنه من الصالحين ومن الأنبياء، ومع أن الفاصلة الزمنية بين نبينا محمد صلى الله عليه وآله والنبي إسحاق عليه السلام هي ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة نجد أن الله سبحانه وتعالى يأمره بأن يؤمن بما نزل على إسحاق عليه السلام: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ كل ذلك ليبرهن على أن دين الله واحد، وله منتهى القداسة.

النبي يعقوب عليه السلام وبنو إسرائيل

يعقوب إبن إسحاق يلقب بإسرائيل (يعني عبد الله)، كان له دور هامّ جداً في إستمرار النبوة وبقائها في نسل إبراهيم، وله دور في إيجاد بني إسرائيل ككيان مستقل خصوصاً بالنسبة إلى إبنه النبي يوسف عليه السلام الذي صار أمينا لعزيز مصر و إجتمع فيه النبوة والملك،

والقرآن يطري على يعقوب أيضاً ويعتبره من أنبياء الله سبحانه، ويشيد بصبره الجميل على فراق إبنه يوسف.

وكما صار كل واحد من أولاده منشأ لوجود سبط من أسباط بني إسرائيل، و قد صار لهم في التاريخ شأنٌ وإمتيازات عظمى وصاروا منشأ لتغييرات ومنعطفات

---

(١) هود : ٧١.

هامة، القرآن يذكر نقطة البداية هذه: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ و﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

وكذا جاء ذكر النبي يعقوب في التوراة كراراً ومدح فيها مدحاً عظيماً، غير أنها نسبت إليه أشياء لا تليق بشأنه كنبي، بل لا تصح نسبتها إلى الصالحين و الطيبين غير الأنبياء[2].

النبي يوسف عليه السلام

كان للنبي يعقوب عليه السلام اثنا عشر ولداً، أحدهم النبي يوسف الذي إصطفاه الله سبحانه وصار نبياً في بني إسرائيل، وإجتمع فيه الملك والنبوة، فكان ذلك نقطة عطف في تاريخ سلالة إبراهيم الخليل عليه السلام مما يدل على أن الملك يجتمع مع النبوة، وهذا بعينه شهدناه في وجود النبي داود عليه السلام والنبي سليمان عليه السلام .

فقد قام يوسف عليه السلام بتمشية امور أبناء إخوته وأخذ برعايتهم، فلما أراد أن يفارقهم، نبّأهم بما هم صائرون إليه وما سيئول عليهم من المصائب والمرارات، كما بشرهم بظهور نبي إسمه موسى بن عمران، يأتي من بعده فيستنقذ بني إسرائيل من يد الفراعنة.

ونجد أن الإسلام قد إهتم بالنبي يوسف عليه السلام وبعصمته وعفته وأمانته حتى أنه نزلت سورة كاملة بإسمه تبيّن زوايا قصصه وما جرى عليه ليكون درساً وعبرة للأجيال القادمة، ويكون شرفاً وكرامة للنبي يوسف وآبائه عليهم السلام. والله سبحانه لايضيع أجر المحسنين ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[3].

---

(١) الأعراف : ١٦٠و ١٦٨ .

(٢) أنظر التوراة، سفر التكوين ٢٩: ١٨و٢١: ٢٩و٣١: ٢٦-٣٥و٣٢: ٢٢-٣٠و٣٣: ٣و١٠. وكلمة إسرائيل كلمة سامية قديمة تتكون من مقطعين أسر، و ايل، بمعنى عبد الله.(العلاقات :٤١)،

(٣) يوسف : ٧.

ولكن أعقب ذلك، انحراف بني إسرائيل إلى حدّ أنهم صاروا يعتقدون اعتقاداً جاداً بأن لِله أبناءً من جنس الملائكة أو البشر، وتجاوز ذلك الإعتقاد الخاطئ مرحلة التأويل والروتين، فجعلوا الأصنام وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه، وعلى اثر ذلك أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم أنبياء كثيرين يدعوهم إلى دين إبراهيم ويوسف عليهما السلام. وكان للأسباط من بينهم دور هام في صيانة هذا الدين، لا مجال لنا هنا للخوض فيه.

وبعد أربعمائة عام من وفاة النبي يوسف عليه السلام بعث النبي الموعود به و المنجي، موسى بن عمران.

موسى بن عمران عليه السلام

موسى بن عمران هو أحد الأنبياء العظام وهو من أُولي العزم منهم ومن المقربين والمكرمين عند الله سبحانه وتعالى، الرسول الذي جاء بشريعة كاملة التي أحيت دين إبراهيم من جديد.

كانت مهمة موسى عليه السلام هي الوقوف بوجه الظلم والكفر والثورة عليه لإنقاذ بني إسرائيل من مخالب فرعون وظلمه، وأعقب ذلك أنه كان لقيام النبي موسى الديني والإلهي النصيب الأكبر في بناء التمدن الأنساني وفي هداية الناس إلى طريق الكمال والسعادة، فكانت شريعته هي الحاكمة على مدى عشرين قرناً متوالية، وقد بعث آلاف الرسل لتبليغ رسالته وقد جاهدوا وكابدوا في هذا السبيل، كما وشيدت آلاف الكنائس في العالم لتبليغ هذا الدين، وإلى يومنا هذا فإن الكثير من سكان الأرض ينسبون أنفسهم إليه وإلى دينه.

عاش النبي موسى عليه السلام بعد إعلان نبوته، بين الفراعنة لمدة أربعين سنة، مضطراً .

لمماشاتهم حتى تتم حجة الله سبحانه عليهم وتتهيأ الأرضية اللازمة لاعتقادهم بدين الله، وقد كان بنو إسرائيل في تمام هذه الفترة يقاسون العذاب والأذى حتى إذا نفذ صبرهم جاؤا إلى موسى وشكوا إليه حالهم، فكان يقول لهم:

عسى الله سبحانه أن يهلك عدوّكم في القريب العاجل : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

حتى جاء الأمر من الله سبحانه بأن يخرج موسى وأتباعه من المدينة ليلاً، فلما خرجوا وعلم الفراعنة بذلك، أخذوا بتعقيبهم حتى إذا وصلوا إلى البحر، كاد الفراعنة أن يدركوهم ولكن ضرب موسى بعصاه البحر كما أمره الله سبحانه وعبّره هو وقومه فقد جاء في دعاء السمات «**وفي المنبجسات التي صنعت بها العجائب في بحر سوف وعقدت ماء البحر في قلب الغمر كالحجارة وجاوزت ببني إسرائيل البحر وتمت كلمتك الحسنى عليهم بما صبروا**»[2].

فدخل الفراعنة البحر على أثرهم، ولكنهم غرقوا جميعاً، فهلك فرعون ومن معه، فسقطت حكومة مصر بيد بني إسرائيل ولكن هناك بعض الإبهام في هذا المجال فالقرآن يقول:﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3]، ولكن التاريخ لا يحدثنا عن رجوع بني إسرائيل إلى مصر بوضوح، بل هناك ترديد في أصل رجوعهم.

فلما جاوز موسى البحر ووصل إلى مكان آمن ومستقر، تبدلت مهمته وصارت في إطار جديد، حيث إنه صار يقود مجتمعاً ناهضاً ويقوم بتشكيل حكومة دينية فتية.

---

(١) الأعراف ١٢٨و١٢٩.

(٢) مفاتيح الجنان: دعاء السمات. وبحرسوف: هوبحيرة تمساح، وللتعرف على بحر سوف، يمكنك الرجوع الى المجلد الرابع من كتاب" النبي موسى و آخر أيام تل العمارنة" .

(٣) الشعراء : ٥٧ – ٥٩.

ولكنه سرعان ما واجه إعتراضات من بني إسرائيل، فقد كان بنو إسرائيل بمرتبة من الجهل والسفاهة حيث إنهم رأوا قوماً يعبدون الأصنام فتجددت في أذهانهم خواطر مصر وطلبوا من موسى أن ينصب لهم صنماً يعبدونه، فزجرهم موسى عليه السلام ووعظهم.

ولما واعد الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام وبشره بأنه سيكلمه وأمره أن يذهب إلى طور سينا ويخلو بربه ويستمع إلى ما يلقي عليه من الآيات ويهيئ نفسه لإستلام التوراة، فاضطر موسى عليه السلام لأن يستخلف أخاه هارون النبي، وذهب إلى ميقات ربه فدام ذلك أربعين يوماً، عندها قام السامري بتعبية بني إسرائيل على هارون وأعانه المنافقون من أُمة موسى عليه السلام فصنع لهم عجلاً ودعاهم إلى عبادته فحاول هارون نصح قومه وصرفهم عن ذلك ولكن محاولته لم تفلح حتى رجع موسى، وورد على قومه يحفه جلال إلهي، وجمال ملكوتي، والحال أن شمس العلم والمعرفة تسطع من صفحات التوراة المضيئة: ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ** ﴾[1]، ولكنه لما رأى أُمّته قد آثروا العصيان وإستغلوا غيابه وقاموا على أخيه ووزيره، تغير حاله واضطرب، ومن فرط الحسرة سقطت التوراة من يده: ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ..** ﴾[2].

ولما سقطت تلك الألواح إنكسر بعضها فأفل قسم من تلك الشمس في أول شروقها. فكان بنو إسرائيل بمثابة من التمرد حتى صاروا يرفضون الباقي من

---

(١) الأعراف: ١٤٥

(٢) الأعراف: ١٥٠، وفي الحديث: أنه لما سقطت الألواح من يد موسى عليه السلام ابتلعت الأرض بعض تلك الألواح، وكسر بعضها، وبقي الباقي سالماً وفيه اشارة إلى أن أُمته ستكسر أوامره.

التوراة وأخذوا يعارضون موسى عليه السلام ويمارونه إلى حد أن الله سبحانه وتعالى رفع فوقهم الجبل حتى يتنازلوا ويخضعوا والا سقط عليهم: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1].

هذا وقد تكرر إسم النبي موسى عليه السلام ١٣٠ مرة في القرآن الكريم وهو يعتبره من أحفاد النبي إبراهيم[2]، مع أن أكبر قصص القرآن تدور حوله عليه السلام وحول بني إسرائيل، وكل ما جرى عليهم.

والقرآن فقد أفضى على هذا النبي أسمى آيات العظمة والقداسة والرفعة، وبصورة كلية فإنه ليس هناك كتاب ولا أثر في تاريخ البشرية يمدح النبي موسى عليه السلام بمثل القرآن.

ولم يترك القرآن الحديث عن أُم موسى الكريمة، وأُخته العطوفة وذكرهما بخير، و كذلك يتحدث عن آسية بنت مزاحم زوجة فرعون التي أضمرت محبة موسى في قلبها وقامت بتربيته في حجرها وليداً ثم عدها من النساء القدوة والنموذج الحي لنساء العالم، وأخبر عن بيت قد أُعدَّ لها في الجنة.

وحقاً فإن قصة موسى عليه السلام المذكورة في القرآن تدعو إلى التأمل من زوايا مختلفة، وهي بحاجة إلى دراسة كاملة لاستخراج العبر منها وهي بحاجة في الظروف الراهنة إلى نظرة إبتكارية جديدة، فإنه يكمن في هذه الآيات أسرار ورموز، وإذا قيست بالنسبة إلى ما في تعاليم اليهود السابقة والأخبار التي في الكتاب المقدس، فإنها ستكشف عن مدى حقانية الرسول الأعظم ويتجلى صدقه بوضوح.

فهو يحكي عن رموز وأسرار، يستطيع أهل الكتاب إعتماداً على خلفياتهم ومعلوماتهم أن يدركوا قبساً منها، وذلك لأن أكثر تلك الآيات ناظرة إلى مقاطع

---

(١) الأعراف : ١٧١.

(٢) البحار: ١٣: ٣٩.موسى بن عمران بن يصهر بن يافث بن لاوي بن يعقوب بن ابراهيم .وهناك بعض المحققين المعاندين قالوا إنه مصري وليس من بني اسرائيل....

من التوراة وسائر كتب الأنبياء ويمكن أن نعتبر تمامية حجة الله عليهم من هذا الوجه.

و من المثير للعجب أن الدين الذي جاء لينسخ جميع الأديان السابقة نجده يقوم بتأسيس رابطة معنوية ومعرفية وتجليات قدسية مع الأنبياء السابقين إلى أبعد الحدود، وليس ذلك إلا لأن أمر الله واحد، ودينه واحد، وكتابه واحد، وليس هناك فرق بين الأنبياء الإلهيين، والجميع ماضون في سبيل واحد، ولهم هدف واحد، أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين حكمته من هذا السبيل وهو شاهد صدق على حقانية رسول الإسلام الأعظم إذا إمتلك الملاحظ شعوراً وهو يعقل الأمور كما هي: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1].

ويمكن تلخيص المحاور التي يدور عليها الكلام في هذا المجال في القرآن في ثلاثة محاور: المحورالأول: هو علاقة موسى عليه السلام بالله سبحانه، وذلك مثل التجليات المتكررة وظهور مجد الله وعظمته لموسى عليه السلام بالواسطة وبدون واسطة، وهذا الجانب يساعد المؤمنين على معرفة النبي الجديد والرسول الخاتم: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[2].

المحور الثاني: مواقف موسى من أعداء الله وكيفية مواجهتهم ومقابلتهم، فقد صبر كثيراً في مقابلة فرعون والفراعنة، وتحمل مصاعب كثيرة يتجلى منه محنة رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه قال بهذا المضمون:

« **إذا كان للنبي موسى فرعون واحد، فأنا أتصدى لفراعنة من قريش** »[3].

---

(١) الأنبياء : ١٠.

(٢) الأنبياء : ٤٨-٥٠.

(٣) بحارالأنوار ١٠ : ٣٥ الاحتجاج ١: ٢١٩ عن علي عليه السلام

المحور الثالث: رابطة موسى عليه السلام مع قومه وأُمته، فقد واجه الكثير من الظلم والعذاب والمصاعب وتعرض لأنواع التهم والإستهانة حتى أنه شكا ذلك إلى ربه، ولكن ذكر تلك الآلام في القرآن يعدُّ نوعاً من التسلية للرسول صلى الله عليه وآله الذي واجه مصاعب جمة في مواجهة المنافقين وجهال المسلمين كي يصبر ولا يحزن؛ ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وآله يقول: «**ما أُوذي نبي بمثل ما أُوذيت**»[1]، و لكنه في كل ذلك لم يشكُ أُمته إلى الله سبحانه وتعالى ولم يدعُ عليهم بل كان يصبر ويدعو لهم.

فالآيات الشريفة كما تبين الوضع الإعتقادي والأخلاقي، السائد في بني إسرائيل في ذلك الزمان، كذلك تصور الوضع الإجتماعي الحاكم في المدينة من جهة معاملة المنافقين مع الرسول صلى الله عليه وآله، وهي في الحقيقة بيان للآلام والمصاعب التي ابتليت بها الأُمة الإسلامية أو ستبتلي بها وتواجهها.

فإنا نجد وإلى يومنا هذا أن الأُمة الإسلامية تجهل هذه الأُمور وهذه المعارف، وكأن ذكر تلك الوقائع والتعرض لها في القرآن كان عبثاً، وليس فيه نفع في مجال إيقاظ الناس وإصلاحهم، فهي لا تُذكر على المنابر والمحافل ولم يدوّن عنها بشكل كافٍ، ولا زال الكثير من تلك الوقائع مغفولاً عنه في الساحة العلمية والثقافية:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار٣٩: ٥٥وكشف الغمة ٢: ٥٣٧

(٢) هود: ١٢٠

(٣) طه: ٩٩-١٠١

النبي هارون عليه السلام

هارون أخو موسى بن عمران لأبيه وأُمه، ولما كان لسانه أفصح من موسى طلب موسى من الله عليه السلام أن يشاركه في رسالته ويكون له وزيراً وناصراً، فاستجاب الله سبحانه له :﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾[1].

فكانت علاقة هارون بموسى عليه السلام هي الوزارة والأُخوة، فقام بإستخلافه حينما ذهب إلى ميقاته مع ربه : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَـٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

فبصريح القرآن نجد أن هارون نبيٌ كموسى ورسولٌ من قبل الله سبحانه وتعالى. والنتيجة أنه كان قد حاز على كمالات الأنبياء وخواصّهم.

ولو أردنا أن نستعرض ما قاله كتّاب التوراة في هذا المجال نجد أنهم ظلموا هذا النبي وهذا المجاهد ظلماً عظيماً حيث نسبوا صناعة العجل إليه [3].

وبوقاحة تامة نجد أن المجتمع اليهودي يعتقد أن هارون هو الذي صنع العجل ودعا بني إسرائيل إلى عبادته، فإن نصوص كتاب التوراة توحي إلى أن كتّابها لم يتمتعوا بالروح الدينية ولاالتقوى القلبية، بل قد أظهروا من خلالها وكأنهم أعداء هذا الدين.

وفي المقابل فإن القرآن الذي أكثر آياته تهتم بآثار الأنبياء العظام وأعمال أُممهم وتقوم بتصحيح آثار التحريف والزيغ، نجده يدفع هذه التهمة عن ساحة هارون وتعتبره مبرأً من كل التهم التي نسبت إليه، و في قبال ذلك تعتبر الصانع للعجل هو السّامري.

---

(١) طه : ٢٩- ٣٥.

(٢) الأعراف : ١٤٢.

(٣) سفر الخروج، الإصحاح :٣٣، فقرات ١_ ٩، بنو إسرائيل بين نبأ القرآن وخبرالعهد القديم :٢١٦.

نعم فإن القرآن لم يكتف بمدح هارون، بل جعل من آله أصحاب منزلة دينية ويخبرعن أنهم كانوا حملة التابوت ومن ورثة الكتاب[١]. فان الآثار والروايات الإسلامية تتحدث عن عظمتهم ومقامهم الشامخ، وتذكّر على أن أقرباءهم من باقي الأسباط حرّموهم من حقّهم حسداً وظلماً، يعني نفس ما حدث من الأمة الإسلامية بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام .ثم إن التوراة تذكر أربعة أولاد لهارون ولكن أسماءهم تختلف مع الموجود في أحاديث أهل البيت فإن أسماءهم فيها شبّر وشبير ومشبّر ويعادلها باللغة العربية حسن وحسين ومحسن[٢].

النبي يوشع عليه السلام

كان النبي يوشع وصياً لموسى عليه السلام في بداية الأمر، ثم اختاره الله للنبوة، فأمسك بزمام أمور بني إسرائيل باقتدار وحلم وأخذ يجاهد في سبيل الدين ومن أجل أن تكون كلمة الله هي العليا حتى خارج مجتمع بني إسرائيل، وقام بتحقيق آمال النبي موسى عليه السلام.

وبهذا كان يوشع نبياً يعمل على وفق ما يأمره الله سبحانه وتعالى لم ينحرف عن طريق الحق والعدالة والإحسان والرحمة.

ونحن نجد الآثار الإسلامية تفرض للنبي يوشع مقاماً شامخاً وكان أمير المؤمنين عليه السلام وصي رسول الإسلام، يقايس الكثير من منازله بمنازل يوشع الذي كان وصياً لموسى عليه السلام[٣].

---

(١) البقرة : ٢٤٨.

(٢) جاء في سفر العدد، الإصحاح الثالث: أسماء بني هارون: ناداب البكر وأبيهو وألعازار وإيثامار، وأما شبر وشبير فلم يذكرهما وكلمة شبر كما فسر في رواياتنا بـ" حَسَن "فلم يفسره في قاموس گوگمن (العبرية إلى العربية) بهذا المعنى، ولكن رأيت في كتاب تعلم العبري بالعربية تفسير كلمة شبر وشور بهذا المعنى و أماالحاصل من صحيفة إدريس ومن اثر اللوح من سفينة نوح (إن صح)، أن اسم شبر وشبير من اسماء أبناء النبي الخاتم من أول الامر، فلعل هارون تبرك بهما و لكن بعض المبغضين لأهل البيت أنكروا ذلك وشككوا فيها لان فيه فضيلة اهل البيت عليهم السلام.

(٣) البحار ٣٩: ٥٨ – ٦٢ فصل في مساواته مع موسى وهارون ويوشع.

والتوراة الفعلية تذكر فتوحات يوشع وحروبه، وهي محرفة لا يمكن الاعتماد عليها وتصحيحها ولكنها تفند إشكاليات اليهود على حروب الرسول صلى الله عليه وآله[١].

والعجيب أن التوراة تصف فتوحات يوشع وحروبه بتمام القسوة ومع ذلك يدعي ولفنسون أن تاريخ اليهود يشهد بأن الإسرائيليين بصورة كلية لم يكرهوا الأُمم الأُخرى على قبول دين اليهود، ولم تستعمل السيف في هذا السبيل وأما عمل الملك يهودي يوحنان هوركانوس مع طوائف بني آدوم يعد حالة إستثنائية[٢].

النبي داود عليه السلام

إن الله سبحانه وتعالى كما يشيرالقرآن الكريم وهب النبي داود عليه السلام مواهب وعلماً و جعله عزيزاً ومقتدراً، ولائقاً بمقام النبوة والمُلك، والقرآن يخبر عن نبوته ويرى أن عبادته ومحرابه وتضرعه إلى الله سبحانه وتعالى أكبر إمتياز له، ويضيف إلى ذلك ذكر بعض كمالاته و مدارجه الروحية والمعنوية، ويذكر أنه كان له موهبة بحيث يعلم منطق الطير، وله قدرة على تسخير الجن في أُمور دولته.

وكان النبي داود عليه السلام صاحب كتاب منزل بإسم الزبور، الذي له قيمة إستثنائية من حيث القدم والمضامين والكلمات، ويعد من أغنى مصادر المعرفة في الخزائن الإسلامية.

هذاوقد ترجم إلى العربية عدة تراجم وأقدم ما هوموجود في أيدينا هوالمترجم

---

(١) وقال أحمد سوسة في ص ٢٩١ من كتابه" العرب واليهود في التاريخ "، حول يوشع وفتوحاته : وقد إنتقلت القيادة إلى يشوع بعد وفاة موسى وتقول التوراة إن الرب أمره بعبور الأردن إلى الجانب الغربي وقد قضى على ٣١ ملكاً من ملوك كنعان وكانت أريحا أُولى المدن الكنعانية التي احتلها الإسرائيليون (الموسويون)فحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب (التكوين ٦: ٢٤ -٢١).

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٨٥، العلاقات :٨٣، وفي البحار١٣: ٣٩٤_ ٣٩٧ قصة يوشع النبي وفتوحاته .

في زمان المأمون العباسي، وقد ذكر في مقدمته أنه ترجم بحضور أحبار اليهود ونقل من العبرية إلى العربية كلمة كلمة، ونجد في هذا الكتاب أن اسم النبي محمد ﷺ قد تكرر وقد بشر فيه بمجيئه وبعثته، ويختلف اختلافاً كبيراً مع المزامير الموجود بأيدي اليهود اليوم.

وقام النبي داود عليه السلام وبأمر من الله سبحانه ببناء بيت المقدس حتى يكون موضعاً لعبادة الحق تعالى ومحكمة العدل وسماه بيت الله، ولكن لم يتمكن من إتمامه.

النبي سليمان عليه السلام

كان سليمان هو الإبن الأصغر لداود، وكان فيه الأرضية لتحمل أعباء النبوة والقيام مقام أبيه على كرسي الحكم، وقد شهد القرآن بأنه الوارث الحقيقي لمقام النبوة والملك الذي كان لداود عليه السلام، والشاهد أن آيات القرآن التي تتكلم عن النبي سليمان عليه السلام أجلى مصداق لإجتماع الرئاسة والمُلك مع العبودية والتضرع إلى الله سبحانه في شخص النبي سليمان وتعكس بذلك قبساً عن حكومة المهدي عليه السلام الذي يأتي في آخر الزمان.

وبصورة كلية فإن قصص الأنبياء في القرآن كما تعكس مقامات رسول الله وأهل البيت عليهم السلام، كذلك تجعل البشارة بحكومة المهدي عليه السلام مستساغة ومعقولة للغاية .

والنبي سليمان عليه السلام مثل أبيه داود خاض الحروب ودفع بالجيوش في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ذكره وتوحيده .

وقد ذكر القرآن دعوته بلقيس ملكة سبأ التي كانت في جنوب جزيرة العرب إلى الإيمان، وتمكنه من إخضاعها إلى حكمه بإرسال رسالة وإحضار عرشها بطريق المعجزة بواسطة وصيه آصف بن برخيا حيث قام بنقله في أقل من طرفة عين من سبأ إلى فلسطين .

وهناك اختلاف في تعيين حدود حكومته، ويمكن إستفادة بسط سلطته إلى جنوب اليمن من نفس القرآن الكريم، وإلا فبحسب المستفاد من الكتاب المقدس وتاريخ اليهود أن حكومته على نواحي فلسطين والسامرة مما لا شك فيه.

ولقد إختار الكتاب المقدس عند الكلام عن النبي داود وإبنه عليهما السلام مسيراً خاطئاً حيث عكس عن هذين النبيين العظيمين صورة الإنسان المتهتك الشهواني الذي يتجاوز على حقوق الآخرين، وهناك شواهد في الكتاب المقدس تقضي بسلب النبوة منهما ونفيها عنهما وأنه لم يبق لهما سوى مقام الملك والحكومة، وينبغي الإذعان بأن الفِرق اليهودية مختلفة في هذه المسألة.

ولكن يهود اليوم يعتقدون بذلك، ولكن ما هي الأُمور التي حدثت طوال القرون الماضية والتي أدّت إلى سلب اليهود لهذا المقام الإلهي منهما ؟هل من الممكن دعوى أن المجامع اليهودية التي دونت التوراة ضربت دون نبوتهما كشحاً ولم تلتفت إليها أو اجترأت على هذين النبيين وإنتقصت منهما إلى حدٍ لا يجرأ القلم على تدوينه؟[١].

ثم إن دولة سليمان إنقسمت إلى دولتي إسرائيل ويهوذا، وقد تناول كتاب "التناقض في التاريخ وأحداث التوراة" إنقسام دولة سليمان وذكر لكل واحدة من هذين، عشرين حاكماً، تعاقبوا على كل واحدة منهما إلى هجوم نبوخذ نصّر[٢].

هذا وقد وقعت حروب عديدة بين الدولتين حتى هاجمهم الكلدانيون فانهارت الدولتان ولم يقوم لهما قائمة إلى زمان وصول كورش إلى الحكم[٣].

والمهمّ أن هذه الحوادث والإنقسامات تعدّ ضربة لمعتقداتهم الدينية، إلى حد أن كل سبط صارت له أحكامه التي يتمايز بها عن سائر الأسباط. وبذلك إنحرفت كل مجموعة منهم عن جادة الصواب[٤].

---

(١) البحار١٣: ١٦٩وبنواسرائيل بين النباء القران وخبر العهد القديم: ٢٢١.

(٢) التناقض في التاريخ واحداث التوراة : ١٢٧-١٩٩.

(٣) جاء في كتاب العلاقات ص٥٩ وجاء فصل العرب واليهود في زمن سليمان: ٦٨ – ٩٥ وبعد وفاة سليمان نحو ٩٣٧ ق.م. انقسمت الدولة اليهودية إلى مملكتين شمالية وكانت عاصمتها السامرة وسميت إسرائيل، وجنوبية اتخذت القدس عاصمة لها وأُطلق عليها إسم يهوذا.

(٤) يقول الدكتور أحمد شبلي في كتابه مقارنة الأديان في ص ٢٢٩: تعليقا على قصة الخروج:" أن اليهود بعدما انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف

هذا وقد بعث بين بني اسرائيل إبان هذه الفترة (بعد عهد سليمان النبي وبعثة عيسى) أنبياء و رسل كثيرون، جاءت الإشارة اليها في القرآن : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة : ٨٧).

كما مخضت بالكثير من الحوادث وشهدت أنواع التقلبات والتحولات كما المحت اليه الآية الشريفة، وأهمّ ما في ذلك مما يجب التذكير عليه هو إبتداع اليهودية في هذه الفترة ثم غلبتها وسيطرتها على معتقدات أمة موسى عليه السلام كما سنشير اليه في الفصل القادم، بينما سنحاول الإشارة الى بعثة آخر الأنبياء من بني إسرائيل، عيسى بن مريم عليه السلام، في هذا الموضع .

عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة ".وفي ص٢٣٩ :"وهكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله، والله منها بري ء إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتّاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الاخطاء فيه ". من كتاب (العرب واليهود في التاريخ ص٢٨١).

عيسى المسيح عليه السلام

المسيح عيسى بن مريم هو كلمة الله التي ألقاها إلى القديسة مريم، وجعله وإياها آية للعالمين، وكذا فإن تكلّمه في المهد ودفاعه عن قداسة أُمه وطهارتها وإظهاره نبوة نفسه حين الولادة يعد معجزة ودلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى عند كل ذي لب.

فقد برهن على أن النبوة هي نور سواء كان حاملها صغيراً أو كبيراً وأن الأنبياء في الحقيقة يولدون أنبياء، وعلى هذا الأساس يمكن أن نلتزم بعصمة الأنبياء وعدم صدور الذنب وكل ما لا يليق منهم في تمام العمر، لأنهم مؤيدون بعلم الله وحكمته .

وبهذا يكون كل ما قاله الأحبار ودوّنوه في كتبهم مما يشوّه سمعة الأنبياء، دليلاً على كفرهم وعدم إيمانهم، ولا يمكن أن يكون شئ من ذلك عن وحي السماء[١].

وكذلك الأناجيل المحرفة التي تجعل من عيسى بن مريم ابناً لله سبحانه وتعالى وأنه الأقنوم الثاني من الأقانيم الثلاثة فهو مما لا يرضى الله سبحانه به وبالذات فهو يخالف تعاليم ذلك النبي الطاهر المقدس.

و قد ساد الجهل و الغفلة في الجماعات اليهوديّة بحيث عزلوا الربّ عن دائرة التدبير وقالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾، [٢] فهو عاجز. فأجابهم الله سبحانه بعد التوبيخ :﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾.

أوأنهم ذهبوا إلى أن الله سبحانه_الخالق لكل شيء وله خزائن السموات والأرض–فقيرٌ وقالوا :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [٣] فابتلاهم الله سبحانه

---

(١) جاء في كتاب محمد در توراة وإنجيل: ٢٨٦، أن مؤلفي التلمود اتهموا عيسى بأنه «البلعام الثاني» وهي كلمة قبيحة تعني النبي الذي أنبأه الله بأنه يبعث بضرر قومه ولنفع الآخرين.

(٢) المائده : ٦٤.

(٣) آل عمران: ١٨١.

بألحاء البلاء وأمرضهم بأنواع الأمراض الصعبة عسى أن ينتبهوا ويتوبوا ويتضرعوا إلى الله تعالى وكي يعلموا مدى ضعفهم وعجزهم حتى عن التكلم بكلمة واحدة لولا إرادة الله سبحانه وتعالى .

وفي ذلك الزمان الذي شاعت فيه الأمراض والعاهات مثل الفالج والبرص والعمى خصوصاً بين بني إسرائيل وصار أكثر الناس يصاب بهذه الأمراض جعل وجود النبي عيسى عليه السلام ونفسه القدسية في تلك الحال أكبر رحمة، حيث كان يداوي المرضى باقل نظرة او يمسح يده على بدن المريض فيشفى في الحال باذن الله ويعد هذا من مظاهر قدرة الله سبحانه بلا منازع، فجاء عيسى من هذا المنفذ ومن ناحية هذا العجز الذي أصابهم ودخل إلى واقع حياتهم من هذا المدخل وصار يُظهر أمام أعينهم قدرة الله سبحانه وتعالى وإرادته حتى تحيى قلوبهم المظلمة.. وتنفتح على الفيوض الإلهية وتتنور بنوره الهداية، ويعيد الحياة المعنوية للجماعات اليهودية .

كما قام بإحياء الأموات ليعيد إلى الأذهان قضية الموت وعصرة القبر وعرصات القيامة بصورة واضحةوبشكل ملموس حتى يتحذر الناس من عواقبهم.

ومنها يروى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وكان سأل ربه أن يحييه له، فاقام على قبره فدعاه فأجابه فقال له: ما تريد مني؟ فقال له: أُريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى ما سكنت عني حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود إلي حرارة الموت، فتركه فعاد إلى قبره[1]."هذا مع أن يحيى كان من أنبياء الله سبحانه وقد مات قبل سنين.

نعم فإن هذه المعاجز و الآيات استطاعت أن تعيد روح الزهدوالتقوى في الجماعات اليهودية، وهي الروح التي كانت في النبي موسى عليه السلام.

وذلك أن عيسى المسيح زهد في الدنيا إلى أبعد الحدود في وسط تغلب عليه الماديات وكنز الأموال، فكان يفترش الأرض ويلتحف السماء ويطعَم من أقل الطعام حتى مثل ورق الشجر، تراه قد ترك الملاذّ الدنيوية وضرب بها عرض

---

(١) البحار١٤: ١٨٧.

الحائط كي يقتدي به أتباعه فيخرجون بهذه الرياضة من ورطة الشهوة ويتزينوا بصفة الإنسانية.

ثم عطف عيسى عليه السلام على تبيين الهدف من وجود الإنسان على هذه البسيطة، وكان يقرأ على المؤمنين الإنجيل بما فيه من الترغيب والترهيب والمدح واللوم ويبين المعارف العرفانية للتوراة، ولا أظن أن أحداً يقرأ الإنجيل فلا يخجل من قصوره وتفريطه أمام النصائح واللوم الموجود فيه ولا أظن وجود من لا ينتابه الخوف من القيامة والحضور في عرصات المحشر إذا رأى أخبارها فيه.

والمؤسف له أن اليهود المعاندين خانوا هذا النبي العظيم وكلمة التوحيد، ولم يمهلوه كي يوصل رسالته إلى عامة الناس، وتبلغ يده يد الشفاء إلى أقاصي العالم. ولم يتمكن الناس أن ينتفعوا من فيوضه وروحه القدسية اكثر من ثلاث سنوات، ولم يبلغ كلامه العطر إلا إلى جماعة معدودة من الناس.

وذلك أنهم لما رأوا تنبؤه الدائم بمشيحاً وتبشيره بالنبي الأمي العربي أحمد وهو ممن ينتظر ظهوره[1]، فحاصروه وأرادوا قتله وصلبه، فأظهر الله لهم في هذا الحال اليهودي الذي خان عيسى على صورته، فظنَّ اليهود أنه عيسى، فأخذوه وصلبوه وبذلك، اشتبه الحال عليهم، وتابعهم النصارى في ذلك فجعلوا الصليب زينة لهم واما حقيقة الحال فقد بيّنه القرآن الصادق فقال: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾[2].

كذلك أراد الله سبحانه بمنه وفضله أن يستنقذه من أيدي الظلمة، فرفعه إلى السماء الرابعة لينتظر ظهور آخر حجج الله على العباد المهدي الموعود عليه السلام، حتى

---

(١) انجيل برنابا، الفصل ٢٠٨ رقم ٥- ٨.

(٢) النساء: ١٥٧.

إذا ظهر، نزل هو من السماء وظهر من خلف الكعبة ثم يصلي مع المهدي ويحارب الدجال بأمره فيقتله ليستقر العالم ويتنعم على أثر قتله[١].

هذا وقد تصدّى مثيرو الفتن والانتهازيون من اليهود بعد غيبة عيسى عليه السلام إلى إطفاء نور الله في الأرض وقاموا بتحريف دينه حتى بإسم الحواري فبدلوا كلماته المضيئة كفراً وزندقة، وأخذوا بتشويش دينه الذي جاء به ليحرر الإنسان حتى من أسر النفس كي يصل إلى ملكوت الله سبحانه وادخلوا فيه أنواع البدع والشوائب، ودعوا الناس إلى عبادة إنسان يأكل الطعام ويعرض عليه النوم واليقظة ويمشي في الأسواق، فلم يحيلوا الناس بهذا العمل عن بلوغ أسمى الغايات والمراتب العالية فقط، بل أوقعوهم في مهاوي الضلال ودرك الجحيم.

فإن بولس الذي ولد في عائلة يهودية متعصبة وكان يهودياً متعطشاً لدم المسيحيين ولم يرعيسى المسيح، أظهر المسيحية فأخذ قلمه وكتب رسائل هدمت تعاليم المسيح الحقيقية وأسس على إنقاضها الديانة النصرانية، فرفع التكاليف عن كاهل الناس وجعلهم مبسوطي اليد في فعل المحرمات، فأحلّ لهم الخمر، وألقى بتبعات ذلك على كاهل عيسى عليه السلام وقام بتجزءة الإله إلى ثلاثة أجزاء وجعله واحداً في نفس الوقت، وبذلك أشاع عبادة الأصنام بثوب جديد، الشيء الذي لم يتعقله البشر إلى هذا اليوم، لأن فيه من التفاهة والبعد عن دائرة العقل والفكر السليم إلى أبعد الحدود[٢].

و في مقابل ذلك فإن القرآن حينما أثنى على مريم و صدّق عفتها وطهارتها كرم مقام عيسى المسيح ومجدَّه ودعاه كلمة الله ورسوله وعبده، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ** ﴾[٣].

---

(١) البحار٢١: ٢٩٤، وج١٠: ١٣٢.

(٢) البحار٥٢: ٣٧٣ . نور الثقلين للجويري٥: ٧٢١، ومسيحيت وبدعتها: ٢٤،

(٣) آل عمران: ٤٥.

فجاء القرآن ليعلن عن حقيقة كلام عيسى عليه السلام التوحيدي ويحط على الشرك النصراني بخطوط البطلان: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾[1].

وأخبر عن تبشيره بمجيء نبي من العرب اسمه أحمد، أعلن ذلك لجميع العالم حتى يعلم جميع محبي عيسى عليه السلام من المسيحيين أن رضاه مرهون بمتابعة النبي العربي الذي سمي بأحمد[2]:﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[3].

فالقرآن يصدق الإنجيل ويجعله نوراً وهداية : ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[4].

---

(١) النساء: ١٧١و١٧٢.

(٢) محمد در تورات وإنجيل: ١٧١.

(٣) الصف : ٦.

(٤) المائدة: ٤٦.

وفي آية أخري يعلمنا أن كل من لم يحكم بحكم الله الموجود في الإنجيل الحقيقي فهو من الفاسقين :﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

نجد أن القرآن يعلنها لجميع المفكرين وجميع المذاهب أنه لا حقيقة إلا ببرهان ولابد من ثبوت كونها من عند الله سبحانه وتعالى، او وجود علامة على حقيتها.

فقد غبر الزمان الذي يثبت فيه الشيء بمجرد الإدعاء، ولذا نجد أن نصارى نجران لما لم يرتضوا الآيات الدالة على أن عيسى عليه السلام هو عبد الله فوصلت النوبة إلى طلب الآية والعلامة على الحقيقة، وهي المباهلة وكانت متداولة في الأديان السابقة :﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[2]، فقد كلّف الله سبحانه وتعالى نبيّه بمباهلتهم بنفسه وعترته الطاهرة وبذلك أبطل حجة النصارى ومذهبهم، وشطب على التثليث وخطأه، واستسلم رؤساؤهم لما شاهدوا الحقيقة ورضوا بدفع الجزية.

وبدوري أطلب من جميع الشباب المسيحيين الرجوع إلى كتب الشيعة المعتبرة ومطالعة هذه الواقعة حتى يقفوا على ما أوقف الله رؤساؤهم عليه في صدر الإسلام كي يدركوا الحقيقة.

---

(١) المائدة :٤٧.

(٢) آل عمران : ٦١.

الكلام الثالث

محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله آخر الأنبيا ء من نسل إبراهيم عليه السلام

خلقته النّورية

فإن محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من أحفاد إسماعيل الذبيح ومن ذراري إبراهيم الخليل، وهو الأول في عين كونه الآخر، لأنه وإن كان الآخر في البعثة، ولكنه الأول في الخلق والنبوة، وإن أول ما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وآله ثم اشتق منه باقي الموجودات، وهو النور الباقي الذي يبقى بتبعه الوجود، وقد انعكست هذه الحقيقة في الأحاديث الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام[١]، ويشهد بها آثار الأنبياء السابقين ومنها أن آدم صفي الله لما أراد أن يتوب إلى ربه توسل إلى الله بحق الأنوار الخمسة الذين اشتق الله الخلائق منهم ولأجلهم خلقهم، أن يتوب عليه، وجاء هذا المعنى في اللوحة التي عثر عليها من سفينة نوح حسب ما يقال مكتوبة بالسريانية بعلامات خاصة[٢].

وكذا في لوح سليمان وقد انعكست هذه الحقيقه في كتاب إدريس حيث عدّهم محور الكائنات[٣]، وفي إنجيل برنابا يصوّر ذلك بوضوح[٤].

---

(١) منها ما روي عن أمير المومنين علي عليه السلام في نعت رسول الخاتم صلى الله عليه وآله : اللهُمَّ هَذا اوّلُ العَبْدِ وَ صَاحِبُ الابَدِ، نُورُكَ الذِي قهَرتَ بِهِ غَوَاسِقَ الظُلمِ وَبَوَاسِقَ العَدَم..الحديث.(ناسخ التواريخ ٤:١٦٠)

(٢) علي والأنبياء: ٣٩- ٤٣: كان في وسط اللوح رسم يمثل كفاً كتبت عليه عبارات باللغة السامية وإليك الترجمة العربية: يا ربي يا مغيثي، بلطفك ورحمتك وبالذوات المقدسة محمّد وإيليا وشبّر وشبير وفاطمة عليهم السلام أعني أن هؤلاء الخمسة أعظم الخلق فيجب إعظامهم واحترامهم، وأن جميع الدنيا خلقت لأجلهم، إلهي بأسماء هؤلاء أعني انك قادرعلى هداية جميع الخلق إلى الطريق القويم، ومثل هذا في لوح سليمان نفس المصدر: ٣٣- ٣٦.

(٣) بشارات عهدين :٢٢٩و٢٣٠، من كتاب إدريس باللغة السريانية ص٥١٤ — ٥١٥، طبع لندن ١٨٩م.

(٤) انجيل برنابا : الفصول المتعددة، منها الفصل ٨٢.

فكان من المناسب أن نبدأ الكتاب بهذا الكلام ونفتتحه بحديث عن خلقة الرسول النورية ولكن نحيل القارئ إلى كتاب بحار الأنوار إذا شاء وليس ذلك حكراً على الشيعة الإمامية بل نقل العامة أيضاً أن النبي الخاتم هو العقل الأول والنور الأول[١]. وهناك تساؤلات في كتب النصارى واليهود عن أشرف المخلوقات وأكمل الموجودات وبأنه هو المخلوق الأول وهوالنور الأول وهو الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله [٢].

---

(١) البحار١٥: ٢٨. واعتمد المحدثون في صدر الاسلام على هذه الاحاديث وتناقلوها ولا يتصور أن منشأها ماينشد القوّالون الهنود او ما يتأوله العرفاء والصوفيون، واذا تكلم الحلاج وابن عربي وغيرهما في هذا المجال او اثبتوه في كتبهم فهو في الحقيقة اقتباس من هذه الأحاديث، ولكن لم يبيّنوا مستندهم . ولذا نجد أن آنه ماري شمل، المستشرق الألماني، يتحدث في كتابه". محمد رسول الله"في الفصل السابع، عن الخلقة النورية للنبي صلى الله عليه وآله و اعتمد في ذلك على كلام العارف عبدالله تستري المعروف، والحال ان لها منشأ روائيا معتبراً من اهل البيت عليهم السلام. (أنظر كتاب محمد رسول خدا، ترجمه حسن لاهوتي بالفارسي :٢١٩- ٢٥٢)

(٢) وفي سفر التكوين، الإصحاح الأول :" في البدء خلق الله السماء والارض وكانت الأرض خاوية و خالية وكانت الظلمة على وجه الغمر و روح الله يزف على المياه "وفي التوراة اللاتينية"روح صاحب " . وعلى كل حال المراد منه أول مخلوق وهو عندنا النبي المختار.(ترجمه وشرح ونقد سفر اول تورات:٦٩)

ولتكملة الكلام نقدم اليكم فقرات من حكمة سليمان : الربّ اقتناني في بدو طرقه قبل ان يصنع شيء من البدا * من الازل أُسِستُ ومن القديم قبل ان تصنع الارض * وبعد لم يكن الغمر وأنا حبُل بي ولم تنبع عيون المياه * ولم ترسخ الجبال قبل التلول أنا ولدتُ * ولم تصنع بعدُ الارض والانهار واقطار المسكونه * حين سُوم السموات كنتُ حاضرا * اذا فرز شريعة واحاط الغمر * حين تثبت السموات في العُلا ووزن عيون المياه * حين احاط البحر بحدوده * وجعل رسماً للمياه لئلا تجوز تخومها، حين وزن اساسات الأرض * كنتُ ناظراً عنده، ناظمةً للكل وكنتُ أسرُ كل يوم وكنتُ أضحك بوجهه كلَ وقت (اي حامداً مسبحاً). (كتاب حكمة سليمان، الفصل الثامن.(ترجمه وشرح ونقد سفر پيدايش تورات :٨٩)

خلقته صلى الله عليه وآله في الأرض

أمر الله سبحانه وتعالى جبرئيل بالهبوط إلى الأرض حتى يأخذ منها قبضة ليخلق منها آدم عليه السلام، فلما خلق آدم أودع نور محمد صلى الله عليه وآله في صلبه، فكان آدم يسمع نشيش تسبيح الله سبحانه من ظهره، ثم انتقل منه هذا النور إلى ولده ثم تناقلته الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام المطهرة، حتى ظهر من ذلك النور على جبين هاشم بن عبد مناف، وكان يتلألأ بحد كان هاشم إذا مشى في الليل أضاء ما حوله وكان يسطع على جدار الكعبة ويظهر عليه، فرغب الملوك في مصاهرته وكان يأبى ذلك، لأنه أمر بأن يودع ذلك النور عند امرأة مرضية عندالله سبحانه وتعالى، فكان يلتجئ إلى الكعبة دائماً ويطلب من الله أن يوفقه إلى ذلك، حتى رآها هاشم في منامه و وقع الاختيار على سلمى بنت عمرو بن لبيد[١]، فولدت له شيبة الحمد، فلما ولد انتشر نور النبي صلى الله عليه وآله من جبينه في الأطراف، وكان ذلك النور معه على الدوام، حتى تزوج مع فاطمة بنت عمرو بن عائذ[٢]، فرزق منها ثلاثة أولاد أسماؤهم أبو طالب، والزبير، وعبد الله، فانتقل نور النبي صلى الله عليه وآله إلى عبد الله، فأضاء له أطراف مكة، فكان أحبار اليهود يستدلون عليه بنوره[٣]. فتزوج عبد الله بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فلم تلد له سوى ولداً واحداً.

مولد رسول الله صلى الله عليه وآله

في أول عام الفيل ١٧ ربيع الأول عند السحر ولد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من سلالة إبراهيم الخليل وحفيد إسماعيل الذبيح، الموعود في

ومن كتاب رؤيا يوحنّا، الإصحاح الثالث :"هذا يقوله الأمين الشاهد، الأمين الصادق، بدائة خليقة الله" ومن الواضح ان الذي إسمه الأمين وصفته الأمين الصادق وأتى بعد عيسى، ليس إلا خاتم النبيين محمّد المصطفى وهو اوّل خليقة الله .

(١) البحار١٥: ٤٥ هي سلمى بنت عمرو بن لبيد بن حارث بن زيد بن عامر بن غنم بن مازن، بن النجار، وهم أهل الأضياف والعفاف .

(٢) ابن عبد الله بن عمران بن مخزوم.

(٣) سيرة إبن إسحاق ١: ٩٤، بحار الأنوار ١٥: ٦٤. وعلى قول بعض منها ولدين ابوطالب وعبدالله.

التوراة والزبور والإنجيل، في جبل فاران[١]، الأرض المقدسة والمباركة وحرم الله الآمن مكة المعظمة، من أُم طاهرة وأصيلة من بني زهرة باسم آمنة بنت وهب، فسقط ساجداً على الأرض مثل سائر الأنبياء تحيطه هالة من النور.

وأما مختصاته البدنية فقد ولد مختوناً ومقطوع السرة كباقي الرسل، وعلى ظهره خاتم النبوة، ولد مطهراً من كل دنس وقذر، فأخذه ملاك الرب وعرج به إلى السماء ثم عاد به بعد ساعات.

إسمه محمد بمعنى الممدوح، وهو الإسم الذي بشر به في كتب الأنبياء، وهو النبي الوحيد الذي سمي بهذا الاسم وليس له سمي من الأنبياء.

ولما ولد امتلأت السماء بالشهب، وبرقت برقة بين الأرض والسماء، شمل نورها الأفق بحيث علم الجميع بحدوث أمر عظيم ولكن لايعلمون ما هو.

وكان هناك حبر من الأحبار بمكة وإسمه يوسف، عندما شاهد ذلك علم بولادة المولود المبارك وصار يفتش عنه حتى اهتدى إلى دار آمنة بنت وهب، فلما رأى الطفل عن قرب وشاهد خاتم النبوة في ظهره علم بولادة محمد الموعود به، فنادى بأعلى صوته، أن النبوة خرجت من بني إسرائيل إلى يوم القيامة[٢].

---

(١) يرى أكثر علماء اليهود أن جبل فاران هو مكة المعظمة، ولكن هناك بعض منافقي اليهود قال أخيراً بأن جبل فاران في ناحية من نواحي التيه وهو جبل سيناء حتى يحرف البشارة الموجودة في التوراة : «تجلى الربّ من جبل فاران » عن رسول الإسلام. بينما فسروا كلام موسى في التوراة حول هاجر وابنه بمكة حيث قالت : وسكن برية فاران واخذت له أمه امرأة من أرض مصر، (سفر التكوين: الأصحاح :٢١) وللتوضيح الاكثر راجع :ترجمه وشرح ونقد سفر پيدايش تورات ص٣٨٠)

(٢) البحار١٥: ٢٧٠. وليس في ذلك عجب فقد جاء في اول الإ نجيل أن عيسى بن مريم لما تولد، رأى الموبذان المجوسي نجم عيسى قد طلع وظهرت علائم سماويّة، فشدوا الرّحال من بلاد فارس الى أورشليم واليهودية بطلبه ....

وفي بحار الأنوار : ١٥ : ٣٢٤ فلما ولد رسول الله ﷺ لم يبق صنم إلا سقط وغارت بحيرة ساوه وفاض وادي سماوة وخمدت نيران فارس وارتج إيوان كسرى وهو جالس ووقع منه أربع عشرة شرفة فلما أصبح كسرى نظر إلى ذلك وهاله فدعا بوزرائه وقال لهم ما هذا الذي حدث في هذه البلاد فهل

ثم إن الرسول صلى الله عليه وآله تجاوز دورة الطفولة والصبى بطهارة تامة وصفاء نفس وكمال الشرف، حتى بلغ سن الرشد، فآتاه ربه الحكمة كما علم إبراهيم ويوسف، فتجاوز فترة الشباب بعيداً عن الأوثان وعبادة الأصنام وشرب الخمر، واللعب بالأزلام[١]، وكان في أكثر ذلك برعاية جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب[٢]، في بيت طاهر ومنزه من الشرك وعبادة الأصنام، ولم يُسمع انّه نهاهم عن

عندكم من علم فقال المؤبذان أيها الملك العظيم الشأن لقد رأيت إبلاً صعاباً تقودها خيل عراب وقد خاضت في الوادي وانتشرت في البلاد وما ذاك إلا لأمر عظيم فبينما هم كذلك إذا ورد عليهم كتاب بخمود النيران كلها فزادهم هما وغما ثم أتاه بعد ذلك خبر البحيرة والوادي فأقبل على المؤبذان فقال إنا لا نعلم أحداً من العلماء نسأله عن ذلك فقال المؤبذان إنا نكتب إلى النعمان بن المنذر كتاباً لعله يعرف أحداً يعلم ذلك فكتب إلى النعمان كتاباً فأرسل إليه رجلاً اسمه عبد المسيح وكان ابن أخت سطيح فقال له كسرى هل عندك علم مما أريد أن أسألك عنه فقال لا ولكن لي خال اسمه سطيح يسكن في مشارف الشام يعرف خبرك ويعرف ما تريد فقال له كسرى اخرج إليه واسأله عما أُريد أن أسألك عنه... الحديث.

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره (نهج البلاغة، الخطبة القاصعة).

(٢) السيرة النبوية لإبن إسحاق ج١ ص١٢٠- وفي الخصال للصدوق ص٣١٢، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: ان عبد المطلب سنّ في الجاهليه خمس سنن اجراها الله تعالى ذكره له في الإسلام : حرّم نساء الآباء على الأبناء وأنزل الله عزوجل **"ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء** (النساء ٢٢) ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به وانزل الله عزوجل **" واعلموا ان ماغنمتم من شي فان لله خمسه"** (الأنفال٤١) ولما حفر بئر زمزم سماها سقاية الحاج وانزل الله عزوجل **"اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الأخر "**(التوبة ١٩)، وسنّ عبدالمطلب في القتل مأة من الأبل فأجرى الله تعالى ذلك في الإسلام .ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنّ عبد المطلب سبعة اشواط، فأجرىالله ذلك في الإسلام .يا علي ان عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب ويقول أنا على دين ابراهيم عليه السلام (موسوعة التاريخ الأسلامي ١: ٢٤٢).

ذلك، كما نهى إبراهيم النبي عمه آزر، لأجل أنهم لم يكونوا ان يعبدوا الأصنام،

وفي بحار الأنوار ج: ٣٥ ص٨٦ عن المناقب لابن شهر آشوب: ١: ٣٥ عن الأوزاعي قال كان النبي ﷺ في حجر عبد المطلب فلما أتى عليه اثنان ومائة سنة ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين جمع بنيه وقال محمّد يتيم فآووه وعائل فأغنوه، احفظوا وصيتي فيه . فقال أبو لهب: أنا له فقال: كف شرّك عنه . فقال العباس: أنا له فقال أنت عضبان لعلك تؤذيه.فقال أبو طالب: أنا له فقال: أنت له يا محمد أطع له. فقال رسول الله ﷺ: يا أبه لا تحزن فإن لي ربّا لا يضيعني، فأمسكه أبو طالب في حجره وقام بأمره يحميه بنفسه وماله و جاهه في صغره من اليهود المرصدة له بالعداوة ومن غيرهم من بني أعمامه ومن العرب قاطبة الذين يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة، وأنشد عبد المطلب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بموحد بعد أبيه فرد . وقال: وصيت من كفيته بطالب

عبد مناف وهو ذو تجارب يا ابن الحبيب أكرم الأقارب يا ابن الذي قد غاب غير آنب.

فتمثل أبو طالب وكان سمع عن الراهب وصفه: لا توصني بلازم و واجب إني سمعت

أعجب العجائب من كل حبر عالم وكاتب بأن بحمد الله قول الراهب...

وهذا دليل على أن أبا طالب كان مسلماً ومتخفياً بدينه تقية، وعلماء العامة يظلمون هذا الرجل العظيم وهذا البيت المقدس إذ ينسبونه إلى الشرك، ولن يغفر الله لهم هذه التهمة.

و في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد :١٤: ٦٩:روي أن علي بن الحسين عليه السلام سئل عن هذا فقال وا عجبا إن الله تعالى نهى رسوله أن يقر مسلمة على نكاح كافر وقدكانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات.

وروي ايضاً أن رجلاً من رجال الشيعة وهو أبان بن أبي محمود كتب إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام جعلت فداك إني قد شككت في إسلام أبي طالب فكتب إليه:"ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى.... الآية (النساء :١١٥)، إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار،

وقد روي عن محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه سئل عما يقوله الناس :أن أبا طالب في ضحضاح من نار. فقال:"لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأُخرى لرجح إيمانه "، ثم قال: "ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبد الله وآمنة وأبي طالب في حياته ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم". (بحار الأنوار٣٥: ١٥٧).و يستفاد من كلام عمر في فضيلة أميرالمؤمنين في حديث عن سلمان:" فانتم اهل بيت يتوارثون هذه الأعجوبه كابر عن كابر ولقد كان ابراهيم ياتي بمثل ذلك وكان ابوطالب وعبدالله ياتيان بمثل ذلك في الجاهليه وانا لا أنكر فضل علي..."أن أجداد النبي هم أهل كرامات ومعاجز(البحار٤٢: ٤٣).

وهذا دليل على إيمان أهل هذا البيت الطاهر المقدس، ثم إن الرسول وجد الفرصة للخروج للتجارة، فسافر إلى الشام، ولما رآه الرهبان والأحبار عرفوه وعلموا قرب ظهور النبي الموعود فحذّروه من اليهود، ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشريف تزوج بخديجة، المرأة الشريفة في مكة، وصرف أموالها بأمرها في سبيل الله.وكان هو مشغول ؛ بالعبادة والمناجاة على الدوام بعيداً عن الناس، في غار حراء، و قد بعث الله سبحانه و تعالى ملكاً يؤدبه على الطريقة الإلهية و السنة الإبراهيمية، فكان يتدرج في مراتب الكمال حتى بلغ له من العمر٣٧ سنة، جاءه جبرائيل فأخبره بخبر وبشّره بالنبوّة، ثم اصطفي للنبوة في الأربعين من عمره، وتحمل رسالة الرب لجميع العالم سواء بني إسرائيل أوغيرهم، فصارت تنزل عليه آيات القرآن من يومها فصاعداً، فقام بأعباء الرسالة مدعوماً بالوحي الإلهي، وبصحبة جبرئيل ومعونة أمير المؤمنين علي عليه السلام، فأخذ يقارع ويجادل قبيلة قريش وغيرهم من أهل الكتاب وعبدة الأصنام، وصاروا هم يؤذونه ويؤلمونه، حتى اضطر إلى الهجرة، فهاجر إلى المدينة وقام بتشكيل حكومة دينية، وأخذ يجاهد الكفار والمشركين، ودارت حروب متعددة بينه وبين الوثنيين والمشركين من أهل الكتاب، حتى أتم الرسالة الإلهية، على مدى ٢٣ عاماً، وفي آخر المطاف صار يودع أهل بيته وأُمته ليرتحل عن هذه الدنيا مع عالم من الأحزان والمصائب.

غير أنه ترك في هذه الأُمة ثقلين أحدهما كتاب الله والآخر العترة الطاهرة، من أهل بيته، ووصى بهما وقال: ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً.

وهذا النبي المكرم لم يترك من الأولاد سوى بنت واحدة وهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، فكان نسله منها، وقال: ذرّية كل نبي من صلبه ولكن ذريتي من الزهراء وعلي عليهما السلام وقد أُشير في الآثار والكتب السابقين إلى هذا الأمر كما جاء في أحاديث باب المباهلة.

هذا وقد تزوج النبي صلى الله عليه وآله ثلاث زوجات من أهل الكتاب كي يستأنف الروابط بين بني إسرائيل وبني إسماعيل، ولكن لم يرزق منهن ولداً.

محمد ينادي بدين إبراهيم

كان محمد المصطفى ﷺ منادياً بدين إبراهيم وهو من ذريته، فكان ينتسب إليه حسباً ونسباً، فإن الله سبحانه وتعالى لم يرتض للبشر غير الإسلام: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١]، فإن دين النبي إبراهيم هو الإسلام[٢] وفي ذلك يقول الله سبحانه : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا ﴾[٣]، وهو أوصى ذريته بذلك وقال: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٤].

وكان أنبياء بني إسرائيل على هذا الدين، وقد ذُكروا في القرآن بعنوان التابعين له، فليس النبي محمد ﷺ أجنبياً عن إبراهيم ابداً، بل هو أولى به من الآخرين: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥]، فاما الآية التي في سورة الجاثية الدالة على إعطاء أنبياء بني إسرائيل الفيوضات القدسية: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ

---

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) كتاب محمد در تورات وإنجيل بالفارسية : ٢٠-، صرّح المؤلف بان شلوم وشلام واشلوم وسلام واسلام كل من جذر واحدة.. وجاء في ص ١٢٠، ما ترجمته: إن المعنى القديم لكلمة شالم التي هي إسم دين إبراهيم والإسم المشترك لدين أبنائه قد عفى عليه الدهر ومن أجل هذا فإن إعادة إسم شالوم في كلام النبي يرمياه قابل للتعظيم والتقدير، وتعتبر تلك المناقشة بين النبي الصادق والنبي الكاذب صفحة مشرقة بين الاسناد العبرية المقدسة.

(٣) الحج ٧٨.

(٤) البقره ١٣٢.

(٥) آل عمران: ٦٨. وفي تفسير العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية التي أولها ﴿ **ما كان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً** ﴾ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما كان إبراهيم يهودياً فيصلي إلى المغرب ولا نصرانيا فيصلي إلى المشرق ولكن كان حنيفاً مسلماً يقول كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد ﷺ أنظر بحار١٢: ١١.

﴿ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾[١]، فلابد أن يكون عليهم من مصدر، فاذا تقرر أن لا يكون هؤلاء الأنبياء هم المصدر، فمن هو مجعول على شريعة الأمر؟ ومن هو المصدر؟ نحن لا نعلم الا الرسول الخاتم كما صرح بذلك القرآن الكريم: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢]، هذه الآية تدل على أن منشأ تلك الفيوضات هو رسول الإسلام، كما صرح بذلك الروايات من أهل البيت أيضا[٣].

ومن الواضح أن كل الأنهر تنبع من مصدرها و مَعينها، ولذا فإن الرسول هو أقرب الأنبياء إلى الله سبحانه، فهو الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل ﷺ، ويليه في القرب إلى الله النبي إبراهيم، الذي أُعطي وسام الإمامة :﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[٤]، وهذه المرتبة هي الولاية العظمى، التي أُعطيت لأوصياء الرسول الخاتم ايضاً، فصاروا باجتباء الله سبحانه أئمة للناس من الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، وقد بلّغ ذلك الرسول ﷺ في غدير خم للحاضرين كي يبلّغوا الغائبين، وقد شمل كلامه النوراني:«**من كنتُ مولاه فهذا عليٌ مولاه** » الخلف والسّلف، والأنبياء والمرسلين إلى الناس العاديين من العالي والداني، فإذا تقرر أن يتنعم الأنبياء من مائدة ولاية الرسول ﷺ فلابد أنهم سيرتوون بيد الإمام عليّ بن أبيطالب من حوض كوثره، ولذا جاء عن علي عليه السلام أنه قال: «**كنتُ مع الأنبياء سراً ومع الرسول جهراً**»وقد صدرت هذه الحقيقة من النبي في حديث

---

(١) الجاثية:١٧.

(٢) الجاثية:١٨.

(٣) بصائرالدرجات :٧٣ :قال رسول الله ﷺ :ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي و ولاية أهل بيتي و مثلوا له فأقروا بطاعتهم و ولايتهم. وقوله ﷺ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين .

(٤) البقره : ١٢٤.

قدسي ايضاً[١]، وهذا هو الإرتباط الروحي على مرّ أربعة آلاف سنة بين الرسول الخاتم وإبراهيم الخليل، الذي يفسر كلمة التوحيد.

وحينما تعين الأصحاب الحقيقيون لمنصب الولاية والإمامة يوم غديرخم، واليهود الذين هم بعيدون جداً عن هذا المعين ولا يمتون إليه بصلة، ولكن يلصقون أنفسم كذباً بالنبي إبراهيم، أصابهم اليأس واتضحت عاقبتهم ﴿ **ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾[٢] لأنه صار من الواضح سخافة إنتظار نبي موعود من بني إسرائيل ودعوى بقاء دينهم إلى الأبد، حيث

---

(١) الأنوار النعمانية١: ٣٠، وقصص الأنبياء١: ٩١ وفي كتاب القدسيات تأليف أحد علماء الجمهور عن النبيﷺ إنه قال لعلي: **ان الله تعالى قال لي: يا محمد بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً.**

وفي كتاب علي وپيامبران ص٣٠ عن مشارق أنوار اليقين لرجب البرسي: ٨٥، بهذا اللفظ : قال جبرئيل لرسول اللهﷺ: **الحق يقرؤك السلام ويقول: إني لم أبعث نبياً قط إلا جعلت علياً معه سراً وجعلته معك جهراً**، وفي شرح دعاء السمات لقطب الدين محمد نى ريزى :٥٢، عن رسول الله :**يا علي كنتَ مع الأنبياء سراً ومعي جهراً .**

وقد دل على ذلك ماورد في تقدمهم في الخلق والميثاق والنبوة والامامة وفي الفضائل لإبن شاذان: ١٠٤ _ ثم قال عليه السلام :إنه لما خلق الله آدم طينا خلق بين عينيه ذرة تسبح الله و تقدسه فقال عز و جل لأسكننك رجلا أجعله أمير الخلق أجمعين فلما خلق الله تعالى علي بن أبي طالب عليه السلام أسكن الذرة فيه فسمي أمير المؤمنين قبل خلق آدم ... و في بحار الأنوار ٢٦ : ٢٤٩-عن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث نحن معدن النبوة و نحن موضع الرسالة. وعلى ما نقل في بصائرالدرجات وقد صرح في مكتوب بخط مولانا الامام العسكري عليه السلام: فنحن السنام الأعظم و فينا النبوة و الولاية و الكرم و نحن منار الهدى و العروة الوثقى و الأنبياء كانوا يقتبسون من أنوارنا و يقتفون آثارنا و سيظهر حجة الله على الخلق بالسيف المسلول لإظهار الحق و هذا خط الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أمير المؤمنين عليهم السلام .

(٢) المائدة: ٣.

أُعلن عن إنتهاء دورة الرسل الطويلة، وقد ختمت بالإمامة، ولا يبعث من بعدها رسولٌ من قِبل الله تعالى، فقد جاء أشرف الأنبياء وأكمل الرسل بشريعته الكاملة التي هي أكمل الشرائع وأسمحها التي عرضها على جميع البشر، وأودع كتابه الذي هو معجزته الباقية والخالدة _ أعني القرآن الكريم _ عند أوصيائه، ووصلت النوبة إلى الوصاية والإمامة، وهي الدورة التي شرعت بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واستمرت في أولاده الأحد عشر حتى وصلت اليوم إلى ولده الحادي عشر و هو إمام الشيعة الثاني عشر، الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف.

معرفتنا بالرسول الخاتم

إن معرفة الأنبياء تنشأ من معرفة الله سبحانه وتعالى، فهم محال أسرار الحق سبحانه، وحاملوا رسالاته، فليس من السهل معرفة كنههم، ولا يتمكن أحد من الوقوف على أسرارهم، فكيف يمكن معرفة حقيقة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله الذي هو أشرف الرسل وخاتم الأنبياء على ما هي عليها، نعم يمكن التعرف فقط على مثل اسمه ولقبه وأصله ونسبه وأقربائه، ولكن معرفة طرق إلمامه واطلاعه على جميع الأُمور الحاضرة والغائبة وإحاطته بالصفيح الأعلى وعالم الملك والملكوت في وسط يسوده الجهل والأوهام، فهذا ما لايتيسر لأحد دركه، وكذا معرفة كيفية تلقيه للوحي وكيفية عروجه إلى السماء السابعة، وما هي حاله عند مناجاة الله سبحانه فهذه الأُمور وأمثالها مما لا يتمكن أحد الوقوف عليها.

فحينما نعجز عن درك ما جاء في أحاديثنا عن موسى كليم الله سبحانه وتعالى مثل ما جاء في دعاء السمات: **اللهم بمجدك الذي كلّمت به عبدك ورسولك موسى بن عمران عليه السلام في المقدسين فوق إحساس الكروبين، فوق غمائم النور، فوق تابوت الشهادة، في عمود النار وفي طور سيناء وفي جبل حوريث، في الوادي المقدس، في البقعة المباركة من جانب الطور الأيمن من الشجرة، وفي أرض مصر بتسع آيات بينات**[1].

---

(١) مفاتيح الجنان: دعاء السمات.

كل ذلك خارج عن نطاق علمنا ودركنا، فكيف يمكننا الإلمام بأحوال الرسول الأعظم والنبي الخاتم، وهو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وأرفعهم مقاماً و رتبة، قال الله سبحانه : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[١] ثم قال: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[٢] وقال ﷺ :" **إن لي مع الله وقتاً لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا عبد امتحن الله قلبه للإيمان**"[٣].

نعم فإن فهم تلك الأمور خارج عن طاقة عقولنا.

قال الإمام الصادق عليه السلام: أتى يهودي النبي ﷺ فقام بين يديه يحد النظر إليه فقال: «يا يهودي حاجتك؟» قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله، وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر، وأظله بالغمام؟ فقال له النبي ﷺ: إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه، ولكني أقول: إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: **اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي فغفرها الله له**، وإن نوحاً لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال: «**اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله منه** »، وإن إبراهيم عليه السلام لما القي في النار قال: «**اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها**، » فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال: «**اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني** »، فقال الله جل جلاله: **لا تخف إنك أنت الأعلى**، يا يهودي إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي وبنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً، ولا نفعته النبوة، يا يهودي ومن ذريتي المهدي إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته وقدمه وصلى خلفه[٤].

---

(١) النجم :٨و٩.

(٢) النجم: ١٠.

(٣) البحار ١١: ٣٦، وج ٨١: ٣٦٠.

(٤) نقل في بحار الأنوار٢٢: ٧٤ . أقول:إن ختم كلام النبي ﷺ بالمهدي يدل على أن وجود المهدي من ذريته ،له اهمية بالغة وذلك لأنه يبشر استمرار نبوته وملكه في ذريته الى يوم القيامة، ومطروح عند فلاسفة اليهود أن لإبراهيم باني الكعبة أربعة أركان، ركنان لإسحاق فيختم بموسى وعيسى، وركنان لإسماعيل فيختم بمحمّد والمهدي القائم عليه السلام والركنان الاولان روّحا الشريعة الظاهرة والآخران ينشران الحقائق ويكشفانها.(موسوعة الفلاسفة المتصوفة اليهودية:١٧٥).والأمر الآخر أن ظهور المهدي المنجي من معتقدات جميع الاديان السماوي و من الموعود به والمحصاره في ذرية الرسول في كلامه عليه السلام، له أهمية خاصة .

وفي مجال الإشادة بأخلاقه يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[١].

وفي هذا المعنى ان يهوديا من فصحاء اليهود جاء الى عمر في ايام خلافته فقال: اخبرني عن أخلاق رسولكم، فقال عمر: اطلبه من بلال فهو اعلم به مني، ثم ان بلالاً دلّه على فاطمة عليها السلام ثم ان فاطمه دلته على علي عليه السلام، فلما سأل علياً عنه قال : صف لي متاع الدنيا حتى اصف لك أخلاقه فقال الرجل : هذا لا يتيسر لي .فقال علي عجزت عن وصف متاع الدنيا وقد شهد الله على قلّته حيث قال: « **قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ** »[٢]، فكيف اصف اخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وقد شهد الله بانه عظيم حيث قال:﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[٣]، ونفس هذا الخُلُق العظيم صارسبباً لإئتلاف المؤمنين وزرع المحبة بين العرب وغيرهم، وجمع اليهود وغيراليهود تحت مظلة دين واحد[٤].

---

(١) القلم : ٤.

(٢) النساء: ٧٧.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٢: ٢١

(٤) بحار الأنوار: ٢٢ : ٧٤ [الأمالي للشيخ الطوسي:٤٣٨] الغضائري عن الصدوق عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن محمد بن البرقي عن أحمد بن النضر عن عمر وبن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان غلام من اليهود يأتي النبي صلى الله عليه وآله كثيراً حتى استخفه وربما أرسله في حاجة وربما كتب له الكتاب إلى قوم فافتقده أياماً فسأل عنه فقال له قائل: تركته في آخر يوم من أيام الدنيا فأتاه النبي صلى الله عليه وآله في ناس من أصحابه وكان له عليه السلام بركة لا يكلم أحداً إلا أجابه فقال:يا فلان ففتح عينه وقال:لبيك يا أبا القاسم قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فنظر الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئاً ثم ناداه رسول الله صلى الله عليه وآله ثانية وقال له مثل قوله الأول فالتفت الغلام إلى أبيه لم يقل له شيئاً، ثم ناداه رسول الله صلى الله عليه وآله الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه فقال: إن شئت فقل وإن شئت فلا، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ومات مكانه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأبيه: اخرج عنا ثم قال لأصحابه اغسلوه وكفنوه وأتوني به أصلي عليه، ثم خرج وهو يقول الحمد لله الذي أنجى بي اليوم نسمة من النار.

نعم كان محمد المصطفى صلى الله عليه وآله نبياً يتحلى بصفات الأنبياء وأخلاقهم، في وقاره ومتانته، وفائه وأمانته، بشره وبشاشة وجهه، فصاحته وبلاغته، شهامته وشجاعته، كل ذلك من خواصه لا يشبهه فيها أحد سوى وصيّه وخليفته أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنت مني وأنا منك كالضوء من الضوء**»[1].

ومع هذا الوصف لا يسعنا أن نقف على حقيقة ذلك الوجود المبارك كما هي، والذي يلزمنا أن نصدقه ونقرّ به، هو أنه مبعوث من قِبلَ الله سبحانه يتكلم بوحي منه ويعمل طوع إرادة الحق تعالى ذكره، ويقيم على عبادة الله سبحانه، ولا يُقدم على ما لا يرضي الله وإن كان فيه نفع له ولأصحابه، وكان له مرتبة العصمة فلا يزلُّ أبداً، ولم يكن له عداوة شخصية مع أحد، وكان كالأب الرحيم بالنسبة لجميع الناس، ورحمة للعالمين.

وأما معاملته مع اليهود فهذا أول ما يجب أن نأخذه بنظر الإعتبار في هذه الدراسة.

فالذين اغتاضوا وتأثروا منه وصاروا يعيبون بعض أعماله فتأثرهم في الحقيقة مما أراد الله وإرتضاه، وشكايتهم من مقرراته.

فكيف من الممكن الكلام عن آلاف الحكم الظريفة الموجودة في أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسيرته، وكيف يمكن تدوين ذلك وكتابته، والحال أنا لا نستطيع الوقوف عليها، وكيف يمكن تفسيرها وتبيينها، والحال أن العقل عاجز عن درك حقائقها.

فإذا تأملنا في التحليلات والدارسات التي أنجزت في مجال الوقائع التاريخية التي وقعت في صدر الإسلام وما يرتبط بالرسول صلى الله عليه وآله فهي لا تتجاوز كونها إستحسانات يتناول كل مفكر حكمة من حكمها على ما يقتضيه ذوقه وسليقته الخاصة، وهو غافل عن آلاف النكات الأُخرى بل يبقى جاهلاً.

وكذا يجب علينا أن نعلم أن سبب تحقق كل ما يقرره الرسول صلى الله عليه وآله ويريده يعود إلى قدرة الله سبحانه، فالرسول صلى الله عليه وآله يستند إلى القدرة الإلهية، ولا يأبه

---

(١) سيأتي هذا الحديث في غزوة خيبر ان شاء الله وقد جاء في بشارة المصطفى لشيعة المرتضى لعماد الدين طبري :١٩١.

بالقدرات الظاهرية ولا يحترس منها، ولكنه لم يبعث ليفعل كل شيء عن طريق المعجزة ولأجل أن لا يسلب من الناس اختيارهم وانتخابهم فإنه صلى الله عليه وآله ترك الأُمور تأخذ مجراها الطبيعي وتتبع ظروفها الاعتيادية، وتظل المعجزة في رباطة جأش الرسول صلى الله عليه وآله وصلابته غير المتناهية واندفاعه في سبيل تحقيق أهداف الرسالة وكذا في إدارة الدولة، فهو يعتمد في جميع ذلك على القدرة الإلهية غير المتناهية، ولا يفكر في شيء سوى ما وعده الله سبحانه وتعالى من النصر، غير مكترث بنصرة الناس له وعدمها.

وعلى هذا لا يمكن تشبيه عمله بعمل السياسيين ورؤساء الدول عامة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا** ﴾[1].

فالشخص الذي تُعينه الملائكة بأمر من الله سبحانه وقد سُخّر له الهواء والسحاب لا يهاب مواجهة الكفار ولا يعتمد على نصرة الناس له.

ولذا نجد أن إبن باطا عظيم اليهود يقول فيه صلى الله عليه وآله: «فإن كان هذا هو، فلا يهولنه هؤلاء ولا جمعهم ولو ناوته هذه الجبال الرواسي لغلبها »[2].

ونجد أن القرآن يقول مخاطباً للرسول صلى الله عليه وآله: ﴿ **فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا** ﴾[3].

فقد كُلّف الرسول صلى الله عليه وآله بأن يمضي في تنفيذ أوامر الله سبحانه لوحده حتى لو تركه جميع الناس وكان النجاح يحالفه دائماً ولولا ذلك لما كُلّف بذلك، ومع ذلك فقد كان مأموراً بتحريض المؤمنين لكي لا يحرموا ثواب تلك الأعمال، ويظل

---

(١) الأحزاب : ٣٩.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤٨٥.

(٣) النساء : ٨٤.

الفكر والقياس عاجزاً عن تفسير هذا العمل ولا يسعنا سوى دراسة ظواهر الأمور.

أول من صدق بالنبي صلى الله عليه وآله وصار وصيّه.

مضت السنة الإلهية على أن يكون أول من يلبي دعوة واحد من رسله يصير وصيه من بعده وصاحب علمه ومقامه ومنزلته وولايته. فإن يوشع وصي النبي موسى عليه السلام كان أول من صدق به وآمن برسالته، وصار وصيّه من بعده يقوم بأعماله وينفذ وصاياه، واليهود يعلمون ذلك جيداً.

وكذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الدار[1]، على بني هاشم، أن أول من يؤمن بي يكون وصيي وخليفتي من بعدي، وهذا يعني بقاء نبوة النبي ببقائه، ومما إتفق عليه فرق المسلمين أن أول من أجاب دعوة الرسول صلى الله عليه وآله إبن عمه علي عليه السلام، وهو الذي عاش مع الرسول صلى الله عليه وآله عدة سنوات وتأدب بآدابه وتيقن بصدقه وأخذ يصلي معه لمدة سبع سنوات قبل الآخرين والجميع مشرك وكافر يعبدون الحجر والخشب.

ولا مجال لإنكار الدعوة إلى ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام ووصايته من يوم الدعوة إلى التوحيد ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله، يشهد لذلك الأحاديث المروية والتاريخ المدون[2]، يعني أن تعريف علي عليه السلام كان مبكراً من أول النداء إلى الإسلام، وقد شاهد اليهود وغيرهم علياً مع النبي صلى الله عليه وآله من اليوم الأول، ولا شك أن علياً هو عيبة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وساعده القوي وسيفه البتّار، ولذا صار من

---

(١) جاء في كتاب موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٤١٨ الهامش ٣:أن بعض العامة حرفت حديث الدار حتى أنها جعلت مكان كلمة «خليفتي» كلمة «كذا وكذا» وفي بعض الكتب كانت هذه الكلمة موجودة في الطبعات الأولى ولكنها حذفت في الطبعات الأخيرة، وحتى مثل حسين هيكل حرف هذا الخبر في الطبعة الثانية لكتابه حياة محمد . ولكن إبن حنبل وإبن الأثير نقلا الرواية كاملة.

(٢) بحار الأنوار ٦٥: ٣٩٥.

غير الممكن دراسة معاملة الرسول مع اليهود مع قطع النظر عن علي عليه السلام وأعماله.

كيف يمكن قطع النظر عنه وهو أعلم الناس بالقرآن والتوراة والإنجيل، ما زالت تتجلى حقانية تعاليم الأنبياء من كلامه الباهر، وتتأدى بوطأته وإقدامه حقوق الله ورسوله : « كنتَ عَلى الكافرينَ عَذاباً صبّاً وغِلظة وغيظاً، وللمؤمنين غَيثاً وخِصباً وعلماً»[١].

فإذا كانت يده هي يد الله التي تهطل بالرحمة وما زال يقطر من سيفه دماء أعداء الله، فاللازم أن نقول كما جاء في زيارته: السلام على ميزان الأعمال ومقلب الأحوال وسيف ذي الجلال وساقي السلسبيل الزلال[٢].

فقد كان الإمام علي عليه السلام عون رسول الله الصادق، وناصره الصديق، والمصداق الأكمل للصحبة المنعوتة في الآية الشريفة: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ وهو ظل رسول الله صلى الله عليه وآله في كونهما ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ وكذا بالنسبة إلى رأفته على المؤمنين:﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾، وما زال يسقي نبت الإسلام الناهض، حتى إشتد وأثمر، ونفذت جذوره في العمق لتبقى شجرة الإسلام خالدة إلى القيامة تؤتي أُكلها كل حين، الوصف الذي جاء في الإنجيل كما أُشير إليه في بقية الآية السابقة: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ ﴾.

نعم فإن وصي الرسول هو السبب لبقاء الدين المبين وهو السرّ في حفظ هذه الأمانة الإلهية حتى يرد الناس حوض الكوثر[٣].

---

(١) كما جاء في زيارته المخصوصة، مفاتيح الجنان: ص٦٩٦

(٢) مفاتيح الجنان: ٦٢٧.

(٣) البحار٦٥: ٣٩٥.

كان اليهود يجدون في كتبهم أن هلاكهم على يد إيليا، وبعد قرون من الخوف والحذر، إذا هو ماثل أمامهم تتجلى من ساعده قدرة الله تعالى وتلحظ في عيونه شرارة غضب الله سبحانه، وهو الضرغام وحيدر الذي كانت تسمع باسمه الأمر الذي يؤكد صدق كل ذلك الخوف والحذر السابق.

نعم فإن الصورة التي باتت في أذهان اليهود عن وراثة أولاد لاوي للخلافة والحكومة، يسهل عليهم تسليم أحقية علي وأولاده في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله، كما أن تشبيه النبي علياً عليه السلام بهارون، وتشبيهه الحسن والحسين بإبني هارون له إنطباع مأنوس عند اليهود، فوجود وصي النبي له من الأهمية ما لوجود نفس النبي من الأهمية.

ومن ناحية أُخرى، فإن في وجود عليّ عليه السلام مع الرسول إتماماً للحجّة على اليهود، لأنهم كانوا يجدون أوصافه في كتبهم، فكان عليهم إذا شاهدوا تلك الأوصاف المذكورة في الكتب في ذلك الوجود المبارك، أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وأيقنوا صدق دعوته [1].

وبذلك صار أشقياء اليهود يعادون علياً، حيث تجلى ذلك يوم خيبر، ولكن من المؤسف نجد أن أكثر الكُتاب المسلمين الذين قدّموا دراسات عن روابط الرسول واليهود من العامة لم يسلطوا الضوء على دور علي عليه السلام من هذا الافق وفي دفع شر اليهود ولا على ضلوعه في تحقيق أهدافه النهائية، لتبقى هذه الحقائق خلف ستائر الكتمان، وتابعهم في ذلك عامة المحققين من غير المسلمين مما زاد في الطين بلة، وأدّى إلى تغطية الحقائق أكثر فأكثر، بحيث أدّى إلى غمر مواقف أمير المؤمنين أخي رسول الله وساعده القوي والقوة المنفذة لمهامه في هذا الشأن.

لماذا يحذف مثل إبن هشام الملخِّص لسيرة إبن إسحاق الأخبار التي لا يرتضيها حكام زمانه[2]، هل أن ذلك يعني وجود أصابع يهودية في تلك الدورة، أو أن الحكّام كانوا على صفة اليهود في تحريف الحقائق؟

---

(١) سأل يهوديّ رسول الله عن وصيّه فأشارالنبي الى علي، فقال قد صدقت إنا قد وجدنا نعته في التوراة. ...الحديث.المستدرك للبحار ١١: ١٨٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٣١و سيرة إبن هشام ١: ١٤.

لازالت الأصابع اليهودية من صدر الإسلام تعمل على إطفاء هذا النور وتسعى إلى إخفاء دور الإمام علي عليه السلام ومحوه من الأذهان، وإلى يومنا هذا ما زال اليهود يتحاشون هذا النور ويحذرون من قواه الغيبية ومن هلاكهم على يد ولي الله من ذريته الغائب المنتظر، الذي سيكون فرج المؤمنين والمستضعفين على يديه، أعني صاحب الأمر الحجة بن الحسن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

وبدوري سأسعى _وبكمال التواضع _ ومن خلال هذه السطور في تسليط الضوء على مظلومية أمير المؤمنين و هدفي الأساسي من هذه الدراسة هو بيان أبعاد ذلك الظلم والدفاع عن مقامه الشامخ، عليٍّ! ذلك المدافع الحقيقي الأول عن حريم الرسالة النبوية والمتصدي الأول لأهل العناد من اليهود، ذلك الرجل الذي لولاه لم تتحقق أهداف الرسالة ولم يبق منها عين ولا أثر، وبصورة كلية فإن من غير الممكن دراسة أعمال الرسول في مجابهة اليهود من دون ملاحظة دور أمير المؤمنين الفاعل، لأنه حلقة الوصل والرابط بين مختلف الأحداث التي وقعت.

القرآن المجيد كتاب الرسول معجزة خالدة

يُعتبر القرآن الكريم معدناً للعلوم الربوبية والأسرار الإلهية، فيه آيات محكمات وأخر متشابهات وله ظاهر وباطن، فإن كان تفسير ظواهره ميسوراً فإن المصير إلى بواطنه مما لا يتيسر إلا للراسخين في العلم من ذوي القلوب السليمة، ولا يحق لأيّ أحد أن يدعي إمتلاكه لعلم الكتاب، والعلم اللدني.

ومن ناحية أُخرى فإن أكثر من ربع القرآن، عبارة عن قصص الأنبياء العظام وأخبار أُممهم، وإن أكثر تلك القصص سرداً هي قصص بني إسرائيل خصوصاً اليهود، فإن القرآن مشحون بأخبارهم الحقيقية وعواقبهم الحتمية، والمواعظ الوافية والدروس الشافية.

فكل من يقارن بين القرآن وبين باقي الكتب على رغم تحريفها، يجد أن القرآن في الغالب ناظر إلى ما أوحاه الله إلى أنبيائه وعامة ما ألهمهم من الحقائق لمدة أكثر من ثلاثين قرناً، فكيف من الممكن في زمان الجاهلية الوقوف على كل تلك الحقائق المغمورة التي غطتها ستائر التعصب لمدة عدة قرون متمادية، ولم يبق

منها أثر ولا علامة، وكيف يمكن إعادة الحياة لتلك الحقائق التي قضت عليها يد التحريف و التلبيس، لتأخذ قالبها الواقعي وتبلغ إلى أسماع العالمين فتستنير بها القلوب المظلمة.

لا يكاد يمكن ذلك إلا بالعناية الإلهية، وذلك بأن يبعث الله رسولاً يفصح عن تلك الحقائق بلسان بليغ ويبينها ببيان ساحر وآيات واضحة والقرآن قد عكس تلك الوقائع بجلاء.

تتجلى أهمية تأكيد القرآن على ما أصاب بني إسرائيل بحذافيره وكل ذلك الإهتمام بقصصهم، من قول الرسول ﷺ سيصيب أُمتي ما أصاب بني إسرائيل حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل[١].

كما سيدحض ذلك الإعلان عن تلك الوقائع والحوادث إدعاءات اليهود الفارغة وأخبارهم الكاذبة، فإن اليهود حرفوا البشائر الحقيقية والمؤشرات الصحيحة التي كانت في التوراة وباقي كتب الأنبياء، وقاموا بتأويل ما لم يحرفوه منها، كل ذلك لأجل أن يتسنى لهم رفض نبوة خاتم الأنبياء، حتى جعلوا الذبيح هو إسحاق لمصادرة هذا الشرف من بني إسماعيل، ومنحه لبني إسرائيل، كما قاموا بتحريف اصول الدين وأحكامه وشرائعه كما يحلو لهم، حتى لا يؤاخذوا بما تميل إليه أنفسهم من المحرمات وأُمور أُخرى يطول الكلام بذكرها[٢].

لقد أفشى القرآن ببيانه المعجز نوايا اليهود الفاسدة، وكشف إستبطانهم الكفر والشرك، وقام بفضح حيلهم في مواجهة النبي المبعوث وأتباعه المسلمين. كما كشف عن ميولهم إلى أكل الحرام والربا والسحت، وأصر على بيان خياناتهم ونقضهم العهود والمواثيق التي أُخذت عليهم، كما قام بفضح آبائهم الذين خانوا دينهم و كتموا الحقائق وقاموا بتحريف الكتب السماوية في القرون الماضية وهم على آثارهم يقتدون، فشوَّه سمعتهم وخرَّب وجهتهم. وليس من العجيب أن

---

(١) جاء ذلك في حديث نعثل اليهودي، البحار٣٦: ٢٨٣ ـ ٢٨٥ وج٣: ٣٠٣.

(٢) الحِكم في إيراد القصص في القرآن كثيرة، تعرضنالعشرة حكم فيها في كتاب"اليهود في القرآن " فراجع.

يسهم ذلك الفضح في عداء أكثر اليهود للرسول ودعوته، كما كان له السهم الأكبر في إيمان البعض الآخر من المتنورين والعلماء العارفين من بينهم.

تجد في القرآن أصدق الحديث عن دأب اليهود في مناهضة الرسول والوقوف بوجهه والتدبير له ومخالفته ومنازعته، فهو يحكي عن مواقفهم المعادية الثقافية و السياسية والعسكرية، وإن كان الكلام في أكثر الموارد كلياً بنحو الاجمال ولكن يمكن إستنباط بعض الجزئيات والوقوف عليها، ولم يترك القرآن الإشارة إلى ما أصابهم والنتائج التي صاروا إليها من أجل اعتبار الآخرين ولتتم الحجة على الخلق.

تلك الآيات الشريفة المشحونة بالحقائق والحِكَم الكثيرة التي لا يحيط بها سوى أهل بيت النبوة عليهم السلام والتي تجلى بعضها من كلماتهم فكان بحراً متلاطماً يقف الناظر على ساحله ليصيبه قطرات منه، ويستحصل الغائص فيه على لئالي ثمينة وجواهر كريمة. كلٌ بمقدار سعته.

ولما قمنا بتصفح كتاب بحار الأنوارالجامع لأخبار الأئمه الأبرار عليهم السلام، المؤلف من١١٠ مجلداً، وقمنا برصد الأخبار المربوطة بأخبار أهل الكتاب من بين تلك المجلدات، سنحت لنا الفرصة للوقوف على بعض تلك الحقائق في هذا الشأن، وصرنا إلى تزيين هذا الكتاب ببعض تلك الأخبار، لتزيد في إعتباره، ومما يؤسف له أن بعض الكتّاب ترك السماع من أهل البيت عليهم السلام وأصغى إلى مثل الكلبي واليعقوبي، ولم يكتف بذلك حتى ادعى وضع تلك الأحاديث فأعرض عنها كل الإعراض.

ومهما يكن من أمر فإن الوقوف على حقيقة اليهود من خلال القرآن بحاجة إلى دراسة مستقلة، ولكن لا مناص من التعرض إلى ما أبانه القرآن مما جرى على اليهود، لهدم تلك العقائد الفاسدة، والانتقاص من قوم ظالمين، وفضح جماعة المنافقين الذين نقضوا العهود وقتلوا سبعين نبياً في يوم واحد وعادوا إلى مكاسبهم وكأن شيئا لم يكن[١].

---

(١) الكافي ٨: ١١٧، .

يجب أن يقف العالَم على حقيقة اليهود ويتعرف على تاريخهم ويحيط بسننهم التي يعيدها التاريخ وتتكرر بمرور الزمان كي ينجو من فتنتها.

ومن الملح والحكمة وجود الإشارة إلى اليهود في سورة الحمد، باعتبارهم المغضوب عليهم، السورة التي يكررها المسلمون في صلاتهم عدة مرات في اليوم والليلة، فلا يغفلوا عن هذا العدو اللدود لله والإنسانية ولا يكونوا في صفه في يوم من الأيام ولا يتخلقوا بأخلاقه الفاسدة.

وكذا جاء وصف رؤساء اليهود في سورة الجمعة وحذر من خطرهم ليبين سبب عداءهم ويوكد لزوم اليقظة والحذر على المسلمين، جعلها بحيث تلقى على أسماع المصلين يوم الجمعة في كل أسبوع وفي جميع العالم: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

فقد جاء تشبيه أحبار اليهود الذين كذبوا بآيات الله في كلام الله والوحي السماوي بالحيوان الذي يحمل المتاع على ظهره، كناية عن أنهم يحملون التوراة على ظهورهم من دون الإكتراث بمضامينها، وهكذا يقولها القرآن الكريم لجميع أبناء العالم بأن من يعلم الحقيقة ولم يعمل بها فهو مشمول لذلك الخطاب والتشبيه.

ثم أبان القرآن العوامل النفسانية لهذه الخصلة الرديئة التي لا تنحصر آثارها بنفس المتصف بها بل تشمل وتعم المجتمع والمجتمعات أيضاً، فقال: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2]، وما ذلك العامل النفسي سوى الأنانية والإستكبار،

---

(١) الجمعة: ٦.

(٢) الجمعة: ٧و٨.

حتى ادّعوا أنهم أولياءُ لله في الأرض، وذلك إعتماداً على موازين قومية وعرقية وليست دينيّة ولا إعتقاديّة، وهو أخطرما يكون[١].

فإن من يعتقد بتلك العقيدة ويرى لنفسه الفضل على الآخرين وأنه أحق بالرئاسة من غيره على الرغم من فقدانه لأقل الصفات الإنسانية والأخلاق الحميدة، ولا يتحلى بشيء من العلم والدين، يشكل خطراً كبيراً على العالم، الخطر الذي يحيط بالبشرية اليوم.

---

(١) جاء في البحار١٨: ١٣٠، بيان بعض المطالب حول سورة الجمعة والتشبيه بالمباهلة، فإن من تعاليم التلمود ومن جملة عقائد اليهود أن اليهودي يدخل الجنة البتة ويكون من أولياء الله وإن كان فاسقاً ولا يعمل بتكاليفه الدينية ويكفي في ذلك كونه من قوم اليهود، واليك بعض مواد بروتكلات صهيونية التي تاثرت من فكرة اليهودية .

نحن شعب الله في الارض وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا، ذلك انه لاجل رحمته ورضاه عنا مسخر لنا الحيوان الانساني وهم كل الأمم والأجناس مسخر لنا لانه يعلم اننا نحتاج الى نوعين من الحيوان نوع أخرس كالدواب والأنعام والطير ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب فسخّرهم لنا ليكونوا مسخرين لخدمتنا وفرقنا في الارض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ويستخرج فنونهم لمنافعنا أجمعين، لذلك يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك و الوزراء والعظماء وأن يدخل أبنائنا في الديانات المختلفه وأن تكون لنا الكلمة العليا في الدول وأعمالها فنفتنهم ونوقفهم في الحروب وندخل عليهم الخوف وفي ذلك كله نحن نستفيد العائدة كلها (يهود قديما وحديثا : ١٤) و(الأسلام واليهودية : ٦٠٧و٦٠٨).

١- ان أملاك غير اليهود كالمال المتروك الذي يحق لليهودي ان يمتلكه (ص ١٥)

٢-إن الواجب الديني أن يلعن اليهود ثلاث مرّات رؤساء المذاهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد اسرائيل (ص ١٥)

٣- لا قرابة بين الأمم الخارجه عن دين اليهود لانهم اشبه بالحمير ويعتبر اليهود بيوت باقي الامم نظير زرائب للحيوانات.

٤-الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة وخلق الله الأجنبي على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم(يهود قديما وحديثا:٧٠) (تاريخ اليهودي العام ٢: ١١٣-١٥٢ مع شرحها).

جابه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنواع الصعوبات وتحمل أنواع الأذى في سبيل تبليغ هذه المعارف الإلهية والأمور الغيبية، وجاهد من أجل إثبات أحقيته وفي سبيل نشر الدين جهاداً مريراً. وهكذا نجده يبذل الودّ لجميع اليهود الذين جاؤا يسألونه، ويجادل المعترضين منهم على دينه بالتي هي أحسن، ويستعمل أقصى الصبر والتأني في مجال استعطافهم وهدايتهم، وهو يسعى دائباً في دعوتهم إلى الإسلام، والمحافظة عليهم وإستبقائهم في جواره يتعايش معهم معايشة سلمية.

ولكنهم لما أصرّوا على الخلاف ونقض العهود وإستمروا بالإفساد وإثارة الفتن وصدّ الآخرين عن دخول الإسلام، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بأن يجليهم من منازلهم أول مرة، ولما لم ينفعهم هذا التحذير وإستمروا على أعمالهم السابقة أمره بجهادهم وقتالهم.

وأبرز من قاتل أولئك المعاندين وجالدهم في هذا الميدان وقام بحصد رؤسهم وإذلال أنوفهم، هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، والحاصل أن معاملة اليهود مع الرسول في إدبارهم وإقبالهم على الدين، ومقابلته أو مساعدته، تعود إلى ثلاثة أركان:

أحدها: هو شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله بعنوان الرسول الخاتم،

وثانيها: شخص أمير المؤمنين عليه السلام بعنوان وصي محمد،

والثالث: كلام الله الذي تجلى في القرآن وهوكتاب محمد صلى الله عليه وآله.

الفصل الثاني

اليهود في جزيرة العرب

هناك حقيقة نودّ الإشارة اليها تتعلق بمنشأ اليهود، وأول تواجدهم بهذا العنوان وكيفيّة تولّد هذا الجيل من بين بني إسرائيل، ثم غلبة هذا الإسم على عامّة المنتسبين إلى أمّة موسى .

ثم نعطف الكلام على تاريخ تواجد بني إسرائيل واليهود في جزيرة العرب و توطنهم المدينة وأطرافها كما هو معلوم، ومكّة عبر محاولة لإثبات ذلك من القرآن الكريم وكتب التاريخ، ودراسة علل تلك الهجرة وأسبابها، بالإضافة الى ذكر طوائفهم وقبائلهم وتفرّقهم في أطراف المدينة وخيبر و إلقاء نظرة عابرة على الأواصر التي تربطهم فيما بينهم، وكذا روابطهم مع عرب الحجاز .

الكلام الأول

منشأ اليهودية

قيل: إن كلمة يهود مأخوذة من «هاد يهود»، وقد جاء هذا الإشتقاق من كلام موسى عليه السلام حينما قال لربه: ﴿ **وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ** ﴾[1]، فعلى هذا تعود تسمية أُمة موسى باليهود إلى زمانه عليه السلام.

وقد يورد البعض بأن كلمة اليهود عبرية والقرآن عربي، وهذا الفعل«هُدنا» في القرآن إنما هو مشتق من الهوادة بمعنى السكون أو من الهود بمعنى التوبة والإنابة، أوبصيغة المجهول من الهداية، ومهما يكن من أمر فهي كلمة عربية

---

(١) الاعراف : ١٥٦.

وجذرها عربي[١]، مع العلم أن القرآن حينما يتحدث عن الوقائع والحوادث التي حدثت في زمان موسى لم يعبر عن أتباعه باليهود، وإنما جاء التعبير ببني إسرائيل فقط، وإذا جاء التعبير بكلمة «هادوا» فهي ترتبط بمن جاء بعد زمان موسى.

بينما يذهب البعض إلى أن كلمة اليهود مأخوذة من يهوذا إسم دولة سليمان الجنوبية، التي مركزها أُورشليم «القدس»، وعلى هذا الأساس لابدّ من قبول عدم استعمال هذه الكلمة قبل زمان سليمان عليه السلام.

وهناك نظرية تذهب إلى أن كلمة اليهود مأخوذة من يهودا إسم أحد أولاد يعقوب عليه السلام، لأن رئاسة بني إسرائيل كانت في أبناء يهودا، ومنه أُطلق على جميع أتباع موسى اليهود[٢]. ولكن لا يمكن قبول ذلك الكلام رأساً لأن الرئاسة الدينية كانت أولاً في سبط لاوي، فإن موسى وهارون من هذا السبط.

والرأي الرابع أن الإنقسام الذي حصل في أتباع موسى يشابه انقسام السنّة في أتباع النبي محمد صلى الله عليه وآله، يعني أنه انقسام صوري بعيد عن التدبير الإلهي ورغبة النبي صلى الله عليه وآله، ويمكن استفادة ذلك من الحديث المروي عن الإمام الكاظم عليه السلام إن في النار لواديا... وإن أهل النار ليتعوذون من حر ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعد الله فيه لأهله وفيه سبعة صناديق خمسة من الأُمم السالفة واثنان من هذه الأُمة، وأما الخمسة فقابيل الذي قتل هابيل، ونمرود الذي حاج إبراهيم في ربه فقال أنا أُحيي وأُميت، و فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى و يهودا الذي هوّد اليهود، و

---

(١) عقل اليهود الأسير: ٩.

(٢) قيل: إن كلمة يهود مأخوذة من يهوه وودى بمعنى مؤدي الحق، ويهوه رب اليهود، والواضح عند المحققين أن لكلمة «الله» التي تستعمل ويراد بها رب العالمين أساساً في اللغة الأرامية والسريانية، وأما الرب، باسم يهوه فهو من مختلقات نفس اليهود، وهناك دلائل أُخرى على أن اسم يهودا كان موجوداً قبل استعمال كلمة يهوه في الباري تعالى، ومعلوم أنه كان موجوداً في زمان يعقوب بحيث سمي به ولده، ففي ذلك الزمان لم يتغير اسم الله سبحانه إلى يهوه فكيف اسم يهودا يكون مشتقاً من يهوه.

بولس الذي نصّر النصارى ومن هذه الأمة أعرابيان[١].

يمكننا أن نفهم من قوله «هوّد اليهود» في هذه الرواية أن اليهودية لم تكن قبل ذلك، وما كان اسم أتباع موسى اليهود، وإنما كان اسم من حرّفهم وأضلّهم هو «يهودا» فسمي أتباعه «اليهود»، اولعلّه هو من سبط يهودا واليهودية في البداية نشأت في هذا السبط ثم انتشرت.

---

(١) الخصال:٣٩٩، ح ١٠٦، ثواب الأعمال: ٢١٦- حدثني محمد بن الحسن قال حدثني محمد بن الحسن الصفار قال حدثني عباد بن سليمان عن محمد بن سليمان الديلمي عن إسحاق بن عمار الصيرفي عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال قلت جعلت فداك حدثني فيهما بحديث فقد سمعت عن أبيك فيهما أحاديث عده قال فقال لي يا إسحاق الأول بمنزلة العجل و الثاني بمنزلة السامري قال: قلت جعلت فداك زدني فيهما قال: هما و الله نصرا و هودا و مجسا فلا غفر الله لهما قال قلت جعلت فداك زدني فيهما قال ثلاثة لا ينظر الله إليهم و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم، قال: قلت جعلت فداك فمن هم ؟ قال: رجل ادعى إماما من غير الله، و آخر طغى في إمام من الله، و آخر زعم أن لهما في الإسلام نصيبا، قال:قلت جعلت فداك زدني فيهما قال، ما أبالي يا أبا إسحاق محوت المحكم من كتاب الله أو جحدت محمدا النبوة أو زعمت أن ليس في السماء إلها أو تقدمت علي بن أبي طالب عليه السلام قال قلت جعلت فداك زدني، قال: فقال يا إسحاق إن في النار لواديا يقال له محيط لو طلع منه شرارة لأحرق من على وجه الأرض و إن أهل النار يتعوذون من حر ذلك الوادي و نتنه و قذره و ما أعد الله فيه لأهله، و إن في ذلك الوادي لجبلا يتعوذون أهل ذلك الوادي من حر ذلك الجبل و نتنه و قذره و ما أعد الله فيه لأهله، و إن في ذلك الجبل لشعبا يتعوذ جميع أهل ذلك الجبل من حر ذلك الشعب من نتنه و قذره و ما أعد الله فيه لأهله، و إن في ذلك الشعب لقليبا يتعوذ أهل ذلك الشعب من حر ذلك القليب و نتنه و قذره و ما أعد الله فيه لأهله، و إن في ذلك القليب لحية يتعوذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحية و نتنها و قذرها و ما أعد الله عز و جل في أنيابها من السم لأهلها، و إن في جوف تلك الحية لسبع صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة و اثنان من هذه الأمة قال قلت جعلت فداك و من الخمسة و من الاثنان، قال: أما الخمسة :فقابيل الذي قتل هابيل و نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه قال أنا أحيي و أميت و فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى و يهودا الذي هوّد اليهود و بولس الذي نصّر النصارى، و من هذه الأمة أعرابيان .وكذا في قصص الأنبياء للجزائري :١: ١٠٥.

وروي مثله عن النبي صلى الله عليه وآله في كتاب سليم بن قيس: ١٦٢، والإحتجاج١: ١١٢، وفي البحار: ٣٠: ٤٠٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام. وفي بعضها : ستة من الاولين وستة من الأ خرين.....

ولما انتشرت هذه الفرقة (أو السبط)و قويت، صارت الفرقة المحقّة هي الأقلية، ودخلت دور التقية والتخفي بالمعتقد، فاستترت باسم اليهود، وصار اسماً لجميع من آمن برسالة بموسى واعتقد بها، ولذا فإن اليهودية في الحقيقة فرع مبتدع وولد غير شرعي سرعان ما صار هو الأصل.

وقابل للذكر بأن السحرة الذين آمنوا بموسى وعرفوا دينه على حقيقته، كان دعاؤهم حينما أراد فرعون أن يصلبهم أن قالوا: ربنا توفنا مسلمين، ولم يقولوا توفنا يهوديين: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[1].

ونجد أيضاً أن زبور داود النبي الذي نزل أربعمائة عام بعد موسى عليه السلام لم يطلق على بني إسرائيل اسم اليهود، بل يسميهم ببني إسرائيل على الدوام[2].

وهناك آيات في القرآن يمكن أن نستفيد منها أن دين موسى عليه السلام لم يكن اليهودية، بل كان على ملّة إبراهيم: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾[3].

---

(١) الأعراف: ١٢٥، ١٢٦.

(٢) يوجد نسخة قديمة لترجمة كتاب الزبور في مدرسة النمازي في مدينة خوي، عندي صورة منها.

(٣) البقرة: ١٣٥ – ١٣٨ .

وجاء في سورة الأنبياء :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾[1].

وفي سورة المؤمنون :﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2]، فهي بعد أن تذكر أنبياء بني إسرائيل صرحت بحصول الإنحراف والافتراق في بني إسرائيل، والنتيجة أن تمام الأديان السماوية هي الإسلام وأما اليهودية والنصرانية وغيرها هي مبتدعة وخارجة عن الناموس الإلهي.

والآيات ١١١ إلى ١١٨من سورة النحل تبين أن اليهود افتروا على الله وأحلوا وحرموا من أنفسهم، فيقول بعد توبيخهم :﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[3]، فإن كلمة «الذين هادوا »لا يعني حتماً بني إسرائيل، ومع ذلك إذا تابعنا السور المكية وزمان نزولها نجد أن هذه الكلمة استعملت للمرة الثانية في القرآن، ويستفاد من التفاسير أنها تتكلم عن زمان أسر اليهود في بابل وزمان كتابة التلمود .

وهناك آية أُخرى تبين بوضوح فصل اليهود عن دين موسى هي قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ

---

(١) الأنبياء: ٩٢ - ٩٣.

(٢) المؤمنون : ٥٢و٥٣.

(٣) النحل ١١٨، و لعله أشارت هذه الآية المكية الى ما قصص على النبي في سورة الأنعام :١٤٦ :
وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ .

﴿ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]، ففي هذه الآية يذكر أن الأنبياء أسلموا، ومكان أن يقول للمسلمين قال للذين هادوا، وهذا يعني أن هؤلاء الأنبياء بعثوا حينما ظهرت في بني اسرائيل اليهودية وكانوا يحكمون بين اليهود بالتوراة، وفي الحقيقة أن دور الأنبياء بينهم آنذاك هو دور الأئمة عليهم السلام بين أهل السنة. ولذا كان هؤلاء الأنبياء لا يقدر لهم البقاء وسرعان ما كانوا يقتلون على أيدي هؤلاء اليهود ؛ لأن الأنبياء كانوا يحكمون بحكم التوراة الحقيقي، ولا يتابعون ميول اليهود وانحرافاتهم، ولذا أخبرنا القرآن عن ذلك الزمان وقال: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2]، وهذا هونفس حال أئمة الهدى عليهم السلام في الأمة الإسلامية مع فارق واحد هو صيانة القرآن عن الانحراف والزيادة و النقصان، وإنما حدث الإختلاف في تفسيره وتأويله، ولذا لم يمض نصف قرن على وفاة الرسول حتى قتل أربعة من أقرب المقربين إلى الله سبحانه وألصق الناس برسول الله وهم حملة القرآن ومفسروه، قتلوا على يد من يدعون أنّهم من أمة محمد صلى الله عليه وآله .

ففي سورة البيّنة التي هي واحدة من العشر السور التي نزلت في أواخر الهجرة تصرح بوضوح أنهم اختلفوا في دينهم وخرجوا من محدودة الحق: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ

---

(١) المائدة : ٤٤

(٢) البقرة:٨٧

دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾[1] فهي تبيّن ايضاً أن دين موسى وعيسى الذي أُمر به بنو إسرائيل هو دين إبراهيم.

وبهذا يكون دين موسى وعيسى هو مورد تأييد دين النبي محمد، وقرآن محمد يصدق توراة موسى، ولو كان مضمون التوراة يخالف القرآن أو يقابله لما صدقها القرآن، وإذا كان يهوه رب موسى غير الله سبحانه فكيف يكون مورد تأييد وتصديق الرسول صلى الله عليه وآله وإذا وجدنا أن أُصول دين النبي محمد المصطفى وفروعه تخالف أو تقابل أُصول دين اليهود وفروعهم، أو كانت جمل التوراة الفعلية تتناقض مع جمل القرآن فهو دليل على انحراف اليهود و تحريف التوراة ولذا نجد أن كل علماء اليهود والأحبار الذين أسلموا يذعنون أن دين اليهود دين محرف وليس في القرون الأُولى فحسب بل حتى بعد ظهور الإسلام فقد طالته أيدي المتجبرين.

ومع الإلتفات إلى أن النازل على الأنبياء شيء واحد ومن معين واحد بقلم واحد[2]، فإن عمل أدنى مقايسة بين القرآن والتوراة توصلنا إلى أن دين اليهود و كتابهم قد تحرّفا ولم يتمكن أنبياء بني إسرائيل وأوصياؤهم من صيانتهما و حفظهما بل إن الأمر خرج من أيديهم وصار لعبة بيد منافقي تلك الديانة.

وأضف على ذلك فإن هناك دليلاً علمياً ومادياً؛ لأن الأسناد والوثائق التاريخية والنقوش الحجرية والفخارية التي تم كشفها تدل على عدم وجود أي أثر

---

(١) البينة : ٤ – ٨ . ولا يخفى ان تعبيرأهل الكتاب شامل للمسلمين ايضاً.

(٢) كتاب أسرارآل محمد، سليم بن قيس ٢ : ٥٩٨.

لكلمة اليهود ولا لتسمية أتباع موسى بذلك قبل تقسيم ملك سليمان، وكل ما هو موجود فهو يرتبط بالدورة التي أعقبت سليمان ومن زمان الأسر فصاعداً.

فقد وجد على بعض النقوش التاريخية على الحجر حكاية هجوم سنحاريب على دولة يهودا وجاء فيها التعبير عن حزقيا بحزقيا اليهودي[١]، وهذه الكلمة نسبة إلى مدينة يهودا التي تأسست بعد زمان سليمان عليه السلام[٢].

دعاوي أهل الكتاب المحكية في القرآن

يدعي أهل الكتاب أن كلاً من إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب كانوا على دين اليهودية واليهودية هي دين إبراهيم، وكانوا يكررون ذلك من يوم بعثة النبي محمد ﷺ إلى آخرالهجرة، فكان القرآن والآيات النازلة ترد على ذلك و تكذب: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٣].

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٤].

تقدم الكلام في تبليغ الأنبياء من ذرية إبراهيم دينه لعدة قرون حتى وصلت النوبة إلى موسى كليم الله الذي أُنزلت عليه التوراة، ثم تلاها أربعمائة عام حتى وصلت النوبة إلى النبي داود عليه السلام الذي أنزلت عليه الزبور فيه أنواع المناجاة في الغالب كي يبين بيان الجانب العرفاني للتوراة.

وتابع النبي سليمان عليه السلام سيرة أبيه داود عليه السلام وهكذا استمر تبليغ التوراة في بني إسرائيل ولكن بعد زمان النبي سليمان وتقسيم مملكته اتجهت أُمة موسى

---

(١) أنظر النسخ القديمة وتراجمها، فعندي صورة لترجمة الزبور كتبت في القرن الثالث الهجري لا يوجد بينها وبين النسخة المتداولة اليوم أي وجه للشبه.

(٢) العلاقات: ٣٧.

(٣) البقرة:١٣٥.

(٤) البقرة:١٤٠-اذا كان الأمرغير ضروري لأكتفى الله سبحانه في ابطال دعواهم بآية الاولى ولا يتكرر.

عليه السلام إلى عبادة الأصنام وأُخذ منهم التابوت واختفت التوراة ولكن ظلت تعاليمها تنقل بالمشافهة حتى إذا كان الأسر البابلي قام الأحبار بجمع معلوماتهم ومحفوظاتهم فكتبوا التوراة ونشأت اليهودية، والنتيجة أن اليهودية تولدت بعد إبراهيم بألفي عام والنصرانية بعده بثلاثة آلاف عام تقريباً، فكيف من الممكن أن يكون إبراهيم الخليل يهودياً أو نصرانياً، والقرآن يبين ذلك ويدعو إلى التفكر: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [1]، وبعدما وصلت النوبة إلى آخر الأنبياء نبي الإسلام لم يرتضِ ما يدعيه أهل الكتاب وصار يراه باطلاً وأكّد عليه بنزول آيات متعددة .

والظريف أن المسيحيين يدّعون نفس ذلك الإدعاء وقد إتضح زيفه من خلال الكلام المارّ.

---

(١) آل عمران: ٦٥-٦٧، وجاء في كتاب" العرب واليهود في التاريخ، احمد سوسة ص٢٦٦:وقد سبقت الإشارة أن مدوني التوراة تعمدوا إهمال التسلسل الزمني وذلك لترك المجال لإرجاع تاريخ اليهود إلى أزمنة سابقة لوجودهم ومنها عصر إبراهيم الخليل ففي كتاب سولوف مثلاً، في فصل:" كيف نما الشعب اليهودي " نجد ما يفيد أن الشعب اليهودي نزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة إبراهيم الخليل ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة اشخاص . وهذا هراء في هراء ليس له أي نصيب من الصحة ولا أي سند من واقع التاريخ .
وفي ص ٢٧٩: ويرى فرويد أن "كتبة التوراة أدخلوا الآباء الأولين في ديانتهم واعتبروا من أسلافهم بغية اعطاء دليل على أن اليهود ليسوا غرباء على أرض كنعان وانهم لم يدخلوها بصفتهم غرباء، فيقول في ذلك أنهم لجأوا إلى هذه الحيلة الماهرة وهي أن الههم يهوه قد وعدهم بالأرض التي كان يحتلها أسلافهم بالفعل. أُولئك الأسلاف الذين كانوا يعبدون يهوه أيضاً تحت اسم آخر ". وبهذا يسلط فرويد الضوء على حقيقة هامة هي أن اليهود لم يكن لهم حق تاريخي في دخول أرض كنعان وإنما افتعلوا هذا الحق افتعالاً وبذلك يعتبر استقرارهم في كنعان بصورة موقتة وهذالم يغير من حقيقة كونهم غرباء عليها .

الكلام الثاني

هجرة اليهود إلى شبه جزيرة العرب

شبه جزيرة العرب

تنقسم هذه الأرض الواسعة إلى ثلاثة أقسام أصلية :

١_ الشمال والشمال الغربي بإسم الحجاز.

٢_ الشرق والمركز بإسم الصحراء العربية.

٣_ الجنوب بإسم اليمن.

سكن الإنسان في هذه الجزيرة بأقسامها منذ قديم الزمان، فقد توطن القحطانيون المعروفون بالعرب العاربة في اليمن وعامة جنوب الجزيرة، وكان قحطان يتكلم بالسريانية ولكن لغة ابنه يعرب هي العربية، ولا يُعلم السر في حدوث هذا التغيير في اللغة وإن كان أساسهما واحداً.

وكان عاد وثمود من القحطانيين ولكن لم يحدثنا التاريخ عنهم ولولا مجيء ذكرهما في القرآن وأحاديث أهل البيت لم يعرفا وعفا عليهما الدهر، فإنه ليس ثمة معلومات موثقة عنهم، ولم تتعرض التوراة لقوم هود ولا ما أصابهم.

سكن عاد وهم قوم النبي هود عليه السلام في صحراء الأحقاف الممتدة من عمان وأرض مهرة إلى حضرموت.

وأما ثمود قوم النبي صالح عليه السلام أيضاً من العرب العاربة فقد سكنوا وادي القرى الواقع بين المدينة والشام، وكان نفوذهم من الحُجر إلى البتراء، ويعود تاريخ البتراء إلى خمسة آلاف سنة من أقدم التاريخ، وكذا قد توطن عاد الثانية في هذه المنطقة أيضاً، التي تتوفر فيها النقوش العائدة إلى ثمود والآرامية وقد ذكروا أن أول ملك من ملوك اليمن كان من القحطانيين وإسمه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأن السبئيين وجدوا في اليمن أي جنوب شبه الجزيرة منذ عصور موغلة

في القدم، وكان مأرب عاصمتهم . وكان سدّ مأرب الذي تم بناؤه في الألف قبل الميلاد فيها، يقال أن بانيه هو لقمان بن عاد بن عاديا[١].

وجاء في تاريخ اليمن أن هذا السد قد تهدّم مرتين، ويظهر من بعض النقوش أن تعميره كان في سنة ٥١٠ قبل الميلاد على عهد ملك بإسم« سمه على ينق»[٢].وكان سيل العرم في الثانية، السيل الذي أدّى إلى تفرّق أهل سبأ وكان يرؤسهم آنذاك عمرو بن عامر بن حارثة [٣].

ويقال إنه كان يعلم أن أرض اليمن ستغرق في القريب العاجل، فأخبر أولاده بذلك فباعوا ممتلكاتهم وخرجوا من اليمن إلى أرض «عك» ابتداءً، ثم هاجروا إلى نجران، وكان يقطنها مذحج فارادوا منعهم، فوقعت الحرب بينهما حتى أخرجوهم منها، وفي آخر المطاف صاروا في الجحفة، ولم ينتقل إلى يثرب منهم سوى أوس وخزرج من أبناء حارثة بن عمرو[٤].

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي ١: ١٤٨ .

(٢) تاريخ اليمن القديم :٦٥.

(٣) ابن امرؤا القيس بن مازن بن الأزد.

(٤) وكما يعلم من مطالعة تاريخ اليمن القديم أن دولة سبأ وعاصمتها مأرب كانت عامرة جداً، ولم يكن سد مأرب قادراً على تفريق تمام سكان تلك المنطقة، لأن القرى العامرة بين اليمن ويثرب كانت كثيرة جداً، فكان بإمكانهم النزوح إلى القرى المجاورة، . ومن الملفت للنظر عدم تسجيل الأوس والخزرج خلال هذه الفترة أي تمدن في يثرب والحال أن أهل اليمن وسبأ كان لهم التمدن الأكبر والعمران والأبنية العظيمة ولهم قواعد وقوانين مدنية. يقول جرجى زيدان:كانت في مدينة مأرب قصورعالية قد زينت أبوابها وسقوفها بالذهب ووجد فيها أوان من الذهب والفضة وسرر معدنية كبيرة (موسوعة التاريخ الإسلامي ٩٨:١) ولعل لم يعد هناك فرصة للأوس والخزرج لبناء حضارة، وتأسيس حصون منيعة في يثرب، ومن ناحية أُخرى لما كانت يثرب على الطريق التجاري إلى الحبشة وأفريقا ومصر، يتحتم أن يكون لأهل يثرب حركة تجارية ضخمة فمن الممكن أن يكون اليهود قد سبقوهم إليها وتوطنوا فيها لمدة أطول وتسلطوا خلالها على الحركة التجارية، واما تغلب الأوس والخزرج على اليهود الذين سبقوهم إلى يثرب لعدة قرون، يرجع الى القرن الخامس

وقد ورد اسم سبأ في القرآن الكريم في سورة النمل وفي سورة سبأ، و أشار إلى جانب من سدّ مأرب وسيل العرم[١].

وأما في مركز الجزيرة أعني مكة المعظمة كان العدنانيون يقطنون بها، والعدنانيون هم أولاد النبي اسماعيل الأبن الأكبر للنبي إبراهيم الخليل الذي سكن عند بيت الله الحرام، وقد صاهر من جرهم، الأمر الذي أدّى إلى إنتشار نسل إسماعيل والعدنانيين في هذه المنطقة، وجرهم أنفسهم من القحطانيين ولغتهم هي العربية.

وكان أكثر سكان الجزيرة وبلاد ما بين النهرين في الأزمنة ما قبل التاريخ و التاريخ القديم من عبدة الأصنام، فبعث الله عليهم البلاء والعذاب المؤدي إلى هلاكهم، ثم سكن الجزيرة قوم آخرون وهكذا كان التاريخ يتكرر وتتوالى بذلك العبر، ولعل أقدم ماتشير إليه المؤشرات من محاربة هذه السفاهة تعود إلى النبي نوح عليه السلام أول الأنبياء من أولي العزم، فقد كان يعيش قبل سبعة آلاف سنة او خمسة آلاف في بلاد ما بين النهرين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة. وكان بعد ذلك، النبي هود عليه السلام قد حذّر أُمته في الأحقاف و بعده النبي صالح عليه السلام في وادي القرى، ومن أشهر الأصنام التي كانت تعبد في هذه البقاع هي اللات، والعزى، ومناة، وودّ، وسواع، ويعوق، ويغوث ونسر. فانها تحطمت واندثرت على أثر طوفان نوح وعفا عليها الدهر، ثم أظهرها الشيطان للعرب ثم شاعت عبادة الأصنام بين العرب وغيرهم من جديد.

فأخذت قضاعة بعبادة ودّ في دومة الجندل، وصارت قبيلتان من طي تعظم يغوثاً، بينما كهلان في اليمن تعظم يعوقاً، وكان نسر بحثعم، واللات في الطائف، ومناة بين هذيل وخزاعة تُعبد ويتقرب إليها، والعزى كانت شجرة في وادي النخلة شرق مكة تحظى بتقديس المشركين.

للميلاد بينما ظهر الإسلام في القرن السادس ولعل ذهاب مالك بن عجلان إلى الغساسنة واستنصارهم على اليهود هو سبب الغلبة . ويظهر من رواية استفتاح اليهود أن الضغوط على اليهود قبيل ظهور الإسلام كانت شديدة تدعوهم الى الإستفتاح.

(١) النمل :٢١-٤١وسبأ ١٤-٢٠.

وقد شرعت ثورة النبي إبراهيم عليه السلام على الأصنام وعبادتها من بابل محل نشأته حيث كانوا يعبدون قمر«ود» وإستمرت حتى بلغت مكة إمتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[١].

وجاء بعد إبراهيم من ذراريه من نهى عن ذلك ودعا إلى الدين الحنيف مثل يوسف في مصر، وشعيب عليه السلام في مدين، وموسى وأوصياؤه في مصر، ثم في نواحي كنعان وفلسطين، كل اولئك وأمثالهم دعوا إلى عبادة الله وترك عبادة الاوثان على الدوام.

والحاصل أن عبادة الأصنام كانت شائعة قبل طوفان نوح عليه السلام وتجددت بعد الطوفان ثم إستمرت إلى زمان النبي ﷺ في شبه جزيرة العرب وما بين النهرين.

ويجب أن لا ننسى أن عقائد المشركين ودينهم في الجزيرة كان خليطاً من دين إبراهيم ومن البدع والخرافات، فإذا كانت عبادة الأصنام شائعة بشكل واسع فيها ولكن عقائدهم لم تخلو من الحنيفية ومن تعليمات النبي إبراهيم عليه السلام، فإن دين إبراهيم كان معروفاً في كل الجزيرة العربية[٢].

---

(١) البقرة : ١٢٥، مما يجب الإمعان فيه، عندما لم يكن من الكعبة سوى قواعدها، ولم يكن هناك من يسكن في اطرافها فلماذا يؤمر النبي ابراهيم وابنه اسماعيل بتطهير الكعبة، هل ان ذلك لاجل تفهيم اوصيائه وبيان وظائفهم في مستقبل الايام، او من الممكن بان الكعبة التي كانت من زمان آدم عليه السلام تحظى بالتقديس من قبل عامة الناس ولكن خالط ذلك التقديس بالشرك والخرافة كما عرفناه في صدر الاسلام، وقد وضع المشركين أوثانا مكان الكعبة والنبي ابراهيم صار مأمورا بتطهيرها عنها، ومن ناحية ثالثة ان هذا الامر الصادر امر كلي بتنزيه الكعبة وتطهيرها عن آثار الشرك وعبادة الاوثان وحرمة تنجيسها و وجوب حفظها من النجاسات الظاهرية وهذا لايفيد عدم طهارتها في زمان ابراهيم.

(٢) اليمن في صدر االإسلام : ٦٢.

فإن وجود أمثال زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وأُمية بن أبي الصلت من طلاب الحنيفية، وأعمالهم تختلف عن أعمال عبدة الأوثان، يبرهن على بقاء الحنيفية على الرغم من مرور ثلاثة آلاف عام عليها [١]، فقد كان هؤلاء يمتنعون من السجود للأصنام ولايشربون الخمر، ويحرّمون الزنا والرّبا ويذكرون إسم الله على ذبائحهم وقيل إن أبا الهيبان أبا عمير كان يصلي خمس مرات في اليوم، ويسجد على الأرض ولا يشرب الخمر[٢]، نحن نعتقد أن أوصياء إبراهيم عليه السلام لم يزالوا في مكة وأن عامة آباء النبي وأجداده كانوا موحدين، كما نعتقد أن من كان على دين موسى أو دين عيسى عليهما السلام قبل الإسلام ولم يبتل ببدع اليهود والنصارى فهو على دين الحنيفية.

بنو إسرائيل في جزيرة العرب

ينقسم الكلام حول تواجد بني إسرائيل في جزيرة العرب إلى عصرين، أحدهما من زمان يعقوب ويوسف الصديق إلى القرن الخامس قبل الميلاد، يعني ما يقارب ألف سنة بعد موسى عليه السلام والآخر من يوم خراب الهيكل والإسارة البابلية إلى زمان نفر اليهود من أطراف المدينة وخروجهم من جزيرة العرب على عهد عمربن الخطاب، فقد وردت أخبار عن أهل البيت عليهم السلام تتحدث عن إنتشار أبناء يعقوب(بني إسرائيل)[٣].

وكما جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام فإن قبر يهودا الإبن الأكبر ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم في الكوفة في منطقة النخيلة، مما يحكي عن تواجد أبناء يعقوب في بلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة[٤].

---

(١) خلاصة الوفاء: ١١٤، م.

(٢) طبقات ابن سعد١: ١٠٤، تاريخ الكعبة: ١٢٥.

(٣) البحار١٣: ٣٩٤.

(٤) يوجد في منطقة النخيلة خارج الكوفة مقبرة يدفن فيها اليهود موتاهم وفيها قبر يحترمه اليهود ويقولون هو قبر النبي هود عليه السلام ولكن جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: نحن أعلم بالأمور هو قبر الابن الأكبر ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ثواب الأعمال: ٢٦٥. وفي كتاب

فقد كان الإسماعيلون يخرجون في قوافل تجارية من الجزيرة إلى كنعان والشامات وبواسطة واحدة من هذه القوافل أشتري يوسف ابتداءً بعنوان أنه عبد ثم عرض في مصر للبيع[١].

وقالوا: هناك قبر في محلة إسمها الجُما، كتب عليه : أنا رسول رسول الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب، وفي رواية: أنا رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل القرى[٢].

وجاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أن عامة الأنبياء جاؤا إلى البيت الحرام وحجّوا، وفي خصوص النبي موسى وداود وسليمان عليهم السلام وردت روايات خاصة، تدل على أنهم حجوا بصحبة جماعة من خواص بني إسرائيل[٣].

ومعه يكون من المسلّم معروفية جزيرة العرب وبالخصوص مكّة المعظمة لدى بني إسرائيل وكانوا يترددون عليها.

فإن رواية صاحب الأغاني حول مسير جيش النبي موسى كليم الله عليه السلام إلى شمال جزيرة العرب ووادي القرى لتأديب العمالقة، تحكي عن أقدم زمان لنفوذ بني إسرائيل في جزيرة العرب [٤].

تاريخ اليمن: ٥٠ كان في الألف قبل الميلاد قوافل تجارية تتردد بين حضرموت وبابل، وبين جنوب اليمن وسوريا وفلسطين، وفي حضرموت قبر باسم قبر هود، وكانت حضرموت مأوى البشر في العهد الحجري والنحاسي، فقد عثر على معبد يرجع إلى ٢٣٠٠ سنة قبل الميلاد، يشتمل ذلك المعبد على نظام معقد لمزاولة طقوس الوضوء والغسل الديني ومذبحين ومحل للبخور، ص٥٦.

(١) العلاقات: ٦٨.

(٢) خلاصة الأخبار ٩٥.

(٣) خلاصة الأخبار: السمهودي :٩٥، فروع الكافي١: ٢٢٤ وفي البحار ١٣: ١١ ."عن أبان عن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام قال :حجّ موسى بن عمران و معه سبعون نبيا من بني اسرائيل، خطم إبلهم من ليف يلبّون ويجيبهم الجبال ...وعلى موسى عباءتان قطوانيتان، يقول لبيك عبدك وابن عبدك .."وفي الكافي، عن أحمد الاهوازي عن الامام الصادق عليه السلام وهو صلى في الحجر عند البيت، وقال:هذا موضع صلوة شبر وشبير إبني هارون النبي عليهم السلام.

(٤) الأغاني ٣: ١١٦ اليهود في الشرق الاوسط ص٧٠.

صار هذا الكلام مستند كثير من الكتاب في هذا المجال، بينما يرى صاحب كتاب العلاقات أن هذه القصة من وضع اليهود، وتردد في صحتها، لعدم نقل فيلون ولايوسفوس لها، ولعدم الإشارة إليها في كتاب التلمود [١].

ولا شك أن دولة النبي داود عليه السلام لم تقتصر على فلسطين وتوسعت لتشمل خارجها أيضاً، والآخر ملك سليمان الذي أشار القرآن إليه وإلى قصة ملكة سبأ بلقيس وإيمانها به، ووجود القرابة بين بني إسحاق وبني إسماعيل، كل ذلك ساعد على هجرة بني إسرائيل وترددهم في أطراف الجزيرة، وكذا فإن هذا وأمثاله يجعل من ذلك أمراً معقولاً وقابلاً للتصديق.

ولكن جغرافية التوراة تبين أن نفوذ بني إسرائيل إلى الجزيرة كان مزامناً لخروجهم من التيه، وبمقتضى النصوص التوراتية فإن سبطين من أسباط بني إسرائيل الإثني عشر حينما خرجوا من التيه أعرضوا عن التوجه إلى فلسطين وصاروا في طلب مراتع خضراء، فهاجروا إلى هذه المنطقة[٢].

---

(١) العلاقات: ٩٧ قال: جاء في أقدم الآثار البابلية خبر عن نارام سن العائد إلى ٣٧٥٠ قبل الميلاد، هناك كتيبة بالخط المسماري جاء فيها أن نارام سن حمل على معان في جزيرة سينا وانتصر على معنيوم ملك بابل فأخذ حجراً من جبال تلك المنطقة وجاء به إلى مدينة آكاد وأثبت فيها خبر هذا النصر، ولكنه يبين صعوبة إثبات العلاقة بين هذا الخبر وبين بني إسرائيل، وقال المستشرق مارجيلوت إن هجوم قبائل أشمونية على المعنيين على عهد حزقيا حاكم يهوذا كان في سنة ٧١٧ ق . م .

(٢) جغرافية التوراة :١٧٨- ١٨٣: وفيما يخص مسيرة تطور هذه الأسباط، فإن التوراة تقول أنه بعد أربعين عاماً من التيه، تأهب بنو إسرائيل بقيادة موسى للعبور من أرض مواب إلى أرض كنعان، أي إلى الأرض التي وعدوا بها من قبل يهوه وبينما قرر أن معظم الأسباط المشاركة في عملية العبور إلى كنعان الموصوفة بأنها الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، نُبلّغ بان سبطي جاد ورأوبين فضّلا البقاء خارجها، السبب كما يرد في سِفر العدد: ٣٢: ١_ ٥، هو أنه كان (لهم مواش كثيرة وافرة جداً)، والأرض التي كانوا هم فيها (هي أرض مواش)..... وفي ص ١٨٠: سوف اتفادي في هذا الفصل تعريف تخوم موطن السبطين، ... نباشر بحثنا عن موطن جاد ورأوبين باستشارة سفر العدد ٢٦: ٥_ ١١ الذي يسجل أن أحد أبناء رأوبين كان إسمه «حنوك »الذي نعثر عليه فوراً في

الحنكة _ صيغة الجمع من حنك او حنوك.....وهو إسم العديد من القرى بتهامة زهران ومنطقة القنفذة وظهران الجنوب ويضاف الى ذلك بلدتا الحناكة جمع النسبة الى حنك حنوك واللتان تقعان في منطقة المدينة المنورة والقصيم وتقول التوراة أن اسم الإبن الثاني لرأوبين كان فلو، وبالعربية « فلوء » الذي حافظ على نفسه في إسم قبيلة « الفي / ءل في»، التي تسكن قرية باسم نفسه في تهامة عسير .و أما اسم الإبن الثالث فكان، والكلام للتوراة «حصرون» الذي نجده في عدة مواقع منها «الحضرين» في منطقة خيبر بعسير، عدا عن« آل خضران» في منطقة نجران ....ويضاف الى ذلك القبيلتان الحجازيتان « الخضران/ خضرءن والخضرة » صيغة جمع التكسير من «خضر » حيث أن الأسم الحالي يحمل أداة التعريف العربية بدلا من نون الجمع العربية الجنوبية، ويقول سفر التكوين٤٦: ١٦ أن جاد اى الجد الأعلى للسبط، خلف كلاً من صفون، وهو اسم القبائل نفسها «آل صفوان» و«بنو صفوان »و «الصفيان » الحجازية عدا عن قريتي صفوان وآل صفوان بسراة عسير و«صفن» في منطقة الطائف .

و جاء في العلاقات ص٦٦: يرى بعض علماء التوراة أن "أيوب "صاحب السفر المشهور باسمه في التوراة هو رجل عربي، لأن من أصحاب أيوب بلدد الشوحي وهو من ولد شوح بن إبراهيم وأليغاز التيماني وهو من ولد تيمان بن عيسو . اما موطنه أرض "عوص" فيعتقد أنها في بلاد العرب في نجد، أو في بلاد الشام في "حوران" أو في سوريا، أو على حدود آدوم أو في العربية الغربية في شمال غربي المدينة .ويستفاد من سفر ارميا ٢٥: ٢٠ ومراثي ارميا ٤: ٢١، أن عوص هذه لم تكن على وفاق مع الدولة اليهودية وإنما كانت على علاقة مع فلسطين وأدوم وموأب وبني عمون ودادان وتيماء وبوز وصيدا وصور، ويعتمد علماء التوراة على عروبة أيوب من نعت أصحابه بالتيمائي والنعماني، ويدل السفر على غنى ومكانة أيوب ويرى هؤلاء العلماء أن أصح ما قيل في كاتب سفر أيوب هو أن أيوب نفسه هو الذي كتبه، وقيل أن سيدنا موسى إتصل به عند يثرو زعيم مدين حيث ترجم السفر ودفعه إلى بني إسرائيل ليكون لهم سلوى في مصائبهم أمام مصيبة أيوب . وذهب بعض إلى القول بأن السفر الحالي هو ترجمة لأصل عربي مفقود .

وفي العلاقات :٦٨ وقيل إن اقدم إشارة وردت للعرب في التوراة هي ذكر قصة سيدنا يوسف وبيع اخوته له الى تجار من الاسماعيليين. وفي خلاصة الوفا وسيرة النبي للشيخ علاءالدين ص٩٦ ذكر الموارد الآنفة.

ومانقل في التوراة بأن النبي سليمان عليه السلام أسس خطاً تجارياً بين فلسطين وجزيرة العرب فكان يشتري الذهب والفلزات الأُخرى والاحجارالثمينة والأعشاب الطبية وينقلها إلى مركز حكومته[١].

وأشرنا ان دولة سبأ في بعض نواحي اليمن صارت تحت نفوذ النبي سليمان عليه السلام وبعده إبنه ارحبعم، ثم تسلط عليها حميرحتى وصلت النوبة إلى تبّع والتبابعة[٢].

وبعد تجميع هذه النصوص وملاحظة آثار الكنائس الباقية وفاعلية الخط التجاري بين اليمن والشامات وفلسطين نصل إلى أن توطن بني إسرائيل في هذه المنطقة يعود إلى ما قبل الإسارة البابلية، أما المقدار الذي يسلمه كل المحققين، هو توجه طوائف من بني إسرائيل إلى جزيرة العرب أيام الإسارة البابلية، وكذا بعد هجوم الروم على فلسطين، وتوطنهم في أماكن مختلفة مثل وادي القرى وتيماء و خيبر ويثرب.

اليهود في اليمن

يلزمنا إلقاء نظرة على تاريخ اليمن، لأنها إستقبلت مهاجرين من بني إسرائيل، فقد قيل إن سبطين من أسباط بني إسرائيل توجهوا إلى الجزيرة وسكنوا

وفي العلاقات : ٣٧- يرى بعض الباحثين أن لفظي (عبري) و(عربي) لهما معنى واحد فكلتاهما تدل على حياة البداوة والتنقل وورود كلمة العبيرو والخيبروالهبري والعبري في نقوش تل العمارنة (١٥ ق.م) كان يقصد بها عرب البادية والبدو والرحل ،وأما أول ذكر عربيي واريبو وأربي وعربي في الكتابات الآشورية حيث وردت في نقش للملك الآشوري شلمناصر الثالث(٨٥٩_٨٢٤)ق.م.و يشيد هذا النص بانتصار الآشوريين على تحالف ملوك الدويلات السوري في معركة كركر، وفيه اسم زعيم عربي، سمته النصوص" الجندب العربي".

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١: ١٩٢.

(٢) جاء في كتاب تاريخ اليمن القديم: ١٦٤، أن حكومة التبابعة كانت إبتداء من القرن الخامس الميلادي، ولذا فإن تسلط اليهود على اليمن كان بعد هذا التاريخ، وإن كان من الممكن رواج دين موسى فيها على عهد سليمان، أي : قبل الميلاد بقرون.

في جنوبها، وفي القرون السابقة على الإسلام وقعت حوادث مختلفة مثل هجوم نبوخذ نصر وهجوم الروم وحوادث أخرى أجبرت بني إسرائيل على ترك فلسطين وذلك بالهجرة _ أو أنهم أُخذوا أسرى _ إلى خارج فلسطين ومنها أرض اليمن.

وجاء في «أخبار شهداء حمير» أن أحبار اليهود جاؤا من طبرية فلسطين إلى إخوانهم اليهود في اليمن وسكنوا هناك[١].

وتدل الصحائف التي عثر عليها بخط المسند وتعود إلى ما قبل الميلاد على تواجد بني إسرائيل ونفوذ دين موسى في تلك النواحي؛ ولذا نجد في بعض هذه الكتائب كلمة إسرائيل ورب يهوذا[٢].

وفي التلمود إشارات إلى وجود روابط بين اليمن وبعض يهود فلسطين، بعنوان المثال: أن أحد ربيون اليهود بإسم عاقبة او عقيبة لاقى ملكاً عربياً حبشياً باسم مليخ عابم في اليمن وقيل إن زوجته أيضاً حبشية.

وكان الأحبار وعلماء الديانة اليهودية في طبرية يبعثون بالمبلغين والهدايا إلى اليهود في اليمن وإلى ملك اليمن كي يُحسن التعامل مع اليهود في مقابل النصارى[٣].

ومع سيطرة الروم علىٰ قسم من اليمن إنتشرت المسيحية هناك بسرعة، ولكن تبّع من ملوك اليمن إختار اليهودية بعد سفره إلى يثرب مما أدّى إلى انتشار اليهودية في اليمن من جديد.

---

(١) العلاقات : ١٢٦.

(٢) عثر المستشرق جلازر على هذه الكتائب ونشرها ونكلر، وجاء في واحدة منها المكتوبة باللغة اليمنية: "تبرك سم رحمن ذ يسمين (سمن) ويسرال والهمو رب يهود، ذهرد عبد همو. وشحرم وامهويم وحشكهتو شمسم ووالد همو ذمم وابشعر ومار وكل ابهه، "وشكّك المستشرق مارجيلوت في صحة هذه الكتابة وقال: إن جلازر هو الذي أدخل فيها كلمة إسرائيل «يسرال» وكلمة يهود .(العلاقات :١٢٣ من جواد علي، في المفصل ج٦ص٥٤١)

(٣) العلاقات: ١٢٥ – ١٢٨.

وقيل: إن طائفة همدان الذين كانوا يعبدون يعوقاً وطائفة حمير الذين يعبدون نسر من الطوائف التي بادرت إلى قبول اليهودية [١].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٣٤ . العلاقات: ١٢١ . و الموسوعة التاريخ الإسلامي:١: ١٩٣، ذكر مؤلف موسوعة التاريخ الإسلامي المحترم ١: ١٩٤: أن سابقة دين موسى في اليمن تعود إلى دولة سليمان وإبنه و بعد سفر تبع إلى يثرب ورجوعه، تجدد التبليغ اليهودي.

اقول: وأما خبر تبع الأول كما قال في المناقب لابد ان يعود إلى تاريخ ما قبل سيل العرم لأنه جاء في الحديث أن تبع الأول كان قبل رسول الله ﷺ بألف عام، ولكن شاهدنا في كتاب تاريخ اليمن القديم أن تبع كان يحكم اليمن قبل الإسلام بقرنين أو ثلاثة، ولذا فإن كلام رسول الله حول تبع:[روى الطبري عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا تبع» فلأنه اسلم.وقوله ﷺ : «لا تسبوه فإنه كان على الحق»]، لايمكن حمله على تبع الثالث المبلغ لليهودية فإنه كان الدين حينما هو دين عيسى المسيح ؛ فلابد حمله على تبع الأول والثاني، بل إن الصدوق روى عن ابن عباس أنه قال: لا يشتبه عليكم أمر تبع إنه كان مسلماً، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أن تبع قال للأوس والخزرج أمكثوا في هذه المدينة حتى يظهر نبي هذه الأُمة،

وفي كتاب تاريخ اليمن القديم :١٦٢: "ويبدو أن معد كرب يعفر هذا هو آخر من تحلى بذلك اللقب الملكي الطويل الذي بدأه ابكرب أسعد قبل زهاء قرن من هذا التاريخ، فبعد عام ٦٣١بقليل نجد في اليمن ملكا جديدا لا يستخدم اللقب الطويل ويقاتل الأحباش في ظفار وفي نجران كما جاء في نقش طويل (جام ١٠٢٨) عثر عليه في بئر الحيمه (شمال غرب نجران) ....يتكون النص المذكور من إثني عشر سطرا ...وقد إفتتح النص بالدعاء التالي : «ليبارك إلن الذي له السماء والارض الملك يوسف أسأر يتأثر ملك كل الشعوب وليبارك الأقيال لحيعث يرخم وسميفع اشوع وشرحئيل اشوع وشرحبيل اسعد بني شرحبيل يكمل سادة يزأن وجدن [الذين] ساندو(خصرو) سيدهم الملك يوسف اسأر يثأر عندما دمر حرقاً (دهر) الكنيسة أو القليس (قلسن)وقتل الأحباش بظفار ...»ويختتم النقش بعبارة : «أرخه ذي مذران من[عام] ثلاثة وثلاثين وستمائة ؟ ويضيف أنه وضع المسند في حماية السماء وولاء وقوة الجند من كل خسيس(؟) ومخادع، ويستعيذ بالرحمن العلي ضد مخادع يحاول مسحه . صاغ وسطر وقدم بإسم الرحمن . صاغه تميم ذحذيت، **رب هود بمحمد** »."

"ولقد إختلفت الدارسون في شرح العبارات الختاميه غير أنهم متفقون على أن صاحب النقش يهودي ونحن نعرف من مصادر قديمة عديدة أن الملك الذي حاربه الأحباش عند احتلالهم لليمن كان يهوديا يدعى ذانواس وكان قد عذب النصارى في نجران ونعرف في نفس الوقت من عدد من

"ويرى مارجيلوت: أن ذونواس هو الملك اليهودي الأوحد، ويرى الآخرون أن ذونواس إرتقى العرش ما بين ٥٢٠- ٥٣٠ بينما ذهب الاخرون ايضا الى أن حكمه إمتد من سنة ٤٩٠- ٥٢٥ م . ويوكّد بارون أنه حكم بعد عام ٥١٦ م ويقول بانه تسمى ايضاً مرثد عيلان- احسان وأنه من أبناء معد كرب يعفر او أنه قريبه كما جاء في إحدى النقوش المكتشفة ".....ويقال إن أُمه كانت من يهود نصيبين، واحتمل البعض أن أباه كان يهودياً أيضاً، ولكن ليس في محله[١].

كان في اليمن في صدر الإسلام قبائل مختلفة منها حمير ومذحج، وهمدان، فقبيلة حمير في الجنوب الشرقي من اليمن في منطقة تسمى سرو حمير واسمها اليوم «يافع»، وكان النظام السائد هو النظام القبلي ويسمى رئيس القبيلة بالملك، فكتب رسول الله ﷺ مكاتيب إلى ملوك حمير يدعوهم إلى الإسلام.

كانت القبائل في اليمن أيام بعثة النبي تتصارع فيما بينها وتتحارب، فكان هناك نزاع بين مذحج وهمدان، وبين بني الحارث ومراد، والأبناء كانت تتعاطف مع همدان، بينما آلت روابطهم مع المذاحجة إلى الفتور[٢].

نفس المصادر ان ذلك الملك كان ايضا يدعى يوسف .من هنا فان هناك قدرا كبيرا من التوافق بين الاخبار القديمة وبين هذا النقش . "(تاريخ اليمن القديم ١٦٢-١٦٤)

اقول:عندي هنا سوال آخر حول جملة الاخيرة "**رب هود بمحمد** " ما معناه هل هي دعاء اوقسم ؟ ومحمّد هنا هل هو إسم نبينا محمد او شخص آخر؟وتاريخ النقش يرجع الى ٥١٥-٥٢٠ الميلادي اي قبل ميلاد الرسول بقرن تقريبا .

(١) العلاقات : ١٣٢ .

(٢) وجاء في كتاب اليمن في صدر الإسلام:٣٠- ٦٠ :همدان قبيلة كبيرة تنقسم إلى الشمالية والجنوبية، والشمالية هي صعدة، والجنوبية صنعاء، وتتألف همدان من أفخاذ مختلفة قد يقع بينهم تنازع، على رغم محاربتها لغيرها من القبائل غير اليمنية ولما هجمت الحبشة على اليمن، ظلت قبيلة همدان تقاوم ولم تستسلم حتى هجمت ايران على اليمن وأخرجت الحبشة منها، وكانت همدان تأنس بالأبناء اكثر من القبائل اليمنية الأُخرى وتضمهم إليها، واضطرت خولان ومذحج في مناقشتها مع الأبناء أن تحارب الهمدانيين، وكان باذان الفارسي يترأس هذه الحرب من ناحية اليمنيين، وتحالفوا في مقابل العدو المشترك

وقبيلة مذحج في منطقة اسمها سرو مذحج، تمتد شمالاً فتشمل نجران وماب ودثينة إلى كور، وتتألف هذه القبيلة من عدة أفخاذ: مراد، وسعد العشيرة، وزبيد، وعنس، ورهاء، وبني الحارث، وصداء وكان الأغلب في نجران من بني الحارث بن كعب ورئيسهم عبد المدان، بينما سكنت مراد الجوف، وقبيلة خولان تسكن في مجاروة همدان في ناحية غرب تهامة، وأحد بطونها خولان خزاعة، والأُخرى خولان عالية، ويسودها النظام القبلي! ويستفاد من رواية المباهلة أن بني الحارث كان لهم دوراً بارزاً ومؤثراً في ذلك الحدث .

وقبائل حضرموت في جنوب الجزيرة على الساحل الجنوبي هي قبيلة مهرة من قضاعة وفي الشرق منها قبيلة حضرموت، وفي مالي قبيلة كندة، وفي نفس الوقت كان يعيش طوائف من حمير وهمدان في حضرموت.

وكان لقبيلة كندة ملكاً ذكر المؤلفون سبعين منهم، أولهم ثور ومرتع، ابنا عمرو بن معاوية، وآخرهم الأشعث بن قيس، أدرك ظهور الإسلام وأسلم وكان الغالب بينهم وبين حضرموت نزاع.

وقبيلة مهرة بن حيدان تسكن الأحقاف عند قبر النبي هود عليه السلام وكان جماعة منهم في مكان باسم دما يتكلمون بالفارسية ولهم عند ساحل بحر العرب سوق، يجتمعون فيه كل عام في شهرشعبان يتبادلون فيه السلع وتعرض فيه بضائع من الهند والحبشة وبلاد فارس والعرب يقال له شحر، وكان كبيرهم في صدر الإسلام مرضاوي بن سعوة المهري.

وأما قبيلة حضرموت وهم من حمير فقد كانوا داخل جزيرة العرب بين مهرة وكندة، ومنهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ويرؤسهم وائل بن حجر الحضرمي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله على أقيال هذه القبيلة ولم يكن لهم مع الفرس في صدر الإسلام علاقات .

وقبائل تهامة اليمنية كانت عند ساحل عدن إلى آخر جزء من اليمن باسم كتنبل، وكان إلى جانبهم قبائل أُخرى منهم الاشعريون، وعك في مدينة باسم زبيد وميناء الغلافقة، وكانوا يتصاهرون، فإن أُم موسى الأشعري كانت من عك.

ذكرنا هذه الأُمور ليتضح أن كل قبيلة في اليمن لها كيان مستقل ولكل قبيلة ملكها ورئيسها(اليمن في صدر الإسلام ٢٠و٩٨).

والسبب الآخر الذي يدعونا للتعرض إلى حال اليهود في اليمن هو كثيرا من المسلمين في المدينة _مؤمنين ومنافقين _من أهل اليمن، كانوا قد هاجروا إلى المدينة وصاروا يسكنون فيها، ومنهم أبو موسى الأشعري الذي كان يهودياً، وكعب الأحبار اليهودي[١].

على أن لا ننسى أن بعض قبائل اليمن مثل همدان لعبت دوراً في سبيل نشر الدين، والإلتفاف حول مقام الولاية والوفاء بالعهد.

فإن همدان على أثر نفوذ حكومة فارس وإختلاطهم مع الأبناء وحصول الروابط السببية بينهم صارت تتحلى ببعض أخلاق الإيرانيين خصوصاً في مسألة الإمامة، حيث صاروا يعتقدون نفس المعتقد، وميولهم متقاربة[٢].

---

(١) اليمن في صدر الاسلام :١٠٢.

(٢) اليمن في صدر الإسلام: ٢٠-٢٨، يذكر أن دولة فارس تسلطت قبيل ظهور الإسلام على اليمن، فقد قيل إن جماعة من أهل بلاد فارس يعضدهم سيف بن ذي يزن ملك حمير وبمعونة كسرى ملك الفرس دخلوا اليمن على أن يكون جباء اليمن للفرس، ويتزوج الفرس فيهم دون العكس، فكان ذلك التحالف والاتفاق وحصلت الروابط بين الفرس واليمنيين وصار أولاد الفرس في اليمن يعرفون بالأبناء، وبذلك بسطت بلاد فارس نفوذها على سوق اليمن حصلت على أموال طائلة، وكان جباء سوق عدن للأبناء يقوم الأبناء بتأمين الأمن، وبعد ظهور الإسلام انحصر نفوذ ايران في صنعاء وعدن.

أقول: وإذا تحرينا أسباب تمرد أهل اليمن بعد أبي بكر وهجوم جيش عمر عليهم يجب أن نعزوه إلى ميولهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام. وإليك هذا الحديث:

في كتاب الغيبة للنعماني: ٣٩:جدثنا محمد بن عبد الله بن المعمر الطبراني بطبرية سنة ثلاث و ثلاثين و ثلاثمائة و كان هذا الرجل من موالي يزيد بن معاوية و من النصاب قال: حدثني أبي قال: حدثني علي بن هاشم و الحسين بن السكن معا قالا: حدثنا عبد الرزاق بن همام قال: أخبرني أبي عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وفد على رسول الله أهل اليمن فقال النبي ﷺ جاءكم أهل اليمن يبسون بسيسا، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال قوم رقيقة قلوبهم راسخ إيمانهم و منهم المنصور يخرج في سبعين ألفا ينصر خلفي و خلف وصيي، حمائل سيوفهم المسك، فقالوا يا رسول الله و من وصيك فقال ﷺ:هو الذي أمركم الله بالاعتصام به فقال جل و عز وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرَّقُوا، فقالوا يا رسول الله :بين

ومن ناحية أُخرى فإن اليمن كانت محطّ أمل الرسول وقد أرسل النبي صلى الله عليه وآله الكتب إلى أهالي اليمن والقبائل القاطنين في جنوب الجزيرة نقلها في الوثائق[١].

وكان أبو هالة والياً على عك من نواحي اليمن يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله[٢].

وجاء في رواية أن النبي صلى الله عليه وآله أرسل علياً إلى اليمن ليصلح بين القبائل وعلمه ما يتمكن معه من إستعطافهم وتطويعهم[٣].

لنا ما هذا الحبل، فقال: هو قول الله إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ فالحبل من الله كتابه و الحبل من الناس وصيي، فقالوا يا رسول الله من وصيك ؟فقال :هو الذي أنزل الله فيه أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، فقالوا: يا رسول الله و ما جنب الله هذا، فقال: هو الذي يقول الله فيه وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا هو وصيي و السبيل إلي من بعدي، فقالوا: يا رسول الله بالذي بعثك بالحق نبيا أرناه فقد اشتقنا إليه، فقال: هو الذي جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين فإن نظرتم إليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، عرفتم أنه وصيي كما عرفتم أني نبيكم، فتخللوا الصفوف و تصفحوا الوجوه فمن أهوت إليه قلوبكم فإنه هو، لأن الله عز و جل يقول في كتابه: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ أي إليه و إلى ذريته ع، ثم قال: فقام أبو عامر الأشعري في الأشعريين و أبو غرة الخولاني في الخولانيين و ظبيان و عثمان بن قيس في بني قيس و عرنة الدوسي في الدوسيين و لاحق بن علاقة فتخللوا الصفوف و تصفحوا الوجوه و أخذوا بيد الأنزع الأصلع البطين و قالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أنتم نجبة الله حين عرفتم وصي رسول الله قبل أن تعرفوه، فبم عرفتم أنه هو؟ فرفعوا أصواتهم يبكون و يقولون: يا رسول الله نظرنا إلى القوم فلم تحن لهم قلوبنا و لما رأيناه رجفت قلوبنا ثم اطمأنت نفوسنا و انجاشت أكبادنا و هملت أعيننا و انثلجت صدورنا حتى كأنه لنا أب و نحن له بنون، فقال النبي صلى الله عليه وآله: وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أنتم منهم بالمنزلة التي سبقت لكم بها الحسنى و أنتم عن النار مبعدون، قال: فبقي هؤلاء القوم المسمون حتى شهدوا مع أمير المؤمنين ع الجمل و صفين فقتلوا بصفين رحمهم الله و كان النبي ص بشرهم بالجنة و أخبرهم أنهم يستشهدون مع علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) الوثائق : ١١٠- ١٣٠.

(٢) مكاتيب الرسول ٢ : ٤٩٩و٥٠٠.

(٣) بحار الأنوار :٤١ : ٢٥٢ و ٢٥٣ –وفي بصائرالدرجات : ٥٠٣ : عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فوجهني إلى اليمن لأصلح بينهم، فقلت : يا رسول الله إنهم قوم كثير ولهم

وفي خبر أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي فقال: يا محمد ألا أُبشرك بخبيئة لذريتك؟ فحدثه بشأن التوراة وقد وجدها رهط من أهل اليمن بين حجرين أسودين وسمّاهم له فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال لهم: كما أنتم حتى أخبركم بأسمائكم وأسماء آبائكم وأنكم وجدتم التوراة وقد جئتم بها معكم، فدفعوها له وأسلموا فوضعها النبي ﷺ عند رأسه ثم دعا الله بإسمه فأصبحت عربية ففتحها ونظر فيها ثم دفعها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال هذا ذكر لك ولذريتك من بعدي[١].

وما يليق أن نتذكر أن يهود اليمن قد دخل في الصلح مع النبي ﷺ عقيب مصالحة النصارى بعد قضية المباهلة [٢].

أصحاب الأُخدود

بعد إنتشار النصرانية في اليمن أحسّت الدولة اليهودية بالخطر، فبعث ذو نواس جيشاً إلى نجران مركز المسيحية، ودعاهم إلى اليهودية، وخيّرهم بين القتل وبين إختيارالیهودية، فأمر أن يحفر لهم خندقاً في الأرض وأضرم فيها النار، ثم جاؤا

سن وأنا شابّ حدث، فقال : يا علي إذا صرت بأعلى عقبة أفيق (قرية من حوران في طريق الغور) فناد بأعلى صوتك : يا شجر يا مدر يا ثرى محمد رسول الله ﷺ يقرؤكم السلام، قال : فذهبت فلما صرت بأعلى العقبة أشرفت على أهل اليمن فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوي، مشرعون رماحهم، مستوون أسنتهم، متنكبون قسيهم، شاهرون سلاحهم، فناديت بأعلى صوتي : يا شجر يا مدر يا ثرى محمد رسول الله ﷺ يقرؤكم السلام، قال : فلم تبق شجرة ولا مدرة ولا ثرى إلا ارتجت بصوت واحد : وعلى محمّد رسول الله ﷺ و عليك السلام، فاضطربت قوائم القوم وارتعدت ركبهم ووقع السلاح من أيديهم وأقبلوا إليَّ مسرعين فأصلحت بينهم وانصرفت.ومثله جاء في تفسير الامام الحسن العسكري :٦٠٠.

(١) بحار الأنوار ٤٠ : ١٧٠.- أمالي الشيخ الطوسي :١٧٨، وفي بصائر الدرجات:١٦١ هذه امانات من يوشع وصي موسى، و كذا في المناقب لإبن شهر آشوب ٢: ٢٥١ .

(٢) اليمن في صدر الإسلام : ١٨٧.

بالأسرى فصار كل من يمتنع عن قبول اليهودية يلقى في تلك النار في حضور الملك وأعوانه.

إختلفت الأخبار في عدد القتلى يومها، أكثر ما نقل أنه قتل يومها عشرون ألفاً، ولكن في ترنيمة ليوحنا المنقولة من اليونانية إلى السريانية أن عدد القتلى يربو على المائتين، وهو قريب من المعقول[١]، والتاريخ يذكر ستّ وقائع كمصداق لهذا الخبر وفي قرون مختلفة، أعني خبر إلقاء جماعة في الأُخدود الذي أُضرمت فيه النار. وقيل إن القرآن أخبر عن هذه الحادثة الأليمة، فقد جاء في سورة البروج: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

فقد ذكرالطبري الامامي الصغير في مقدمة كتابه نوادر المعجزات أن هذه الآيات أشارت الى ما جرى على نبي من أنبياء بني اسرائيل بيد جبّار زمانه.[٢]

---

(١)- العلاقات : ١٣٥.

(٢)- نوادر المعجزات : ٧٩

الكلام الثالث

تواجد اليهود في مكة المكرمة

جاء في الكتاب المقدس في صحيفة أخبار الأيام أن أول المهاجرين إلى البلاد العربية هم بطون بني شمعون، حيث ذهبوا إلى طور سيناء، فنزلوا فيها على بطون معون واختلطوا معهم حتى قوت شوكتهم وغلبوا عليهم، وقال المستشرقون إن بلاد معون بين مكة والمدينة مركزها يسمى قزما، وكان لحضارة معون شوكة وعظمة مدهشة[١].

وذكر المستشرق دوزي في كتابه بنو إسرائيل في مكة أن بني شمعون توجهوا إلى مكة قبل زمان داود الملك، يعني ألف سنة قبل الميلاد تقريباً ولكن يرى البعض أن هذه الهجرة كانت في زمان الملك حزقيا الذي كان حاكماً ليهوذا بين عام ٧١٧ ق.م إلى ٦٩٠ ق.م يعني سبعمائة سنة قبل الميلاد [٢].

ولم ينقل المؤرخون أخباراً موثقة حول تواجد اليهود في مكة بشكل دائم ومستمر كالذي نقلوه عن تواجدهم الدائم في يثرب، ويرى المحققون في ذلك دليلاً على أن اليهود لم يسكنوا مكة بشكل طائفة أو قبيلة مستقلة، و ما تواجدهم فيها إلا بشكل فردي لقلة عددهم ولذا تردد ولفنسون في وجود حي من اليهود الساكن في مكة وقال: ان اليهود لو وجدوا في مكة قبل الإسلام لكان لهم حيّ خاص بهم ولكان لهم معبد يقيمون فيه طقوسهم الدينيه [٣].

و على الرغم من إعتقاد ولنفسون بأن الإسلام نابع من تعاليم اليهود و هو قائل بأن الآيات التي نزلت قبل الهجرة أكثر مطابقة للتوراة، ويعتبره دليلاً على أن العرب كانوا ينظرون للتوراة بعين الاحترام، ويذهب أيضاً إلى وجود توافق

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٦، أخبار الأيام :الفصل ٤ الآية ٣٨ _ ٤٣.

(٢) العلاقات : ١٠٢، ١٠٣.

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٩٤، العلاقات : ١١١.

بين عادات اليهود وأخلاقهم وبين عادات المكيين وأخلاقهم، وشاهده على ذلك المكانة التي كان يحظى بها إبن الهيبان وحضوره في عملية الإستسقاء، فإن كل ذلك دليل على احترام أهل الكتاب في مكة[١]، ومن الواضح أن تلك الآثار لا تكون بدون وجود مناسبة ومعاشرة بين الطرفين.

ومع كل ذلك فإن مكة لم تخلو من اليهود، وكان أهم ما يحفزهم لإختيارها المكانة التجارية التي تحظى بها وسيول الزائرين التي كانت تقصدها في أوقات مختلفة من السّنة يصاحبها حركة إقتصادية عظيمة، لليهود منها نصيب ملحوظ، حتى نقلوا أن اليهود كانوا يقيمون سوقاً خاصاً بهم وبإسمهم ليكون لهم الإمتياز الأكبر في ذلك المكان التجاري[٢].

قال صاحب كتاب العلاقات في هذا الصدد : هناك قرائن عن إرتباط اليهود بالمكّيين وحتى وصلنا بعض الأخبار عن سكنى اليهود مكة للتجارة، ولكن مع كل ذلك لا يمكن البتّ بوجود طائفة من اليهود في مكة يكون لوجودهم أثر ظاهر و إلا لذكر القرآن أعمالهم ورسومهم كما تناول يهود المدينة وأعمالهم[٣].

والذي يعتقده المحققون هو شدّ اليهود الرحال إلى مكة في موسم الحجّ يحملون أمتعتهم وسلعهم يبيعونها ويتقابضون عليها ثم يرجعون إلى محالهم.

وأما حال الكعبة عندهم، أنهم كانوا يعظّمون الكعبة وطوافها، وكانوا يقصدونها ويطوفون بها ولكن باعتقادي القاصر لم يكن مجيئهم بقصد الحجّ قرب صدر الاسلام، وقال الأزرقي في أخبار مكة أن نساء اليهود إذا مروا على مقربة

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٩٩، يجب الالتفات إلى أن ولفنسون لم يأخذ في حساباته أن تعاليم الأنبياء تنبع من منبع واحد، وأن سنة إبراهيم تتشابه مع سنة موسى، فقد ظل ذلك الشبه على رغم التحريف و الخرافات التي ابتدعها المشركون طوال القرون، حتى قيل إن سفر التكوين هو صحف إبراهيم في الحقيقة.

(٢) العلاقات : ١١١.

(٣) العلاقات : ١١١.

من البيت خلعوا أحذيتهن ونعالهن، ويقلن إقتربنا من وادي طوى[١]، ولعله مجرد تشبيه مكة من حيث القداسة بوادي طوى الذي كان فيه موسى عليه السلام فخوطب: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[٢]، وهذا ما يدل على أن هؤلاء النسوة كن يسكنّ في أطراف مكة وحواليها حتى يتكرر مرورهن عليها[٣].

بعدما إطلعنا على جانب من كلام المحققين في هذا المجال نلفت أنظاركم إلى عدة أخبار تحكي عن تواجد اليهود في مكة. منها: الأخبار الواردة في محاولة اليهود لقتل عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول صلى الله عليه وآله، ومنها: خبر تدبيرهم لقتل الرسول حين ولادته بواسطة إمرأة يهودية دبر ذلك كبار اليهود ونقلوا ذلك في كتب السيرة[٤]، وجاء التصريح بإسم يوسف اليهودي، بعنوان أنه حبر من أحبار اليهود الساكن بمكة، لاحظ ليلة ولادة النبي صلى الله عليه وآله توالي الشهب وكان يرى أنها علامة على حدث هام جداً.

وبعدما فتش عن ذلك إطلع على ولادة الرسول و أطلع الآخرين على عظم شأنه ومنزلته صلى الله عليه وآله [٥]، فهذه الأخبار تدل على تواجد اليهود في مكة.

---

(١) جغرافية التوراة : ٥٨.

(٢) طه : ١٢.

(٣) جغرافية التوراة: ٥٩ يقول: أن علماء المصريات يفسرون كلمة «طوى » بأنها تعني: يصلي ويسبح ويوقر، ويتوسل ويتضرع والنتيجة يقدس .

(٤) تقدم الكلام في ذلك في بحث عداء اليهود لأجداد النبي صلى الله عليه وآله.

(٥) البحار١٥: ٢٧٠، تقدم سرد هذه الرواية بتفاوت: كان بمكة يهودي يقال له يوسف فلما رأى النجوم يقذف بها وتتحرك قال: هذا نبي قد ولد في هذه الليلة وهو الذي نجده في كتبنا أنه إذا ولد وهو آخر الأنبياء رجمت الشياطين وحجبوا عن السماء فلما أصبح جاء إلى نادي قريش وقال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ قالوا: لا، قال: أخطأكم والتوراة، ولد إذا بفلسطين وهو آخر الأنبياء وأفضلهم .فتفرق القوم .فلما رجعوا إلى منازلهم أخبر كل رجل أهله بما قال اليهودي . فقالوا لقد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن في هذه الليلة فأخبروا بذلك يوسف اليهودي فقال قبل أن أسألكم أو بعده فقالوا قبل ذلك قال فاعرضوه عليّ، فمشوا إلى باب آمنة فقالوا أخرجي

وكذا خبر رجوع خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله إلى حبر يهودي باسم يوسف وذكرت له أحوال الرسول الكريم أيام البعثة، يحكي عن سكنى عالم يهودي بمكة، ولعله نفس يوسف المذكور في الخبر السابق، على الرغم من فصل ٤٠ عاماً بين القصتين.

وجاء في كتب المغازي ذكر عبد يهودي بإسم عبد الدار بن حبر(جبر) وأنه بعدما سمع سورة يوسف من الرسول صلى الله عليه وآله دخل مكة وصار في ضمان رسول الله صلى الله عليه وآله [١].

ورغم كل تلك الأوصاف يبقى في النفس هذا السؤال، هل كان في مكة يهودي يعيش مع القرشيين بسلام أم لا؟ وأنَّ علم قريش بأخبار الأُمم السابقة وخصوصاً بني إسرائيل هل كان عن طريق أهل الكتاب ومعاشرتهم، فنذعن بقضية تواجدهم في مكة[٢]؟وللحصول على هذا الجوابّ وكشف القناع عن هذه الحقيقة ناسب الرجوع إلى القرآن المجيد وملاحظة السور والآيات المكية.

ابنك ينظر إليه هذا اليهودي فأخرجته في قماطة فنظر في عينيه وكشف عن كتفيه فرأى شامة سوداء بين كتفيه عليها شعرات فلما نظر إليه وقع إلى الأرض مغشياً عليه فتعجبت منه قريش وضحكوا فقال أتضحكون يا معشر قريش هذا نبي السيف ليبيرنكم وقد ذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد وتفرق الناس يتحدثون بما أخبر اليهودي.

(١) العلاقات: ١١١، تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٠٦.

(٢) اقول:لم يهتم البعض بتواجد اليهود في مكة وعدمه لعدم وجود أي واقعة تلفت الأنظار ترتبط بتواجدهم، فتركوا التعرض لذلك، ولكن الذي يدعونا إلى التأمل هو نزول أكثر قصص بني إسرائيل من القرآن في مكة، فما الداعي إلى ذلك وما هي الأرضية التي مهدت كل ذلك الإهتمام بقصصهم؟ هل هي القصص التي كان يقرأها اليهود على الناس من كتب السابقين، أو أن أهل مكة كانوا يسألون عن ذلك على الدوام، أو أن سيرتهم كان مثل سيرة بني اسرائيل واليهود؟ فمن الطبيعي لا يمكن التزام انحصار مصادر العرب وطرق علمهم بكتب اليهود، فإن مثل عاد وثمود وإبراهيم وشعيب حلّوا في هذه الأرض ووصلت قصصهم وأخبارهم إلى كل نسل عن سابقة، والقرآن صرح في بعض الآيات حصول ما أصاب الأُمم السابقة بمرأى ومنظر من أهل مكة، ويرى البعض أن سفر التكوين هو نفس صحف إبراهيم، ولكن ينبغي الإذعان بأن أكثر

ففي القرآن آيات كثيرة تتكلم عن النبي موسى عليه السلام وعما جرى على أهل الكتاب، وإذا تأملنا في ذلك نجد أن أكثر الآيات التي تتكلم عن بني إسرائيل

معلومات العرب كانت من طريق أهل الكتاب ومخالطتهم، ومن ناحية ثانية فإن أكثر من نصف الآيات المكية ترتبط بأهل الكتاب والأنبياء السابقين، ونجد أن القرآن على رغم الاختصار الموجود فيه، استطاع أن يسلط الضوء على انحرافات أهل الكتاب ويصلح مزائفهم ولكن يصعب تصور كل ذلك الإهتمام من دون وجود الأرضية المناسبة ومن دون اقتضاء الزمان والمكان والمجتمع والثقافة لذلك، ولا يمكن مع غيره توجيه بلاغة القرآن، ولذلك فنحن نجزم أن التفات أذهان المكيين إلى تلك الأُمور المطروحة في القرآن له خلفياته ومناسبته.

ونحن إذ توصلنا إلى أن أهم وسيلة تربط اليهود والمكيين هي التجارة، صار من المناسب أن نطرح سؤالاً آخر، وهو كيف يمكن تصور الصلات الحسنة بين اليهود الذين يقال أنهم موحدون، وبين العرب على أنهم عبدة الأصنام؟ وفي مقام الجواب على ذلك السؤال لابد من ملاحظة أربعة أُمور:

الأول: عدم وجود الرغبة عند اليهود لدعوة غير بني إسرائيل إلى اليهودية ولذا فقد كان الجانب التبشيري عندهم في القرنين قبل الإسلام ضعيفاً للغاية، وخصوصاً في الجزيرة العربية، ويقتصر تبليغهم على حدود الكنيسة وفي الأماكن التي يقطنها اليهود، ولذلك صار من الهيّن على اليهود المعايشة مع عبدة الأصنام لأنهم لم يكونوا في صدد هدايتهم.

الثاني: لم يكن اليهود بمستوى من التدين بحيث يدعوهم إلى التورع، بل إن الانتفاع من الآخرين هو أحد وظائفهم الدينية، ولذا نجد أن اليهود في المدينة كانوا يتصاهرون مع العرب وبينهم روابط عائلية و يتناكحون.

الثالث: المنافع الاقتصادية والمبادلات التجارية كانت أكثرها مع العرب، فكان يحق لهم عقد معاملات ربوية معهم، الأمر الذي كان محظوراً عليهم بالنسبة إلى أهل ديانتهم، فكانت أموال الكثير من العرب تتصادر من أجل التأخير في دفع الديون، أو كان بتضاعف الأرباح يتملك دارهم وأثاثهم.

الرابع: يبدو عدم وجود حظر شرعي على المعاملة مع عبدة الأصنام عند اليهود، ولذلك كانت الروابط بين اليهود والعرب بحد من الوثاقة بحيث لما جاء الأمر بقطع الروابط مع اليهود والنصارى أصاب بعض حديثي الإسلام الذعر جراء المخاوف من كساد تجارتهم واختلال أوضاعهم المعيشية، بحيث جاءت الإشارة إلى ذلك في القرآن، وأمرهم بالتوكل على الله سبحانه وتعالى.

نزلت في مكة مما يحكي عن وجود أرضية لبيان تلك القصص، ومن المحتمل جداً أن يكون المخاطب الأول بها هم أهل الكتاب أنفسهم، والأغلب هم اليهود[١]، الذين كانت لهم روابط حسنة مع المكيين. فقد قال ولفنسون في مجال تأييد وجود تلك الروابط: إن بعض المستشرقين يذهب إلى أن أهل مكة واليهود من قماش واحد، وما نزول ثلث القرآن في شأن اليهود إلا لتأثر عرب مكة والمدينة الشديد بالتعاليم اليهودية[٢]، ويظهر جلياً من كلام المستشرق دوزي وثاقة تلك الروابط بحيث يرى أن إحترام الحرم ومناسك الحج هي في الواقع من موروثات بني إسرائيل وبني شمعون.

ولكن ولنفسون صحّح كلامه بعد ذلك وقال: إن إحترام الحرم ومناسك الحج من موروثات إبراهيم الخليل عليه السلام. ولكن في نفس الوقت يمكن عد هذا الكلام علامة على وجود أواصر تربط بين أهل الكتاب وأهل مكة، وهو يؤيد حج اليهود في السابق حجاً إبراهيمياً، وقد تعرض في كتاب تاريخ الكعبة إلى حج اليهود[٣].

---

(١) من المتفق عليه أن النصارى كانوا في مكة قليلين جداً. وأكثراهل الكتاب هم اليهود.
وكلام صابر طعيمة في كتابه بنو اسرائيل، ص١٢٠ هنا له فائدة:
فقد قال:واذا اردنا ان نحصر بني اسرائيل في القران لابد لنا ان نراجع الى كل القران،
فقد كرر لفظ اسرائيل في القرآن مرتين ولكن كررت عبارة بني اسرائيل احدى واربعين مرة.
اما يعقوب عليه السلام فكرر ٤١ مرة وآل يعقوب مرتين. واما اسحق عليه السلام والد يعقوب ١٧ مرة
واما ابراهيم واسماعيل ٦٩مرة و يوسف ٣٧مرة.
واما موسى ١٣٦مرة (منها ٢٧ مرة في مكة و١٠٩ مرة في المدينة) وهارون٢٠ مرة وعيسى ٢٥مرة ومريم ٣٤مرة وقد تكرر في القران لفظ اهل الكتاب ٣١مرة ولفظ اليهود ٩مرات وكلمة التوراة ١٨ مرة والانجيل ١٢مرة ولفظ النصارى ١٥مرة .هذا غير ما ذكر عن داود وسليمان وزكريا ويحيى وغيرهم من اصل بني اسرائيل.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٩٦.

(٣) تاريخ الكعبة: ١١٠.

الآيات القرآنية الدالّة على وجود اليهود في مكة:

وأنا بدوري قمت بجمع الآيات النازلة في أهل الكتاب باعتقاد مفسري الشيعة، وقمت بتصنيفها على أساس محل نزولها، مكية ومدنية، فكان مما جاء في السور المكية هو تواجد اليهود الفاعل في مكة، سواء كانوا مقيمين أو كانوا يقدمون إليها بشكل ملحوظ وقد وقفوا بوجه الرسول صلى الله عليه وآله وأبوا عن قبول دعوته ودارت بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وآله مناقشات وأسئلة وأجوبة، ثم صاروا في صدد محاربته وبدرت منهم بعض التحركات، وذلك لتكرر تقريعهم في القرآن بينما صار يمدح اولئك الذين أبدوا علاقة بالرسول أو قبلوا دعوته من بينهم.

وبناء على ما بينه المفسرون في شأن نزول بعض الآيات، فإنهم ذكروا أن بعض الآيات وحتى بعض السور جاء جواباً على أسئلة اليهود من الرسول صلى الله عليه وآله ومع الالتفات إلى كونها سور مكية فإن تواجدهم في مكة مما لا يمكن إنكاره، بالإضافة إلى أن بعض الآيات عبّرت بـ ﴿**يا أهل الكتاب**﴾ و ﴿**يا بني إسرائيل**﴾ مما يدلّ بوضوح على تواجد اليهود في مكة،

وفي ظل هذا العنوان نلقي نظرة عابرة على آيات السور المكية المشعرة بوجود أهل الكتاب واليهود في مكة المكرمة، (على انتظام ما نقل في ترتيب نزولها في أحاديثنا) لكي تتبين العلاقة التي كانت بين الرسول وبين اليهود في الفترة التي كان فيها الرسول صلى الله عليه وآله يبلّغ الرسالة في مكة.

قال تعالى في **سورة المدثر** بعد تعريف سقر وجهنم التي هي مأوى المستكبرين:

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾.

فإن الكلام عن أهل الكتاب في أول البعثة عند نزول آيات رابع سورة من القرآن والحديث عن عدد ملاك النار يعني عدد تسعة عشر الذي يتيقن به أهل الكتاب بأن هذه الآيات نازلة من قبل الله سبحانه وتعالى، لأن هذا العدد معروف ومعلوم عندهم على نحو يورث عند أهل الكتاب العلم اليقيني بأن القرآن أخبر عن غيب وقد أفشى هذه الحالة القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ﴾ و﴿ وَلَا يَرْتَابَ ﴾ والمشار اليهم في الآية ليسوا الا أهل الكتاب الموجودين في مكة، وهذا يدل على تواجدهم هناك.

وفي **سورة الإخلاص**، قيل: جاءت جواباً على يهودي طلب من الرسول ﷺ أن يصف ربه، والظريف أن هذه السورة ترد على النظريات غير التوحيدية للمجوس واليهود والنصارى، فإن كلمة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ هي رد على الثنوية، و﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ ردّ على إبنيَّة عزير وعيسى، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ نفي للتشبيه بالمرة[1].

وفي **سورة النجم** من قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ إلى آخر السورة ما يقرب من ٢٨ آية يستفاد منها أن تلك المعاني كانت في الكتب السماوية السابقة، وهو يسأل بسبيل التعجب، أليس يبلغهم ما في صحف إبراهيم وموسى؟ فهو استفهام تقريري بمعنى أنه بلغهم ذلك. ومن الواضح فإن فرض وقوفهم على ما في صحف إبراهيم وموسى لا يكون إلا ممن له علاقة ورجوع إلى تلك الكتب، وأهل الكتاب اولى بذلك من المشركين وعبدة الأصنام.

---

(١) البحار٣: ٣٢٥، التوحيد: ابن الوليد عن محمد العطار عن الأشعري عن الميثمي عن صفوان بن يحيى عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن اليهود سألوا رسول الله ﷺ فقالوا إنسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم، ثم نزلت هذه السورة إلى آخرها؛ فقلت ما الصمد فقال الذي ليس بمجوف.

وفي **سورة الأعراف** بعد الشروع في بيان قصة موسى عليه السلام يستمر إلى سبعين آية يفصل قصة رسالته ولقائه بفرعون، ويستمر إلى عبور البحر ومنه إلى قضية العجل وحديث الميقات بالتفصيل المذكور، فإن هناك نقطة مهمة تتمثل في الوصية بالإيمان برسول الإسلام المكرم _ بناء على بعض القراءات _ هي بحاجة إلى عناية خاصة - وقد نقل القرآن كلام موسى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف ١٥٥ إلى ١٥٩.

ففي هذه الآيات نجد أن الدعوة تتوجه إلى جميع العالم للإيمان بالنبي الكريم، وتحصر الهداية الواقعية بمتابعة ذلك النبي، وتمدح أتباع النبي موسى الذين آمنوا بالنبي الخاتم من قبل، وتتجلى في هذه الآيات مخاطبة أهل مكة بما فيهم اليهود بشكل واضح.

ثم إن قوله ﴿... وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ..﴾ يفسر ذلك و لا وجه لتفسيره بإيمان عبد الله بن سلام وأمثاله كما قال بعض المفسرين مع الإلتفات إلى زمان نزول هذه السورة، وكونها مكية، لأن الأكثر يذهبون إلى أنه أسلم في المدينة إلا أن نلتزم بنزول خصوص هذه الآية في المدينة وهذا مخالف لسياق الايات.

وفي الآية ١٨٧ من هذه السورة جواب على جماعة اليهود الذين سألوا الرسول ﷺ في مكة عن القيامة، فهو دليل على تواجدهم فيها.

وفي **سورة طه** من آية ٩ إلى آية ٩٩ يعني تسعين آية حول قصة موسى و بني إسرائيل بتفصيل أكثر من سابقه، نجد خطاب يا بني إسرائيل من لسان الرسول ﷺ ولا يمكن عدّه من كلام موسى، لأنه لا يتم له معنى، وبذلك يكون هذا الخطاب من النبي دليل على أن مخاطبي الرسول ﷺ هم أهل الكتاب الموجودين في مكة.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ** ﴾.

هل المراد من البيّنة إسم الرسول ورسمه، وهل هو الوعد بظهور المنجي في آخر الزمان؟ او الإنذار بعذاب من عنده كما نزل على السابقين.

فما علاقة الصحف الأُولى بأهل مكة؟ إلا أن يكون المخاطبون بالآية من أهل تلك الصحف، والمجموع المكور من هذه الدلائل يورث الإطمئنان بأن طائفة من سكّان مكة ومن مخاطبي الرسول هم أهل الكتاب.

ومن الملفت للنظر أن إطلاع أهل مكة على تعاليم موسى عليه السلام أكثر مما كنا نتصور وأكثر مما يذكره المؤرخون.

وفي **سورة الشعراء** من أول السورة إلى آية ٦٠، يتكلم عن موسى عليه السلام وبني إسرائيل وجاء في آخر السورة أيضاً الآيات ١٩٢ إلى ١٩٧: ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴾.

يظهر من هذه الآيات بجلاء أن مضمون القرآن أو ذكره على الأقل كان في كتب الأولين ويعلم ذلك جيداً علماء بني إسرائيل، وهو دليل على أحقية القرآن ورسول الله، فمن الواضح أنه كان هناك علاقة ثقافية بين أهل مكة وأهل الكتاب وكان هناك تعايش وحشر مع علماء بني إسرائيل وقفوا من خلاله على تلك الأُمور.

وفي **سورة النمل** بعد بيان قصص بعض الأنبياء العظام يقول: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [1].

يتضح من هذه الآيات أن هذه القصص كانت تقرأ على طائفة من بني إسرائيل، نعم فإن اليهود كانوا في مكة وقد جابهوا الرسول، لأن النصارى في مكة كانوا قليلين جداً.

ومتى ما سلمنا أن طائفة من سكان مكة هم من أهل الكتاب وهم ممن خاطبهم القرآن فإن الخطابات في الآيات المكية كما يشمل المشركين يشمل اليهود أيضاً، فإذا تأملنا في هذه الآيات ولاحظنا وحدة السياق يتضح أن جماعة من أهل الكتاب في زمرة المنكرين للقيامة(ولعلهم من فرقة الصدوقين) وكان يشملهم تقريع القرآن، وفي النتيجة أن بعض اليهود كانوا من منكري القيامة وكانوا من المشركين بالله تعالى، وقد أخذوا بمجابهة الرسول في مكة وسببوا حزن الرسول، ومن الواضح أن هناك آيات أُخرى في القرآن أوضح تدل على شرك اليهود،

---

(١) النمل: ٧٦.

اكتفينا هنا بالإشارة إلى ذلك ولا يمكننا ذكر جميع الآيات، فلذلك يسعنا أن نقول:حينما يكون الكلام عن أنبياء بني إسرائيل وقصصهم الشامل لأكثر السور، فإن المخاطب الأول هم بنو إسرائيل والأولى هم اليهود خاصة.

وفي سورة القصص التي تبدأ ببيان قصة موسى عليه السلام وفرعون، هناك قرائن كثيرة دالة على أن الكلام مع أهل الكتاب ولم تُستثن هذه الآيات من الآيات المكية، ولكن الآيات ٤٧-٥١: ﴿ **وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾**.

فإن في هذه الآيات إنكار على من كفر بما أوتي موسى كليم الله عليه السلام وعلى من طالب النبي ﷺ بكتابٍ ككتاب موسى، ونحن نعلم أن قريشاً لم يكونوا مطالبين بقبول دين موسى وما أوتي به حتى يقال إنهم كفروابه، ولذا فمن المحتمل قوياً أن الكلام عن أهل الكتاب الذين كفروا ببعض ما أنزل على موسى عليه السلام.

ويشهد لذلك أن في آية ٥٢ من هذه السورة يمدح المؤمنين من أهل الكتاب وأنّ لهم أجرين، لأنهم آمنوا بما أوتي موسى وآمنوا بالنبي الخاتم وما أنزل عليه وتحملوا أذى قومهم في إسلامهم وصارت تجارتهم مهددة :﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ**

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾. فهؤلاء النفر آمنوا بالرسول والقرآن على أساس البشائر التي وصلتهم، فإن لحن الآية يعطي كونها مكّية ويصاحبها ظروف التقية والصمت.

وأما الآيات التي تليها، حكت عن هذه الجماعة لوحدة السياق: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

فكان بعض أهل مكة ومن بينهم أهل الكتاب يخشون فقدان مشاغلهم إذا آمنوا ويخافون المقاطعة وتدهور أُمورهم الإقتصادية، ولذلك نجد القرآن يعلنها ولعل هذه الآية من أوضح الآيات التي يمكن الاستدلال بها على تواجد أهل الكتاب في مكة المعظمة، لأنها تتكلم عن أمنية مكة وكذا عن ساكنيها فإن وحدة السياق تقضي بذلك، ولكن لما لا يمكننا تحديد زمان نزول الآيات بالدقة، لا يمكن البت في شيء من ذلك، فلعل تلك الآية نزلت في أواخر الهجرة بعد فتح مكة.

ولعل الإختلاف الطبقي الحاكم في مكة وميل الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولّدَ حالة تشبه الحالة التي كان عليها قوم موسى عليه السلام حينما شاهدوا قارون وثروته وقالوا ما قالوا، فلما خسف به وبداره وكنوزه الأرض رضوا بما هم عليه من الفقر، يذكر القرآن ذلك لأهل مكة ولأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله (الآيات ٧٦-٨٤)، فكان قرينة على دخول أهل الكتاب في زمرة المخاطبين.

وفي سورة الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقد قيل إن جماعة من قريش (عتبة بن أبي معيط

وشخصين آخرين) خرجوا إلى المدينة ليتعلموا من أحبار يهود بعض الأسئلة المحرجة ليسألوا عنها النبي ﷺ يمتحنونه، فذكروا لهم ثلاث أسئلة وقالوا إذا أجاب عنها فهو نبي[1]، وأحد تلك الأسئلة السؤال عن الروح التي أجاب عنه القرآن بأنها «من أمر الله»، وكانوا يعلمون جواب تلك المسائل بواسطة كتبهم.

ويمكن أن يقال أن هذه الآية مع الإلتفات إلى شأن نزولها قرينة على عدم وجود عالم أو حبر يهودي يرجع إليه في المسائل، ولكن قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ ،فإن كلمة فاسئل تشعر بوجود عالم من علماء بني إسرائيل يمكن السؤال منه إلا أن يثبت كون الآية مدنية.

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ إذا كانت هذه الآيات قدنزلت في مكة فهي دليل على أن جماعة من أهل الكتاب، آمنوا عند سماع الآيات و خضعوا وإستكانوا لذلك وقاموا بالإقرار بالوعد الالهي الذي هو بعثة نبي آخرالزمان وقالوا: سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ومن الممكن أنه إشارة الى الوعد بيوم القيامة الذي صدقوا بمجيئه كما قيل، ولكن في كل الاحوال إن هذه السورة مكّية جاء فيها الكلام عن اهل الكتاب.

وفي سورة يونس: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

---

(١) سيرة ابن إسحاق: ٢٣٨.

فمن الواضح أن الرسول لم يك في شك مما انزل اليه ولم يك من الممترين ولكن الله اراد أن يبين أن اهل الكتاب ليعلمون أن القرآن منزّل من عندالله، وأن المكذبين والممترين هم الخاسرون حقاً، فإن بيان قصة موسى وبني إسرائيل في هذه السورة(الآيات ٧٥-٩٣) وخطاب فاسأل في هذه الآية(٩٤)لدليل على أن المخاطب بهذه الآية هم أهل الكتاب، وأنهم كانوا يتواجدون في مكة.

وفي سوره هود: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ المراد بكلمة «شاهد منه» هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، فإن كتاب موسى عليه السلام قبله يشهد بحقانية رسول الله وهو أفضل دليل على تبشير التوراة وعلى مقام أمير المؤمنين الشامخ، حيث يصفه الله تعالى بالإمامة والرحمة. والسؤال الذي يطرح نفسه هو أن شهادة كتاب موسى برسالة الخاتم لمن كانت وما علاقتها بأهل مكة؟ هل يحق لنا أن نقول أن اليهود كانوا موجودين في مكة؟

وفي سورة **الأنعام** نزل في مقام الإجابة على المستهزئين من الكفار الذين يقولون إذا كان محمد صادقاً لنزل عليه قرطاس مكتوب من السماء، فهذه الآيات: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾.

دلّت على أن أهل الكتاب كانوا يستهزؤن بالرسول والدين الجديد، مع أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و أيقنوا أنه رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يؤمنوا به وكانوا يفترون على الله وصاروا من جملة الخاسرين، ومن الواضح أن هذا الكلام دليل على تواجدهم في مكة.

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

ومن هذه الآيات يعلم أيضاً أن أهل الكتاب المقيمين في مكة كانوا في زمرة الذين يؤذون رسول الله، فصار سبب حزن الرسول وتأثره عليهم.

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

من قوله تعالى: تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا... يعلم أن المخاطب بالقرآن هم أهل الكتاب وهم الذين إستكبروا وأنكروا الرسالة، وتخفون كثيراً من الآيات.

ولابد من إلقاء نظرة على الآيات السابقة واللاحقة لأجل ملاحظة ما يقتضيه السياق وإتصال المطالب والتدقيق في ذلك والقصد هنا هو الإختصار[1] وكذا آية : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾،

تشعر بأن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن مُنزّل من عند الله وأنه كتاب سماوي فلابد أنهم كانوا موجودين في مكة، كما جاء في سورة يونس .

ولم ينزل في مكة من القوانين الفقهية والفرعية على لسان الوحي كما نزل في المدينة، ولكن جاء في هذا الموضع من السورة ما يثبت عدة أحكام فرعية وينفي عدة أحكام مبتدعة من قبل اليهود.

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

---

(١) – قال الشيخ الطوسي في التبيان إن هذه الايات ٩١– ٩٣ ، مدنية وعلى قول آخر الآيتان الاوليتان مدنيتان (التبيان ٤: ٧٥ وسعد السعود: ٤٤٩)،وعلى هذا لا يصح الاستدلال بها في المقام، ولكن على رأى من لم يستثنها من المكيّة وأن السورة نزلت جملة واحدة وبملاحظة وحدة السياق واتصال الآيات مع قبلها وبعدها ، يصح.

يظهر من هذه الآيات أن حكم اللحوم كان قد بين لأهل الكتاب في كتبهم، ولكنهم انكروا ذلك وكذبوا الرسول ﷺ والله يقول إذا كذبوك فقل إن ربكم صاحب الرحمة، وصاحب بأس للمجرمين. والمهم هو السؤال عن ماهية المكذبين في هذه الآيات ومن هم القوم المجرمون فيها ؟ هل إن قريش كذبت الرسول في ذلك ؟ و من هم الذين أشركوا بحسب سياق الآيات ؟ أليسوا هم اليهود ؟و لابد من التدقيق في الآية ١٥٥ من هو المخاطب بتلك الآية[1]. وكذا الآيات التالية :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ

---

(١) قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

يبدو أن نزول هذه الآيات إذا كان قبل الهجرة فمن عساه يكون المخاطب بها؟ ليسوا هم المسلمون كما هو واضح، لأنهم لم يتفرقوا بعد[1]، ونحن نعلم أنه لم يكن بين عبدة الأصنام فِرَق ولم يكن بينهم تحزب ديني يستحق الذكر ولا محيص عن كون الخطاب لأهل الكتاب، وإنما أراد الله سبحانه العتاب على تفرقهم وإختلافهم و ردّ اليهودية والرسول الذي على ملّة إبراهيم ليس منهم عليه شي، انما أمرهم إلى الله : ﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ .

وجاء التعبير في هذه السورة عن اليهود بـ«**الذين هادوا**» وهذه أول مرة يجيء فيها التعبير بذلك عن أتباع موسى عليه السلام في السور المكية، ومن الواضح فإن المراد اولئك الذين جاؤا بعد موسى وأدخلوا في دينه البدع .

وفي سورة سبأ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ قيل إنها مدنية ، فإذا كانت الآية مكية والمراد بالذين أوتوا العلم هم أهل الكتاب _ ولو لم ينحصر بهم _ كان من المناسب أن نسأل أين كانوا حينها بحيث كانوا يتأملون في الآيات ويرونها حقاً ؟.

نعم فإن ملاحظة الآيات بحسب ترتيب النزول يلهمنا ما لا يمكن الحصول عليه من خلال نظرة عابرة متفرقة، فلابد من التأمل والسؤال عن سبب كثرة التعرض لقصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب في هذه السور وأكثر منها قصص موسى عليه السلام وبعض أنبياء بني إسرائيل، من هم المخاطبون وما هي عقائدهم وماذا كان حديثهم وأي أجواء ذهنية تحكمهم وما كانوا يتوقعون من الرسول وما هي أسئلتهم ومن أين جاؤا بها ؟

---

(١) على قراءة فرّقوا ولكن على قراءة فارقوا على ما ورد في أحاديثنا فهي شامل لكل من فارقوا عن اهل البيت عليهم السلام.

وفي سورة الأحقاف: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فالمراد بالكتاب بحسب الروايات هو التوراة والإنجيل، فهل يصح مطالبة قريش المشركة بارائة كتاب مثل التوراة أو الصحيح مطالبة أهل الكتاب بذلك[1].

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ [2] وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ قيل إن آية الاولى فقط نزلت في المدينة و في شان عبدالله بن سلام الذي أسلم في احتمال قوي بالمدينة و على قول انها مكية فمن هذا الشاهد

---

(١) بحار الأنوار٢٤: ٢١٣ عن بصائر الدرجات ـ صالح عن الحسن عمن رواه عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إنما عني بذلك علم الأوصياء والأنبياء إن كنتم صادقين.

وفي الكافي ١: ٤٢٦ـ محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن أبي عبيدة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل إئتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم قال عني بالكتاب التوراة والإنجيل وأما الأثارة من العلم فإنما عني بذلك علم أوصياء الأنبياء.

وقال الطبرسي في المجمع ٩ :٨٢ في تفسيرهذه الآية أو أثارة من علم أي بقية من العلم يؤثر من كتب الأولين. هل تعلمون بها أنهم شركاء الله...

(٢) في روآية انها نزلت في اسلام عبدالله بن سلام (الميزان ١٨: ١٩٨)وقال الطبرسي على قول قيل.

من بني إسرائيل بحيث يشهد في مكة، ؟ لاحظ أن القرآن يذكر كتاب موسى بالعظمة دائماً.

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ فهذه الوصية بالصبر مثل صبر الأنبياء أُولي العزم مقابل مَن؟ هل هم اليهود والمشركون الذين آذوا الرسول؟ فإن سياق الآيات يوصلنا إلى أُمور مهمة.

وفي سورة العنكبوت: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾.

الآيات أعلاه تتكلم عن إيمان أهل الكتاب وتأمر بجدالهم بالتي هي أحسن مما يدل على ابتلاء الرسول الشديد بهم، فإذا كانت هذه الآيات قد نزلت في مكة فهي تعطي تواجدهم في مكة، وأنهم كانوا يجادلون الرسول ويناظرونه[1].

وينبغي الإلتفات إلى أن أكثر الآيات التي استشهدنا به ليست مدنية باتفاق المفسرين، ولم تُستثن من الآيات التي يقال إنها مكية الا ما تذكرناه، ولذا فما قرأناه عليك من الآيات وإستشهدنا به، مكية على الأقوى، ومع الالتفات إلى تفاسيرها، تبين أن المخاطب بكثير من تلك الآيات لا يمكن أن يكون من غير أهل الكتاب، ولازم ذلك تواجدهم في مكة.

وإذا قيل إنهم كانوا يقصدون مكّة في أيام الحج والتجارة فقط، وآنذاك كانوا يتكلمون مع الرسول، فيجب القول إن التضييق الذي كانت تعمله قريش على الرسول يمنعه من تبليغ الآيات المكية إلا في موسم الحج والتجارة فقط ولم يعد

---

(١) جاء في الحديث: أن الذين ظلموا منهم اولئك الذين لا يخضعون للمنطق الصائب والدليل والبرهان وهم وراء إثبات قول الزور (تفسير الإمام الحسن العسكري : ٥٢٧و٥٢٨).

ذلك الزمان كافياً، وكان من اللازم أن ينقطع الوحي او إبلاغها، لمدة طويلة إلى حلول الموسم الآخر وحلول تلك الفرصة، مع أن نزول كل آية له شأنه ومناسبته الخاصة ويجب أن يكون نزولها وتبليغها متزامنا مع تلك المناسبة والواقعة، فكيف يمكن تقييده بفصل خاص من السّنة، ولو سلمنا ذلك فإنه يكفي في إثبات تواجد أهل الكتاب في مكة.

ولو قيل إنه من الممكن ان يكون من أهل الكتاب في هذه المجالات شخص أو شخصان، حتى يصير مصداقا للآيات النازلة المذكورة، فسنقول إنه لا يعقل ذلك مع الإلتفات إلى كثرة الآيات وكثرة تشعباتها، فلا يمكن تطبيق كل ذلك على شخص او شخصين منهم، والخطابات عامة وشاملة، والنتيجة أن الآيات المزبورة دليل تام على تواجد اليهود في مكة، ونحن لم نستوعب المسألة بشكل كافٍ رعاية للإختصار، و بذلك ستبقى بعض الإبهامات والتساؤلات.

الكلام الرابع

اليهود في يثرب وأطرافها

في هذا الباب سنسلط الضوء على أوضاع مدينة يثرب في صدر الإسلام ونوع تواجد اليهود في تلك المنطقة وما هي أسماء طوائفهم وقبائلهم، وظروفهم الثقافية والإجتماعية والإقتصادية، ولما كان هذا الكلام مما يورث عند البعض نوعاً من الملل، ألزمنا أنفسنا برعاية الإختصار جداً ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب التي أشرنا إليها في الهامش.

يثرب

تقع مدينة يثرب على خط القوافل التجارية بين الشام والبلاد العربية واليمن[١]، وجاء ذكر يثرب في كتائب المعينيين، وكذا يذكرها حران في كتيبته التي كتبها بأمر من نبوخذ نصر البابلي، ويرجع تاريخ ذلك إلى ٥٥١ ق.م، فهو أقدم من تاريخ بطليموس الجغرافي الذي ذكرها أيضاً، ولكن ليس هناك أقدم من التوراة الذي عبر عنها بطيبة وأسماء أُخر[٢].

ونقل إن ليثرب أسماء عديدة[٣]، حتى ذكر في خلاصة الوفا ٩٥ اسماً، ويقال إنه جاء في التوراة أكثر من أربعين اسماً، وقيل إن تعدد القرى التي يسكنها اليهود أطراف المدينة لأجل ما جاء من المدح والتعريف بمدينة آخر الأنبياء والإخبار بهجرته إليها، وصار كل واحد من اليهود يسكن هذا الصقع بأمل أن يدرك زمان ذلك النبي العظيم[٤].

---

(١) العلاقات: ١١٢، ١٧٩.

(٢) العلاقات: ١١٢، والعنصرية اليهودية ص٣١.

(٣) ذكر الشيخ علاء الدين في سيرة النبي: ١٠١، عدة أسماء منها: أكالة البلدان، ذات النخل، السلقة، ونقل الفشهري عن التوراة: طيبة، طابة، العاصمة، غلبة، القاصمة، وعن التوراة أيضاً: السكينة، الهذراء بدل العذراء، وعن التوراة أيضاً: المحبوبة، والمرحومة.

(٤) العنصرية اليهودية٢: ٤٦.

وقالوا: إن أول من سكن يثرب هو يثرب بن قانية (قابيد، قاين) بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن(ارم بن) سام بن نوح، وقد أُخذ إسم يثرب من إسمه[١].

ثم غزاها قوم من العماليق فأخرجوهم عن منازلهم، ثم لجأ إليها اليهود وغلبوا عليها بالتدريج، حتى وردها الأوس والخزرج سنة ٤٥٠ م. ويعود تواجد الأوس فيها إلى أقل من قرنين قبل الإسلام، ولكن حلول اليهود فيها ينيف على أربعة قرون قبل الإسلام، مع أنه قيل إن خراب سد مأرب الثاني هو الذي أدى إلى نزوح أهل سبأ وتشتتهم، وكان هذاالسيل بعد عام خمسمائة ميلادية، ولكن ذكر في تاريخ المدينة وقوع سيل حوالي قرنين قبل الميلاد وسبعة قرون قبل الإسلام، مما يدل على تكرر تهدم السد و صيرورته في كل مرة سبباً لنزوح الساكنين في أطرافه[٢]. ولكن المرة التي نزح الأوس والخزرج على أثرها لم تتحدد بالدقة.

ومع ذلك فقد توطنها قبل قدوم اليهود قبائل مختلفة مثل بني أنيف، وبني الجدماء، وبني الحرمان، وبني الشظية، وبني مرثد، وبني معاوية، مع أن احتمال توطن بعض تلك القبائل بعد مجيء اليهود إليها غير ضعيف[٣].

هجرة اليهود إلى يثرب

هناك آراء مختلفة حول بدايات هجرة اليهود إلى هذا الصقع أشرنا إلى طائفة منها في السابق، فمن المسلم أنهم لم يدخلوها دفعة، والمروي أن موسى كليم الله جاء حاجاً إلى مكة، ثم مرَّ على يثرب في طريق عودته، ودخلها متخفياً خوفاً من المنافقين والعيون، وعرفها أنها محل هجرة نبي آخر الزمان، وتوفي هناك أخوه هارون، فدفنه موسى في ذلك المكان، ولذلك أشار موسى عليه السلام على جماعة من بني

---

(١) العلاقات : ١١٢ عن المسعودي وابن خلدون.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٦٧، العلاقات : ١٤٧، تاريخ المدينة : ١٨.

(٣) العنصرية اليهودية ٢: ٣١.

إسرائيل بالسكنى فيها، فجاؤا وأقاموا في البقعة التي تعرف اليوم بسوق بني قينقاع[١]، وفي هذا السفر آمن به جماعة من العرب[٢].

وقيل: إنه في زمان يوشع وصي موسى هاجر جماعة من اليهود أيضاً إلى هذه المنطقة[٣].

ويستفاد من بعض كلمات المؤرخين أن هجرة بني إسرائيل إلى الجزيرة ومنها يثرب، كانت من يوم هجوم بخت نصّر الأول، يعني ستة قرون قبل الميلاد [٤].

وكذا قيل إن يهود فلسطين هاجروا في السنة الأُولى للميلاد إلى الجزيرة على أثر ضغوط تيتوس بعد خراب الهيكل، وكذا في سنة ١٣٢م، على أثر ضغوط هدريان قيصر الروم[٥]، وأقام بعضهم مدينة يثرب .

---

(١) العلاقات : ١١٤، تاريخ المدينة : ١٨، خلاصة الوفاء للسمهودي: ٩٥، الأغاني ١١: ٩٤، اليهود في الشرق الأوسط: ٧٠

(٢) وهذا ما تأسس دين موسى عليه السلام في منطقة الحجاز بواسطة العرب،

(٣) العنصرية اليهودية٢: ٢٨.

(٤) العلاقات: ١٠٣.

(٥) العنصرية اليهودية٢: ٢٩، ومن ناحية جاء في كتاب موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٧٨ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد صلى الله عليه وآله ما بين أحد وعير (جبل بالمدينة) فخرجوا يطلبون الموضع، فمرّوا بجبل يسمى حدادا فقالوا حداد واحد سواء، فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بفدك وبعضهم بخيبر وبعضهم بتيماء، ثم مرّ اعرابي من قيس (او أن اسمه كان قيس) بالذين في تيماء فقال لهم: امرّ بكم ما بين أحد وعير، فاستاجروا منه إبله، فلما توسط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك عير وهذا أحد. فنزلوا عن ظهر ابله وقالوا له قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في ابلك فاذهب حيث شئت. ثم كتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: أنا قد اصبنا الموضع فهلموا إلينا فكتبوا إليهم انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الأموال وما اقربنا منكم فإذا كان ذلك فما اسرعنا إليكم، ولما كثر أموال هؤلاء بأرض المدينة وبلغ ذلك تبّع الحميري غزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم، فكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تبع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير فبلغ ذلك تبّع فرقّ لهم وامّنهم فنزلوا إليه فخلف فيهم الحيين الاوس والخزرج، فلما كثروا كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم: أما لو بعث محمّد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا. (نقل من تفسير العياشي ١: ٤٩).

وإختلف المحققون في يهود يثرب هل هم من العرب الذي تهودوا وصاروا يعرفون باسم أماكنهم أو هم من يهود فلسطين[١].

وأظهر البعض أنه بإمكاننا معرفة أنهم من بني إسرائيل أو من العرب من أسماء قبائلهم وطوائفهم، ولكن ولفنسون يرد هذا الكلام ويقول إن اليهود إستطاعوا أن يحفظوا قبائلهم وأنسابهم، أو مدن آبائهم مثل أورشليم والسامرة، ولكن جاء في التلمود أن شجرة اليهود قد ضاعت لأن هيرودس حرق كتاب أنسابهم[٢].

وفي رواية إبن إسحاق أن يهود المدينة ينتمون إلى رجل باسم خزرج يرجع نسبه إلى داود عليه السلام، وذكر في كتاب العنصرية اليهودية أدلّة وقرائن على أن بني النضير وبني قينقاع وبني قريظة لم يكونوا من العرب بل هم من بني إسرائيل، نحيل القارئ إلى ذلك الكتاب[٣].

وكما ذكرنا في البحث القرآني أن خطاب يا بني إسرائيل قد تكرر في القرآن، وفي الغالب هو خطاب للحاضرين، فلا شك في تواجد بني إسرائيل في مكة والمدينة وحواليها، ويحتمل وجود نسل هارون النبي فيها.

ويستفاد من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله مع صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي،

يستفاد من هذه الرواية أن عمل تبع هو السبب في نزول الأوس والخزرج، فإذا لم يتفق تاريخ نزولهم مع خراب السدّ وحدوث السيل المخرب، يمكن توجيهه بذلك.

(١) العلاقات: ١١٦، تاريخ اليعوبي٢: ٤٩، تاريخ اليهود في بلاد العرب :٢٧.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٢٨.

(٣) العنصرية اليهودية٢: ٢٤، ٣٢. وقال ابن هشام في سيرته : ١: ٣١: أن ابن اسحاق قال: قريظة والنضير والنَّجّام وعمرو ـ وهو هَدَل ـ بنو الخزرج بن الصريح بن التوأمان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوي بن خير بن النجام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هرون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وقال المحقق في حامشه : هذه انساب وضعها اليهود لأنفسهم واكثرها باطل غير صحيح

أن هذا البيت من نسل هارون[١].

ويمكن أن يكون قول أمير المؤمنين عليه السلام "إني لا أُفرّق بين بني إسماعيل وبني إسحاق ..." [٢]، شاهداً على وجود بني إسحاق بين بني إسماعيل، وكذا قيل : إن بني قينقاع من نسل يوسف عليه السلام وأن بني النضير وبني قريظة من نسل هارون[٣].

وكانت هذه الطوائف اليهودية الثلاث يدّعون أنهم من نسل بني إسرائيل و من نسل هارون وداود، ومع الإلتفات إلى ما سطرناه في هذا المبحث وما قبله وكلام مؤلف جغرافية التوراة لا يبقى أقل شك أن هذه المنطقة هي محل سكونة طوائف من بني إسرائيل واليهود[٤].

يهود تيما و وادي القرى

إن وادي القرى منطقة واسعة على السفح الأخضر بين المدينة والشام، فيه مجتمعات مصغرة من اليهود، يعيشون في قرى متقاربة، ويقال: إن السكان الأوائل لوادي القرى هو قوم صالح عليه السلام كلهم من العرب، هم أول من زاول التجارة[٥].

---

(١) لما اشتكت صفية من بعض نساء النبي قال صلى الله عليه وآله سليهما مَن جدّهما ومَن عمّهما و اما أنتِ جدك هارون وعمكِ موسى عليه السلام تفسير القمي٢: ٣٢١، امتاع الاسماع ١: ٣٢١، المغازي ج١ص١٣٧وج٢ :٧٥.

(٢) إبراهيم بن محمد الثقفي في (كتاب الغارات) عن شيخ لنا، عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني، عن عبد الله بن أبي سليم، عن أبي إسحاق الهمداني: ان امرأتين أتتا عليا عليه السلام عند القسمة، إحداهما من العرب، والأخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهما وكرا من الطعام، فقالت العربية : يا أمير المؤمنين إني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم، فقال علي عليه السلام: والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني إسحاق (ومثله في الصحيح من السيرة للسيد مرتضى ج ٤ ص ١٨)وقال أيضا: أن عمر بن الخطاب قد فضل العدنانية على القحطانية في العطاء الامر الذي مهد السبيل أمام الأمويين استغلال هذه الروح وإشعال الفتن بين اليمانية والقيسية . . . بينما نجد أمير المؤمنين (ع) لم يكن يرى لبني إسماعيل على بني إسحاق فضلا.(الصحيح من السيرة للسيد مرتضى ج ٣ ص ٣٤٣)

(٣) العلاقات : ١١٨.

(٤) جغرافية التوراة: ١٧٥ انظر الفصل الثامن فإنه يغنينا عن تطويل الكلام في ذلك.

(٥) تفسير الآية ٧٣ من سورة الأعراف.

بينما تيما تفصل أكثر من وادي القرى عن المدينة، واليهود هم أقدم من سكنها. وقال صاحب العلاقات: من المراكز التي استوطنها اليهود في بلاد الحجاز تيما وهي مركز مهم ولها تاريخ عريق ويدل على أهميتها أن الملك نبونيد اتخذ ها عاصمة له في منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وقد ورد ذكر هذا البلد في نصوص الآشوريين كما ذكرت في التوراة[١].

فدك وخيبرو الطائف ومقنا وجربا من المناطق التي إستوطن اليهود فيها و بعضها اشتهرت بمياهها ونخيلها وكانت تمر منها القوافل التجارية .

الطوائف الأصلية ليهود الحجاز

توطن في أطراف المدينة إلى شمال الجزيرة نحو الشام طوائف مختلفة من اليهود، وكان بنو النضير في الجنوب الشرقي ليثرب في الطرف الأعلى قرب وادي مذينب، وكان بنو قريظة قرب وادي مهزول شمال بني النضير، وبنو قينقاع في بطحان محاذياً للعالية أقربها إلى المدينة .

وكانت طوائف أُخرى من اليهود تقيم في أماكن مختلفة، فمثل بني بهدل وبني عوف كانوا مجاورين لبني قريظة، وبنو القصيص وبنو ناغصة بقبا، وبنو مزيد وبنو معاوية وبنو ماسكة في شمال وادي مهزور، وبنو زعوراء[٢]، في منطقة العوالي المشهورة بمشربة أُم إبراهيم، وبنو عكرمة وبنو مراية في حرة واقم، في ناحية الشمال باليمين من المنازل التي كان يسكنها بنو الحارثة الاوسيين[٣].

وكان بنو ثعلبة في هذه الأثناء يقيمون في قرية الزهرة، بالناحية المعروفة بالعريض، وهي أكبر نواحي يثرب العامرة، وهذا وقد ألقت رحالها قرب ظهور

---

(١) العلاقات : ١١٤.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب :٧٧.

(٣) العنصرية اليهودية ٢ : ٣٢ وأضاف الزغيبي بنو محمر وقال كل أسماء هذه القبائل (يهودية وغيرها) عربية ماعدا زعوراء حيث أن اليهود كانوا قد تركوا التسمية إلى قبائلهم وأخذوا ينسبون بأسماء البيئة العربية الجديدة التي نزحوا إليها، إما بأسماء الأماكن التي سكنوها كبني قريظة الذين سكنوا جبلاً يعرف بقريظة وبني النضير الذين سكنوا جبلاً يعرف بالنضير. (العنصر ية اليهودية ٢ :٣٢).

الإسلام طائفة من اليهود إسمهم بنو جنبة في المقنا، خيرهم النبي بعد البعثة بين الإسلام وبين دفع الجزية وكان للرسول أيضاً مع مجموعتين من اليهود باسم بني غاديا وبني عريض هكذا مكاتبات ومعاهدات[١].

وفي الموادعة التي أقرها الرسول ﷺ في السنة الأُولى للهجرة بين مسلمي المدينة جاء ذكر إسم طوائف من اليهود[٢]، مما يعكس بوضوح تهوّد جماعة من الأوس والخزرج وبقية طوائف العرب، وإختلاطهم مع يهود بني إسرائيل وتحالفوا وتعاهدوا معهم، وحتى أن البعض صارت له روابط وثيقة مع اليهود على أثر مراودات تجارية أومصاهرة وزواج، فقد قيل إن جبل بن جوال بن صفوان الثعلبي أحد اليهود العرب المعروفين، وكان يعد من بني قريظة، وقد أسلم عند ظهور الإسلام[٣].

وقيل إن جماعة من يهود يثرب كانوا باسم بني فطيون، ظلوا إلى زمان الرسول، أخرجهم الرسول ﷺ من المدينة في السنة الثالثة للهجرة، وقال إبن دريد : أنه كان في شهداء بدر عدّة أشخاص من بني فطيون، ويقال إن بعضهم صار رئيساً وسمي ملكاً، وكلمة فطيون هي لقب الرئيس والملك مثل كلمة النجاشي وقيصر، التي تطلق على الرؤساء في بعض البلاد[٤].

وهناك روايات إسلامية سوى هذه الأخبار يمكن التعرف من خلالها على بعض طوائف اليهود، مثل: بني النضير، وبني قريظة، وبني قينقاع، وبني عكرمة، وبني محمر، وبني زعورا، وبني زيد، وبني شظية، وبني جشم، وبني بهدل، وبني عوف، وبني القصيص (العصيص)، وبني ثعلبة، وتلك الطوائف لم يكونوا بدواً، بل هم سكان أطراف المدينة الدائميين، ولهم حرفهم وأعمالهم وإمكاناتهم وأموالهم،

---

(١) العلاقات: ١١٧.

(٢) الوثائق: ٤، سيرة ابن هشام٢: ٤٧، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٦٣.

(٣) العلاقات: ١١٩.

(٤) من زمرة شهداء الاسلام لم يذكر من هذه الطائفة شهيداً. (كتاب شهداء إسلام در عصر پيامبر ترجمة آيتي)

وكان يعرف بنو النضير وبنو قريظة بالكاهنين من بين اليهود، ولعل هذه نسبة إلى جدّهم الذي كان يعرف بالكاهن ، أو كان لهم سابقة في الكهانة والسيادة بين اليهود، أو لأنهم من نسل هارون فيكون كاهن بمعنى النبي[١].

ويقال: إن يهود هذه المنطقة وإن كانت لهم إختيارهم وذاتيتهم، ولكنهم كانوا برعاية حاكم أو ملك من قبل الدول العظمى، أو كانت تلك الدول تحميهم وبينهم معاهدات.

والنتيجة أنه كان في المنطقة أعداد يعتنى بها من اليهود من بني إسرائيل ومن العرب وغير العرب، يشكّل اجتماعهم فيها قدرة تصعب مواجهتها.

---

(١) العلاقات : ١١٦، ١٥٦.

ثقافة اليهود في المدينة

خضع اليهود في يثرب للنظام السياسي والإجتماعي السائد عند الأوس والخزرج، وكانوا يدفعون لهم الضرائب من مواردهم الزراعية.

ولكن ثقافة اليهود كانت تتميز بحسب نظرهم عن ثقافة العرب ويعيشون بطريقة متمايزة، كانوا ينظرون إلى العرب كأُميين ويرون أنفسهم أهل كتاب و أصحاب دين سماوي، ويجدون أنفسهم بمرتبة أعلى من حيث الثقافة والعلم، وكانوا يحتفظون ببعض أخلاقهم الإجتماعية الخاصة بهم، خصوصاً ما ينسجم مع ديانتهم، و كذا لغتهم فإنهم وإن كانوا يعيشون بين العرب ويتكلمون بالعربية ولكنهم يتكلمون فيما بينهم بالعبرية ويمارسون طقوسهم الدينية بالعبرية كعلامة على حفظ إستقلالهم وكيانهم[١].

ولما كان أكثر العرب هم عبدة الأصنام ولا يعتنون باليهودية، فلذلك لم يكونوا بصدد الإقتباس الثقافي منهم ولا يلتفتون إلى اليهود حتى يتركوا ديانتهم وإعتقادهم وإستقلالهم وكيانهم لأجلهم[٢]، ومن ناحية أُخرى فليس عند اليهود دافع لتبليغ اليهودية ونشرها، بل كانوا لايستقبلون من يريد اعتناق اليهودية، ولكن العرب كانوا يحترمون اليهود ويرونهم أهل كتاب وعندهم علوم الأولين، ولم يكونوا يعرفون خيانتهم وجناياتهم وخبث باطنهم حتى كشف عن ذلك القرآن وأزال الستار عن فضائحهم، ولذلك كانوا قبل الإسلام يتمتعون بالإعتزاز الديني، وعبادة الله بين العرب لعدة قرون بدون وجود مساعٍ للسلطة والنفوذ بين العرب.

وذكر ولفنسون في كتابه أن اليهود في المدينة كان لهم عهود ومواثيق ولهم شوكة يحذرها الآخرون، وقد تعتمد عليهم القبائل المحالفة في النزاعات القائمة، فقد تحالف بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس، وبنو قينقاع مع الخزرج.

---

(١) جاء في خبر قتل أبي الحقيق أن عبد الله بن عتيك تكلم مع زوجة أبي الحقيق بالعبرية بلسان اليهود فاطمأنت له.

(٢) العنصرية اليهودية ٢: ٣٣ – ٣٤.

وفي يوم بعاث حرب الأوس والخزرج، إستطاع فيها الأوس أن يوجهوا ضربات قاصمة إلى الخزرج، لعبت الطائفتان اليهوديتان دوراً هاماً فيها، وإن قيل إن بني قينقاع لم يشاركوا في هذا النزاع[١].

ولذا نجد أن الشاعر اليهودي الربيع بن أبي الحقيق الذي كان يتصدر الحرب يوم بعاث وكان حليفاً للأوس قال شعراً يمدح فيه إعتزال بني قينقاع وعدم مشاركتهم بنفع حلفائهم الخزرج. فإن الخسائر يوم بعاث كانت فادحة تأثر لها عامة بطون يثرب وأصابهم السأم والكلل فصاروا بصدد تعيين حاكم وملك يحكمهم، وكان عبد الله بن أُبي مرشحاً وجيهاً ومقبولاً لهذا المقام.

كانت روابط يهود المدينة مع يهود الشام وفلسطين ضعيفة جداً، ولم يكن بين يهود المدينة مع سائر اليهود أي تبادل ثقافي وإعلامي، وبذلك إستطاعوا و إلى حد ما أن يتعايشوا مع العرب ويسايرونهم ولعل هذا هو السبب لعدم وصول مدد وحماية من خارج الجزيرةبشكل ملحوظ مما أدى إلى تشديد استسلامهم وتسالمهم مع العرب.

كما ولم يكن ليهود هذه المنطقة من الناحية العلمية والثقافية أي فعالية تبليغية وعلمية ملحوظة فليس ثمة كتاب ولا مؤلف ولم يشهد لهم مبادرة علمية، فكأن أكثر المهاجرين الأوائل من طبقة العمال والفلاحين والرعاة الذين خرجوا من الشام وراء العشب والكلاء ولما وصلوا إلى بعض النواحي الآمنة إستقروا فيها[٢].

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب : ٢٦.

(٢) العلاقات : ٢٦-١٨٢. وجاء في الأغاني أنهم نزلوا في منطقة باسم غابة، فوجدوا ماءها آسناً ومنتناً فانتقلوا إلى منطقة العالية، وكأنهم كانوا قد سمعوا قبل ذلك بهذه المنطقة وعرفوها بأنها: «ذات الشجر والنخل» فجاء عابر وأرشدهم إلى يثرب بين عير وأُحد هذا وقد شرح صاحب الأغاني تشكيلة مجتمع يثرب أيام ظهور الإسلام وزمان هجرة النبي ﷺ ونقل عنه ولفنسون والذي يظهر أن أكثر اليهود إختار السكنى في خيبر ووادي القرى وتيما وكان في مدينة يثرب أكثر الأوس والخزرج واليهود العرب. اقول : هذا هو نص الحديث ولا يبعد أن صاحب الأغاني أخذه من ذلك النص.وكذا في المفصل ٦: ٥١٥.

هذا وقد جاء في رواياتنا أخبار كثيرة عن هذه الطوائف اليهودية الثلاث[١].

ومن الناحية الإعتقادية فإن بعض يهود المنطقة لم يكن لهم اعتقاد بالتلمود ويأخذون النصوص التوراتية فقط بنظر الاعتبار[٢]، وقبل اولئك يهود اليمن فإنهم أكثر تقيداً بذلك، ولكن يظهر من الآيات القرآنية أن يهود المنطقة كانوا متأثرين بتعاليم التلمود، فالآية الشريفة التي تنقل كلام اليهود: ﴿ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، فهو بعينه مأثرة التلمود.

لم يهتم اليهود بإنشاد الشعر، ولم يظهر منهم سوى عدة شعراء كالسموأل، شريح بن عمران، وكعب بن أشرف، وكنانة بن أبي الحقيق، وربيع بن أبي الحقيق[٤].

وقال ولفنسون: إن الإعتقاد بالنسيء كان سائداً بين اليهود، ويقال إن هذه الفكرة سرت من اليهود إلى العرب، وذلك لأن كبس الشهور كان يعمل بواسطة اليهود، نسب ذلك إلى البيروني والمقريزي وأبي معشر البلخي[٥].

ونحن نعلم مع ظهور الإسلام وبيان حرمة النسيء تبدلت ثقافة المدينة، وكان المسيح يكفرون اليهود لأجل ذلك[٦]، وهو أحد محاور صراع الإسلام مع اليهود حيث يقولها بالصراحة: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[٧].

---

(١) بحار الأنوار٩٠ : ٦٩.

(٢) المفصل ٦: ٥١٥.

(٣) آل عمران :٧٥.

(٤) العلاقات : ١٨٦، المسموأل بن عاديا هو الجد الأُمي لصفية بنت حيي بن أخطب، وأخطب إبن شعبة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن تخوم من بني إسرائيل ومن سبط هارون بن عمران (عن إبن هشام عن إبن عبد البر).

(٥) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٩٨.

(٦) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٩٨.

(٧) التوبة : ٣٧.

ويرى ولفنسون أن أخلاق اليهود تتمثل في الإكرام والضيافة والجود كالعرب ومتأثرة بأخلاقهم، ولكن ينبغي التأمل في ذلك، لآن أكل الربا وكنز الأموال دليل البخل، ولم يسمع نزول الضيوف الوافدين إلى المدينة على يهودي أو السؤال عن باب داره، نعم يمكن أن يكون لليهود أياد على أمثالهم، يعود أكثره إلى ظروف الغربة ولجوء عامة الأقليات بطبعها إلى التضامن والتعاطف[١].

نعم كان بينهم الأقل القليل من المتمولين الباذلين كالسموأل وذلك للحفاظ على رئاستهم وكان لهم مواقف حاسمة في معركة بعاث .

ومن نماذج خسة اليهود أنه نقل أن الأوس لما قتلوا الخزرج أبوا أن يسلبوهم، ولكن اليهود جاؤا وسلبوا كل ما عليهم[٢].

ومن الناحية الأمنية فإن اليهود كانوا يتحصنون بالقلاع التي بنوها على المرتفعات والقلل وكان إسمها الآطام، وكانوا يدّخرون فيها ما يحتاجونه لعدة أشهر، كما كانوا يخبئون فيها ثمار مزارعهم، وكنوزهم وذخائرهم، ويحفظونها فيها، وأهم تلك القلاع هي قلعة الأبلق كانت للسموأل وقلعة قموص لأبناء ابن أبي الحقيق.

وأما من الناحية الإقتصادية فقد كان اليهود يبذلون جهوداً كثيرة في المشاغل الصعبة كالحرث والسقي والزراعة والعمل في البساتين والنخيل وجمع المحاصيل والحفاظ عليها من اللصوص والغارات، وكذا إتخاذ بعض الصناعات فقد صاروا أصحاب أموال وثروة، وكانوا يفوقون العرب من الناحية المالية ولولا الحمية والغيرة العربية لاستولواعلى العرب سياسياً، والنتيجة أن اليهود كانوا من الناحية الإقتصادية في خدمة العرب ويقوم العرب بتأمين الأمن لهم وحفظ منافعهم.

وكانت نساء اليهود تعمل في بيوتها وتمارس الحياكة والنسيج وتصنع الفرش والبسط، فإذا كان الرجال والنساء يعملون فهو علامة على الغربة

---

(١) العلاقات : ١٨٩، ١٩٠، تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٩٤.

(٢) العلاقات : ١٦٤.

والهجرة، ونجد في مقابل ذلك أن العرب قد لجأوا إلى الإستراحة وصاروا يرون{أنفسهم أبيّة عن الإشتغال بمثل تلك الأعمال}عدم مناسبة تلك الأعمال لحالهم[١].

ومن أهم أعمال اليهود بعد الزراعة هي التجارة فكانوا يترددون بين اليمن والمدينة والشام واليونان، فكان طريق الحجاز من مكة إلى يثرب وديدان(علا)ثم إلى حجر(مدائن صالح) وإلى تيما وتبوك والبتراء ثم إلى الشام[٢]، وكان في المدينة بعض التجار الأغنياء مثل أبي رافع الخيبري اليهودي .

وأما من الناحية السياسيّة فقد قال البعض:إن اليهود لما كانوا مهاجرين لا زالوا يفكرون في العودة إلى موطن آبائهم يعني الشام، لم يكن لهم فكرة في الإمساك بزمام السياسية ولذلك لم يتغلبوا على العرب ولكن يمكن التأمل من ناحية أُخرى فإن الكثير من اليهود كانوا من العرب والعرف العربي هو الغالب على العرق الديني، ومن ناحية فإن إبن إسحاق ذكر أن اليهود كانوا هم الحاكمون قبل مجيء الأوس والخزرج إلى المدينة، وكانت كلمتهم هي المسموعة وصاروا يتجاوزون حتى على الوثنيين العرب[٣].

ولكن إستفتاح اليهود وإنتظارهم نبي آخر الزمان على أمل الإنتقام به من العرب، قد يلفت أنظارنا إلى سلطة العرب على اليهود أوان ظهور الإسلام، وأنه كان يلحقهم من هذه الناحية بعض الأذى والضرر، ولذلك كانوا يقولون للعرب

---

(١) العلاقات : ١٧٥، تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٢٨، ٢٩.

(٢) اليهود في الشرق الأوسط: ٦٢.

(٣) العلاقات :١٥٤و ٢٣٧، جاء في الروايات التاريخية أن مالك بن عجلان كان من الخزرج وسيّد قومه، وكانت السلطة في زمانه بيد اليهود وكان هناك رجل بإسم فطيون من يهود بني ثعلبة هو الرئيس، وكان شديداً على الناس، فأساء مالك من تشديده وسوء عمله فانتهز به الفرصة فقتله ولجأ إلى أبي جبيلة ملك غسان وطلب منه العون، وقيل إن أبا جبيلة كان في الأصل من الخزرج ذهب إلى الغساسنة وصار له مقام ومنزلة عندهم، ولذلك أجابه إلى ما سأل وجاء إلى يثرب راجعا على مجموعة من اليهود فقتلهم وصار سبباً لقوة الأوس والخزرج.

الوثنيين: «سيبعث نبي ونحن سنتابعه ونقتلكم عليه قتل عاد وثمود»، فليس من المستبعد أن يكون هذا التحول في القدرة السياسية حدث بعد سقوط حكومة الحميريين لليهود في اليمن (٥٣٠ م) [١].

ولكن اليهود لم يبلغوا ما أملوا بعد بعثة ذلك الموعود المسعود، لأن العرب الوثنيين سبقوهم إلى الإيمان به، بينما كفر اليهود به.

علمنا أنه كان هناك أحلاف بين الطوائف اليهودية الثلاث وبين قبيلتي الأوس والخزرج العظيمتين في المدينة، فكان هناك تحالف بين طائفة من اليهود مع الأوس، وطائفة أخرى مع الخزرج، ولكنه قد يتغير هذا التحالف في بعض الأحيان استناداً إلى المصالح الدائرة بين العرب، وقد بينا أن هناك تحالفاً بين الخزرج وبين بني قينقاع، وبين بني النضير وبني قريظة مع الأوس، وكأن هذه التحالفات لم تكن دائمة، بل هي قابلة للفسخ والتغيير والاستئناف، ترتبط بوفاء الطرف المقابل، ولذا أطلق الأوس على اليهود في معركة بعاث عنوان الثعالب، وهو دليل تفرق الجماعات اليهودية في يثرب وتشتتهم في علاقاتهم.

---

(١) سيرة إبن إسحاق : ٨٤، سيرة إبن هشام١: ٢٠٠، العلاقات : ١٥٦، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٧٩، العنصرية اليهودية ٢ : ٤٦، و جاء في تفسير الإمام العسكري:٣٩٤ : قبل بعثة النبي بعشر سنوات حدث معركة بين اليهود ومشركي المدينة واستفتح اليهود فيها .

الفصل الثالث

خلفيات اليهود وموقفهم مع الرسول الخاتم

نريد أن نستقصي البحث في حقائق خطيرة مثل وقوف اليهود على حقانية الرسول صلى الله عليه وآله ومعرفتهم به من جميع الجهات، وحتى من قبل ولادته، وأنهم بشروا به، وعرفوا جميع أوصافه، ولكنهم مع كل ذلك صار أكثرهم من ألدّ أعدائه، وتعقدت الروابط بينهم وبينه إلى أبعد الحدود، ثم نعطف الكلام على نوع تعاملهم مع الرسول بصورة عامة، والإشارة الى بعض جزئياته وظرائفه، فكانت حصيلة عملهم أنهم وقفوا بوجه مصلح عالمي يعلمون منه ذلك جيدا .

الكلام الأول

معرفة اليهود برسول الله صلى الله عليه وآله

تقرر أن يكون ظهور الأنبياء بهذا الترتيب، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، والباقي بين ذلك، ويكون خاتمهم هو أعظمهم وأكرمهم على الله، هذا الدّرس الذي علّمه أنبياء بني إسرائيل أتباعهم[1]، ولايزال ذكر الرّسول والأئمة الأطهار عليهم السلام في كتب السابقين أوثق دليل على إشتهار هؤلاء من اليوم الأول للخلقة، وعلى مرّ التاريخ قبل أن يولدوا وتطأ أقدامهم الأرض، فإن اليهود

---

(١) جاء في البحار٢٦: ٢٧٢، عن محمد بن سنان، عن طلحة بن زيد، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما قبض الله نبياً حتى أمره أن يوصي إلى عشيرته من عصبته وأمرني أن أوصي فقلت إلى من يا رب ؟ فقال أوص يا محمد إلى إبن عمك علي بن أبي طالب فإني قد أثبته في الكتب السالفة وكتب فيها أنه وصيّك وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبية ولك يا محمد بالنبوة ولعلي بن أبي طالب بالولاية.

وعدوا بمجيء الرسول وصاروا ينتظرون ظهوره، وأكثر من ذلك فإن هناك آيات قرآنية تبرهن على أن بني إسرائيل علموا بأن محمداً هو رسول الله، وقد بين ذلك في كتبهم و أخبرهم بذلك أنبياؤهم، فهم يعرفونه بالرسالة والنبوة وإن لم يؤمن أكثرهم به.

والقرآن الذي هو الكتاب الذي أُنزل لهداية البشر على مرّ القرون وفيه ذكر أحوال الماضين، يخبرنا عن التبشير بالنبي محمّد في أسفار أهل الكتاب بإسمه[1]،

---

(١) هناك سؤال مطروح في الساحة العلمية اليوم وقد دونت حوله بعض الكتب، وهو هل جاء اسم الرسول ﷺ في الكتب السماوية السابقة أو الموجود فيها وصفه فقط؟ يقول البعض إن اسمه لم يذكر وذُكر وصفه فقط، ويقولون أيضاً علينا أن لا نبحث في الكتب عن اسم الرسول وإذا جاء في القرآن: ﴿**الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل**﴾ فالمراد أوصافه، وإذا أردنا أن نستفيد من هذه الآية أن اسم محمد مصرّح به في التوراة والإنجيل فإن هذه الآية قد لا تصدق لعدم ذكره في التوراة والإنجيل الموجودين اليوم، فيؤدي إلى التشكيك بالقرآن، فلا محيص من عدم تفسير الآية بذلك، وهذا كلام عجيب خصوصاً إذا كان مطروحاً في المؤسسات التحقيقية والحال أنه سفسطة وخداع ليس أكثر، وذلك إن هؤلاء الأشخاص يريدون الذهاب إلى عدم تحريف التوراة والإنجيل، فكان عليهم الخدشة أن يثبتوا التحريف ولا يشككوا في أصرح آية ولا الآيات الأخرى، هؤلاء يستدلون هكذا وينمقون الكلام بقولهم : نلتزم بذلك حتى لا تلزم الخدشة بالقرآن . ولكن الحق سوف يظهر والباطل لا يدوم، فنقول لهؤلاء الأشخاص: إن الخدشة إنما هي في التوراة والإنجيل الفعليين فنسأل عن سبب عدم وجود ما أخبرالقرآن بوجوده فيهما، ولماذا حذف منافقو اليهود والنصارى اسم رسول الله ﷺ من هذه الكتب، أليس رسول الله يقول: بشّر بي على لسان كل رسول بعثه إلى قومه، وسمّاني ونشر في التوراة إسمي، وبثّ ذكري في أهل التوراة والإنجيل ...وجعل اسمي في التوراة أحيد ...وسماني في الإنجيل أحمد ....وجعل اسمي في الزبور ملحي ....وجعل اسمي في القرآن محمداً ...وسماني في القيامة حاشراً ...(علل الشرايع ١: ١٢٧)، فكلمة سماني ماذا تعني؟ وقد صرّح أميرالمومنين في كلماته بأن الله تعالى ذكر إسمه في التوراة والانجيل بوزارة النبي وناصره، وكذا قال: أين مسلموا أهل الكتاب أنا إسمي في الإنجيل إليا وفي التوراة يريا وفي الزبور إريا و. ..(تكملة نهج البلاغه ميرجهاني١: ١٣١)، فلماذا لا نجد اليوم أثراً من تلك الأسماء، فالأفضل مكان تأويل الآيات الواضحة والتشكيك بالأحاديث النبوية أن نفحص عن النسخ الأُولى للتوراة

ووصفه إلى حدّ أن علماء اليهود و النصارى إذا وجدوها في تلك الكتب، عرفوه بأنه آخر مبعوث وإن لم تره عيونهم، وذلك لأن معرفة النبي وأوصياءه كان فرضاً عليهم و واجبة، وقد تيسرت السبل إلى معرفته للجميع، فكان تعريفه وتعريف أوصيائه من كل ناحية، وجرى إسمه وذكره على جميع الألسنة.

نشير في هذا الموضع إلى بعض الآيات:

الآية الأولى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

الثانية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾[2].

والإنجيل ونبحث عن أقوال العلماء الذين كانوا قبل الإسلام وتفاسيرهم، بالعبرية والحميرية والمسندية والنبطية، ونستمع إلى ما قاله اليهود الذين أسلموا في صدر الإسلام ونطالعه، فإننا سنجزم بوجود اسم النبي وتداوله على الأفواه والألسنة وفي كتب القدماء، فإن تسمية ثلاثة أشخاص من العرب بإسم «محمّد» في الجاهلية، على أمل أن يكون كل واحد منهم هوالنبي الموعود به، أكبر شاهد على شهرة هذا الاسم للرسول الخاتم قبل الإسلام، (تاريخ الكعبة: ١٠٨)، يجب أن نعلم بأن التعريف بالوصف لا يجدي لأنه يمكن انطباقه على الغير، ولكن التعريف بالاسم والوصف معاً غير قابل لذلك، وأصرح آية في هذا المورد هي الآية التي جاء نظيرها في الإنجيل، والقرآن يحكي ذلك فيقول: (**ومبشراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد**).

(١) الأعراف :١٥٧.

(٢) القصص : ٥٣.

الثالثة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[١].

الرابعة: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].

الخامسة: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[٣].

السادسة: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٤]. (آية الاستفتاح)

السابعة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٥] و[٦].

---

(١) الأنعام : ٢٠.

(٢) الأحقاف :١٠.

(٣) يونس :٩٤.

(٤) البقرة : ٨٩.

(٥) البقرة : ١٢١.

(٦) طبقاً لكلام صاحب كتاب إقامة الشهود فهي بمعنى أن كتب الأنبياء إذا فسّرت على حقيقتها وتبين المراد منها، وقرأناها حسب ما تقتضيه القرائن، نتعرف من خلالها على الرسول الخاتم وأهل بيته و حتمية ظهوره ونجد فيها حتى مثل البشارة بظهور الحجة عليه السلام.

الثامنة: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[1] و[2].

التاسعة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

العاشرة: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[4].

إن معرفة الرسول ﷺ بمقتضى ما جاءت به الكتب السماوية كانت واضحة إلى أقصى الحدود ومن جميع الجوانب بحيث أن القرآن يشبه هذه المعرفة بمعرفة الأب والأُم لأبنائهم: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ ويؤكّد، أنه قدنزل هذا الكلام مرتين، مرة بمكة وأُخرى بالمدينة، لأنه كلام ينطوي رغم قصره على معان عميقة وواسعة جداً، فإن معرفةً كهذه بين شخصين ولم يشاهد أحدهما

---

(١) الإسراء : ١٠٧، ١٠٨.

(٢) فإن سياق العبارة يقتضي أن يكون الموعود به هو رسالة الرسول الخاتم الذي وعد به مسبقاً فإن علماء أهل الكتاب إذا يقرؤون هذه الآيات يعرفون النبي ويقولون إن الله قد نفذ أمره يعني أن الرسول قد ظهر.

(٣) البقرة : ١٤٦.

(٤) الفتح : ٢٩.

الآخر لا تكاد تتحقق إلا نادراً، وإذا كانت معرفة الرسول ﷺ بهذه المثابة فلأنه لم يكن مجهولاً، بل إن اسمه وذكره كان من اليوم الأول لهبوط آدم إلى الأرض، وصارت الأصلاب الطاهرة تتناقل نوره حتى حلّ في صلب عبد الله، ثم ظهر في مكة المعظمة فأضاء بنوره العالم وعمّت رحمته العالمين.

ولاننكر أن هذه الخدمة التي قدمها اليهود عفواً أو قصداً هيّئت الأرضية المناسبة لاستقبال الإسلام في الجزيرة العربية، ونفضل الخوض في تفاصيلها الى محل آخر. فإن إسلام أهل المدينة وقبول النقباء الإثني عشر كان على أثر إخبار اليهود بظهور النبي المكرم، وكانوا هم ينتظرون ويتحينون الفرصة للإنتقام به من عبدة الأصنام الذين طالما أجازوا الظلم عليهم، وكانوا يستفتحون على الذين كفروا، ولكن النتيجة جاءت معاكسة، فإن عبدة الأصنام هم الذين سبقوهم إلى الإيمان به.

ولذا نجد أن اليهود الذين أسلموا كانوا يقرّون بأنهم كانوا عالمين بظهوره، وكلمة «مسيحا »، «شيلوخاه » و«إبن الإنسان »..... في التوراة وباقي الكتب السماوية تعني عندهم خاتم المرسلين. وسنسعى في هذا الفصل أن نقدم نماذج عن الأرقام التي تثبت معرفة اليهود برسول الله، إسمه ولقبه وحليته وآبائه وأبنائه وأفكاره وآدابه وباقي خصائصه، ثم نعقبه في الفصول اللاحقة بالكلام عن معاملة اليهود مع الرسول، يستطيع معه القارئ بأن يحكم على هؤلاء الذين عرفوه وآذوه وحاربوه، والذين تخيروا مخالفته ومحاربته والحال أنهم كانواعارفون بحقه وكانوا مكلفين بالإيمان به وإطاعته ونصرته، ومن ذلك نستقي أهمية الوقوف على معرفة اليهود بالنبي ﷺ، وذلك لأننا نريد ان نبرهن على أن محاربة هذا المصلح الإلهي الذي بعث للصلاح والنجاة، لا ينبع إلا من شقاء ذاتي.

معرفة الرسول بالإسم

إسم محمّد

هذا الإسم مذكور في التوراة السريانية صراحة بلفظ المُنحَمِنّا بمعنى محمّد ، فإن ما يقابله بالعبرية هو طاب طاب، وقيل:ترجمة كلمة مود مود و ماد ماد، وقيل: هو إسم النبي محمّد ـ بمقدار مطاوعة ألسنة اليهود [١].

والمذكور في قصة إسلام عبد الله بن سلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له:" **يابن سلام أما قرأت في التوراة : «مُحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ....الأية »**[٢].

وجاء فيما كتبه رسول الله إلى أهل خيبر: **بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه المصدق لما جاء به، ألا إن الله قال لكم يا معشر أهل التوراة لتجدون ذلك في كتابكم: مُحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ....، الآية، وإني أنشدكم بالله وأُنشدكم ..... ألا أخبرتموني هل تجدون فيما أُنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمّد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم، قد تبيّن الرشد من الغي، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه**[٣] فتكرار اسم محمد في هذه المكاتبة وإتمام حجة النبي على اليهود من دون نكير، أقوى دليل على وجود هذا الإسم بالصراحة في كتب اليهود.

وفي وصية الله موسى بن عمران برسول الله صلى الله عليه وآله فقال له : أُوصيك... بصاحب الجمل الأحمر، الطيب الطاهر، ...، اسمه أحمد، محمد، الأمين من الباقين من ثلة الأولين الماضين، يؤمن بالكتب كلها، ويصدّق جميع المرسلين، ويشهد بالإخلاص لجميع النبيين[٤].

---

(١) الاحاديث القدسية ج٢ ص١٧٩ ، أسماء الرسول المصطفى، عباس تبريزيان٢: ٥٠٣.

(٢) الفتح : ٢٩.

(٣) مكاتيب الرسول ١: ١٧٤، عن كنز العمال، الوثائق: ١٨.

(٤) الكافي٨ : ٤٢.

وكذا نجد إسم النبي محمد ﷺ في وحي الطفل بالصراحة [١].

وكذا جاء إسم النبي محمد ﷺ بالصراحة ومكرراً في مزامير لداود عليه السلام منها مزمور ١٠٧[٢].

وبعدما ولد النبي ﷺ أتت أشراف العرب سيف بن ذي يزن الحميري لما ظهر على الحبشة ووفد عليه قريش للتهنية فيهم عبد المطلب عليه السلام قال في كلامه : أيها الملك سلفك خير سلف وأنت لنا خير خلف، قال: من أنت؟ قال: عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أُختنا ثم أدناه، وقال له: إني مفض إليك خبراً عظيماً، يولد نبي أو قد يولد، إسمه محمد بن عبد الله، الله باعثه جهاراً وجاعل له منا أنصاراً.

---

(١) ذكروا أنه ولد قبل بعثة الرسول ﷺ بسبعين عاماً في بني إسرائيل مولود وصار يتكلم أيام ولادته ورضاعته وأخذ يبين بعض الحقائق، ولكن أباه كان يأبى ذلك فصار يمنعه عن الكلام مما أدّى إلى صمت الصبي وسكوته و ترك الكلام حتى بلغ الثانية عشرة من عمره، فتضرعت أُمه التي كانت محزونة عليه ومضطربة إلى الله سبحانه، فأطلق لسانه وصار يتكلم، ولكن على نحو الإيجاز والإجمال، وكتبت كلماته . حاول عندها اليهود كتمان هذا الكلام والحيلولة دون إذاعته ولكن الله سبحانه كشفه، غير أنه لم يفسر بشكل جيد وصار يعرف بوحي الطفل ويقال له نبي حردان وتسمى نبوته نبوة هيلد(محضر الشهود: ١٠٨). وقد أنكرهذه القضية فخرالإسلام في كتابه أنيس الأعلام، وقال:لا أصل لها(الجزءالثاني من القسم الإسلامي).

(٢) المزامير- النسخة المصورة لإحياء التراث الإسلامي : ١٣٩: يا داود ، المحمود الرافع الذروة، العزيز البرهان، العظيم الحجة، المحمود المصطفى والأمين المرتضى، الصادق الطاهر، الذي خلق من شجرة طهر، الشديد البأس فيما يرضيني، الشديد البأس فيما يسخطني (الذي يستحبني) الشديد الحرص على ديني، الذي لم تغلبه زهرة الدنيا وبهجتها، ففيه نور القمر والشمس، وأنتم معاشر الأنبياء النجب من عبادي، وإذا اوقرت السحاب أكثر من طاقتها مطراً سألتني أن أخففه حملها، لولاه ما أهبطت آدم إلى الأرض ولا عمرت الدنيا، تدري من هو يا داود؟ فرع من فروع إبراهيم عليه السلام له نبأ إبراهيم وميل آدمعليه السلام من كفر به فعليه لعنتي وسيخرج قوم يدّعون الرهبانية، يمحون إسمه من كتبهم. او تدري يا داود لمن يدبّر اولئك الكفار هذا من عقولهم، لأن الشيطان واقع أمهاتهم مع آبائهم، فاشركت نطفته مع نطفة آبائهم، فضلوا وكفروا وأضلوا عن سواء السبيل. فمن آمن بمحمّد فقد إستمسك بالإيمان ومن كفر بمحمّد فقد كفر بي ....

فقال عبد المطلب: كان لي ابن، زوجته كريمة فجاءت بغلام سميته محمداً ...[١]، و أضاف في رواية: إني وجدت في كتب بني إسرائيل صفته أبين وأشرح من القمر بين الكواكب.

وفي كلام للمختار مع الحجاج قال: ألم تسمع أن نزار بن معد بن عدنان بن شابور ذا الأكتاف الذي كان يقتل العرب قتلاً ذريعاً قيل له لماذا تقتلهم؟ قال :وجدت في الكتب القديمة أن رجلاً يظهر في العرب بإسم محمّد يدعي النبوة تزول دولة فارس على يده ...(تفسير الامام العسكري :آية قالت النصارى ليست اليهود على شي)

والظريف أنه ليس بين الأنبياء العظام على مرّ التاريخ من كان بإسم محمّد حتى تعزى الفضائل والمناقب والبشارات الواصلة إليه، وهو الوحيد الذي سمي بهذا الإسم من بين الأنبياء وقد خصص هذا الإسم له من أبتداء الخلقة، فإن آمنة أُمّه كانت قد رأت في منامها أن تسمي إبنها محمّداً.

وفي كتاب شيث جاء إسم النبي طاليثا، بمعنى عظيم القدر، وفي صحف إدريس مشفّح على وزن محمّد بمعنى المحمود، وفي صحف إبراهيم بقيطا، بمعنى المضيئ، وفي صحف موسى قبل نزول التوراة أخرايا، بمعنى آخر الأنبياء وختم المرسلين، وقمايا بمعنى سيد آخر الزمان وعظيم آخر الزمان، وفي التوراة مود مود بمعنى عظيم ومحمود[٢].

اسم أحمد

سمع اليهود _ إضافة إلى ما وجدوه في كتبهم _ أخباراً عن النبي الخاتم من الحواريين و ما وجدوه في الإنجيل، فأضاف إلى معلوماتهم عن النبي صلى الله عليه وآله معلومات أُخرى وعرفوا منه خصوصيات أكثر، ومنها إسم أحمد الذي بشر به عيسى على ما جاء في القرآن ﴿**مبشراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد**﴾[٣].

---

(١) البحار، ١٥: ٢١٨.

(٢) البحار١: ١٥٠، لمعات ملكوتية: ٣٤٠ _ ٣٥٠. آيينه عباسي در دين شناسي، ط، ورق ٩١

(٣) قال في كتاب (محمد در تورات وإنجيل: ٢٨٠» ما ترجمته : إن الأمر الذي تذرع به اليهود في مخالفة عيسى بن مريم وعدم قبولهم لرسالته أنهم قالوا بأنه ليس هو المسيح المنجي ولا تتطابق صفاته

ونقلوا عن يهودي بإسم نعثل كان على عهد رسول الله ﷺ قوله: لقد وجدت هذا في الكتب المتقدمة وفيما عهد إلينا موسى بن عمران أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده يخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط... [١].

وقال فخر الإسلام: شاهدت إنجيلاً مخطوطاً كُتب قبل الإسلام على الجلد في بعض مكتبات النصارى البروتستانت أن في وصية عيسى لشمعون بطرس: يا شمعون قال لي الرب أن أُوصيك بسيد المرسلين وحبيبي أحمد، صاحب الجمل الأحمر والوجه الأقمر والقلب الطاهر والبدن الزكي، أعظم ولد آدم ورحمةً للعالمين، النبيّ العربيّ الأميّ... [٢].

ووصف شمعون بن حمون، النبي ﷺ عندما لاقى أمير المؤمنين عليه السلام حسب ما جاء في كتابه الذي بإملاء عيسى بن مريم وخط وصيه شمعون، فقال: حتى يبعث الله رجلاً من العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، من أرض تدعى تهامة، من قرية يقال لها مكة، يقال له أحمد، الأنجل العينين، المقرون الحاجبين وصاحب الناقة والحمار، والقضيب والتاج يعني العمامة، له إثنا عشر إسماً ... الحديث [٣].

مع صفاته المذكورة والمسيح لم يدّع أنه المنجي، بل يصرح بعدم كونه النبي المنجي، وحينما كان يسأل عن النبي المنجي، يذكر شخصاً ليس من نسل داود بل من نسل إسماعيل من العرب، ولذلك عاداه اليهود وأرادوا قتله، فكاد أن يكون هو أول مضحٍ للنبي محمد ودعوته وأول فداء.

(١) البحار ٣٦: ٢٨٣ _ ٢٨٥، وج٣: ٣٠٣.

(٢) بشارات عهدين: ٢٣٢، عن أنيس الأعلام٥: ١٩٦(الجزء الثاني من القسم الإسلامي)، وذكر ابن طاووس في كتاب سعد السعود: ١٢٥، ١٤٠ أن هناك انجيلاً ترجم في زمان المأمون من السريانية إلى العربية كتب في هامشه أن المراد من سربال ومسيحا هو محمد، وقال في كتاب علي والأنبياء إن الأناجيل التي كانت بأيدي المسيحيين قبل عام ١٨٠٠ م موجود فيها صحيفة غزل الغزلات ويذكر في آخرها خلو محمديم من كلام سليمان، وقد حذفت هذه في الأناجيل التي طعبت بعد ذلك (علي وپيامبران: ١٣).

(٣) البحار ١٥: ٣٣٦، وج١: ٣٠٣.

وهذا خبر عجيب يذكر بعد هذا الكلام أُموراً كثيرة منها نزول عيسى بن مريم و صلاته خلف الإمام المهدي عليه السلام.

وجاء اسم أحمد في حديث المباهلة نقلاً عن صحيفة شمعون أيضاً [١].

وفي كتاب النبي حبَقّوق جاء إسم أحمد حيث يقول: وإمتلأت السموات من تسبيح أحمد وأُمته[٢].

وكذا جاء إسم النبي صلى الله عليه وآله وإسم أوصيائه في كتاب جاماسب أحد أعظم حكماء فارس وكان معاصراً للهراسب[٣].

ملاحظة : بمقتضى بعض الروايات فإن للنبي أسماء أُخرى معروفة عند اليهود مثل حاشر وعاقب وكذا بعض الألقاب كأبي القاسم[٤].

---

(١) البحار٢١: ٣٠٢ وفيه: فقال السيد يا حارثة .... هل تجد في الزاجرة المنقولة من لسان أهل سوريا إلى لسان العرب يعني صحيفة شمعون بن حمون الصفا التي توارثها عنه أهل نجران قال السيد : ألم يقل بعد نبذ طويل من كلام فإذا طبقت وقطعت الأرحام وعفت الأعلام بعث الله عبده الفارقليطا بالرحمة والمعدلة قالوا وما الفارقليطا يا مسيح الله قال أحمد النبي الخاتم الوارث، ذلك الذي يصلى عليه حياً، ويصلى عليه بعد ما يقبضه إليه، بإبنه الطاهر الخابر ينشره الله في آخر الزمان بعد ما إنفصمت عرى الدين وخبت مصابيح الناموس وأفلت نجومه، فلا يلبث ذلك العبد الصالح... الحديث.

(٢) لمعات ملكوتية : ٧٤٩. كتاب حبَقُوق : الإصحاح الثالث :٣ .

(٣) بشارات عهدين : ٥٠، ٢٤٣.

(٤) يجب التذكير على أن هناك من يذهب إلى إثبات عدم ذكر اسماء الرسول في الكتب السماوية وذكر أوصافه فقط فيها والتي يحملها اليهود والنصارى على إرادة المسيح أو المهدي المنتظر، وهي موجودة الآن ولم يجر عليها التحريف والتغيير، ويزعمون أن الآيات القرآنية لا تدل على أن اسم الرسول كان مذكوراً في الكتب، حتى يمكننا إلتزام أنه كان موجوداً ثم حذف و حرّف، ونحن نقول في جوابه إنك تفرض عدم تحريف كتب اليهود والنصارى الحالية والحال أن تحريفها ثابت بالقرآن والروايات، هذا أولاً. وثانياً إذا لاحظت القرآن ستجده يذكر الأنبياء السابقين ويثني عليهم إلى أبعد الحدود فإن اسم النبي موسى قد تكرر في القرآن ١٣٦مرة وذكر له سبعة ألقاب أصلية، والثابت لدينا أن الكتب السماوية كلها على وتيرة واحدة، حتى أن بعض أحاديثنا يصرح بأن

معرفة الرسول بالأوصاف

إنه من ولد إسماعيل

القرآن والإنجيل والتوراة كلها بانشاء واحد وقلم واحد وكلام متكلم واحد، ومن ناحية أُخرى فالتوراة كتاب سماوي أنزل من أجل أمة عظيمة على مر ألفين سنة والقرآن ينص على أن فيه تبيان كل شيء، فمع الإلتفات إلى أن الكتاب السماوي مدون على أساس الحكمة والمصلحة، ولما كان مقام الرسول المصطفى ﷺ بمثابة لابد من تعريفه للأُمم السابقة باعتباره الرسول الخاتم وتعود معرفته إلى قائمة معتقدات الأُمم السابقة واللاحقة، فكيف يُكتفى في تعريفه بذكر بعض الأوصاف المبهمة التي يمكن تطبيقها على كثيرين ويؤدي إلى ضلال أمة موسى وتفرقهم، وينتج من ذلك محدودية دلالة القرآن، ومحدودية ألفاظ التوراة، فأنا وأنت لم نشهد ترجمة التوراة حتى نجد كيف يترجم المترجم الاسم الخاص بمعناه الوصفي ومنه يكون التحريف، والتاريخ معنا يشهد بأن الدين والديانة لم تزل أُلعوبة بيد الظلمة ومنها قصة يحيى وزكريا. فكتابة التلمود والأحكام الجائرة البعيدة عن الشرف والأخلاق السنية تحكي عن فسق وفجور أحبار اليهود، وأنهم قاموا بتحريف الكتب العلمية أيضاً، فأخذوا يترجمون الإمام علي بسقراط، ومحمد ﷺ بموسى (انظر ابن رشد والفكر العبري الوسيط٢: ٦٠٥، ٦٠٦) لماذا يسعى البعض إلى تضعيف القرآن وتقوية التوراة الحالية وتبرئة اليهود من التحريف، القوم الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم ويلعنهم الله ورسوله، والحال أن القرآن يحكي عن خيانة المنافقين من أمة موسى عليه السلام في زمانه وما بعده، ويصفهم بأبشع الصفات وأنتم تريدون تنزيههم بعد آلاف السنين كما قام البابا الكاثوليكي بتبرئة اليهود من دم المسيح، فلا يحق لأحد أن يترك كلام الذين أسلموا من علماء اليهود كما نقلناه ليأخذ بكلام ضلاّلهم والمغضوب عليهم، ومن المثير للدهشة أن يأخذ الإنسان بالمنقول من التوراة على مر ثلاثة آلاف سنة ويترك المنقول على مر ألف وأربعمائة سنة من روايات الإمامية التي نُسخها الموجودة تعود إلى أكثر من ألف سنة ويلتزم تحريفها دون التوراة لأن هذه الأحاديث لا يرضى بها اليهود ولا يرون إعتبارها، فكيف نجد أن القرآن يذكر أسماء الأنبياء وتتحاشى التوراة من ذكر اسم النبي ﷺ ونحن نجد أن أسماء النبي في القرآن يس وطه وحم وغيرها، فلماذا نعجب من ذكر أسماء متعددة للرسول في التوراة، والحال أن الكتابين سماويان، فحري بنا أن نفتح أعيننا من أجل أن لا تتغلغل اليهود والأصابع الصهيونية في المعاهد العلمية والتحقيقية الإسلامية.

كان اليهود يأملون بأن يكون الرسول الخاتم من ذرية داود وإسحاق -وكأنهم يعتقدون أن النبي موسى ليس هو آخر الأنبياء- ولكن الموجود في رواياتنا التي تنقل عن النصارى واليهود الذين أسلموا وذكروا ما هو موجود في صحيفة آدم وشيث وصحف نوح وإبراهيم وآيات العهد القديم والجديد، فإن الموجود فيها أن الرسول الخاتم من نسل إسماعيل كما لاحظنا في رواية شمعون المارة.

وتنقل بعض الروايات عن السفر الثاني للتوراة الحالية: إني باعث من ولد إسماعيل رسولاً[١].

وينقل ذلك أيضاً عن انجيل برنابا من بشارة عيسى عليه السلام[٢].

يتيم الأُم والأب

وفي رواية سئل من بعض اليهود بأي شيء عرفت نبوة محمد؟ قال: من الصفات التي قرأتها في التوراة: إنه المبعوث في آخر الزمان يموت أبوه وأُمه ويكفله جده وعمه[٣].

مولده مكة ومهاجره المدينة

يصعب على اليهود قبول قداسة غير بيت المقدس وبيت لحم ويكون قبلة للمصلين، وكان التصريح بأن مكة هي مولد نبي آخر الزمان، ولذا فإن متعصبي اليهود يذهبون إلى ظهور مشيحا من جبل صهيون[٤].

وجاء في خبر عن غزوة بني قريظة أنه لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بكعب بن أسد ليضرب عنقه نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا كعب أما نفعك وصية إبن حواش (ابن خراش)الحبرالذي أقبل من الشام فقال: تركت الخمروالخمير، وجئت

---

(١) البحار٢١: ٣٦٦.

(٢) محمد در تورات وإنجيل: ٢٨٦. من انجيل برنابا، الفصل ٢٠٨ : ٥- ٨

(٣) البحار١٦: ٢٠.

(٤) جاء في الإنجيل الكلام عن بيت جلال الرب، ولا تفسير له سوى الكعبة وبيت الله الحرام (محمد در تورات وإنجيل: المقدمه ٢٠).

إلى البؤس والتمور لنبيّ يبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكة وهذه دار هجرته[١].

وجاء في التوراة: قد جاء نور من جبل طور سيناء، وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران، والمراد من الجملة الأخيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله[٢].

وفي كتاب حبقّوق النبيّ: الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران، سلام جلاله غطى السماوات والأرض امتلأت من تسبيحه[٣].

صاحب الجمل وراكب الحمار

يركب الفراعنة والقياصرة على الأرائك والهوادج بالعربات الملوكية، أو تحملهم الخدم والحشم، وقد يركب بعضهم الفيل المغطى بالحرير والديباج، ولكن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله على عظم شأ نه ورفيع قدره كان يركب الحمار العاري والجمل العاري، ويردف الغير على أكمل حدود التواضع.

وجاء في كتاب شعيا: ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر،

وفي الإنجيل: صاحب الجمل الأحمر، وقرئ من التوراة في حضور الإمام الرضا عليه السلام إذا جاءت الأمة الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جداً جداً[٤].

ووجدنا في وصية الله سبحانه لعبده موسى في الرسول الخاتم: «صاحب الجمل الأحمر»[٥].

وفيما كتبه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليهود ملجاء على لسان الحبر اليهودي:« هو آخر أنبياء الله وأكرمهم، يركب الحمار ويشتمل الصماء، يجتزئ بالكسرة »[٦].

---

(١) كمال الدين: ١٩٨. البحار ١٥ :٢٩٦و٢٠: ٢٣٧.

(٢) محضر الشهود : ١٤٠.و١٢٦ الطبعة الجديدة.

(٣) حبقّوق الإصحاح الثالث: ٣، البحار ١٥: ٢٠٩، البحار١٠: ٣٠٨، .ومثله عن حجي النبي، فصل ٢ آيه ٧ (محمد درتورات وانجيل : المقدمة : ١٧).

(٤) البحار ١٠: ٣٠٥.

(٥) الكافي ٨ : ١٣٨.

(٦) كما في حديث كعب في البحار١٥: ٢٠٦.

وبزعمي فإن ركوب الرسول الحمار حينما توجه إلى قلاع خيبر ليكلم اليهود لم يخلو من الحكمة، عسى أن يرى اليهود هذا الحال وهذا الوصف المذكور في كتبهم ويعتبروا به، ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله أراد بذلك أن يتم عليهم الحجة.

على كتفه خاتم النبوّة

أهم علامة ظاهرية للرسول صلى الله عليه وآله وأهم دليل على صدق دعواه النبوة، هو وجود شامة سوداء على ظهره طرف الكتف الأيمن، وطبقاً لبعض الأخبار فإن الشامة عبارة عن سطرين:الأول: لا إله إلا الله، والثاني: محمد رسول الله[١].

وشاهدنا حديث الحبر: أنه في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة[٢].

بالإضافة إلى الرواية المارة، فقد جاء في كتاب شمعون الفصل الخامس: أثر سلطانه على كتفه[٣].

هذا وقد عرف البعض الرسول صلى الله عليه وآله به وصدق به عدد من علماء اليهود والنصارى على أثر مشاهدة الخاتم، فقد نقلوا عن حليمة السعدية أنها قالت: ذهبت بمحمّد وعمره سنتين إلى حبر يهودي فنظر إلى كتفه الأيمن، ولما شاهد خاتم النبوة قال: هو والله، أقتلوا هذا الغلام وأقتلوني معه، فإنه يأتي على دولة اليهود وينسخ دين موسى[٤].

ولما لاقى نسطور الراهب النبي في سفره الى الشام، صار يلتمس من هذا

---

(١) البحار١٥: ١٤٩.و٣٠: ٩٤ ومن كلام الامام عليّ عليه السلام في جواب قوم من اليهود اذا سالوا عن صفة النبي صلى الله عليه وآله قال :بين كتفيه كدارة القمر ليلة البدر مكتوب فيه بالنور سطران، السطر الاعلى:لااله الا الله وفي السطر الاسفل : محمد رسول الله.(نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للشيخ محمد باقر المحمودي، ١: ٩٣، موسسة الطباعة والنشر). وفي الخصال ٢: ٥٩٧، وفي بصائرالدرجات ١: ٣٥ مثل ذلك.

(٢) بحارالانوار١٥ :٢٠٦ وج٢٠ : ٢٣٧

(٣) البحار١٥: ٢٠٧، وفي الكتاب الحسام الممدود:٢٠٤: جاء في مكاتيب البحر الميت وكهف قُمران و وصف النبي الموعود بأن خاتم النبوة على كتفه.

(٤) البحار١٥: ١١١.

الخاتم فلما رأها أكبّ عليه يقبّله ويبكي وسلّم على النبي بالنبوة[١].

وفي الفترة التي كان يخرج فيها الرسول بأموال خديجة للتجارة، ذكرت خديجة حاله لحبر من أحبار اليهود، فطلب منه أن يثني الرّداء عن ظهره ويعري كتفه، فلما وقعت عينه على خاتم النبوة قال: والله خاتم النبوة.. وحق الكليم رسول الملك العظيم في آخر الزمان[٢].

وإستيقن راهب بصرى أنه نبي آخر الزمان لما رأى هذه العلامة[٣].

و عداس الراهب لما رأى خاتم النبوة على ظهر النبي قال: قدوس قدوس، أنت والله النبي الذي بشّر بك موسى وعيسى[٤].

وفي قصة إيمان سلمان الفارسي ذكروا أنه طلب من الرسول أن يريه خاتم النبوة، فأسلم على أثر رؤيته[٥].

وأما رسول الله ﷺ فإنه كان يتعاطف مع الناس ويتفاعل معهم بحيث يتمكنون من معرفته وتتم الحجة عليهم، وإذا أردنا إحصاء الموارد الواصلة التي يطلب فيها من النبي أن يري السائل والطالب خاتم النبوة، فقد تبلغ إلى أكثر من عشرة موارد، ولم ينقل أنه أبى ذلك حتى مرة واحدة، أو أحال السائل إلى زمان آخر، وهذا التعاطف يُعدّ مفتاح الحل لكثير من الرموز في سيرة النبي ومعاملته مع الآخرين مما لا يكون متعارفاً أو مألوفاً، كثني الرداء وتعرية الظهر وذلك من مثل النبي المعظم المكرم .

صاحب المعراج

جاء في نبوءة النبي ملاخي وتطبيقه على معراج الرسول ﷺ والإسراء به ليلاً إلى البيت المقدس وزيارة ذلك المعبد: ها أنا ذا أرسل ملاكي(رسولي) فيهيئ

---

(١) البحار١٥: ١٩٦، ومثله في البحار ١١: ٣٥٥، طبقات ابن سعد١: ٨٢.

(٢) البحار١٦: ٤.

(٣) البحار١٥: ٢١٤.

(٤) البحار١٨: ٢٢٢، ٢٢٩.

(٥) البحار١٩: ١٠٥، خلاصة الوفاء: ١١١

الطريق أمامي و يأتي بغتة إلى هيكله، السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذي تسرون به، هو ذا يأتي[١]، فإن عيسى وإن جاء إلى الهيكل ولكن الحوادث التي وقعت عند زيارته لاتتطابق مع هذه النبوءة[٢].

كتابه القرآن

جاء في الحديث عن الإمام الحسن العسكري أن قوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب﴾ في الآية الثانية من سورة البقرة يشير إلى الكتاب الموعود به الذي بشر به اليهود، بأن كتاب نبي آخر الزمان يشرع بالحروف المقطعة، ونحن نعلم أن أول سورة البقرة هو: «ألم »و كثير من سور القرآن تبدأ بالحروف المقطعة.

وفي الآية القرآنية: ﴿**إنه لفي زبر الأولين**﴾ دالة على ذلك.(البحار ١٠: ١٤)

وهناك صفات أُخرى للنبي مذكورة في كتاب النبي دانيال، منها اوصاف كتابه[٣].

قبلته الكعبة

جاء في تفسير الآية الشريفة :﴿ **وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ..... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ** .....﴾،«التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة تدفع إحتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة : قبلته الكعبة، وقولهم إن محمداً يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا »[٤].

الصلاة خمس مرات في اليوم

اعتماداً على ما جاء في الرواية عن ابن عباس، فإن الصلاة خمس مرات من مختصات آخر الأُمم، وقد ذكر ذلك في كتب السابقين[٥].

---

(١) ملاخي، الإصحاح الثالث: ١.

(٢) محمد در تورات وإنجيل: ٢٢.

(٣) محضر الشهود، الفصل الخامس: ١٢٧ ـ ١٦٢.

(٤) البحار٨١: ٤١ و٥٩، مجمع البيان تفسير الآية ١٤٨-١٥٠من البقره

(٥) البحار١٠: ٨٦ : إن أخوين يهوديين سألا أمير المؤمنين عن واحد وعن إثنين وعن خمسة قال: أما الخمسة فالصلاة أنزل الله على نبينا وعلى أُمته ولم ينزلها على نبي كان قبله ولا على امة كانت قبلنا وانتم تجدونه في التوراة ...الحديث(البحار ١٠: ٨٦).

عن يمينه جبرئيل الأمين

إحدى خصائص الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله عند أهل الكتاب إعانته بجبرئيل الذي يأتيه بالأخبار كل يوم، ويكون على يمينه دائماً، جرى ذكر ذلك حينما أسلم عبد الله بن صوريا[١].

وسأل يهودي من الرسول مسائل متعددة فلما أجابه عليها أسلم وقال: إني قرأت أنك حينما تخبرني يكون جبرئيل عن يمينك وميكائيل عن يسارك وعلي وصيك بين يديك يعينك [٢].

معرفته بأخلاقه الحميدة

نقرأ في الزيارة الجامعة الماثوره من ناحيه الامام الهادي عليه السلام أن الله سبحانه قد عرف جميع الخلق جلالة أمر أهل البيت عليهم السلام، وعِظم خطرهم، وكِبر شأنهم، وتمام نورهم، وهذا يعني أنه سبحانه وتعالى قد عرّف جلال أهل البيت وعظمتهم لجميع الأُمم السابقة [٣].

وعلى هذا الأساس قد تم التعريف بالرسول الخاتم وأهل بيته من عدة جهات، سواء كمالاتهم النفسية أو صفاتهم الظاهرية التي يمكن معرفتهم بها بأي

---

(١) البحار٢٢: ٢٧، وج٢٠: ١٤٦، وج٣٥: ١٨٣، وج٩: ٢٨٣، المعروف أن اليهود يعادون جبرئيل، ذكر ذلك ابن صوريا عندما لاقى الرسول صلى الله عليه وآله فنزل الوحي ﴿من كان عدواً لجبرئيل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين * من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ (البقرة ٩٧ ـ ٩٩). لا شك أن نزول هذه الآيات من أجل إصلاح الذهنية اليهودية الخاطئة، وفي مقام الاستدلال يقول رسول الله صلى الله عليه وآله ما مضمونه: إذا كان من الممكن معاداة جبرئيل لأنه أهلك بعض الأُمم بأمر الله سبحانه وتعالى فالأولى أيضاً معاداة عزرائيل لأنه يقبض الأرواح بأمر الله سبحانه، فالملائكة هم المنفذون لأوامره، والسر في ذلك العداء أنه كان يخبر النبي بحيل اليهود والمنافقين ويبطل تدبيرهم، ولذلك صاروا يعادونه لأجل ذلك.

(٢) البحار١١: ١٦٠، وج٣٧: ٣٧.

(٣) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة.

أنحاء المعرفة، ومنها صفات النبي الأخلاقية، فقد جاء في حديث أن في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا متزين بالفحش، ولا قول الخناء...[١].

وجاء في رواياتنا عن التوراة أيضاً: أحمد، عبدي المختار، لا فظٌ ولا غليظٌ ولا صخابٌ في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة و هجرته بطيبة...[٢].

وفي كتاب إشعيا النبي: عبدي خيرتي من خلقي، رضيّ نفسي، أقبض عليه روحي(أوقال أُنزل)، فيظهرفي الأمم عدلي، لا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصمّ، ولا يميل إلى اللهو، ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ حتى تثبت في الأرض حجتي وينقطع به العذر[٣].

وإذا طالعنا عن حياة الرسول صلى الله عليه وآله ينقدح لنا الدور الأكبر لأخلاقه السامية في جذب الناس إلى الإسلام أكثر من أي شيء آخر، يؤكده قوله تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[٤].

هذا وقد بين الرسول صلى الله عليه وآله الهدف من بعثته وقال: «**بُعِثتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق**»[٥]، ولا يتحقق هذا الهدف إلا إذا كان الرسول نفسه سبّاقاً إلى ذلك.

وهناك موارد كثيرة من إسلام اليهود يروى أنها كانت بسبب معاملة الرسول الحسنة[٦].

---

(١) البحار١٦: ٢١٦.

(٢) البحار١٥: ٢١٣.

(٣) البحار١٥: ٢٠٧.

(٤) آل عمران :١٥٩.

(٥) المستدرك عن الطبرسي ١١: ١٨٧ وعن فقه الرضا ١١: ١٩١.

(٦) يروى أنه كان ليهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله دنانير فتقاضاه، فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك، فقال: لا أُفارقك يا محمد حتى تقضيني، فقال: إذن أجلس معك، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتهددونه

حتى أنه بلغنا إسلام يهودي لأجل عطوفة الرسول على الأطفال[١].

وسأل احد اليهود قريشاً وقال: من هم أتباع هذا النبي الذي ظهر بمكة؟ فقالوا: اتبعه الأرذلون والمساكين، فصاح حبر من بينهم هذا هو النبي الذي وجدنا صفاته في التوراة، قومه ألدّ أعدائه وهو يصحب المساكين[٢].

معرفته بجوابه على المسائل العلمية

هناك بعض الأسرار عند اليهود والعلوم التي لا يطلع عليها سوى البعض منهم، ولما أراد اليهود اختبار الرسول كانوا يسألون عن هذه الأُمور فكان يجيبهم عنها وقد نقل في الأخبار بعض تلك الأسئلة والأجوبة، ومن تلك الأمور أنهم يزعمون أن علم الروح لا يعلمه أحد وأن كل من يدعي علمه فهو كاذب، فلما

ويتواعدونه، فنظر رسول الله إليهم فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟! فقال ﷺ: لم يبعثني ربي عزو جل بأن أظلم معاهداً ولا غيره، فلما علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وشطر مالي في سبيل الله، اما والله ما فعلت بك الذي فعلت إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فإني قرأت في التوراة: محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، ليس بفظ غليظ ولا صخاب، ولا متزين بالفحش، ولا قول الخناء... أمالي الصدوق: ٥٥١ ـ ٥٥٢ ح٦، البحار١٦: ٢١٦ ح٥.

(١) البحار٤٣: ٢٩٧ من أحاديث ليث بن سعد أن النبي ﷺ كان يصلي مع أصحابه، وكان الحسين عليه السلام إلى جنبه وهو طفل فلما سجد النبي ﷺ صعد على كتفيه وكان النبي إذا قام من السجود أخذه وأجلسه على فخذه حتى أتم الصلاة على هذا الحال، وكان هناك يهودي يرى ذلك، فجاء إلى النبي وقال: أنت تصنع مع الأطفال ما لانصنعه فقال: إذا كنت تؤمن بالله ورسوله كنت تترحم على الأطفال، فقال اليهودي:آمنت بالله ورسوله، نجد أن هذا اليهودي أسلم لما رأى عطف النبي على الأطفال على عظم شأنه وإرتفاع مقامه.

(٢) البحار١٧: ٢٩٦ وفيما وصى الله به موسى بن عمران: ... **فَمَثَلُهُ فِي كِتَابِكَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ مُهَيْمِنٌ عَلَى الْكُتُبِ كُلِّهَا وَ أَنَّهُ رَاكِعٌ سَاجِدٌ رَاغِبٌ رَاهِبٌ إِخْوَانُهُ الْمَسَاكِينُ وَ أَنْصَارُهُ قَوْمٌ آخَرُونَ ... اسْمُهُ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ مِنَ الْبَاقِينَ مِنْ ثُلَّةِ الْأَوَّلِينَ الْمَاضِينَ**... الحديث.

سألوا النبي عنها فتكلف لهم الجواب فهو دليل على عدم نبوته وإذا أجاب بأن علمه عند الله فهو نبي، وهكذا جاؤا يسألونه في مكة، فنزلت الآيات من سورة الكهف وبلغ عامة اليهود[١].

واستخرج عبد الله بن سلام ألفاً وأربعمائة وأربع مسائل من التوراة ليسألها النبي، فلما جاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله أخبره النبي بعزمه وما جاء له، فأسلم في أول وهلة، ومع ذلك فقد طرح بعض الأسئلة وتلقى الأجوبة الشافية وقد طبعت هذه الأسئلة والأجوبة في رسالة مستقلة، وهي موجودة في كتاب البحار[٢].

ولعل أكثر قصص الأنبياء في القرآن في الحقيقة هي ردود على إشكالات أهل الكتاب وإعتراضاتهم، وهي تحكي في الغالب آمالهم وتوقعاتهم فأراد الله سبحانه وتعالى هدايتهم من هذا السبيل.

ولما كانت أكثر أجوبة الرسول صلى الله عليه وآله، مطابقة لما بلغهم عن الأنبياء السابقين فمن الطبيعي تكون من السبب لمعرفة اليهود بالرسول وأوصيائه، لأن إخبار النبي صلى الله عليه وآله بما يطابق الدفاتر والكتب غير المفتوحة وغير المقروءة بالمرة، لايكون إلا معجزة، فإن مضامين وملخص ما جاء به القرآن موجود في التوراة، وهذا ما علمه اليهود جيداً ومع ذلك إمتنعوا من الإيمان بالنبي إلا القليل منهم.

وذلك مثل ما روي أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله سأل عن ذي القرنين ولما أجابه الرسول صلى الله عليه وآله قال :نعم هذا موجود في التوراة[٣]. وأمثال هذه الرواية كثيرة جداً.

---

(١) البحار٢٠: ٣٨١ والآيات في سورة الكهف التي تضمنت قصة أصحاب الكهف وأحوال ذي القرنين وجاء فيها ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾.

(٢) البحار١٦: ٣٢٧، وج٩: ٣٢٧، وج٥٧: ٢٤٢ .

(٣) بحار الأنوار١٨:١٠٧ وقال أبو عقبة الأنصاري كنت في خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء نفر من اليهود فقالوا لي استأذن لنا على محمد فأخبرته فدخلوا عليه فقالوا: أخبرنا عما جئنا نسألك عنه قال جئتمونـي تسألونني عن ذي القرنين قالوا نعم، فقال صلى الله عليه وآله: كان غلاماً من أهل الروم ناصحاً لله عزوجل فأحبه الله وملك الأرض فسار حتى أتى مغرب الشمس ثم سار إلى مطلعها ثم سار إلى خيل يأجوج ومأجوج فبنى السد قالوا نشهد أن هذا شأنه وإنه لفي التوراة.

معرفته بصدور المعجزة عنه

نحن نعلم أن أحد طرق معرفة الرسل والأنبياء هو إظهارهم المعاجز _أعني الأُمور التي لايتمكن غيرهم من تحققها_ بإذن الله سبحانه، ولذا لم يظهروا المعجزة لكل من طلب ذلك منهم بل كانوا ينتظرون في ذلك الوحي وإرادة الله تعالى.

وكان هناك بعض اليهود العارفين بالقراءة والكتابة ولهم مكانة مرموقة بين أهل الحجاز، يقرؤن قصص الأنبياء السابقين ومعاجزهم، فكانوا ومن أجل تكذيب دعوة النبي وصدها وتفنيدها تراهم يطلبون منه أن يريهم نظائرتلك المعاجز كإحياء الموتى وشفاء المرضى، والإخبار بالغيب، ومثل تبديل العصا إلى ثعبان، وإستنطاق الجمادات والحيوانات وغيرها، والمستفاد من الأخبار المنقولة في هذا الشأن أن بعض اولئك اليهود كان يؤمن إذا شاهد المعجزة، بينما البعض الآخر لا تزيده مشاهدتها إلا شقاء وتعنتاً ويرى أن ذلك من السحر، واليك بعض النماذج.

أتى جماعة من اليمن النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: نحن من بقايا الملل السابقة من آل نوح وكان لنبينا وصي إسمه سام، وأخبر في كتابه أن لكل نبي معجزاً وله وصي يقوم مقامه، فمن وصيك؟ فأشار بيده نحو علي، فقالوا: يا محمد إن سألناه أن يرينا سام بن نوح فيفعل؟ فقال صلى الله عليه وآله نعم بإذن الله، وقال: يا علي قم معهم إلى داخل المسجد وإضرب برجلك الأرض عند المحراب، فذهب عليّ ...فصلى ركعتين، ثم قام وضرب برجله الأرض فإنشقت فظهر لحد وتابوت، فقام من التابوت شيخ يتلألأ وجهه مثل القمر ليلة البدر، والحاصل أنهم تكلموا معه وسألوه عدة أسئلة ولما تيقنوا بذلك أسلموا وشهدوا بوصاية أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً [١].

ويذكر أن امرأة يهودية وضعت السم في ذراع شاة وقدمتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه حينما رجع من غزوة بدر، فتكلم الذراع أنه مسموم و أطلع الله سبحانه الرسول على عمل هذه المرأة الشنيع، وعلى أثر ذلك أسلم جماعة من اليهود[٢].

---

(١) البحار٤١: ٢١٢ ح٢٦، مناقب آل أبي طالب٢: ١٦٢.

(٢) البحار ١٦: ٣٢٧. وكذا في البحار ١١: ٣١٧ ومثله عند الرجوع من غزوة خيبر.

ولا نحبذ إطالة الكلام في هذا المجال بل نكتفي بهذا المقدار[١].

معرفته من جهة ذريته وأوصيائه

طبقاً لما جاء في الأخبار فقد تكرر ذكر إسم النبي وإسم آبائه وذريته وأوصيائه في التوراة نظير تكرر اسم النبي موسى عليه السلام في القرآن بما ينيف على ١٣٦ مرة، وإلى جانبه إسم أخيه وخليفته هارون.

---

(١) وفي البحار ٤١: ٢٧٠ ومن المعاجز الأُخرى التي أظهرها النبي ﷺ لليهود هو أنه قدم على رسول الله ﷺ، حبر من أحبار اليهود وقال: يا رسول الله قد أرسلني إليك قومي أن عهد إلينا نبينا موسى أنه يبعث بعدي نبي إسمه أحمد وهو عربي فامضوا إليه واسألوه أن يخرج لكم من جبل هناك سبع نوق حمر الوبر سود الحدق، فإن أخرجها لكم فسلموا عليه وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه وصياً، فهو سيد الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء، وهو بمنزلة هارون من موسى، فعند ذلك قال: الله أكبر قم بنا يا أخا اليهود، قال: فخرج النبي ﷺ والمسلمون حوله إلى ظاهر المدينة، وجاء إلى جبل فبسط البردة وصلى ركعتين وتكلم بكلام خفي، وإذا الجبل يصر صريراً عظيماً، وانشق وسمع الناس حنين النوق، فقال اليهودي: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله وأن جميع ما جئت به صدق وعدل، يا رسول الله أمهلني حتى أمضي إلى قومي وأجيئ بهم ليقضوا عدتهم منك ويؤمنوا بك، فمضى الحبر إلى قومه فأخبرهم بذلك، فتجزوا بأجمعهم للمسير يطلبون المدينة، فلما دخلوها وجدوها مظلمة لفقد رسول الله ﷺ وقد انقطع الوحي من السماء، وجلس مكانه أبو بكر! فدخلوا عليه وقالوا: أنت خليفة رسول الله؟ قال: نعم، قالوا: أعطنا عدتنا من رسول الله، قال: وما عدتكم؟ قالوا: فقام وقعد وتحير في أمره ولم يعلم ماذا يصنع، وإذا برجل من المسلمين فقال: اتبعوني حتى أدلكم على خليفة رسول الله، قال: فخرجوا من بين يدي أبي بكر وتبعوا الرجل حتى أتوا منزل الزهراء عليها السلام وطرقوا الباب وإذا بالباب قد فتح، فإذا بعلي عليه السلام قد خرج وهو شديد الحزن على رسول الله ﷺ فلما رآهم قال: أيها اليهود تريدون عدتكم من رسول الله؟ قالوا: نعم فخرج معهم وساروا إلى ظاهر المدينة إلى الجبل الذي صلى عنده رسول الله ﷺ فلما رأى مكانه تنفس الصعداء وقال: بأبي وأمي من كان بهذا الجبل هنيئة، ثم صلى ركعتين وإذا بالجبل قد انشق وخرجت النوق منه، وهي سبع نوق، فلما رأوا ذلك قالوا بلسان واحد: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وأنك الخليفة من بعده، وأن ما جاء به من عند ربنا هو الحق، وأنك خليفته حقاً ووصيه ووراث علمه، فجزاك الله وجزاه عن الإسلام خيراً، ثم رجعوا إلى بلادهم مسلمين موحدين.

ومن الأمور المهمة التي كانت بين النبي وأهل الكتاب في المدينة عملية المباهلة التي لا تقل في الأهمية عن واقعة الغدير، فإذا كان في واقعة يوم الغدير إثبات لولاية أهل البيت عليهم السلام فإن في المباهلة تسقيط لأعدائهم وتضعيفهم وإذلالهم إلى أبعد الحدود، وإذا كان الغدير هو الأساس في التولي فالمباهلة هي أساس التبري، والتنفر وإبعاد الله سبحانه لأعدائهم .

وهكذا فقد شارك في هذه العملية من الجانب الإسلامي خمسة أشخاص حيث جلس الرسول في الوسط وعليٌّ على يمينه والحسن والحسين بين يديه وفاطمة وراءه. والملاحظ أن المباهلة وإن كانت مع النصارى ولكن لما تجلت فيها أحقية الرسول صلى الله عليه وآله وصدق دعواه، لم يفرق فيها من كان بإزائه من النصارى أو اليهود، ولا شك أن هذا الحدث ينفي حقانية كل دين سوى الإسلام وكل مذهب سوى الشيعة الإثني عشرية، ولا يمكن إنكار ما وقع بعد وروده في القرآن، و في آلاف الكتب والروايات من طرق الشيعة والسنة خصوصاً الواردة في تفسير آية المباهلة.

ونقل العلامة المجلسي في كتاب البحار حديثاً مفصلاً عن عملية المباهلة يعكس مدى معرفة أهل الكتاب بالنبي وأهل بيته من جهات مختلفة، وفي هذا الحديث أيضاً كلمات ظريفة ومثيرة للدهشة منقولة عن صحف الأنبياء السابقين حول الرسول وأهل بيته تبين مقاماتهم ومنزلتهم بحيث يمكن القول بأن أحد الدلائل المثبتة لحقانية الرسول هو وجود الإمام علي عليه السلام وزير النبي ووصيه لوجود إسمه (إيليا) في كتبهم حتى اليوم، وكذا وجود فاطمة الزهراء، فإنها طبقاً لهذا الحديث هي المحور الذي تتجلى أهميته في كتب السابقين بوضوح، ويدعو إلى الذهن كلام الرسول صلى الله عليه وآله في حق إبنته حيث يقول: على معرفتها دارت القرون الأُولى، وفي المرتبة الثالثة وجود أنوار الأئمة المقدسة حتى تبلغ إمام العصر والزمان، المذخور لإقامة الأمت والعوج وللإنتقام من الظالمين قتلة الأنبياء عليهم السلام ، وناشر العدل في جميع العالم كما هو مستفاد من تلك الكتب[1].

---

(١) البحار٢١: ٣٢٥، ٢٧٧ وج٢١: ٣٣٩، وعن الدر المنثور٢١: ٣٨٥ : مباهلة الرسول صلى الله عليه وآله مع النصارى عندما هاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة وصارت دعوته تنتشر أخذ يبعث الكتب إلى أهل الكتاب الساكنين في أطراف المدينة مثل نصارى نجران يدعوهم إلى الإسلام، وفي مقام الجواب على تلك الكتب اجتمع العلماء المسيحيين للتشاور والتوافق على الإجابة ولما عرفوا صدق الرسول صلى الله عليه وآله ورفضوا الاستسلام، طال الأمر فاقترح عليهم الاسقف المعمر حارثة بن أثال أن يرجعوا إلى كتاب

الجامعة المؤلف من مجموعة من الكتب السماوية التي نزلت في سالف القرون وظلت آثارها، فوافقوا على هذا الإقتراح وقرؤا تلك الكتب وما يختص منها بالرسول الخاتم وصفاته ومنها صحف آدم عليه السلام: هذا أحمد سيدهم وسيد بريتي اخترته بعلمي واشتققت اسمه من اسمي فانا المحمود وهو محمد وهذا صنوه ووصيه آزرته به وجعلت بركاتي وتطهيري في عقبه وهذه سيدة امائي والبقية في علمي من أحمد نبيي وهذان السبطان والخلفان لهم وهذه الأعيان الصادع نورها أنوارهم بقية منهم إلا أن كلا اصطفيت وطهرت وعلى كل باركت وترحمت وكلا بعلمي جعلت قدوة عبادي ونور بلادي....

ثم قرأوا صحيفة شيث المكتوبة بالسريانية القديمة على يد ملوك هياطلة (نمارذة) وكان ادريس قد ورثها فإذا فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلان أمين الله فلان أمين الله وذكر أسماء مقرونة بمحمد ﷺ . ثم عطفوا على صحف إبراهيم عليه السلام فكان فيها: فنظر إبراهيم في ذلك التابوت فابصر فيه بيوتاً بعدد ذوي العزم من الأنبياء المرسلين وأوصيائهم من بعدهم ونظر فإذا بيت محمد ﷺ آخر الأنبياء عن يمينه علي بن أبي طالب آخذا بحجزته فإذا شكل عظيم يتلألأ نوراً فيه هذا صنوه ووصيه المؤيد بالنصر فقال إبراهيم عليه السلام إلهي وسيدي من هذا الخلق الشريف فأوحى الله عز وجل هذا عبدي وصفوتي الفاتح الخاتم وهذا وصيه الوارث قال رب ماالفاتح الخاتم قال هذا محمد خيرتي وبكر فطرتي وحجتي الكبرى في بريتي نباته واجتبيته إذ آدم بين الطين والجسد ثم إني باعثه عند انقطاع الزمان لتكملة ديني وخاتم به رسالاتي ونذري وهذا علي اخوه وصديقه الأكبر آخيت بينهما واخترتهما وصليت وباركت عليهما وطهرتهما و اخلصتهما والأبرار منهما وذريتهما قبل أن أخلق سمائي وأرضي وما فيهما وبينهما من خلقي ذلك لعلمي بهم وبقلوبهم إني بعبادي عليم خبير ونظر إبراهيم فإذا اثنا عشر عظيماً تكاد تلألأ أشكالهم بحسنها نوراً فسأل ربه جل وتعالى فقال رب نبئني بأسماء هذه الصور المقرونة بصورتي محمد ووصيه وذلك لما رأى من رفيع درجاتهم والتحاقهم بشكلي محمد ووصيه عليه السلام فأوحى الله عز وجل إليه هذه أمتي والبقية من نبيي فاطمة الصديقة الزاهرة وجعلتها مع خليلها عصبة لذرية نبيي هؤلاء وهذان الحسنان وهذا فلان هذا فلان و... وهذا كلمتي التي انشر به رحمتي في بلادي وبه انتاش ديني وعبادي ذلك بعد أياس منهم وقنوط منهم من غياثي فإذا ذكرت محمداً نبيي بصلواتك فصل عليهم معه يا إبراهيم....

ثم صار القوم إلى مانزل على موسى عليه السلام فالفوا في السفر الثاني من التوراة: إني باعث في الأميين من ولد إسماعيل رسولاً أنزل عليه كتابي وابعثه بالشريعة القيمة إلى جميع خلقي اوتيه حكمتي واويده بملائكتي وجنودي تكون ذريته من ابنة له مباركة باركتها ثم من شبلين لها كإسماعيل وإسحاق اصلين لشعبين عظيمين أكثرهم جداً جداً يكون منهم اثنا عشر قيماً أكمل بمحمد ﷺ وبما أرسله به من بلاغ وحكمة ديني واختم به أنبيائي ورسلي فعلى محمد وأمته تقوم الساعة.

وبلغ اليهود والنصارى من نجران موت ولدي الرسول، فقال المعاند منهم: هو أبتر ونحن وجدنا في كتبنا أن الرسول الخاتم هو الحاشر والعاقب فلابد أن يكون له ذرية وأولاد، وهذا ليس له ذرية وليس هو نبي آخر الزمان، فأنكروا بذلك نبوته[١]، ولكنهم كانوا يعلمون أن ذريته من إبنته وحتى كانوا يعلمون إسم تلك البنت[٢].

واستناداً إلى هذه الفضيلة، قيل إن الأطفال ذوي العقول الكاملة الذين عبر عنهم القرآن بالرجال أربعة، هم: عيسى ويحيى والإمام الحسن والإمام الحسين[٣].

وقد عكست تسمية أبناء الرسول بإسم أبناء هارون مدى الارتباط المعنوي الوثيق بين هذين البيتين النبيويين، ومن اللازم أن يلفت ذلك أنظار اليهود[٤].

وسأل يهودي رسول الله عن خمسة أسطر مكتوبة في التوراة، فأجابه: أول ما في التوراة مكتوب محمد رسول الله، وهي بالعبرانية «طاب طاب »، ثم تلا رسول الله هذه الآية : ﴿**يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل**﴾ و ﴿**مبشراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد**﴾.

ثم صار القوم إلى الكتب والأناجيل التي جاء بها عيسى عليه السلام فالفوا في المفتاح الرابع: قال (الله عز وجل) سأنبئك بما سالت: اسمه أحمد منتخب من ذرية إبراهيم ومصطفى من سلالة إسماعيل ذو الوجه الأقمر والجبين الأزهر راكب الجمل تنام عينه ولا ينام قلبه أبعثه في امة امية ما بقي الليل والنهار مولده في بلد أبيه إسماعيل يعني مكة كثير الأزواج وقليل الأولاد نسله من مباركة صديقة يكون له منها ابنة لها فرخان سيدان يستشهدان اجعل نسل أحمد منهما فطوباهما ولمن أحبهما وشهد أيامهما فنصرهما.

(١) البحار٢١: ٣٠٥.

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري :٦٥٦.

(٣) تفسير الإمام الحسن العسكري : ٦٥٦و٦٥٩

(٤) جاء في باب ميلاد الإمام الحسين عليه السلام: هنالك هبط جبرئيل وقال: يا محمد، العلي الأعلى يبلغك السلام ويقول علي منك بمنزلة هارون من موسى فسم ابنك بإسم ولد هارون، فقال وما اسمه؟ قال: شبير فقال النبي: لساني عربي قال: سمه حسيناً.

وفي السطر الثاني إسم وصيي علي بن أبي طالب
وفي الثالث والرابع إسم سبطيه الحسن والحسين.
وفي السطر الخامس إسم أُمهما فاطمة سيدة نساء العالمين[١].

وسأل جماعة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله: من هو وصيك فقال رسول الله: علي عليه السلام قالوا: صدقت وجدنا أوصافه في كتبنا[٢]، وأخذوا يسألون أسئلة أُخرى فلما أجابهم أسلموا.

وفي كتاب النبي إدريس عبّر عن النبي بـ «پارقليطا » وعن علي بـ«إيليا » وعن فاطمة بـ«طيطة » وعن الحسن والحسين بـ« شِبَّرو شُبَير» وعد ذلك الرجل الإلهي و علي وفاطمة والحسن والحسين محور الكائنات[٣].

ونقلوا أن في الزبور المحفوظ عند اهزان الله مشقى(القائدالروحي للمسيحيين) جاءت الوصية بأمير المؤمنين علي عليه السلام: اسمعوا وأطيعوا إيليا السماع منه ينجي ويصلح، ذلك الذي إسمه حدار (حيدر) يأخذ بأيديكم وهو مدد من ليس له أحد يمده، وأسد الأسود، قوته وقدرته عظيمة و مولده في كعابا (الكعبة) واجب على الجميع الأخذ بذياله، ومثل الغلام يطيعوه[٤].

---

(١) البحار٩: ٢٩٨.

(٢) الصراط المستقيم ٢: ١٤٤وفي بحار الأنوار٣: ٣٢٤ : سأل يهوديان أمير المؤمنين أسئلة فأسلما وقالا: فوالذي نزّل التوراة على موسى، إنك لانت الخليفة حقا، نجد صفتك في كتبنا، نقرؤه في كنائسنا، أنت وصيه وزوج إبنته وابوالسبطين والامام بالحق بعده وأول من آمن به. وفي الفضائل للأحمد في قصة نعثل اليهودي، وعند سؤال سلمان في الفضائل ٢: ٦١٥ح١٠٥٢، هكذا.

(٣) بشارات عهدين: ٢٢٩، ٢٣٠، عن كتاب إدريس :٥١٤، طبع في لندن سنة ١٨٩٥م باللغة السريانية، وهو موجود اليوم .
أقول: طالما طالعت الكتب للعثور على أسماء أولاد هارون غير الأسماء الأربعة المذكورة في التوراة الحالية مما يقارب الأسماء المنقولة في أحاديثنا أعني شبر وشبير، فلم أجد لها أثراً، وفي خصوص بشارات الإمام المهدي وظهوره أنظر بشارات عهدين: ٢٣٦.

(٤) علي وپيامبران بالفارسية :٢١.

وفي رواية جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ذكر أسماء أوصيائه حتى بلغ إلى الإمام الخامس قال: ثم محمد بن علي، المعروف في التوراة بالباقر... [١].

وعن جابر أيضاً قال: سمعت سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يحدث أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بمكة، قال: سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن الله عزو جل أوحى إلي ليلة المعراج... وذكر أسماء الأئمة، فلما إنصرف سالم من الكعبة تبعته فقلت: يا أبا عمر أنشدك الله هل أخبرك أحد غير أبيك بهذه الأسماء؟ قال: اللهم أما الحديث عن رسول الله فلا، ولكني كنت مع أبي عند كعب الأحبار فسمعته يقول: إن الأئمة بعد نبيها على عدد نقباء بني إسرائيل وأقبل علي بن أبي طالب، فقال كعب: هذا المقفي أوّلهم وأحد عشر من ولده،وسماهم كعب بأسمائهم في التوراة: تقوبيت، قيذوا، دبيرا، مفسوراً، مسموعاً، دوموه، مثبو، هذار، يثمو، بطور، نوقس، قيدموا.

قال أبو عامر هشام الدستواني(الراوي):لقيت يهودياً بالحيرة يقال له: عثوا ابن أوسوا وكان حبر اليهود وعالمهم، وسألته عن هذه الأسماء وتلوتها عليه، فقال لي: من أين عرفت هذه النعوت؟ قلت: هي أسماء، قال: ليست أسماء ولكنها نعوت لأقوام و أوصاف بالعبرانية صحيحة نجدها عندنا في التوراة، ولو سألت عنها غيري لعمي عن معرفتها أو تعامى، قلت: ولم ذلك؟ قال أما العمى فللجهل بها، وأما التعامي لئلا تكون على دينه ظهيراً وبه خبيراً، وإنما أقررت لك بهذه النعوت لأني من ولد هارون بن عمران، مؤمن بمحمّد صلى الله عليه وآله، اسرّ ذلك عن بطانتي من اليهود الذين لم أظهر لهم الإسلام ولن أظهره بعدك لأحد حتى أموت، قلت: ولم ذلك؟ قال: «لأني أجد في كتب آبائي الماضين من ولد هارون، ألانؤمن بهذا النبي الذي أسمه محمد ظاهراً، ونؤمن به باطناً حتى يظهر المهدي القائم من ولده فمن أدركه منا فليؤمن به »، وبه نعت الأخير من الأسماء قلت وبما نعت قال نعت بأنه يظهر على الدين كله ويخرج إليه المسيح فيدين به ويكون له صاحباً، قلت: فأنعت لي هذه النعوت لأعلم علمها قال: نعم فعه عنّي وصنه، إلا عن أهله وموضعه، إن شاء الله.

---

(١) أمالي الصدوق: ٩ ح٢٨٩، البحار٤٦: ٢٢٣، موسوعة الإمام الصادق١٠: ٣٩٦.

أما **تقوبيت** فهو أول الأوصياء ووصي آخر الأنبياء، وأما **قيذوا** فهو ثاني الأوصياء وأول العترة الأصفياء، وأما **دبيرا** فهو ثاني العترة وسيد الشهداء، وأما **مفسورا** فهو سيد من عبد الله من عباده، وأما **مسموعاً** فهو وارث علم الأولين والآخرين، وأما **دوموه** فهو المدرة الناطق عن الله الصادق، وأما **مثبو** فهو خير المسجونين في سجن الظالمين، وأما **هذار** فهو المنخوع بحقه النازح الأوطان الممنوع، وأما **يثمو** فهو القصير العمر الطويل الأثر، وأما **بطور** فهو رابع إسمه، وأما **نوقس** فهو سمي عمه، وأما **قيدموا** فهو المفقود من أبيه وأمه، الغائب بأمر الله وعلمه والقائم بحكمه[1].

والطريف أن جندل بن جنادة اليهودي جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله و سأله أسئلة كثيرة وكلما أجابه الرسول صلى الله عليه وآله قال: صدقت يا محمد، وعاقبة ذلك أنه أسلم ثم

---

(١) البحار٣٦: ٢٢٤ وفي ص ٢٢٥من المقتضب أيضا عن ثوابة الموصلي عن ابن سليمان أبي موزج قال : لقيت ببيت المقدس عمران بن خاقان الوافد إلى المنصور قد أسلم على يده، وكان قد حج اليهود ببيانه وعلمه، وكانوا لا يستطيعون جحده لما في التوراة من علامات رسول الله والخلفاء من بعده، فقال لي يوما :

يا أبا موزج إنا نجد في التوراة ثلاثة عشر اسما منها محمد واثنا عشر بعده من أهل بيته، هم أوصياؤه وخلفاؤه مذكورون في التوراة، ليس فيهم القائمون بعده من تيم ولا عدي ولا بني أمية، وإني لأظن ما تقوله هذه الشيعة حقا، قلت : فأخبرني به قال : لتعطيني عهد الله وميثاقه أن لا تخبر الشيعة بشئ من ذلك فيظهروه علي، قلت : وما تخاف من ذلك والقوم من بني هاشم ؟ قال : ليست أسماؤهم أسماء هؤلاء بل هم من ولد الأول منهم وهو محمد ومن بقيته في الأرض من بعده، فأعطيته ما أراد من المواثيق، وقال لي : حدث به بعدي إن تقدمتك وإلا فلا عليك أن لا تخبر به أحدا، قال : نجدهم في التوراة، قرأ منه ما ترجمته : إن شمو علي يخرج من صلبه ابن مبارك، صلواتي عليه وقدسي، يلد اثني عشر ولداً يكون ذكرهم باقيا إلى يوم القيامة وعليهم القيامة تقوم، طوبى لمن عرفهم بحقيقتهم . بيان : " وكان قد حج اليهود " أي غلبهم في الخصومة ولعل كون الاثني عشر من ولده على تقدير كونه مطابقا لما في كتبهم ولم يحرفوه على التغليب أو التجوز. وفي ج٢١، الرواية تحتاج إلى توضيح يأتي في محله.

قال: يا رسول الله إني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال لي: يا جندل أسلم على يد محمد و استمسك بالأوصياء من بعده فقد أسلمت و رزقني الله ذلك فأخبرني ما الأوصياء بعدك لأتمسك بهم .فقال: يا جندل أوصيائي من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل، فقال: يا رسول الله إنهم كانوا إثني عشر هكذا وجدنا في التوراة، قال: نعم الأئمة بعدي إثنا عشر، فقال: يا رسول الله كلهم في زمن واحد قال: لا و لكن خلف بعد خلف، فإنك لن تدرك منهم إلا ثلاثة قال: فسمهم لي يا رسول الله، قال: نعم إنك تدرك سيد الأوصياء و وارث الأنبياء و أبا الأئمة علي بن أبي طالب بعدي ثم إبنه الحسن ثم الحسين فاستمسك بهم من بعدي و لا يغرنك جهل الجاهلين فإذا كانت وقت ولادة إبنه علي بن الحسين سيد العابدين يقضي الله عليك و يكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن، فقال: يا رسول الله هكذا وجدت في التوراة : اليا، يقطوا، شبرا و شبيرا، فلم أعرف أساميهم، فكم بعد الحسين من الأوصياء و ما أساميهم فقال: تسعة من صلب الحسين و المهدي منهم[1].

---

(١) البحار ٣٦: ٣٠٤.و١٥: ١٨١: عن كفاية الأثر :٥٧ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : دخل جندل بن جنادة اليهودي من خيبر على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عما ليس لله و عما ليس عند الله و عما لا يعلمه الله، فقال رسول الله ﷺ: أما ما ليس لله فليس لله شريك، و أما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد، وأما ما لا يعلمه‌الله فذلك قولكم يا معشر اليهود عزير بن الله و الله لا يعلم أن له ولدا، فقال جندل : أشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله حقا، ...ثم سئل عن أوصيائه الى أن قال : فكم بعد الحسين من الأوصياء و ما أساميهم، فقال ﷺ : تسعة من صلب الحسين و المهدي منهم فإذا إنقضت مدة الحسين قام بالأمر بعده علي إبنه و يلقب بزين العابدين فإذا انقضت مدة علي قام بالأمر بعده إبنه يدعى بالباقر، فإذا إنقضت مدة محمد قام بالأمر بعده جعفر و يدعى بالصادق، فإذا إنقضت مدة جعفر قام بالأمر بعده موسى و يدعى بالكاظم، ثم إذا إنتهت مدة موسى قام بالأمر بعده إبنه علي و يدعى بالرضا، فإذا إنقضت مدة علي قام بالأمر بعده إبنه محمد يدعى بالزكي، فإذا إنقضت مدة محمد قام بالأمر بعده علي إبنه و يدعى، بالنقي فإذا انقضت مدة علي قام بالأمر بعده الحسن إبنه يدعى بالأمين، ثم يغيب عنهم إمامهم، قال يا رسول

بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام جاء رأس الجالوت اليهودي الذي كان قد سأل أوصاف الأوصياء منه عليه السلام إلى الإمام الحسن المجتبى ابن الإمام الأكبروقال: يا أبا محمد أقتل هذا القاتل (ابن ملجم) لأني رأيت في الكتب التي نزلت على موسى عليه السلام أن جرمه أعظم من جرم إبن آدم الذي قتل أخاه، ومن جرم قدّار الذي قتل ناقة صالح، ثم أعلن إسلامه وبكى على الإمام بكاءاً شديداً[1].

وجميع هذا الذي ذكرناه يعكس حقانية الرسول المكرم واهل بيته عليهم السلام و صدقهم وعلمهم وقدرتهم ومجدهم وعظمتهم بحيث يدعو كل عاقل إلى التسليم والرضوخ.

إذا طال الكلام في نقل هذه الأخبار على الرغم من كونها مجرد نماذج وإشارات فلأجل تحاشي الإشكال الوارد على سند بعضها أو دلالتها، فإن مجموعها وإجتماعها ينفع في المقام، ولا يمكن القول بأن جميع هذه الأخبار التي دونت في

الله هو الحسن يغيب عنهم قال: لا و لكن إبنه الحجة، قال: يا رسول الله فما إسمه قال: لا يسمى حتى يظهره الله، قال جندل يا رسول الله قد وجدنا ذكركم في التوراة و قد بشرنا موسى بن عمران بك و بالأوصياء بعدك من ذريتك، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً فقال جندل يا رسول الله فما خوفهم قال صلى الله عليه وآله يا جندل في زمن كل واحد منهم جبار يعتريه و يؤذيه، فإذا عجل الله خروج قائمنا يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا، ثم قال صلى الله عليه وآله طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محجتهم، أولئك وصفهم الله في كتابه: و قال الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ و قال: أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قال ابن الأسقع: ثم عاش جندل بن جنادة إلى أيام الحسين بن علي ع ثم خرج إلى الطائف، فحدثني نعيم بن أبي قيس قال: دخلت عليه بالطائف و هو عليل، ثم إنه دعا بشربة من لبن فشربه و قال هكذا عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يكون آخر زادي من الدنيا شربة من لبن ثم مات و دفن بالطائف في الموضع المعروف بالكوراء.

(١) البحار٢: ٣٢١ ح٦. الفصول المأه ج٤ص٥٧ از خصال صدوق ٢:٣٨٢و٣٦٤

الكتب المؤلفة من صدر الإسلام وكل هذه الأحاديث المروية بواسطة الرواة المعتمدين وهذه المثبتة في الكتب التي نُسخها الخطية موجودة في المكتبات العامة كلها كاذبة وموضوعة، وليس من الصحيح أن ننظر إلى عامتها بنظرة الوضع ولا تضعيفها بهذه الشبهة الواهنة .

وبهذا الوصف نحن نحيل الشباب اليهود والنصارى إلى مقاطع التوراة وباقي الكتب المقدسة المتضمنة للبشارة والتي أقرّ بها الأحبار اليهود والقساوسة المسيحي الذين أسلموا وإعترفوا بوجودها، ورفعوا الستار عنها، فإن أكثر اولئك الذين أسلموا، كتبوا كتباً في رد اليهود والنصارى وفقاً لما تعلّموه في أيام إعتقادهم باليهودية والنصرانية، وإستناداً إلى مصادرهم، بيّنوا تلك المقاطع من الكتاب المقدس بشكل واضح ومستدل بحيث يقنع كل إنسان منصف، وطبقوها على النبي محمد بن عبد الله وأوصيائه، يمكنكم مراجعة تلك الكتب [١].

---

(١) نذكر هنا أسماء بعض اولئك الذين أسلموا :

١- السموأل بن يحيى المغربي (الحبر شموائل بن يهودا) القرن السابع في كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود.

٢- إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي في الرسالة السبعية بابطال الديانة اليهودية.

٣- عبد الحق الإسلامي المغربي من أحبار اليهود بسبتة في القرن الثامن الهجري، في كتاب الحسام الممدود في الرد على اليهود تحقيق الدكتور عمر وفيق الداعوق .

٤- أعلم الإسرائيليين في زمانه ميرزا محمد رضا جديد الإسلام (القرن الثاني عشر) في كتاب إقامة الشهود في رد اليهود .

٥- حاج إسماعيل قزويني من أحبار اليهود في يزد والد حاج بابا (القرن الثاني عشر) في كتاب إنباء الأبناء.

٦- ميرحاج بابا القزويني صاحب كتاب محضر الشهود في رد اليهود وكتاب سيف المؤمنين في قتال المشركين .

٧- عبد الأحد داود (السموداود بنيامين الكلداني) القرن الرابع عشر الهجري، من القساوسة المسيحيين في كتاب محمد در تورات وإنجيل.

٨- البرفسور حيدر علي المعاصر، الساكن في أمريكا، أسلم حديثاً وأثبت في خطاب له تكرر إسم الإمام علي عليه السلام في التوراة مائة مرة .

الكلام الثاني

عداء اليهود بالنسبة للنبي المكرم صلى الله عليه وآله

عداء اليهود لأجداد النبي

ما زالت تعاليم الأنبياء وأصولهم الإعتقادية هي الإيمان بالغيب واليقين بظهور نبي آخر الزمان، مع الإقرار بأنه أفضل الأنبياء والرسل والأكرم على الله، ولا زال تصديق ذلك من علامات الإيمان الصادق، ومحبته من علائم التقوى، وبغضه علامة على النفاق، والقرآن الكريم يرجع ذلك إلى عهد النبي إبراهيم، فإنه لما أُخبر بأفضلية الرسول الخاتم طلب من الله أن يكون من أُمته ومن شيعة وصيّه عليه السلام ولذا يحدثنا القرآن عن إبراهيم فيقول: ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ** ﴾[1] وفي هذا الشأن جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال أنا من شيعة علي عليه السلام، فقال له: أحد شيعته إبراهيم، وهل أنت في منزلة إبراهيم عليه السلام!![2].

ولا شك أن أتباع النبي موسى عليه السلام فيهم المؤمن والمنافق، والمؤمنون منهم هم محبو نبي آخر الزمان والمعتقدون به، حليتهم التقوى وإنتظارهم لظهور عيسى المسيح ومن بعده ظهور نبي الإسلام، وقد طال إنتظارهم حتى مات بعضهم ولم يدرك ما أمل ورجا ولكن البعض الآخر منهم أدرك زمان عيسى فبادروا إلى الإيمان به وصاروا من أتباعه ومن أُمته، وسمعوا منه البشارة بمجيء خاتم الأنبياء.

وعلى أساس هذه الأخبار فإن ما شهدناه من عداوة بني إسرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وحقدهم عليهم يعود إلى المنافقين من بينهم، حتى شملت نار فتنتهم بني إسماعيل وبني إسحاق. هناك خصلتان في نبي الإسلام هي الأساس والداعي إلى عداء منافقي اليهود بالنسبة للرسول وأهل بيته: واحدة هي أصل الرسالة، والثانية الخاتمية، فإن اليهود كانوا في حيرة من هذين الأمرين خصوصاً مع توالي الأخبار

---

(١) الصافات: ٨٣.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٠٩.

السماوية بذلك وتقدير الله الذي لا يتبدل، فلم يجدوا سبيلاً سوى الإستبداد والتحريف والتأويل، فطالت أيديهم كتب الأنبياء فحرفوها، وصاروا بصدد تغيير الصفات والنعوت المذكورة للرسول حتى لا تتطابق مع النبي محمد ﷺ، فكان أول ضحية هذا العداء هو الكتب السماوية.

هذا إذا قطعنا النظر على ماضيهم الأسود وقتلهم الأنبياء والأولياء كما هو معلوم إجمالاً ويعود إلى أنانية منافقي اليهود فإن أوضح ضحية من بين بني إسرائيل هو عيسى بن مريم حينما سألوه أنت خاتم الأنبياء وشيلو[1] الموعود، وأجابهم لا، هو أفضل مني، إذا أدركت زمانه فسأخدمه ولذلك عادوه، لأنهم كانوا يتوقعون كون عيسى وأنه من بني إسرائيل هو النبي الخاتم الموعود به، كي لا تخرج النبوة عن سلالة إسحاق، فلما علموا أنه المبشِّر برسالة خاتم الأنبياء وعرّفه من بني إسماعيل، عادوه وقتلوه بزعمهم، فإن مزعمهم الأول عدم خروج الرسالة عن بني داود وستختم ببني إسرائيل، على الرغم من علمهم بحقيقة الأمر ولكنهم كانوا يكتمون ذلك، وبعد إنكشاف الأمر وظهور النبي الخاتم من بين العرب ومن ذرية إسماعيل صاروا يحسدونه ويخالفونه ويكذبونه إلى أبعد الحدود.

ثم كان سعي اليهود الآخر هو محوه من الخواطر وحذف إسمه من الأسفار، وعلى أساس ذلك حذفوا من عباداتهم ومراسمهم كل ما يرتبط بتكريم وتقديس النبي الخاتم وأهل بيته، هذه هي أقدم تدابير اليهود العدائية حتى قبيل ظهور الإسلام وعلى أيدي المنافقين منهم.

الخطوة الثانية معاداة أجداد الرسول من بني إسماعيل والتدبير لقتلهم والحيلولة دون ظهور ذلك السعيد الموعود به.

وأساساً فإن هناك فكرة شيطانية خاطئة عشعشت في أذهان اليهود، وهي أنهم قالوا إن الله يمحو من اللوح ويثبت، فقد يحصل البداء والتغيير في إرادة الله

---

(١) شيلوخاه : إسم رسول الله في كتب اليهود، أنظر كتاب «محمد در تورات وإنجيل: ١٨٤.» :"يعقوب عليه السلام درآن پيشگويى معروف از عبارت بي همتاي شيلوخاه يعني رسول الله استفاده مي كند ودرإنجيل برنابا از حضرت محمد به همين نام ياد كرده است وخوشبختانه ژرم درترجمه لاتيني خود اين كلمه را به درستي ترجمه كرده است: (رسول الله).

وتجدد مشيته بإختيار النبي الآخِر من بني إسرائيل، الأمر الذي صلّبهم على مواقفهم وإجتهادهم في قصد إغتيال أجداد الرسول صلى الله عليه وآله من العرب، حيث كانت هذه الفكرة تجول في أذهانهم وما زالوا يطلبون لها المسوغ والموجّه حتى لا يظهر ذلك الموعود به من بين العرب لئلا تتزعزع دولتهم وعزتهم.

وإذا لاحظنا الوقائع التاريخية نجد من بينها محاولات اليهود وتدبيرهم بالنسبة لأجداد الرسول، هاشم وبعده شيبة الحمد، فقد جاء في كتاب الأنوار في قصة خطبة هاشم بن عبد مناف سلمى بنت عمرو، كيف حاول اليهود إغتياله حتى دار القتال بين قبيلة سلمى وأصحاب هاشم من طرف واليهود من طرف آخر، والتي ختمت بمقتل جماعة من اليهود[١].

وفي قصة إرجاع شيبة بن هاشم من المدينة إلى مكة، حصل تعرّض من قبل جمع من اليهود لقتل شيبة وإشتباكهم مع المطلب عم شيبة، ولكنهم تفرقوا وهلك بعضهم بمعجزة حصلت[٢].

ولما أراد شيبة (=عبد المطلب) أن يفي بنذره ويقدم واحداً من أولاده قرباناً لله، حضر اليهود المسجد على أمل أن تقع القرعة على عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله لأن نور النبي يتلألأ من جبينه[٣].

فإذا طوينا كشحاً عن ذلك فهناك عدة أخبار عن عزم اليهود على قتل عبد الله، وكانت محاولاتهم بمثابة من الوضوح بحيث ذاع وإشتهر هذا الأمر، فصار الرهبان والقساوسة المسيحيون يحذّرون عبد المطلب وأبا طالب من اليهود وفتكهم .

وهناك خبرمن أخبار يهود الشام فكانت معهم جبة بيضاء وهي جبة يحيى بن زكريا عليه السلام وكان عليها دم يابس لأنها كانت قد غمست بدمه وكان في كتبهم أن هذا الدم الذي في الجبة إذا قطر منها قطرة واحدة، يكون دليلاً على قرب خروج صاحب السيف المسلول، فنظروا إلى ذلك الدم فوجدوا الجبة وإذاً بها قد صارت رطبة يقطر منها الدم، فعلموا أنه قد دنا خروجه، فاغتموا لذلك غماً شديداً

---

(١) البحار١٥: ٤٣، وج١٥: ٥٩.

(٢) البحار١٥: ٨١.

(٣) البحار١٥: ٧٨.

وبعثوا إلى مكة رجالاً منهم يكشفون لهم عن الخبر ويأتونهم بخبر مولده وكان عبد الله يشب في اليوم مثل ما يشب أولاد الناس في الجمعة، وكان الناس يزورنه ويتعجبون من حسنه وجماله وأنواره، وقيل إن عبد الله قد لاقى في زمانه ما لاقى يوسف الصديق في زمانه وذلك من عداوة اليهود وجرت عليه أُمور عظيمة وأحوال جسيمة[١].

فظلت تلك الجماعة بمكة تتربصه عسى أن تجده بمفرده فتقتله، حتى خرج عبد الله يوماً للصيد، فظنها اليهود هي الفرصة التي ينتظرونها، فهجموا عليه بعيداً عن مرأى الآخرين ولكن الله سبحانه أمدّ عبد الله بالقوة والمدد حتى يحفظه من فتكهم[٢]، هذه مجرد نماذج من محاولات اليهود لقتل أجداد النبي والفتك بهم أشرنا إليها بإختصار.

تعرض اليهود لشخص النبي قبل البعثة

وهذا التعرض والتصدي لشخص النبي يمكن بحثه في فصل مستقل، ومن جانبين. أحدهما ما يرتبط بالبرهة السابقة على البعثة، والآخر دورة ما بعد بعثته.

أما قبل البعثة فهي أيضاً لها مراحل، تبدأ من يوم ولادته ويليه زمان طفولته، وصباه وشبابه، فقد بلغنا عن ذلك عدة أخبار، تحتاج معرفة صحتها وسقمها إلى البحث والتحقيق، ولكن المتيقن من مجموعها أصل عداء اليهود وحرصهم على أذاه، بل عزمهم على قتله، ولكنهم فشلوا في جميع ذلك، فكانت تلك المحاولات وذلك العداء واضح جداً، منشؤه تحريض رجال الدين اليهود وزعمائهم.

تواطأ اليهود مع قابلة آمنة والدة النبي، وإتفقوا معها على قتله بخنجر مسموم ساعة تولّده، على أن يحرسوها وينقذوها من كل خطر يلم بها، ولكن هذه المحاولة ليس فقط باءت بالفشل، بل أدت إلى فضح اليهود[٣].

---

(١) البحار١٥: ٧٨.

(٢) بحارالأنوار: ١٥: ١١٤.

(٣) البحار١٥: ٣٢٠، تلقت الزرقاء الأوامر بقتل آمنة أُم الرسول ﷺ حينما تريد أن تضع الحمل الذي في بطنها، وهي بدورها إستعانت بامرأة باسم نكتار فأعطتها خنجراً مسموماً وبعثتها بعنوان قابلة تقوم على آمنة، ولكن النتيجة أتت معكوسة وهلكت نكتار في هذه المحاولة.

ولما صارالنبي إبن عامين تصدى اليهود لقتله، وهكذا حينما بلغ سبع سنوات[١].

وفي أيام شبابه هناك أخبار تحكي عن محاولة جماعة من اليهود لقتله.

وعندما سافر النبي إلى الشام، عرفه بعض اليهود، فدعاه مَكراً إلى داره حتى يفتك به بعيداً عن أنظار الناس[٢].

ووفقاً لما جاء في الخبر عن أمير المؤمنين حينما كان الرسول في مكة قبل البعثة حاول اليهود إغتياله[٣].

---

(١) بحار الأنوار ١٧ : ٣١١ قال علي بن محمد عليه السلام وأما دفاع الله القاصدين لمحمد صلى الله عليه وآله إلى قتله وإهلاكه إياهم كرامة لنبيه وتصديقه إياه فيه فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان وهو إبن سبع سنين بمكة قد نشأ في الخير نشوا لا نظير له في سائر صبيان قريش حتى ورد مكة قوم من يهود الشام فنظروا إلى محمد صلى الله عليه وآله وشاهدوا نعته وصفته فأسرَّ بعضهم إلى بعض هذا والله محمد الخارج في آخر الزمان المدال على اليهود وسائر أهل الأديان، يزيل الله تعالى به دولة اليهود، ويذلهم ويقمعهم، وقد كانوا وجدوه في كتبهم:النبي الأمي الفاضل الصادق، فحملهم الحسد على أن كتموا ذلك، وتفاوضوا في أنه ملك يزال، ثم قال بعضهم لبعض تعالوا نحتال عليه فنقتله فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت لعلنا نصادفه ممن يمحوا، فهمّوا بقتله.

(٢) البحار١٦: ٤٦.

(٣) بحار الأنوار١٧: ٣١٤، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فتواطأت اليهود على قتله في طريقة على جبل حرا وهم سبعون، فعمدوا إلى سيوفهم فسموها ثم قعدوا له ذات غلس في طريقه على جبل حرا، فلما صعده صعدوا إليه وسلوا سيوفهم وهم سبعون رجلاً من أشد اليهود وأجلدهم وذوي النجدة منهم، فلما أهووا بها إليه ليضربوه بها التقى طرفا الجبل بينهم وبينه، فانضما وصار ذلك حائلاً بينهم وبين محمد صلى الله عليه وآله وإنقطع طمعهم عن الوصول إليه بسيوفهم فغمدوها فانفرج الطرفان بعد ما كانا إنضما فسلوا بعد سيوفهم، وقصدوه فلما همّوا بإرسالها عليه انضم طرفا الجبل وحيل بينهم وبينه فيغمدونها، ثم... الحديث.(تفسير الإمام الحسن العسكري: ١٦١)

تعرّض اليهود للنبي بعد البعثة

نعلم أن أمانة الرسول ﷺ وصدقه كان معروفاً بين العدو والصديق، والجميع كان يقرّ بأمانته وصدقه قبل البعثة ويسمونه «الصادق الأمين» ويأتمنونه على أموالهم وغيرها، فكانت فعاله وسجاياه تكسب المحبة ولم تكن بنحو تورث البغض والعداء، فعداء اليهود والمشركين له جذور دينية وإعتقادية، فلأن الرسول ﷺ كان يعيب الأصنام ويذكرها بسوء عاداه المشركون، ولأنه كان لايرتضي أفعال رؤساء اليهود ويخطّئ بعض نظراتهم عاداه اليهود، والقرآن يذكر هذا المعنى بصراحة: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [1].

نجد الرسول ﷺ يشكو من اليهود في الكتاب الذي كتبه لنصارى نجران حينما أدخلهم في الذمة، بينما نجده في المقابل يشكر صنيع النصارى ومطاوعتهم، ويبين ذلك بشكل عام وكأن أكثر اليهود اتخذوا طريق العداء والمحاربة، وبينما إتخذ أغلب النصارى طريق الصلح والمسالمة، الأمر الذي نجده في القرآن في سورة المائدة التي نزلت في أواخر الهجرة[2].

وبإعتقادي أن الحروب الصليبية وظهورعداء النصارى فيها حصل بتحريك من الأصابع اليهودية، وحتى اليوم فإن هناك بعض اليهود يظهرون بظاهر مسيحي

---

(١) البقرة : ١٢٠.

(٢) لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..(المائدة ٨٢). الطريقة التي إتبعها القرآن هي فصل اليهود عن النصارى في الحكم عليهم و يمكن أن نعتبرأن هناك خطة متبعة تستند على وجود تقارب في المباني الأخلاقية بيننا وبين النصارى، فإن الإستبداد والأنانية والتمييز العنصري المشهود عند اليهود لا نجدها بين النصارى، ولكن الأمر مع اليهود على العكس من ذلك، فيجب محاربتهم وتنقيص أعمالهم ونقدها، الأمرالذي أدّى إلى إنزواء اليهود في الجزيرة، و هذه هي الطريقة القرآنية التي يجب إتباعها في جميع العالم.

ليحاربوا المسلمين ويعلنونها حرباً بين المسيح والإسلام، هكذا تغلغلوا وصاروا في صدد إيجاد صدعٍ عميقٍ ليزرعوا حقداً، نتيجته هي معركة المسيحية والإسلام، ولكن في هذا الظرف يمكن الإستفادة من كتاب النبي إلى النصارى فإنه نافع جداً[١].

---

(١) الوثائق : ٨٦ نسخة عهد من محمد بن عبدالله ﷺ لاهل نجران وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الا رض، نسخ من دفتر وجد بيرمنثا عند حبيب الراهب في سنة خمس وستين ومأتين و ذكر الراهب أنه من بيت الحكمة وكان يتولى حفظ ما فيه قبل أن يترهب، وأنه في جلد ثور قد إصفر، مختوم بخاتمه عليه السلام .نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب أمان من الله ورسوله للذين أوتوا الكتاب من النصارى، من كان منهم على دين نجران او على شيء من نحل النصرانية ... وأما السبب الذي إستوجب أهل النصرانية الذمّة من الله ورسوله والمؤمنين، فحق لهم لازم لمن كان مسلماً وعهد موكّد لهم على اهل هذه الدعوة ينبغي للمسلمين رعايته والمعونة به وحفظه والمواظبة عليه والوفاء به، اذ كان جميع أهل الملل والكتب العتيقة أهل عداوةٍ لله ورسوله وإجماع بالبغضاء والجحد .....وهمّوا برسول الله وارادوا قتله واعانوا المشركين من قريش وغيرهم على عداوته والمماراة في نقضه وجحوده واستوجبوا بذلك الانخلاع من عهدالله والخروج من ذمته وكان من أمرهم في يوم حنين وبني قينقاع وقريظة والنضير ورؤسائهم ما كان من موالاتهم أعداء الله من أهل مكة على حرب رسول الله و مظاهرتهم إياهم بالمادة من القوة والسلاح إعانة على رسول الله وعداوة للمؤمنين، خلا ما كان من أهل النصرانية، فلما لم يجيبوا إلى محاربة الله ورسوله لما وصفهم الله من لين قلوبهم لأهل هذه الدعوة ومسالمة صدورهم لأهل الإسلام وكان فيما أثنى الله عليهم في كتابه وما أنزله من الوحي أن وصف اليهود و قساوة قلوبهم ورقة قلوب أهل النصرانية إلى مودة المؤمنين، فقال :لتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون .....الصالحين. وذلك أن أناساً من النصارى وأهل الثقة والمعرفة بدين الله أعانونا على أظهار هذه الدعوة وأمدوا الله ورسوله فيما أحب من إنذار الناس وإبلاغهم ما أرسل به وأتاني السيد وعبد يشوع وابن حجرة وابراهيم الراهب وعيسى الأسقف في أربعين راكباً من أهل نجران ومعهم من جلّة أصحابهم ممن كان على ملّة النصرانية

وقد عللت آيات متعددة في القرآن عداء اليهود بالحسد، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته لهم منزلة خاصة عند الله وقد شملتهم عناياته بشكل خاص، لذلك صار رؤساء اليهود يحسدونهم ويبغضونهم[١].

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[٢].

﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ... ﴾[٣].

في أقطار أرض العرب وأرض العجم، فعرضت أمري عليهم ودعوتهم الى تقويته وإظهاره والمعونة عليه، وكانت حجة الله ظاهرة عليهم، فلم ينكصوا على أعقابهم ولم يولوا مدبرين وقاربوا ولبثوا ورضوه وأرفدوا وصدقوا وأبدَوا قولاً جميلاً ورأياً محموداً وأعطوني العهود والمواثيق على تقوية ما أتيتُهم به والرد على مَن أبى وخالفه وإنقلبوا الى دينهم ولم ينكثوا عهدهم ولم يبدّلوا أمرهم بل وفوا بما فارقوني عليه، وأتاني عنهم ما أحببت من إظهار الجميل وحلاقهم على حربهم من اليهود والموافقة لمن كان مِن اهل الدعوة على إظهار أمرالله والقيام بحجّته والذبّ عن رسُله، فكسّروا ما احتجّ به اليهود في تكذيبي ومخالفة أمري وقولي .....وخالفوا في وفائهم اليهودَ والمشركين من قريش وغيرهم ونزهوا نفوسهم عن رقة المطامع التي كانت اليهود تتبعها وتريدها من الأكل للربا وطلب الرشا وبيع ما أخذه الله عليهم بالثمن القليل، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون. فاستوجب اليهود ومشركو قريش وغيرهم أن يكونوا بذلك أعداء الله ورسوله لما نوَوه من الغش وزينوا لأنفسهم من العداوة وصاروا إلى حرب عوان مغالبين مَن عاداني وصاروا بذلك أعداء الله ورسوله وصالحَ المؤمنين وصار النصارى على خلاف ذلك كلّه رغبةً في رعاية عهدي ومعرفةَ حقي وحفظاً لما فارقوني عليه، واعانةً لمن كان من رسلي في أطراف الثغور فاستوجبوا بذلك رأفتي ومودتي ووفائي لهم بما عاهدتهم عليه وأعطيتُهم من نفسي على جميع أهل الإسلام في شرق الأرض وغربها، وذمتي ما دمت وبعد وفاتي، ..... وما لأحد نقضه ولا تبديله،. ....ص٨٦-٩١.

(١) البحار٤٣: ٣١٤.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) التوبة: ٧٤.

﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[١].

هذا وقد وصلنا أخبار متنوعة عن عداء اليهود للرسول صلى الله عليه وآله ووصيّه وحقدهم عليهما بعد البعثة حيث شنوا حرباً ثقافية شعواء[٢]،مثل تكذيب القرآن وآياته، وإتهام الرسول صلى الله عليه وآله بالكذب والإفتراء، ودعوى أنه ساحر أو مجنون، ثم بذكر معايب مفتريات لشريعته، وإنتقاد بعض الأحكام التي جاء بها وغير ذلك من الإثارات.

وعملاً قاموا بالإستهزاء به والسخرية منه، وإستعمال الألفاظ غير المناسبة، في السوق والشارع، ومضايقة المسلمين الجدد ومنع الآخرين من الالتحاق بالدعوة الجديدة، وغير ذلك.

وقد صرفوا خلال ذلك أموالاً طائلة في هذا النحو من المحاولات الإجرامية، تحدثت بذلك الآيات الأُولى التي نزلت في مكة، وإستمر ذلك إلى آخر الآيات التي نزلت في المدينة؛ ونحن بعد ملاحظة تلك الآيات عكسنا للقارئ صورة منها.

وكان بعض اليهود يسلّم على الرسول صلى الله عليه وآله بالموت، فيقول بدل «السلام عليكم»، السام عليكم، و«السام» بالعبرية هو الموت، فكان الرسول يكتفي بقوله «وعليكم » في جوابهم[٣]، أو كانوا يقولون راعنا يتهكمون بالنبي، فجاء الخطاب من الله سبحانه للمؤمنين أن يقولوا أنظرنا بدل راعنا[٤].

---

(١) الحديد: ٢٩.

(٢) العنصرية اليهودية٢: ١٦٠.

(٣) العنصرية اليهودية٢: ٣٧١.

(٤) العنصرية اليهودية٢: ٣٦٩ – بحار الأنوار٩: ٣٣٣، قال موسى بن جعفر عليه السلام فكانت هذه اللفظة راعنا من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون راعنا أي ارع أحوالنا واسمع منا نسمع منك وكان في لغة اليهود اسمع لا سمعت، فلما سمع اليهود المسلمين يخاطبون بها رسول

ويتجلى بوضوح تهكّم اليهود بالكلام وإتخاذهم هذه الطريقة وتعاليهم على الرسول حينما قام صلى الله عليه وآله بنصح بني قينقاع منهم فأجابوه بكلام غير نزيّه[١].

ولم يترك اليهود أن يستعينوا بالسحر لإيصال الأذى إلى الرسول صلى الله عليه وآله، وصاروا بصدد سحره فنزلت المعوذتان من أجل ذلك على ما قيل[٢].

وطالما فضحَ القرآن محاولات اليهود التي تصب في مجال السخرية بالرسول و إثبات أنه كاذب كثير الإدعاء[٣].

فالقبلة التي هي الوجهة والشعار لكل دين، بحيث إن قداسة كل ديني واعتباره يستمد من قداستها و إعتبارها، ونحن نعلم أن النبي كان يصلي في بادئ الأمر إلى بيت المقدس، فكان اليهود ينتقصون الدين الإسلامي ويقولون: أي دين هذا ! لا قبلة له !ولو كان على دين إبراهيم فقبلته الكعبة، فتحمل الرسول صلى الله عليه وآله ذلك الإستهزاء حتى جاء حكم تغيير القبلة، فعاود اليهود الإستهزاء بنحو آخر، فقالوا إن تغيير الجهة والعدول إما أن يكون عدولاً من الحق إلى الباطل أو من الباطل إلى الحق، وأيهما كان الجواب فهو بضرر الرسول، لأن شطراً من عمره وعبادته كان باطلاً.

الله يقولون راعنا ويخاطبون بها قالوا كنا نشتم محمداً صلى الله عليه وآله إلى الآن سراً فتعالوا الآن نشتمه جهراً وكانوا يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون راعنا يريدون شتمه فتفطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله أراكم تريدون سب رسول الله توهمونا أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا والله لا سمعتها من أحد منكم إلا ضربت عنقه ولو لا أني أكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستئذان له ولأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام القيم بأمور الأمة نائباً عنه لضربت عنق من قد سمعته منكم.

وفي الكافي٢: ٦٤٨، عن ابي عبد الله عليه السلام قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وآله فقال السام عليك، فقال النبي صلى الله عليه وآله عليك، فقال أصحابه: إنما سلم عليك بالموت عليك، قال النبي صلى الله عليه وآله :وكذلك.

(١) البحار١٩: ٢٠٦.

(٢) البحار١٨: ٧٠، عقل اليهود الأسير: ٤٥.

(٣) البحار١٧: ١٧٠.

فأجابهم صلى الله عليه وآله بأنه عدول من الحق إلى الحق[١].

هذا وقد أثاروا ضجة إعلامية أُخرى وإنتقادات واسعة حينما تزوج الرسول صلى الله عليه وآله بزينب التي كانت زوجة زيد ابن الرسول صلى الله عليه وآله بالتبني، بذريعة بطلان هذا الزواج عند اليهود[٢]، ولكن الله سبحانه بيّن جواز ذلك ونزلت بذلك آية من القرآن.

وكانت إحتجاجاتهم الدائمة تبتني على أساس أن أحكام الدين الإسلامي الفرعية تخالف أحكام اليهود، فكانوا يقولون:إن محمداً خالف كل حكم من أحكامنا[٣].

وأما محاولاتهم لإغتيال الرسول صلى الله عليه وآله وقتله فقد شرعت في السنة الثانية للهجرة عقيب معركة بدر، ولعل أول محاولة هي الإقدام على سمّ الرسول صلى الله عليه وآله بواسطة إمرأة يهودية قد دسّت السم في شاة ثم قدمتها للرسول بهدف قتله، ويحتمل ضلوع رؤساء اليهود في هذه المؤامرة وإشتراكهم في هذا العمل، ولكن الشاة نطقت بأمر الله وأخبرت عن وجود السّم فيها. وحدث مثلها بعد معركة خيبر وقد توفي أحد أصحاب النبي على أثر تناوله منها[٤].

وفي رواية أن اليهود لما رأوا تعاظم شأن الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة تواطأ جماعة منهم مع جماعة من قريش على قتل الرسول، وحينما خرج إلى خارج المدينة في عملٍ تصدى له جماعة من اليهود، يناهزون المائتين رجلا وأرادوا قتله، ولكن الله سبحانه حفظه من شرهم، وظهرت معجزة أدت إلى هلاك جماعة منهم، ولكن لا يُعلم زمان هذا الحدث بالدقة [٥].

---

(١) البحار١٧: ١٧٢، وج٦٧: ١٦٩، العنصرية اليهودية٢: ٣١٦.

(٢) اليهود قديماً وحديثاً: ٤٨.

(٣) البحار١٧: ١٧٣، وج٦٧: ١٦٤.

(٤) تفسير الإمام الحسن العسكري :١٧٧- وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سم رسول الله يوم خيبر فتكلم اللحم، فقال: يا رسول الله إني مسموم، قال: فقال النبي صلى الله عليه وآله عند موته: اليوم قطعت مطابلي الأكلة التي أكلت بخيبر،وما من نبي ولا وصي إلا شهيد. (بحارالانوار ١٧: ٤٠٥.)

(٥) البحار١٧: ٢٦٩.

ثم لما دارت الحروب بين الرسول صلى الله عليه وآله واليهود كانت في الأغلب دفاعية أو هي جواب على إستفزازات اليهود وغدرهم بالرسول، مثل تخطيطهم لقتل الرسول في غزوة بني النضير، وإعلام الحرب في معركة الخندق أقوى شاهد على ذلك.

ومن المناسب تسليط الضوء على نظرة يهود اليوم عن الرسول صلى الله عليه وآله فإنهم يعتقدون أن النبي حينما كان شاباً، رأى بعض المنامات التي توحي إلى أنه صاحب دولة، وحينما خرج إلى الشام بأموال خديجة لاقى علماء اليهود، فأمروا عبد الله بن سلام أن يصحبه ويقرأ عليه التوراة، وأفرطوا في دعواهم أن الفصاحة والمتانة الموجودة في القرآن هي من إنشاء عبد الله بن سلام.

وكذلك يعتقدون أن حكم جواز الزواج مع المطلقة ثلاثاً بعد أن تزوجها الآخر المحرم عند اليهود، من تعليم عبد الله بن سلام لأجل إشاعة الزنا بين المسلمين وكثرة أولاد الزنا بينهم.

هذا وقد وضعوا اسمين للرسول كل واحد منهما يُعد إهانة لا نذكرهما في هذا الموضع[١].

وأما نظرتهم حول القرآن فهم ينكرونه، ويرون أنه مفترى ويسمونه بإسم يخالف الأدب[٢].

وأما عداء اليهود بالنسبة إلى مثل سلمان والمقداد وأبي ذر، فهو تابع من عدائهم للنبي صلى الله عليه وآله وذلك لشمول عناية الله ولطفه الخاص لهم، بينما نشاهد وجود علاقة حميمة بين هؤلاء اليهود وبعض منافقي الصحابة المبغضين للرسول وأهل بيته[٣]، فإنا نجد مثل عبادة بن صامت أصر على قطع الروابط مع اليهود

---

(١) اليهود قديماً وحديثاً: ٤٨، وللتعرف أكثر أنظر العنصرية اليهودية٢: ٢١٥، وأنظر كتاب "محمد رسول خدا" بقلم آنه ماري يشمل، ترجمة حسن لاهوتي.

(٢) البحار٢٢: ٣٧٢.

(٣) البحار١٩: ١٥٢.

وكان ممن وفى بذلك، ولكن هناك من لم يقطع روابطه معهم على الرغم من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وصاروا يحتفظون بتلك الروابط[١].

تعامل النبي و اليهود في مكة المعظمة

تكلمنا آنفاً عن تواجد اليهود في مكة، كما أشرنا إلى معاملتهم النبي أيام سكناه فيها، وبيّنّا أن معرفة اليهود للنبي صلى الله عليه وآله كمعرفتهم أبنائهم، وكذلك علمنا أن خطابات القرآن مثل يا بني إسرائيل ويا أهل الكتاب يراد بها اليهود بالدرجة الأُولى، لأن النصارى في مكة قليلون جداً، ولاحظنا أن مفاد هذه الآيات هو ملامة اليهود على عدم قبول الإسلام وتعندهم إتجاه الرسول، وإن أخبرت أيضاً عن إيمان البعض منهم.

ويسعنا بعد جمع الآيات والروايات التاريخية أن نقول: إن يهود مكة الذين عادوا الرسول صلى الله عليه وآله عداءً شديداً لأنه شكّل خطراً على رئاستهم وإعتبارهم ولكن لم يبدر منهم إقدام عملي معلن في هذا الشأن، وإكتفوا بالمجادلة والمخالفة الكلامية، والإمتناع من قبول دعوته، فإن كتب السيرة تحكي عن لقاءات وأسئلة وأجوبة ومناظرات مع النبي صلى الله عليه وآله ليس أكثر، وليس فيها ما يدل على وجود مصادمة ومنازعة ولم يبلغنا معاونتهم قريش في هذا المجال، ولعل السبب في ذلك يعود إلى التعصب القبلي الحاكم، بحيث إن القبيلة الواحدة رغم النزاع المحتدم في داخلها لا تسمح للغير أن يدخل في تلك المنازعات، إلا أن يطلب منهم بعض الأطراف المتنازعة إذا إضطرت إلى ذلك، ومع ذلك فإنه سيواجه اعتراضاً من سائر أفراد القبيلة.

---

(١) البحار٢٢: ٤٠٨، عقل اليهودالأسير: ٨٥: العلاقات: ٢٥٥، البحار٦٧: ١٧٠، وج٨١: ٤٤، وج٦٧: ١٦٩، وج ٢١: ٢٦ عن الخصال، وفي ج٢١: ٢٤، ٤٦ عن أمالي الصدوق، وانظر كتاب تدوين القرآن للكوراني، فإن أحد الأفراد الذين كان لهم روابط حسنة مع اليهود عمر بن الخطاب، حيث كان يجالس الأحبار ويستمع إلى مقاطع التوراة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله نهاه عدة مرات عن ذلك، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله تزوج عثمان بنائلة بنت القرافصة الكلبية النصرانية، وتزوج حذيفة بإمرأة يهودية، وطلحة بيهودية من أهل الشام، وكان عثمان بن عفان يشاور اليهود أيام خلافته ويشركهم في حكومته، ومنهم كعب الأحبار.

صحيح أن قريشاً إختلفت مع الرسول ﷺ، ولكن إذا تقررتصدي اليهود للرسول وإشتبكوا معه، فإن قريشاً لا تقف مكتوفة الأيدي وستقف إلى جانب الرسول خصوصاً مثل أبي لهب عم الرسول ﷺ[1]، لأن ذلك يعد تعرضاً لقريش عامة ولذا فإن الضوابط القبلية الحاكمة في مكة لم تكن تسمح لتدخل اليهود بشكل مباشر ومعلن، ولكن يمكنهم إتخاذ بعض التدابير غير المعلنة، وقد قام اليهود بعدة محاولات عدائية فاشلة، وسيأتي الكلام عن مماحكة اليهود الكلامية مع الرسول ﷺ. هذا وقد دأب الرسول ﷺ في نصح اليهود وهدايتهم وإرشادهم بالرفق والرأفة وقراءة آيات القرآن كما كان يفعل مع عبّاد الأصنام، فهي الرحمة النبوية والرأفة التي يرأفها الوالد بولده وقال الله سبحانه ﴿**حريص عليكم**﴾[2]، مما يحكي عن شدة رغبة الرسول في هداية البشر، ولم يستثنى اليهود من ذلك، ولذا لم يكن للرسول ﷺ أي موقف عدائي بالنسبة لليهود وليس هناك أي إشارة إلى استثنائهم وطردهم وإبعادهم، ويمكن القول إن تعنتهم وتصلبهم على رفض الإسلام وعدم قبوله كان يؤذي الرسول ويؤدي إلى ملالته وسأمه.

والذي تجب الإشارة إليه أن أصحاب الرسول ﷺ في مكة لم يكن لهم موقف عدائي مع اليهود كما أنهم لم يكونوا يتلقون الأذى من اليهود، إلا إذا كان كل ذلك ولم تصل أخباره إلينا.

ومن الواضح أنه لم يكن بين الرسول واليهود في مكة أي معاهدة، ولا توافق معين، رغم كل مناظراتهم ومحاولاتهم مع الرسول ﷺ ولم يبلغنا عنهم بيعة ولا أي اجتماع رسمي كما بلغنا عن الأوس والخزرج في بيعة العقبة

وإذا كان الكثير من الآيات المكّية التي تتحدث عن إرشاد الرسول في مكة مربوطة باليهود، فينبغي أن تكون تلك اللقاءات والمناقشات فردية وليست رسمية وجماعية.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي:١: ٥٩٠.

(٢) التوبة: ١٢٨.

الفصل الرابع

علاقة الرسول صلى الله عليه وآله واليهود بعد الهجرة

إن هجرة الرسول الى المدينة لم تكن بمنحى عن فكرة مواجهة اليهود والنفوذ الى قلب تواجدهم وإرشادهم في مجال إكمال الدين وانتشار الإسلام في الجزيرة العربية، بعد ما شرع دعوته بزعزعة قواعد الشرك في مكة وغيرها، وقبل ذلك يتحتم علينا إلقاء نظرة على هجرة المسلمين بصورة عامة ثم نعطف الكلام على هجرة الرسول الى المدينة وشروع المراودات الظاهرية بين الرسول واليهود وتريث اليهود في إتخاذهم موقفاً حازما مع الرسول صلى الله عليه وآله وعقدهم عهود الصلح معه إنتظاراً لأفول دعوته على يد قومه، ولما يئسوا من ذلك تشددوا معه وصاروا يظهرون العداوة شيئاً فشيئاً.

الكلام الأول

هجرة النبي والمسلمين

إن أتباع الرسول الذين أكثرهم من الطبقة الفقيرة والمستضعفة وعلى أثر المضايقات والضغوط والقسوة التي استخدمت في حقهم لم يجدوا بداً من الخروج من مكة، ولذا فإن الرسول صلى الله عليه وآله أشار على بعضهم بالهجرة، ويبقى البلد والمكان الذي يستقبلهم إذا هاجروا إليه، والحال أن أكثر أهل جزيرة العرب مشركون وعبدة الأوثان مناهضون للديانة التوحيدية، والباقي هم يهود ونصارى، واليهود بطبعهم يعادون سائر الأديان الأُخرى، وإذا كان الغالب على أهل نجران المسيحية، فهم إذا لم يكونوا من أعداء الدين الجديد، فليسوا في صدد مناصرته ولا الدفاع عنه لا محالة.

فيبقى إختيار مكان بعيد عن أيدي قريش ويستقبل المسلمين النازحين إليه ويدافع عنهم بحاجة إلى دقة عالية في الإختيار، لأن المسلمين قليلون جداً فإذا

هلكت هذه الثلة القليلة سيبقى الرسول ﷺ لوحده، فلابد أن يمتاز الموضع الذي يختاره الرسول بمواصفات خاصة ويحظى بحالة أمنية عالية، نعم إختار رسول الرحمة الحبشة.

هجرة المسلمين إلى الحبشة

تقع الحبشة(إثيوبيا المعاصرة)في شمال شرق قارة أفريقا وتبعد عن مكة ما يقارب من ألف كيلومتراً ويفصل بينها وبين قارة آسيا البحر الأحمر، وكان ملكها يومئذ النجاشي.

يبقى السرّ في اختيار الحبشة لهجرة المسلمين وخلاصهم من أذى قريش بحاجة إلى التأمل، وكيف اعتمد المسلمون على النصارى وهم من زمرة المخالفين للإسلام، ولكن ينبغي أن يعلم أن اليهود لم يكونوا وحدهم بانتظار نبي آخر الزمان، فإن النصارى كانوا أشد انتظاراً منهم، وصراحة الإنجيل في هذا الشأن أكثر من التوراة، وإذا سمي الإنجيل بالإنجيل _ وهو بمعنى البشارة _ فلاجل مجيء البشارات العديدة فيه، فليس من العجيب الاعتماد على النصارى اكثر من اليهود.

ونحن نعلم أن الآية التي أخبرتنا بأن النصارى أرحم على المسلمين من اليهود، نزلت آخر سنوات الهجرة، في المدينة[1]، ولكن يبدو أن هذا الشيء كان محسوساً ابتداءاً لدى المسلمين وكانوا يلمسون أرجحية رأفة النصارى بالمسلمين، وإنما جاء خبر ذلك في القرآن بعد ذلك، ولعل السرّ في ذلك يعود إلى تلاقي عقائدهم مع عقائد المسلمين وتقاربها، بالإضافة إلى نظرتهم اللينة إلى عامة البشرية والتعامل مع عقائدهم وحقوقهم أكثر اعتدالاً من اليهود.

يخبرنا إبن إسحاق عن مجيء وفد من الحبشة من قِبل النجاشي إلى النبي ﷺ وعددهم إثنا عشرشخصاً، سبعة منهم رهبان وخمسة قسيسون، ولما إلتقوا مع الرسول ﷺ عند الكعبة وسمعوا منه بعض آيات القرآن فاضت دموعهم

---

(١) المائدة: ٨٢: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ».

وأسلموا، وقيل قد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

لم يذكر تاريخ هذه الملاقاة بالدقة، ولكن ابن إسحاق يصرّح بأن هذه الملاقاة تمت حينما كان الرسول في مكة، ولكن الآية لما كانت من سورة المائدة فيجب أن يكون نزولها بعد فتح خيبروحتى بعد فتح مكة في أواخر الهجرة، وإذا كانت في أوائل البعثة نستطيع الحدس بدوره في استقبال المهاجرين من المسلمين[2].

ينبغي الإلتفات إلى أن أوائل سورة مريم نزلت قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة، لأن جعفربن ابي طالب عليه السلام قرأها على النجاشي عند لقائه، ولا يكون نزول هكذا سورة من دون سبب وبدون وجود أي مطالسة أو لقاء مع النصارى.

ومهما يكن من ذلك، فإن النبي صلى الله عليه وآله كان يرى أن السفر إلى الحبشة، سيكون فيه بعض الترفيه على المسلمين وبعض الإستقرار، قال: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه.**»

هذا وقد ترأس جعفر بن أبي طالب المهاجرين إلى الحبشة وتبلغ عدتهم سبعين شخصاً، أرسل معهم رسول الله صلى الله عليه وآله رسالة إلى النجاشي يدعوه فيها إلى الإسلام، فقبل النجاشي تلك الدعوة وأسلم سراً [3].

---

(١) المائدة: ٨٣.

(٢) سيرة ابن اسحاق: ٢٠٣، وفي تفسير أبي الفتوح الرازي١١: ٥٨ من سورة الحديد،قيل: إن اربعين رجلاً من النصارى إستجازوا النجاشي في ملاقاة النبي صلى الله عليه وآله فجاؤا إلى المدينة أيام معركة أُحد، فلما رأوا اعسار المسلمين وهبوا من أموالهم لفقراءهم(هزارويك نكته ٣ : ١٣٠حسن زاده آملي).

(٣) ذكرابن اسحاق في سيرته : ٢٥٦، أسماء بعض المهاجرين إلى الحبشة وكذا ابن هشام في سيرته١: ٢٥٣ ، وذكرفي ٣: ٢٦٠-٢٦٧، بعض الحوادث المربوطة بهذه الهجرة.

يجب القول أن النبي ﷺ كان يعلم بإسلام النجاشي وتصديقه بعلم النبوة، وكذا كان يعلم بعلم النبوة حال المسلمين إذا هاجروا إلى تلك البلاد وما سيؤول إليه أمرهم، ولا يمكن قبول إكتفائه بظواهر الأُمور في إختيار ذلك البلد، خصوصاً ممن لم ير الحبشة، فمن أين علم أنها أرض صدق ويسير ملكها بالعدل، فهل من الممكن قبول إعتماده على الأخبار الواصلة عن الحبشة، فإن الكلام في ذلك بحاجة إلى مزيد من الفحص والتحقيق.

ولما كان لهذا الأمر علاقة بالمسيحية لم يفضل المحققون المسلمون ولا اليهود الخوض فيه كما يستحقه، وإلا فإن استقبال النجاشي للمسلمين يتمتع ببالغ الأهمية ويستحق التمجيد والتقدير، ولا يخفى موقف جعفر بن أبي طالب سفير النبي، فإنه لعب دوراً فاعلاً وأبلى بلاءاً حسناً[1].

---

(١) سيرة ابن اسحاق : ٢٤٩،سيرة وابن هشام١: ٢٥٧عن ام سلمة (رض)،كلام جعفر عليه السلام للنجاشي: أيها الملك كنا قوماً أهل الجاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي بالفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، ثم قال: فصدقناه و آمنا به وأتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك وإخترناك على سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك . قالت: فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرء عليّ، فقرأ عليه صدراً من كهيعص سورة مريم. قالت: فبكى والله النجاشي حتى إخضلت لحيته فبكت أساقفته حتى إخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي :إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة..... ..

وقد ذكرالمستشرقون والكتّاب المسلمون بعض الأُمور اليسيرة فيما يخصه لكن ينبغي التأمل فيها والتحقيق أكثر فأكثر[١].

ولما لم يكن هناك أخبار مفصلة تتعرض لجزئيات الوقائع، نختصر الحديث في ذلك ثم نعطف على الكلام عن هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله هاجر بصحبة أمير المؤمنين عليه السلام إلى خارج مكة عدة مرات، ولكنها كانت قصيرة جداً في الغالب، وأهمها هجرته إلى الطائف فقد استغرقت أربعين يوماً كان فيها الرسول صلى الله عليه وآله خارج مكة[٢].

هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة

صار عدد المسلمين يتزايد في مكة يوماً بعد يوم، وقد ضاقت قريش بذلك ذرعاً وصارت تجد نفسها في مأزق، ومن ناحية أُخرى فقد فقد الرسول صلى الله عليه وآله بوفاة أبي طالب محاميه الأول في قبيلة قريش[٣]، وصار الوقت ينذر بالخطر لأن قريش إتخذت قراراً خطيراً وصممت على تبييت النبي صلى الله عليه وآله وإنهاء أمره، عندها كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين في خطر، ولذلك إتخذ النبي صلى الله عليه وآله قراراً بأمر من الله سبحانه بالهجرة إلى المدينة، وبناء على بعض الأخبار الواصلة فإن جماعة من المسلمين كانوا قد هاجروا خفية إلى المدينة بأمر من النبي صلى الله عليه وآله من قبل[٤].

وفي الوقت عقد المشركون اجتماعاً في دار الندوة وإتخذوا قراراً بإرسال أربعين شخصاً بعدد قبائل قريش من كل قبيلة شخص؛ ليشترك الجميع في قتل رسول صلى الله عليه وآله ولايتمكن بنو هاشم من المطالبة بدمه والإقتصاص من قاتله، فنزل جبرئيل الأمين من عند الله سبحانه على النبي صلى الله عليه وآله واطلعه على قصد المشركين

---

(١) العلاقات :٢٢٢، ٢٢٦، وعن كتاب «محمد في مكة» للمونتقمري بعض الآراء وناقش بعضها، وفي تاريخ اليهود في بلاد العرب : ١١١، تكلم بكلمات تثير التعجب.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي١ : ٦٤٥.

(٣) أنساب الأشراف٢: ٢٩. موسوعة التاريخ الإسلامي١ : ٦٣٥.

(٤) سيرة ابن هشام٢: ١١٠.موسوعة التاريخ الإسلامي١: ٧١٨.

وتصميمهم، وأمره بالخروج من مكة للتخلص من كيد قريش ومكرها، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله راغباً بترك مسقط رأسه وقبلة إبراهيم الخليل عليه السلام، لكن إطاعة أمر الله واجبة، واذاً لم يخرج الرسول صلى الله عليه وآله رغبة، ولكن أذى قريش ومضايقاتها إضطره إلى ذلك.

و من ناحية أنّ لها أهمية خاصة لبقاء دين الله، صارت متابعة الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الهجرة عبادة و لها عنوان خاص عند الله سبحانه و تحسب في الشريعة المقدسة من ملاكات الإيمان والتسليم، وظلت تحتفظ بهذا الإعتبار حتى صلح الحديبية او بعده إلى زمان فتح مكة، ففي هذه الظروف كان على كل من ينتحل الإسلام أن يهاجر إلى المدينة خفية أو جهارا، إلا من يأذن له الرسول صلى الله عليه وآله بالبقاء في مكانه، ولكن بعد فتح مكة لم تعد الهجرة عبادة، ولذا جاءت الإشارة، في القرآن إلى المهاجرين الأوائل صلى الله عليه وآله وقد فرض لهم إمتياز على السائرين[1].

وأما بالنسبة الى اليهود وأخبارهم عن نبي آخر الزمان، فإن للهجرة أهمية خاصة، لأن الهجرة أمر تنبؤا به وعلموا أنها ستقع لا محالة وما هي إلا طارئة تطرأ على حياة الدين الإسلامي، والموجود في أخبارهم أنه سيهاجر إلى المدينة وفي الرواية «أن مهاجره بطيبة»[2]، وبهذا كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وآله إلى هذه المنطقة واحدة من العلامات و الآيات وأحد مشخصات نبي آخر الزمان التي تحققت وتمت بها الحجة على اليهود الجاحدين، وبصورة كلية فإن كل مشخصة وصفة كانت تتحقق تتم بها الحجة أكثر فأكثر.

وكذلك إقتضت الحكمة الإلهية أن تكون أول بشارة بطلوع تلك الشمس الوضاءة في سماء المدينة على لسان رجل يهودي حيث نادى:

---

(١) التوبة: ١٠٠، وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ومن سورة الحديد: ١٠: لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾

(٢) بحار الأنوار ١٦ : ٢١٦.

«يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء» يعني أن الذي سيبني عزكم ويرفع رؤسكم قد جاء وحلَّ في أوساطكم وقد ورد أيضا «هذا صاحبكم قد جاء»[١].

هذا وقد تحقق على أثر هذه الهجرة أمران مهمان لا يمكن ترك التطرق لهما والمرور عليهما مرّ الكرام، ولو أن محققي العامة تركوا الإشارة إليهما، أحدهما واقعة ليلة المبيت ونوم أمير المؤمنين عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله يفديه بنفسه كي تبوء محاولة قريش لقتل الرسول صلى الله عليه وآله بالفشل، ويعكس مدى أهمية هذا العمل ومدى تفاني أمير المؤمنين عليه السلام، قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ** ﴾[٢]، فنزول هذه الآية دليل على قبول هذا العمل (الجهاد) عند الله، وأنه بمثابة من الأهمية بحيث يجب أن يَعلمه جميع العالم ويعرفوا علياً عليه السلام بسببه، فلذا ناسب الإعتراض على محققي العامة أنهم كيف إرتأوا تسليط الضوء بأكبرحجم ممكن على إلتحاق أبي بكر بالنبي صدفة في وسط الطريق وتركوا الإشارة إلى تفاني أميرالمؤمنين علي عليه السلام وشجاعته، فأين من خاف ووسوس نفسه بالإفسادوأين من وطن نفسه على القتل مكان رسول الله صلى الله عليه وآله صيانة لنفسه الشريفة. هذا وقد نقل علي عليه السلام بنفسه هذه الواقعة في جواب يهودي عند سؤاله عن أوصاف الأوصياء الإلهيين على أنها فضيلة ومنقبة [٣]، ولا شك أن هذا العمل الشجاع قد ألفت نظر اليهود الذين مازالوا يراقبون أعمال رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه عن كثب.

---

(١) البحار٦٥: ٣٢٥، وج١٩: ١٢٣، سيرة ابن هشام ٢: ١٠٣وتاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٢٣.

(٢) البقرة: ٢٠٧، وانظر موسوعة التاريخ١: ٧٤٢، عن اليعقوبي٢: ٣٩.ومناقب آل أبي طالب ٢: ٦٤

(٣) البحار٣٨ : ١٦٠، قال الإمام عليٌ عليه السلام: يا أخا اليهود فإن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي صلى الله عليه وآله حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك يوم الدار دار الندوة، وابليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف فلم تزل تضرب أمرها ظهر البطن حتى اجتمعت آراءها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجل ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ثم يأتي النبي صلى الله عليه وآله وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، فإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها، فيمضي دمه هدرا؛ فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي، فانبأه بذلك وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها

الأمرالمهم الثاني هو القرار الذي إتخذه رسول الله صلى الله عليه وآله ليبين به مقام ومنزلة علي عليه السلام أول الناس إيماناً بالرسول وأوفى أصحابه، فإنه وعلى الرغم من شدة اشتياق الأنصار إلى دخول النبي صلى الله عليه وآله المدينة، إلا أنه تباطأ وقصّر خطاه وعلى خلاف المترقب توقف على مرحلة من المدينة في موضع باسم قبا، ولم يدخل رغم إصرار الناس على دخوله المدينة فور وصوله لشدة إشتياقهم وإستعدادهم لاستقباله، ولكن النبي صلى الله عليه وآله أبى ذلك، وكان إصرارهم بحد أن جماعة ممن كان معه ترك النبي صلى الله عليه وآله من دون إستجازته وبادر بكل وقاحة إلى دخول المدينة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وبأمر من الله سبحانه مكث في قبا مدة خمسة عشر يوماً، كل ذلك ينتظر وصول علي عليه السلام والتحاقه (به) بالنبي صلى الله عليه وآله فكان يقول:

«لا أريم من هذا المكان حتى يوافي أخي عليّ»[1].

ولا يمكن تصور مقدار إشتياق القوم وإضطرابهم في تلك الأيام الخمسة عشر، والكل ينتظر قدومه ويرغب في إستضافته بالأخص رؤساء القبائل، ولكن تأخر النبي صلى الله عليه وآله وإنتظاره كان بأمر من الله، ليس لأحد أن يتدخل فيه ، وقد كُلف بذلك، فهي (إرادة الله سبحانه)تحكي عن مقام أمير المؤمنين عليه السلام الرفيع وإرتباطه الوثيق بالرسول صلى الله عليه وآله.

والساعة التي يأتون فراشه فيها، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار، فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بالخبر وأمرني أن اضطجع في مضجعه واقية بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسي بأن اقتل دونه؛ فمضى لوجهه واضطجعت في مضجعه، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس، ثم أقبل على أصحابه فقال: اليس كذلك؟ قالوا بلى يا أمير المؤمنين.

يعلم من هذا العمل الشجاع أن إيمان الإمام عليّ لم يكن طمعا، لان الطمع لا يلائم مع ذلك التفاني وقد قال عن نفسه في كلامه ان بدني تنقط من شدة تهاجمهم ورجمهم بالحجارة .

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي٢: ٩.« ولست أُريم حتى يقدم إبن عمي وأخي في الله عزوجل وأحب أهل بيتي إليّ ،فقد وقاني بنفسه من المشركين».

وبدروه خرج أمير المؤمنين عليه السلام من مكّة إلى المدينة بعد أداء ما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بأدائه وتحقيق المهام المحولة إليه، يصحبه ثلاث فاطميات: بنت رسول الله، وأُم أمير المؤمنين، وفاطمة بنت الزبير، وبعد فراق طويل، التحق بمحبوبه رسول الله صلى الله عليه وآله في قبا[1].

هذا وقد تجلّت في هذه الساعات الحرجة، في أول الهجرة، هذه الفضيلة السامية وظهرت للجميع بما فيهم اليهود، الذين كانوا يرقبون جميع المجريات، وإنه أمر عجيب وقد تكون هناك بعض الأخبار المنبئة عن ذلك، وإن لي إطمئناناً كاملاً

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي١: ٧٤٨، وفي الأمالي للطوسي : ٤٧١: أن أمير المؤمنين عليه السلام لما هاجر من مكة إلى المدينة ليلحق بالنبي وقد قارع الفرسان من قريش ومعه فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة بنت الزبير فسار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان فلزم بها يوما وليلة ولحق به نفر من ضعفاء المؤمنين وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان يصلي ليلته تلك هو والفواطم ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلى عليه السلام بهم علي عليه السلام صلاة الفجر ثم سار لوجهه فجعل وهن يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: **إن في خلق السموات والأرض... الذين يذكرون الله الآيات قوله من ذكر أو أُنثى الذكر علي والأنثى الفواطم بعضكم من بعض** ... الآية يعني علي من فاطمة أو قال الفواطم من علي وأقول ظاهر الآية يشمل كل من اتصف بهذه الصفات. إن تُبدوا خيراً أي تظهروه أو تعفوا عن سوء مع قدرتكم على الانتقام وهو المقصود ذكره وما قبله تمهيد له ولذا رتب عليه قوله **فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيراً**(آل عمران ١٩٠ تا ١٩٥) لم يزل يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام.

وفي موسوعة التاريخ الإسلامي ١:٧٤٩: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: يا علي أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله وأولهم هجرة إلى الله ورسوله وآخرهم عهداً برسوله لا يحبك والذي نفسي بيده إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان ولا يبغضك إلا منافق أو كافر. وفي فضائل لأحمد حنبل، هكذا.

أن أعداء علي عليه السلام قد أخفوا تلك الأخبار وأتلفوها، ولذا فإن ولفنسون يصرح في هذا الموضع ويقول إن اليهود كانوا يرصدون هذه المجريات بدقة[١].

وفي المدة التي أقام فيها الرسول صلى الله عليه وآله بقبا التقى الكثير من الجماعات بالنبي صلى الله عليه وآله وتحدثوا إليه وقد أسلم العديد آنذاك ومن جملتهم سلمان الفارسي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم على يديه وقد كان في ذلك الزمان عبداً يعمل لحساب إمرأة يهودية، سنتكلم عنه في المكان المناسب[٢].

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١١٨.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ١٠، البحار١٩: ١٠٦.من إعلام الوري: روي عن ابن شهاب الزهري قال: كان بين ليلة العقبة و بين مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أشهر .كانت بيعة أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة في ذي الحجة و قدوم رسول الله ص المدينة في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة خلت منه يوم الإثنين و كانت الأنصار خرجوا يتوكفون أخباره فلما آيسوا رجعوا إلى منازلهم فلما رجعوا أقبل رسول الله ص فلما وافى ذا الحليفة سأل عن طريق بني عمرو بن عوف فدلوه فرفعه الآل فنظر رجل من اليهود و هو على أطم إلى ركبان ثلاثة يمرون على طريق بني عمرو بن عوف فصاح يا معشر المسلمة هذا صاحبكم قد وافى فوقعت الصيحة بالمدينة فخرج الرجال و النساء و الصبيان مستبشرين لقدومه يتعادون فوافى رسول الله ص و قصد مسجد قباء و نزل و اجتمع إليه بنو عمرو بن عوف، سروا به و استبشروا و اجتمعوا حوله و نزل على كلثوم بن الهدم شيخ من بني عمرو صالح مكفوف البصر و اجتمعت إليه بطون الأوس و كانت بين الأوس و الخزرج عداوة فلم يجسروا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله لما كان بينهم من الحروب فأقبل رسول الله ص يتصفح الوجوه فلا يرى أحدا من الخزرج و قد كان قدم على بني عمرو بن عوف قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله ناس من المهاجرين فنزلوا فيه ، و روي أن النبي صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة جاء النساء و الصبيان فقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

و كان سلمان الفارسي عبدا لبعض اليهود و قد كان خرج من بلاده من فارس يطلب الدين الحنيف الذي كان أهل الكتب يخبرونه به فوقع إلى راهب من رهبان النصارى بالشام فسأله عن ذلك و صحبه فقال اطلبه بمكة فثم مخرجه و اطلبه بيثرب فثم مهاجره فقصد يثرب فأخذه بعض الأعراب

وقيل إن حيي بن أخطب اليهودي مع أخويه وكعب بن الأشرف من رؤساء اليهود اجتمعوا بالرسول صلى الله عليه وآله في هذا الموضع، وبعد الحديث معه عرفوا أنه النبي

فسبوه و اشتراه رجل من اليهود فكان يعمل في نخله و كان في ذلك اليوم على النخلة يصرمها فدخل على صاحبه رجل من اليهود فقال يا با فلان أ شعرت أن هؤلاء المسلمة قد قدم عليهم نبيهم فقال سلمان جعلت فداك ما الذي تقول فقال له صاحبه ما لك و للسؤال عن هذا أقبل على عملك قال فنزل و أخذ طبقا فصير عليه من ذلك الرطب و حمله إلى رسول الله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا قال هذه صدقة تمورنا بلغنا أنكم قوم غرباء قدمتم هذه البلاد فأحببت أن تأكلوا من صدقاتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سموا و كلوا فقال سلمان في نفسه و عقد بإصبعه هذه واحدة يقولها بالفارسية ثم أتاه بطبق آخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذه فقال له سلمان رأيتك لا تأكل الصدقة و هذه هدية أهديتها إليك فقال صلى الله عليه وآله سموا و كلوا و أكل ع فعقد سلمان بيده اثنتين و قال هذه آيتان يقولها بالفارسية ثم دار خلفه فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتفه الإزار فنظر سلمان إلى خاتم النبوة و الشامة فأقبل يقبلها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله من أنت قال أنا رجل من أهل فارس قد خرجت من بلادي منذ كذا و كذا و حدثه بحديثه ،و له حديث فيه طول، فأسلم و بشره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له أبشر و اصبر فإن الله سيجعل لك فرجا من هذا اليهودي ،فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله فارقه أبو بكر و دخل المدينة و نزل على بعض الأنصار و بقي رسول الله بقباء نازلا على كلثوم بن الهدم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله المغرب و العشاء الآخرة جاءه أسعد بن زرارة مقنعا فسلم على رسول الله و فرح بقدومه ثم قال يا رسول الله ما ظننت أن أسمع بك في مكان فأقعد عنك إلا أن بيننا و بين إخواننا من الأوس ما تعلم فكرهت أن آتيهم فلما أن كان هذا الوقت لم أحتمل أن أقعد عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للأوس من يجيره منكم فقالوا يا رسول الله جوارنا في جوارك فأجره قال لا بل يجيره بعضكم فقال عويم بن ساعدة و سعد بن خيثمة نحن نجيره يا رسول الله فأجاروه و كان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيتحدث عنده و يصلي خلفه فبقي رسول الله خمسة عشر يوما فجاءه أبو بكر فقال يا رسول الله تدخل المدينة فإن القوم متشوقون إلى نزولك عليهم فقال ص لا أريم من هذا المكان حتى يوافي أخي علي ع و كان رسول الله قد بعث إليه أن احمل العيال و اقدم فقال أبو بكر ما أحسب عليا يوافي قال بلى ما أسرعه إن شاء الله فبقي خمسة عشر يوما فوافى علي عليه السلام بعياله.

الموعود، ولكنهم لم يكتفوا أن تركوا الإيمان به، بل أخذوا يضمرون له العداوة، ذلك العداء الذي ظهرت آثاره فيما بعد[١].

وفي آخر الأمر دخل النبي ﷺ المدينة بصحبة علي وباقي الصحابة الذين كانوا معه، فكان الكل من مشتاقين إلى رسول الله ﷺ يرغب في نزول الرسول ﷺ عنده ويحل ضيفاً عليه، وصار كل واحد يحاول الإمساك بزمام ناقة الرسول ﷺ عسى أن يأخذه إلى داره، فقال النبي ﷺ من على ناقته : أتركوها أينما بركت فهي مأمورة، وقد تعد هذه واحدة من علامات النبوة التي تجلت عند دخول النبي المدينة[٢].

---

(١) البحار١٩: ١١٠ وفي موسوعة التاريخ الإسلامي:٢:١٣ قالت صفية بنت حيي بعد أن صارت زوجة رسول الله: كنت أحب وُلدِ أبي اليه، والى عمي أبي ياسر، لم ألقها قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين قالت فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت فاتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا، قالت فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم وسمعت عمي ابا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو ؟ قال نعم والله قال: فما في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت. (العنصرية اليهودية ج٢ ص١٢٤.)

(٢) البحار١٩: ١٠٨. قال و بقي رسول الله ﷺ بعد قدوم علي ع يوما أو يومين ثم ركب راحلة فاجتمعت إليه بنو عمرو بن عوف فقالوا يا رسول الله أقم عندنا فإنا أهل الجد و الجلد و الحلقة و المنعة فقال ص خلوا عنها فإنها مأمورة و بلغ الأوس و الخزرج خروج رسول الله ص فلبسوا السلاح و أقبلوا يعدون حول ناقته لا يمر بحي من أحياء الأنصار إلا وثبوا في وجهه و أخذوا بزمام ناقته و تطلبوا إليه أن ينزل عليهم و رسول الله ص يقول خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى مر ببني سالم و كان خروج رسول الله ص من قباء يوم الجمعة فوافى بني سالم عند زوال الشمس فتعرضت له بنو سالم فقالوا يا رسول الله هلم إلى الجد و الجلد و الحلقة و المنعة فبركت ناقته عند مسجدهم و قد كانوا بنوا مسجدا قبل قدوم رسول الله ﷺ فنزل في مسجدهم و صلى بهم الظهر و خطبهم و كان أول مسجد خطب فيه بالجمعة و صلى إلى بيت المقدس و كان الذين صلوا معه في

ذلك الوقت مائة رجل ثم ركب رسول الله ص ناقته و أرخى زمامها فانتهى إلى عبد الله بن أبي فوقف عليه و هو يقدر أنه يعرض عليه النزول عنده فقال له عبد الله بن أبي بعد أن ثارت الغيرة و أخذ كمه و وضعه على أنفه يا هذا اذهب إلى الذين غروك و خدعوك و أتوا بك فانزل عليهم و لا تغشنا في ديارنا فسلط الله على دور بني الحبلى الذر فخرب دورهم فصاروا نزالا على غيرهم و كان جد عبد الله بن أبي يقال له ابن الحبلى فقام سعد بن عبادة فقال يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء فإنا كنا اجتمعنا على أن نملكه علينا و هو يرى الآن أنك قد سلبته أمرا قد كان أشرف عليه فانزل عليَّ يا رسول الله فإنه ليس في الخزرج و لا في الأوس أكثر فم بئر مني و نحن أهل الجلد و العز فلا تجزنا يا رسول الله فأرخى زمام ناقته و مرت تخب به حتى انتهت إلى باب المسجد الذي هو اليوم و لم يكن مسجدا إنما كان مربدا ليتيمين من الخزرج يقال لهما سهل و سهيل و كانا في حجر أسعد بن زرارة فبركت الناقة على باب أبي أيوب خالد بن زيد فنزل عنها رسول الله ﷺ فلما نزل اجتمع عليه الناس و سألوه أن ينزل عليهم فوثبت أم أبي أيوب إلى الرحل فحلته فأدخلته منزلها فلما أكثروا عليه قال رسول الله ﷺ أين الرحل فقالوا أم أبي أيوب قد أدخلته بيتها فقال ص المرء مع رحله و أخذ أسعد بن زرارة بزمام الناقة فحولها إلى منزله ،و كان أبو أيوب له منزل أسفل و فوق المنزل غرفة فكره أن يعلو رسول الله فقال يا رسول الله بأبي أنت و أمي العلو أحب إليك أم السفل فإني أكره أن أعلو فوقك فقال ﷺ السفل ارفق بنا لمن يأتينا قال أبو أيوب فكنا في العلو أنا و أمي فكنت إذا استقيت الدلو أخاف أن يقع منه قطرة على رسول الله ص و كنت أصعد و أمي إلى العلو خفيا من حيث لا يعلم و لا يحس بنا و لا نتكلم إلا خفيا و كان إذا نام ص لا نتحرك و ربما طبخنا في غرفتنا فنجيف الباب على غرفتنا مخافة أن يصيب رسول الله ﷺ دخان و لقد سقطت جرة لنا و أهريق الماء فقام أم أبي أيوب إلى قطيفة لم يكن لنا و الله غيرها فألقتها على ذلك الماء تستنشف به مخافة أن يسيل على رسول الله ﷺ من ذلك شيء و كان يحضر رسول الله ص المسلمون من الأوس و الخزرج و المهاجرين و كان أبو أمامة أسعد بن زرارة يبعث إليه في كل يوم غداء و عشاء في قصعة ثريد عليها عراق فكان يأكل معه من جاء حتى يشبعون ثم ترد القصعة كما هي و كان سعد بن عبادة يبعث إليه في كل ليلة عشاء و يتعشى معه من حضره و ترد القصعة كما هي و كانوا يتناوبون في بعث الغداء و العشاء إليه أسعد بن زرارة و سعد بن خيثمة و المنذر بن عمرو و سعد بن الربيع و أسيد بن حضير

والأمر الآخر الذي يستحق الذكر حديث يفترى وقد تناقله العامة وهو أن النبي يوم ورد المدينة صادف ذاك اليوم عيداً من أعياد اليهود وكانوا صائمين فيه، فسأل الرسول عن سبب صومهم، فقيل إنه يوم عاشوراء واليهود يصومون هذا اليوم، فقال الرسول ﷺ أنا أحق بصوم هذا اليوم من اليهود، فأمر أصحابه بصوم ذلك اليوم، وصام معهم[1].

قال فطبخ له أسيد يوما قدرا فلم يجد من يحملها فحملها بنفسه و كان رجلا شريفا من النقباء فوافاه رسول الله ﷺ و قد رجع من الصلاة فقال حملتها بنفسك قال نعم يا رسول الله لم أجد أحدا يحملها فقال بارك الله عليكم من أهل بيت.

(١) هل اليهود تصوم يوم عاشوراء؟ أن المستفاد من مراجعة التاريخ وكلمات اللغويين والفقهاء والمحققين وغيرهم أن مدار السَنة عند اليهود ليست قمرية بل شمسية، ولم يكن صومهم في عاشوراء ولا في محرم، كما أن اليوم الذي غرق فيه فرعون بزعمهم لم يتقيد بكونه دائماً هو عاشوراء المحرم، وإنما هو في اليوم العاشر من شهرهم الأول (وعلى تقويمهم الدينية شهرالسابع): « تشري »، يوافق شهر أكتبر من التقويم الميلادي ويسمونه يوم گيپور _ kipur أي الكافرة وهو اليوم الذي نجى الله فيه بني اسرائيل من عدوهم وتلقى فيه الإسرائيليون اللوح الثاني من الشريعة .ثم على الفرض البعيد أنه إتفق ذلك اليوم مع قدوم النبي ﷺ المدينة وعاشوراء المحرم فهو محض إتفاق أضف إلى ذلك أن كيفية الصوم عندهم أيضاً تختلف عن الصوم عندنا، فإنهم يصومون من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي. وعليه فلا وجه ولا أساس لما نسب في المرويات إلى النبي ﷺ من أن صوم عاشوراء كان ذا أصل يهودي وإنهم كانوا يصومونه في هذا اليوم، وقد قال العامة : أوصى رسول الله بصوم هذا اليوم وقال: أنا أحق بموسى منكم .

و نحن نعرض بعض الأقوال في هذا الشأن من كتاب صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية – للنجم الدين الطبسي مزيدا للفائدة:

١- قال الدكتور جواد على < الصفحة ٢٥صوم عاشورا >: " ويقصدون بصوم اليهود يوم عاشوراء ما يقال له : " يوم الكفارة " وهو يوم صوم وانقطاع ويقع قبل عيد المظال بخمسة أيام اي في يوم عشرة تشري وهو يوم الكبور kipur . ويكون الصوم فيه من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي وله حرمة كحرمة السبت، وفيه يدخل الكاهن الأعظم قدس الأقداس لأداء الفروض الدينية المفروضة في ذلك اليوم . " (المفصل في تاريخ العرب ٦ : ٣٣٩ . دار الملايين – انظر كتاب المقدس ٢ : ٢٦٦٠ .)

٢ - وقال السقاف : " في واقعنا الحاضر لا نجد أي يهودي يصوم في العاشر من محرم أو يعده عيدا، ولم يوجد في السجلات التاريخية ما يشير إلى أنهم صاموا في العاشر من محرم أو عدوه عيدا، بل اليهود يصومون يوم العاشر من شهر تشرين وهو الشهر الأول من سنتهم في تقويمهم وتاريخهم الا انهم لا يسمونه يوم عاشوراء بل يوم أو عيد كيبور . " —(مجلة الهادي ٧ ع ٢ : ٣٧)

٣ - قال أيضا : " ان لليهود تقويما خاصاً بهم يختلف عن تقويمنا العربي الاسلامي اختلافا بينا ويبتدئ بشهر (تشري) ثم (حشران) وينتهي بشهر (أيلول) و هو الشهر الثاني عشر، وفي كل سنة الكبيسة يضاف إليها شهر واحد حتى يكون للسنة الكبيسة ثلاثة عشر شهرا وهو شهر (آذار الثاني) الذي يتخلل بين آذار الشهر السادس وبين نيسان الشهر الثامن، ويكون (آذار الثاني) الشهر السابع وعدد أيام السنة في السنوات العادية ٣٥٣ أو ٣٥٤، أو ٣٥٥ يوما وفي الكبيسة ٣٨٣ أو ٣٨٤ أو ٣٨٥ يوما والتقويم اليهودي المستعمل الآن شهور قمرية وسنواته شمسية .(مجلة الهادي ٧ العدد ٢ : ٣٦")

٤ - وقال محمود باشا الفلكي في تقويم العرب قبل الاسلام : " يظهر ان اليهود من العرب كانوا يسمون أيضا عاشوراء وعاشوراء اليوم العاشر من شهر تشري الذي هو أول شهور سنتهم المدنية وسابع شهور السنة الدينية عندهم . والسنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذي كان فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم، بل اتفق وقوعه يوم قدوم النبي(ص).("دائرة المعارف البستاني ١١ : ٤٤٦)

٥ - وقال أبو ريحان ": " تشرين وهو ثلاثون يوما . . . وفي اليوم العاشر منه صوم الكبور ويدعى العاشوراء وهو الصوم المفروض من بين سائر الصيام فإنها نوافل، ويصام هذا الكبور من قبل غروب الشمس من اليوم التاسع بنصف ساعة إلى ما بعد غروبها في اليوم العاشر بنصف ساعة تمام خمس وعشرين ساعة . .. وصومه كفارة لكل ذنب على وجه الغلط، ويجب على من لم يصمه من اليهود القتل عندهم، و فيه يصلى خمس صلوات ويسجد فيها . "الآثار الباقية : ٢٧٧ (الكنى والألقاب ١ : ٧٨)

الروايات من طرق السنة : صفحة ٥٦ صوم عاشورا : وردت في كتبهم أحاديث كثيرة نسبوها إلى النبي ﷺ الكريم يظهر عليها التهافت والتعارض البين، الأمر الذي ألجأ الشراح والمحشين إلى استخدام التأويلات والتمحلات التي سيرد عليك بعضها . اما الروايات فهي على طوائف منها ما تفيد التخيير، ومنها ما أمر النبي ﷺ بصيام عاشوراء، ولكن لم يعرف متى كان هذا الامر ؟ ومنها أمر النبي ﷺ بالصيام في المدينة، ومنها : صوم النبي ﷺ قبل الاسلام لصوم الجاهلية في عاشوراء، ثم نسخه برمضان، والأصل والسبب في الصوم هو موافقة الجاهلية ! ومنها : ان بدء الصوم كان حينما قدم النبي صلى عليه وآله وسلم المدينة وكانت اليهود تصوم فكأنه أحب موافقتهم ! ! ومنها : ان صوم هذا اليوم لأجل مخالفة اليهود، وظاهره أنهم ما كانوا يصومون في هذا اليوم فأمر النبي ﷺ المسلمين بالصيام مخالفة لهم . ومنها : عدم الأمر بهذا الصوم بعد نزول

رمضان وعدم صوم النبي ﷺ في يوم عاشوراء أصلا، بل ترك بعده . ومنها استمرارية هذا الصوم والتأكيد عليه إلى قبل عام وفاته صلى الله عليه وآله وسلم. وفيما يلي بعض تلك الأحاديث :

١-البخاري أبو عاصم، عن عمر بن محمد، عن سالم عن أبيه (رضي الله عنه) قال : قال النبي ﷺ يوم عاشوراء إن شاء صام، البخاري ٣٤١/١ . عمدة القاري ١٨: ١٠٣ فتح الباري ٨ : ٢٨ .

٢ - وفيه : " حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت : كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه . (البخاري ١ : ٣٤١ وج ٣ : ١٠٣ . مصنف عبد الرزاق ٤ : ٢٨٩ / ح ٧٨٤٤) مناقشة السند : وفيه هشام بن عروة : فعن ابن قطان : انه اختلط وتغير، وعن الذهبي : انه نسي بعض محفوظه أو وهم،

أقوال وتعاليق :

١ - قال العيني (صفحة ٥٩ صوم عاشورا) قوله : " تصومه قريش في الجاهلية " : [فتح الباري ٤ : ٢٤٨ . وفي هامش مجمع الزوائد : معناه ان زيد بن ثابت كان يذهب إلى أن عاشوراء يوم في السنة لا أنه اليوم العاشر من المحرم، وكان من كان على رأيه في ذلك يسألون رجلا من اليهود ممن عنده علم من الكتاب الأول عن ذلك اليوم بعينه من طريق الحساب فكان يخبرهم ... فلما مات كان علم حساب ذلك عند زيد بن ثابت فكانوا يسألونه عنه، وهي مسألة غريبة جدا . مجمع الزوائد ٣ : ١٨٧]. يعني قبل الاسلام، و قوله : " كان رسول الله ﷺ يصومه " اي قبل الهجرة، وقال بعضهم : إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه، وإن النبي ﷺ كان يصومه في الجاهلية أي قبل أن يهاجر إلى المدينة . قال : هذا الكلام غير موجه، لان الجاهلية انما هي قبل البعثة، فكيف يقول : وإن النبي ﷺ كان يصومه في الجاهلية، ثم يفسره بقوله : اي قبل الهجرة، والنبي ﷺ أقام نبيا في مكة ثلاث عشر سنة، فكيف يقال : صومه كان في الجاهلية ؟ " (عمدة القاري ١١ : ١٢١).

٢ - أقول : أما صوم قريش في الجاهلية فيحتمل فيه العسقلاني احتمالين : الأول : لعلهم تلقوه من الشرع السالف . الثاني : ان قريش أذنبت ذنبا في الجاهلية، فعظم في صدورهم فقيل لهم : صوموا عاشوراء يكفر ذلك . ولكن لا يعلم من القائل لهم ! ولماذا تابعهم رسول الله ﷺ على ذلك ؟ فهل كان قد أذنب معهم - والعياذ بالله ؟ ! ثم إن هذا النص يناقض ما روي أن النبي ﷺ لما دخل المدينة رأى اليهود تصوم في هذا اليوم، فقال : انا أحق... فصامه وأمر بصيامه . ومعنى ذلك : انه ما كان يصومه قبل ذلك، أضف إلى ذلك أن معناه : تأثر النبي ﷺ بالأجواء و التيارات - حاشاه - فتارة يصوم بمكة متأثرا بالجاهلية، وأخرى يصوم بالمدينة متأثرا باليهود - نعوذ بالله - أو حبا لموافقته معهم !

٣ — وقال الدكتور جواد علي: صفحه ٦٠ : " . . . ويظهر انه خبر صيام قريش يوم عاشوراء هو خبر متأخر، ولا يوجد له سند يؤيده ولا يعقل صيام قريش فيه وهم قوم مشركون، وصوم عاشوراء هو من صيام يهود، وهو صيام كفارة واستغفار عندهم . فلم تستغفر قريش ويصومون هذا اليوم ؟ وما ذا فعلوا من ذنب ليطلبوا من آلهتهم العفو والغفران ؟ وإذا كان هناك صوم عند الجاهليين فقد كان بالأحرى ان يصومه الأحناف، -(الأحناف : اي المائلين عن جميع الأديان إلى دين الاسلام، مسلمين بالرسل كلهم مجمع البحرين ٥ : ٤١ و لم يرد في اخبار أهل الاخبار ما يفيد صيامهم في عاشوراء ولا في غير عاشوراء . أقول : ان المراد بالجاهلية هو عهد ما قبل الاسلام، فلو كان النبي ﷺ يصوم في الجاهلية فلماذا انقطع عنه بعد البعثة وعاد إليه بعد الهجرة ؟ فلو كان لأجل مخالفة المشركين فلماذا عاد إليه بعد الهجرة ؟ فهل هو لأجل حبه موافقة أهل الكتاب و اليهود ؟ !

٤ - وقال العسقلاني بعد هذه الأحاديث الثلاثة : أفادت تعيين الوقت الذي وقع فيه الامر بصيام عاشوراء، وقد كان أول قدومه المدينة، ولا شك ان قدومه كان في ربيع الأول، فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان] فعلى هذا لم يقع الامر بصيام عاشوراء إلا في سنة واحدة ثم فوض الأمر في صومه إلى رأى المتطوع، فعلى تقدير صحة قول من يدعى أنه كان قد فرض فقد نسخ فرضه بهذه الأحاديث الصحيحة، ونقل عياض ان بعض السلف كان يرى بقاء فرضية عاشوراء لكن انقرض القائلون بذلك.

٥- البخاري : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أبو أسامة عن أبي عميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي موسى قال : كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا قال النبي ﷺ فصوموه أنتم " . — البخاري ١ : ٣٤١ . انظر الكامل في الضعفاء ٤ : ١٧٢ نقاش دلالي أقول : هذا خلاف ما روي سابقا من أن اليهود كانت تصوم يوم عاشوراء، و بالتالي لم يتضح ولم يعرف أن اليهود هل كانت تصوم في هذا اليوم أم لا ؟ ويفهم من العسقلاني : ان اليهود ما كانت تصوم يوم عاشوراء حيث قال : " فظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه لأن يوم العيد لا يصام، وقد وردت رواية تصرح بان اليهود كانت تعظم هذا اليوم وتصومه كما في حديث أبي موسى : وإذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء ويصومونه .

هل كان النبي ﷺ يحب موافقة اليهود ؟ يرى زين الدين الحنفي وهكذا العسقلاني - من علماء السنة - ان النبي ﷺ كان يحب موافقة أهل الكتاب في صيامهم، حيث إن هذا المؤلف بعد أن قسم صيام النبي ﷺ على أربع حالات، قال : الحالة الثانية ان النبي ﷺ لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم ! فيما لم يؤمر به صامه، وأمر الناس بصيامه، وأكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه أطفالهم . " - لطائف المعارف : ١٠٢وقال العسقلاني : " وقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ ولا سيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان . " - فتح الباري ٤ : ٢٨٨ والملاحظ

وكان ذلك مستمسك العامة، فأخذوا بالإستناد إليه يأكدون على إستحباب صوم اليوم العاشر من المحرم(=يوم عاشوراء)ولكن يرد عليه أمور: الأول فإن

هو ان زين الدين الحنفي يؤكد على أن النبي ﷺ كان يحب موافقتهم وبالتالي وافقهم وحث الناس على ذلك !!! وهذا يناقض ما رواه هو وغيره عن ابن عباس عن النبي ﷺ من أن صيام عاشوراء كان لمخالفة اليهود : " صوموا عاشوراء وخالفوا فيه اليهود . . . "-- السنن الكبرى ٤ : ٤٧٥ . فكيف يجتمع هذا النص مع ما استظهره الحنفي والعسقلاني من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم < صفحه ٢٢ > كان يحب موافقة اليهود !!؟ كما أنه يناقض أيضا ما ورد عن يعلى بن شداد عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ صلوا في نعالكم وخالفوا اليهود . " (المعجم الكبير ٧ : ٢٩٠، ح ٧١٦٥)- المستدرك على الصحيحين ١ : ٢٦٠صححه الذهبي وفي رواية أخرى : لا تشبهوا باليهود . " - المعجم الكبير ٧ : ٢٩٠، ح ٧١٦٤ وهل هذا الصوم المدعى الا تشبه بهم وقد نهينا عن التشبه بهم بل صرح القاضي في شرح قوله : " لأصومن التاسع " بان ذلك لعله على طريق الجمع مع العاشر لئلا يتشبه باليهود . " عمدة القاري ج ١١ : ١١٧. وهكذا في المحيط : " كره افراد يوم عاشوراء بالصوم لأجل التشبه باليهود . " عمدة القاري ج ١١ : ١١٧ثم هل يجوز لنا ان نشارك اليهود أو النصارى ببعض أعيادهم وصيامهم بحجة اننا أحق بموسى أو بعيسى منهم !؟ ثم لا ندري ما هذه المحاولة من البعض في ربط المفاهيم الاسلامية واحكامها وسننها وآدابها وعقائدها، بسنن أهل الكتاب و أحكامهم وعاداتهم ؟ ولماذا وما هو السر - في دعوى، بل التظاهر بالتنسيق بين الرسول الأعظم ﷺ وأهل الكتاب خاصة اليهود ؟ ! وللأسف نرى أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ في الصحاح ومضمونها ان النبي ﷺ يصدق ويتعجب من قول حبر من اليهود صحيح البخاري ٤ : ٣٠٠ كتاب التوحيد : " جاء حبر من اليهود فقال إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والماء والثرى على إصبع والخلائق على إصبع ثم يهزهن ثم يقول : انا المالك انا المالك فلقد رأيت النبي يضحك حتى بدت نواجده تعجبا وتصديقا لقوله .

اما الرواية الخاصة

١- المصباح :صفحه ٤١: عن عبد الله بن سنان، قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوم عاشوراء فألفيته كاسفا ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت : مم بكاؤك ؟ فقال : أفي غفلة أنت ؟ أما علمت أن الحسين أصيب في مثل هذا اليوم ؟ فقلت : ما تولك في صومه ؟ فقال لي : صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملا، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في مثل هذا الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " (مصباح المتهجد : ٧٢٤ . عنه الوسائل ١٠ : ٤٥٨ / ب ٢٠ / ح ٧ . مستدرك الوسائل ٧ : ٥٢٤ ب ١٦ / ح ٦، عن المزار للمشهدي : ٦٨٥ وص ٥٢٥ / ب ١٧ / ح ١، عن الاقبال ٣ : ٥٩ .

الأخبار جاءت بأن الرسول صلى الله عليه وآله هاجر في شهر ربيع الأول وليس في المحرم، وثانياً فإن عيد اليهود هو العاشر من تشري من السنة اليهودية التي تبتني على الدورة الشمسية وهو يوم گپوروعيد گپور ويسمونه الكفور، ولعله في تلك السنة إتفق تزامنه مع يوم عاشوراء من محرم، ثالثاً: إن عيد گپور لا يتطابق مع العاشر من المحرم في كل سنة، لأجل أن اليهود يكون عندهم في بعض السنين ثلاثة عشر شهراً، رابعاً: فإن اليهود لا يتخذون العاشر من المحرم عيداً، ولا يصومون هذا اليوم لا في السابق ولا اليوم، خامساً: أن الأحاديث النبوية التي تنقل عن صوم يوم عاشوراء متضاربة وأكثرها ضعيف السند، ولذلك فالملاحظ أن إصرار العامة على إستحباب صوم هذا اليوم لمخالفة الشيعة وناشىء من طغيان بني اُمية الذي حصل بعد واقعة الطف وهو مصداق: يوم فرحت به بنو اُمية وآل زياد بقتلهم الحسين عليه السلام.

الجو الحاكم في المدينة إبان الهجرة

تصعب دراسة الوضع في المدينة وتسليط الضوء على الظروف الحاكمة يوم هاجرالرسول صلى الله عليه وآله إليها، فمن ناحية نجد أن الوثنية قد تغلغلت في أعماق إعتقادات الناس خلال القرون المتمادية، ومن ناحية نشاهد إستفحال اليهودية التي لها أربعمائة عام ولها رسومها وعاداتها الخاصة بها، ومن ناحية فإن الروحية العالية التي يمتلكها الشباب الداخلين في الدين الجديد والذين يسعون بحيوية وبنشاط تام في نشره ومحو آثار الوثنية، بحيث صارت تسمع أصوات تكسير الأصنام في السكك والأسواق كعلامة على قبول الإسلام، تلك الأصنام التي كانت تقدس قبل اليوم وهي اليوم بمنظر ومرآى من متعصبي الوثنيين تحطم وتداس بالأرجل، فإن من الصعب جداً تصوّر كل ذلك وإستساغته، ولكن المحسوس آنذاك هو تهيؤ النفوس لاستلهام الروح المعنوية المتعالية.

والذي يلفت النظر أن اليهود لم يقوموا بأي تبليغ ديني في تلك الأجواء الحماسية وذلك التوجه المعنوي، وقبل ذلك فقد كانوا يعيشون مع الوثنيين من

دون محاولة لكسب أي فرد إليهم بل هم تأثروا بالوثنية، وذلك فإن أكل رؤسائهم الربا وكنزهم الأموال وتعاطيهم الخمور لم يبق للمعنوية مجالاً، كل ذلك الأمر الذي حدا بهم_وهم من أهل الكتاب وأصحاب دين سماوي_ إلى الإنزواء و اللامبالاة (المهجورية)، وفقدان الذاتية والإستقلال، .....وحتى بعض الشباب اليهود صاروا يميلون إلى الإسلام وحصل عندهم الترديد تجاه دين آبائهم.

وصار عدد المسلمين يتزايد يوماً بعد يوم وأخذ صيت رسول الله ﷺ يملأ أرجاء المدينة وحواليها، وحصلت الفرصة للراغبين في زيارته وملاقاته ممن منعهم بُعد المسافة بين مكة والمدينة من زيارته قبل ذلك، فأسرعوا إلى ملاقاته وزيارته، فحدث اضطراب شديد في المدينة وصارت تتوالى الأحداث حتى كان يحدث في كل يوم بل في كل ساعة حدث جديد، من هنا يسلم أحد رؤساء القبائل وهنا تنزل آية أو آيات من القرآن، وهناك يبلغ حكم جديد من أحكام الله، أو تحصل معجزة على يد رسول الله ﷺ وغير ذلك [1].

---

(١) جاء في تفسير الإمام العسكري:٥٩٨: أن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ لما بعث إلى الناس كافة بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، جعلت الوفود ترد عليه، والمنازعون يكثرون لديه، فمن مريد قاصد للحق منصف متبين ما يورده عليه رسول الله ﷺ من آياته ويظهر له من معجزاته، فلا يلبث أن يصير أحب خلق الله تعالى إليه وأكرمهم عليه، ومن معاند يجحد ما يعلم ويكابره فيما يفهم فيبوء باللعنة على اللعنة قد صوره عناده وهو من العالين في صورة الجاهلين، فكان ممن قصد رسول الله لمجاجته ومنازعته طوائف فيهم معاندون مكابرون وفيهم منصفون متبينون متفهمون، فكان منهم سبعة نفر يهود، وخمسة نصارى، وأربعة صابئون، وعشرة مجوس، وعشرة ثنوية براهمة، وعشرة دهرية معطلة، وعشرون من مشركي العرب، وجمعهم منزل قبل ورودهم على رسول الله ﷺ وللاستجازة منه في منازل من خيار المسلمين نفر منهم عمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، والمقداد بن الأسود، وبلال، فاجتمع أصناف الكافرين يتحدثون عن رسول الله ﷺ وما يدعيه من الآيات، ويذكر في نفسه من المعجزات، فقال بعضهم إن معنا في هذا المنزل نفراً من أصحابه، وهلموا بنا إليهم نسألهم عنه قبل مشاهدته، فلعلنا أن نقف من جهتهم على بعض أحواله في صدقه وكذبه، فجاءوا إليهم، فرحبوا بهم وقالوا أنتم من أصحاب محمد؟ قالوا بلى، نحن من أصحاب محمد سيد الأولين والآخرين، والمخصوص بأفضل

لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة بادر إلى بناء مسجد حتى يكون للمسلمين موضع لاجتماعهم يخصهم، وساهم هو بنفسه في بناء هذا المسجد[١]، ثم عطف على تنظيم أُمور المدينة الاجتماعية، فعمل معاهدة بين المسلمين القادمين من مكة وبين المسلمين من أهل المدينة أشرك فيها اليهود العرب.

الشفاعات في يوم الدين، ومن لو نشر الله تعالى جميع أنبيائه، فحضروه لم يلقوه إلا مستفيدين من علومه، آخذين من حكمته، ختم الله تعالى به النبيين، وتمم به المكارم، وكمل به المحاسن، فقالوا فبما ذا أمركم محمد؟ فقالوا: أمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصل الأرحام، وننصف للأنام، ولا نأتي إلى عباد الله بما لا نحب أن يأتوا به إلينا، وأن نعتقد ونعترف أن محمداً سيد الأولين والآخرين وأن علياً عليه السلام أخاه سيد الوصيين، وإن الطيبين من ذريته المخصوصين بالإمامة هم الأئمة على جميع المكلفين الذين أوجب الله تعالى طاعتهم وألزم متابعتهم وموالاتهم، فقالوا يا هؤلاء هذه أمور لا تعرف إلا بحجج ظاهرة، ودلائل باهرة، وأمور بينة ليس لأحد أن يلزمها أحداً بلا أمارة تدل عليها، ولا علامة صحيحة تهدى إليها، أفرأيتم له آيات بهرتكم، وعلامات ألزمتكم؟ قالوا بلى والله، لقد رأينا ما لا محيص عنه، ولا معدل ولا ملجأ، ولا منجى لجاحده من عذاب الله، ولا موئل، فعلمنا أنه المخصوص برسالات الله المؤيد بآيات الله، المشرف بما أختصه الله به من علم الله، قالوا فما الذي رأيتموه؟ قال عمار بن ياسر: أما الذي رأيته أنا، فإني قصدته وأنا فيه شاك، فقلت يا محمد لا سبيل إلى التصديق بك مع إستيلاء الشك فيك على قلبي، فهل من دلالة قال بلى قلت ما هي قال إذا رجعت إلى منزلك فاسأل عني ما لقيت من الأحجار والأشجار تصدقني برسالتي، وتشهد عندك بنبوتي فرجعت فما من حجر لقيته، ولا شجر رأيته إلا ناديته: ياأيها الحجر، يا أيها الشجر، إن محمداً يدعي شهادتك بنبوته، وتصديقك له برسالته، فبما ذا تشهد له فنطق الحجر والشجر أشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله رسول ربنا....الحديث.

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١١٠

الكلام الثاني

المنشور العام الأول بعد الهجرة

تنبغي الإشارة إلى أن اليهود كانوا فرقتين رئيستين، إحداهما يهود بني إسرائيل سيأتي الكلام عنهم، والأُخرى اليهود العرب، وهم في الحقيقة المتهودون من العرب، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوليهم اهتماماً خاصاً، بحيث عين لهم حقوقاً ووظائف في المعاهدة التي أبرمت بين المهاجرين والأنصار، نجد في هذه المعاهدة التي جاءت متناسبة مع اللغة والظروف في ذلك العصر، أنه قد أبرمت أُموراً هامة من أجل تنظيم الروابط الإجتماعية في المدينة وعامة أُمورها التي لها بالغ الأهمية وهي كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمّد النبي صلى الله عليه وآله بين المؤمنين والمسلمين من قريش و(أهل) يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

وان المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

وان من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.

وان سلم المؤمنين واحدة لا يُسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواءٍ وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وان المؤمنين المتقين على احسن هدى و اقومه .

وأنه لا يجير مشركٌ مالاً لقريش، ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن.

وانه مَن إعتَبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قَوَد به إلا يَرضى ولي المقتول (بالعقل) وان المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وانه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في (هذه) الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، إن ينصر محدثا أو يوويه وأن من نصره او آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل وإنكم مهما إختلفتم في شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل والى محمد ﷺ.

وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.

وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وإثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة _ بطن من ثعلبة _ كأنفسهم.

وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف. وإن البر دون الإثم.

وإن موالي ثعلبة كأنفسهم. وإن بطانة يهود كأنفسهم.

وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ

وإنه لا ينحجز على ثأر جرح. وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم وإن الله على أبر هذا.

وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم. وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم.

وإنه لايأثم امرو بحليفة، وان النصر للمظلوم.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

وإن الجار كالنفس، غير مضارّ ولا آثم وانه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عزوجل، والى محمد رسول الله ﷺ وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وابرّه.

وانه لا تجار قريشٌ، ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل اناس حصتهم، من جانبهم الذي قبلهم.

وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

وان البر دون الإثم. لا يكسب كاسب إلا على نفسه وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وابره.

وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم، وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم واثم وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ[1].

هذه أول خطوة للرسول ﷺ في طريق تأسيس مجتمع ديني متمدن ينادي بالصلح والمحبة والإتحاد و الوحدة الإجتماعية وحفظ الكيان والثغور الوطنية، وحرية الفكر وبيان الحقوق وتدوينها والوظائف العامة والسياسية والتأمين على النفس و المعتقد للمسلمين واليهود.

وتعد هذه المعاهدة طريقة إلهية وتمدن حكيم في طليعة حكومة دينية من أجل رعاية حقوق أفراد المجتمع الإسلامي على إختلاف إنتماءاتهم.

وليس هذا حلاً مقطعياً لتجاوز عقبة مستعصية ولا هو نتيجة ضغوط وإلجاء، بل هو منحة وإنعام وكرامة تفضل بها الرسول على مسلمي ذلك العصر.

---

(١) الوثائق :١- ٧.سيرة إبن هشام ٢: ١١١، إعلام الورى: ٦٩، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٦٠، العنصرية اليهودية٢: ٨١، تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٢٤.

ولا يسعنا بيان بنود هذه المعاهدة لأننا بحاجة إلى كتاب ولكن أهم ما فيها هو الدعوة إلى الإتحاد بين جماعات المسلمين وإيجاد المحبة والأُلفة وتحمل العبء عن الآخرين إلى حد أن يتحمل كل جماعة جرائم و ديات أفراد تلك الجماعة وبالأخص فإن هذه المعاهدة بين قبيلتي الأوس والخزرج العظيمتين اللتين طالما تنازعتا وإصطرعتا وتحاربتا حروباً شعواء، أدت المعاهدة إلى إيجاد الإخاء الديني الذي كان يرجوه مبعوثو القبيلتين إلى رسول الله ﷺ لما التقوا به في مكة وأظهروا السأم من تلك النزاعات (قصة ذكوان) [1].

وفي ذلك اليوم وجدوا ما أملوه وطلبوه .

وكان رسول الله ﷺ يرى من الضروري إيجاد الوحدة بين أفراد المجتمع ويرى من اللازم تجديد هذه المعاهدة مثل ما تحقق في بيعة العقبة وكتب ذلك لكي تتأمن المدينة التي صارت مهداً للإسلام _ على يد ساكنيها، تلك البقعة التي يحيط بها اليهود الحاقدون وفيهم الأشرار الذين يتخوف من مكرهم، ووسوتهم في صدور حديثي الإسلام، فهذه المعاهدة المكتوبة هي الضامن لأمن المنطقة و استقرارها.

إن عقد معاهدة بهذا النحو لم يكن غريباً على العرب، بل كان سنّة مألوفة يتمسكون بها إلى أبعد الحدود، ويعدون الوفاء بالعهد والحفاظ على كيانها الديني، كما وقد لوّح الرسول ﷺ فيها على أن الوفاء بهذا العهد من أساس الدين كما أن حقيقة الرسالة هي عهد إلهي حمله جميع الأنبياء.

ويدعونا إلى التأمل والتدقيق نزول آيات سورة البقرة في هذه المرحلة وقد بين الله سبحانه في إطار هذه الآيات ما جرى على بني إسرائيل والعهود والمواثيق التي أُخذت عليهم ويذكّر في المقابل على نقض بني إسرائيل العهود وعواقب ذلك النقض ونزول أنواع العذاب الإلهي.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٦٥٠، إعلام الورى: ٦٥-٦٨.

ولما كانت الآيات تنطبق على تلك الأزمنة فقد كان لها معان تشد السامع ولها وقع في نفسه، وهي اليوم تفتح بصر المتفكرين وتدعوا الى إنذارات وعبر[١].

والأمر المهم الآخر في المعاهدة هو حماية الرسول صلى الله عليه وآله لليهود فيها وجاء ذكر أسماء طوائف لم يذكروا بعد ذلك الا نادراً، ولعل أكثرهم قد أسلم أو سالم وبقي في جانب المسلمين، لأنه لم تأتِ أخبار تستحق الذكر عن مخالفتهم أو تعرضاتهم للرسول صلى الله عليه وآله، وكان من بينهم عرب من الأوس والخزرج أو حلفائهم المتواجدون في المدينة وحواليها، ولعل ذكرهم وشمول ذلك اللطف لهم كان احتراماً للأوس والخزرج، ولم يحضر منهم رجل في مجلس الحلف وإلا لذكر إسم رئيسهم وكان هناك محل لإمضائه، وإذا حضر منهم أحد، يجب أن يكون من بني عوف لأنهم من العرب وهم من أركان المعاهدة، ويتراءى أن منح هؤلاء اليهود هذه الإمتيازات لأنهم كانوا من أهل المدينة ولهم حقوقهم المدنية، ويعدون من أهل الكتاب، ولذا

---

(١) لما جاء ذكر مكر اليهود وشيطنتهم ناسب أن نلفت نظر القارئ إلى ما جاء عن شاس بن قيس حتى يتضح دور الرسول صلى الله عليه وآله وحقيقة تلك الروابط، فقد ذكر إبن إسحاق أن شاس بن قيس وكان شيخاً قد عسا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، لما رأى ألفة الحيين إفتتن بينهم فأمر شاباً من يهود فأمره بالجلوس معهم ثم ذكر يوم بعاث ففعل حتى علا تفاخر بينهم وتقاول أحد من الأوس "أوس بن قيظي" واحد من الخزرج" جبار بن صخر" فتقاولا، ثم قال لصاحبه إن شئتم رددناها الآن جذعة، فغضب الفريقان جميعاً وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة "الحرة" السِّلاح السِّلاح فخرجوا إليها، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه من المهاجرين حتى جائهم فقال:يا معشر المسلمين الله الله بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ....فأنزل الله بحق ساش وما صنع **"قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون* يا آيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردونكم بعد إيمانكم كافرين... إلى قوله وأولئك لهم عذاب عظيم** (آل عمران٩٨_ ١٠٥) فهم يقولون سمعنا وأطعنا، لاحظ الآيات القرآنية التي جاءت في آخر هذا الخبر كي تتعرف على معاملة اليهود مع المسلمين الجدد.(سيرة ابن هشام٢: ١٥٣ والعنصرية اليهودية٢: ٣٧٩، و تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٣١).

فإن الرسول الذي يسير بالعدل قد حفظ لهم حقوقهم وعدّ أموالهم وأنفسهم محترمة وعاشوا بين المسلمين على دينهم حتى من دون دفع الجزية، ولم يلزموا بترك دورهم وديارهم، ولكن لم تعلم غاية نفوذ هذا الحكم فإنه مما لا يعلم بالدقة، وأتصور أن هؤلاء اليهود مكثوا في المدينة حياة رسول الله ﷺ من دون أن يدفعوا الجزية، إلا من نقض منهم عهداً، كما يبدو أنهم كانوا يمارسون طقوسهم الدينية بحرية.

ومن الظريف أن الأصل الإسلامي ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[1] جاء في أول دخول الرسول ﷺ إلى المدينة وصار يعمل عليه، فإن النبي المكرم بحسب مقتضيات المجتمع الإسلامي حكم بتساوي جميع أفراده بالحقوق والوظائف وأبان عن ذلك بصراحة حينما قال: «إن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»، كما جاء في نصّ المعاهدة.

وكان الرسول ﷺ يهدف من وراء هذا النحو من التعامل مع اليهود إلى عدة أُمور، الأول: إحترام يهود الأوس والخزرج من ناحية الأشخاص الذين أسلموا منهم، الثاني: يكون قد إحترم أهل الكتاب مقابل المشركين والوثنيين من سكان المدينة، الثالث: ترغيبهم بذلك العمل في دخول الإسلام.

الرابع: يكون قد راعى أُصول الأقوام والطوائف التي كانت سائدة في ذلك الزمان خصوصاً في الأخلاق و المعاهدات، وكأن الإسلام يرضى بتلك الأُمور، لأنه ذكر في المعاهدة إسم كل طائفة على حدة، الخامس: أراد بذلك أن يزيل الدواعي لمقاومة الإسلام أو التظاهر عليه مع أعدائه ومناصرتهم، السادس، أراد أن يشرك اليهود العرب في إدارة المدينة والدفاع عنها، السابع: أن يساوي بين اليهود العرب في الحقوق، الثامن: أن يعزل اليهود العرب عن يهود بني إسرائيل، ونحن نجد نتيجة ذلك إلى نهاية الهجرة، التاسع: أنه لا يقبل للمتخلف والمتمرد عهد ولا ميثاق، وتلغى حقوقهم التي كانت تراعى إلى اليوم، العاشر: أن يكون الرسول ﷺ هو الحَكَم عند حصول النزاع.

---

(١) البقرة : ٢٥٦.

فإن تلك الإمتيازات لم تُنظر للمشركين العرب وعبدة الأصنام في المدينة ولم يؤبه بهم في هذا الحال.

ومن الواضح أن إحترام اليهود في هذه المعاهدة، ومنحهم بعض الحقوق المحدودة ببنودها، لا ينافي الأحكام الشرعية التي تفرض تفاوتاً بين أهل الكتاب وبين المسلمين، فلا يحدث تصور أن الرسول قد جعل اليهود في مرتبة المؤمنين وأنه ساوى بينهما في أحكام الدية والإرث وغيرها.

فقد بيّنا سابقاً أن الرسول صلى الله عليه وآله كانت له طريقتان في مواجهة اليهود: إحداهما مواجهة مذهبهم وأفكارهم يعني في الجانب الثقافي والنظري، والأُخرى مواجهة أشرار اليهود والمتخلفين وناقضي العهود، فإن حالهم يختلف عن سائر اليهود، وقد أشار القرآن إلى هذا التمييز حيث يقول: ﴿ **ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾[1].

فعلى هذا تكون المماشاة والمعايشة السلمية مع الجيران اليهود المسالمين والمؤدبين المراعين لوظائفهم مقبولة عند الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن لا يفسر مثل ذلك بميل النبي صلى الله عليه وآله إلى اليهودية.

ولعل مثل هذا التصور الخاطئ أدّى إلى أن يتوهم البعض أن الرسول صلى الله عليه وآله كان قد أرشد المسلمين في صدر الإسلام إلى اليهود الذين كان لهم مجتمع ديني ولهم أحكامهم الدينية المستندة إلى كتاب سماوي ووافقهم على إعتقاداتهم، حتى أن ولفنسون قال: «إن الرسول كان يرغّب المسلمين في التقرب إلى اليهود»[2].

فإن هذا إفتراء على رسول الله ليس أكثر، ولا يستفاد ذلك من هذه المعاهدة، وعلى العكس من ذلك فإن المستفاد بوضوح من الآيات المكّية والمدنية هو مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله لليهود، و مازال ينهى عن أخذ أحكام الله منهم، واليهود أنفسهم

---

(١) البقرة :١٠٥والبينة:١و ٦والحشر:٥٩.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٢٤.

كانوا يكذّبون الرسول ﷺ ولا يقبلون القرآن[١].

وكذا فإن إستنباط المستشرقين تمايل الرسول ﷺ إلى اليهود في أول الهجرة ومماشاتهم وأنه خطا معهم بضع خطوات لأجل كسب ودّهم وعطف نظرهم على قبول الإسلام مردود أيضاً[٢]، كما أشرنا إليه في مبحث صوم عاشوراء.

---

(١) فعلى هذا فإن الإسلام يعتبر اليهود مجرمين على الدوام، فإن اليهود وإن كانوا قد أهّلوا أذهان الأوس والخزرج لقبول الإسلام، ولكن لما لم يلبسوا أنفسهم هذه الحلة لم يكن لهم مكانة عند الرسول، بينما نجد في التوراة أن موسى قال: «سيأتي نبي مثلي من بين إخوتكم آمنوا به وأنصروه، »وكل اليهود متفقون على عدم وجود نبي في مرتبة موسى بين أنبياء بني إسرائيل لأن واحداً منهم لم يأت بشريعة جديدة، وإخوة بني إسرائيل ليسوا هم سوى بني إسماعيل ولذا كان على اليهود وكما بشروا الأوس والخزرج بظهور نبي من الحجاز ومهاجره المدينة أن يسبقوا إلى الإلتحاق به، ولكنهم إختاروا طريق الإنكار، فلذا ليس فقط تركوا الأمر بالمعروف، بل نهوا عن المعروف، ومما يبعث على السخرية أن يتحدث ولفنسون في كتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب ص٧٠ عن اليهود مع أكلهم الربا وشربهم الخمور ووقوفهم بوجه الرسول ﷺ وتكذيبهم القرآن: «لأن يهود الحجاز إنما كانوا أصحاب دين سماوي يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي »، نعم من الممكن وجود بعض الأفراد الزهاد والمعتزلين بندرة، يكونون قد إتخذوا طريق العبادة، كما أن في المسيحين كثير من الرهبان والزهاد، ولكن هذه الفضيلة لا تنسب إلى عموم اليهود . ونقل في صفحة ٨٥ من كتابه عن سيرة إبن هشام أنه قال: سلمة بن سلامة الذي كان من أصحاب بدر قال: كان لنا جاراً من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته حتى وقف على بني الأشهل، وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على بردةٍ لي مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار..... قال :فقالوا ويحك فما آية ذلك، قال:نبي مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمن. (سيرة ابن هشام ١ :١٧٠).

(٢) ذكر بعض محققي العامة ذلك في خصوص مسألة القبلة ولكنه إشتباه محض عندنا، أنظر كتاب العنصرية اليهودية ٢: ٣١٩، والعلاقات: ٢٧٦، ٢٧٧، وتاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٢٤،

فإن رسول الله ليس فقط لم يكن راغباً في متابعة قبلتهم، بل كان يرغب في تحويل قبلته إلى الكعبة، أنظر تفاسير أهل البيت ذيل الآية الشريفة.

والأمر الذي إفتري على المسلمين أعني ما نقله ولفنسون عن مستشرق باسم جودين، من أن ثلاث طوائف عظيمة من اليهود شاركت في هذه المعاهدة ولكن لما وقعت الحرب بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وآله مسح المسلمون أسماء هذه الطوائف من تلك المعاهدة، لعدم مشروعية محاربة أُولئك المعاهدين مع الرسول صلى الله عليه وآله[1].

لأنا نريد القول إن أُولئك الطوائف الثلاث (أعني بني قينقاع وبني النضير، وبني قريظة) أبرموا-وبطلب منهم- معاهدة أُخرى مع الرسول يأتي الكلام عنها تحت عنوان المعاهدة الثانية.

والمعروف بين المؤرخين أن هذه المعاهدة أيضاً إنعقدت بين الرسول واليهود، ولكن الموجود في متنها هو عقدها بين المسلمين الموجودين في المدينة أعم من المهاجرين والأنصار ولم يذكر فيها اليهود، وإذا جاء ذكر بعض العرب اليهود فلأجل أنهم كانوا من سكان المدينة وحلفاء المسلمين العرب، تقرّر لهم بعض الحقوق و عليهم بعض الوظائف والعهود، ومهما يكن من أمر، فإن هذه المعاهدة تختلف مع المعاهدة التي إقترحها اليهود على الرسول صلى الله عليه وآله.

والكلام في تلك الموادعة يدور حول إرائة منشور ومقررات قررها الرسول صلى الله عليه وآله بابتكاره وإملائه للمهاجرين والأنصار لأجل تنظيم روابطهم مع البعض ومع يهود المدينة، وبحسب الظاهر فليس لليهود دور في تنظيم تلك المعاهدة و لذلك نذهب إلى عدم حضورهم في مجلس المعاهدة والحلف.

وفي الخبر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى أن يفرق المصلي بين قدميه في الصلاة وقال إن ذلك فعل اليهود و لكن أكثر ما يكون ذلك نحوالشبر فما دونه وكلما جمعهما فهو أفضل إلا أن تكون به علة (بحار الأنوار٨١: ٣٢٧. وقال النبي إتقوا اليهود والهنود ولو الى سبعين بطنا .(أنوار النعمانية ١: ٦٧).

ولما رأى علماء اليهود الاختلاف في كثير من الأحكام قالوا: مايريد هذا الرجل، ان يدع من أمرنا شيئا إلا خالَفَنا فيه (الدر المنثور١: ٢٥٨) فهل هناك علامة تشير الى تمايل الرسول صلى الله عليه وآله الى اليهود ؟.

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٥٢ و١٣٢.

المعاهدة وآراء المحققين

الأُمور التي تخص هذه المعاهدة و دار عليها كلام المحققين ثلاثة: أحدها: صحة تلك المعاهدة وسندها، والآخر: تعيين الأطراف، والثالث: تعددها وعدمه. فالبعض مثل يوسف العش يرى أن هذا الحلف مفتعل وليس له أي إعتبار، وإعتماده في ذلك على عدم رواية إبن إسحاق عن راوٍ معتبر، والباقي إنما نقلوا عنه ولم يأت الحديث بكامله في شيء من الجوامع الحديثية المعتبرة، ولكن ذكر من يذهب إلى صحتها ثلاثة أسناد مستقلة أحدها عن الزهري أستاد إبن إسحاق[1].

---

(١) العلاقات: ٢٦٢. وقد أنكر يوسف العش صحة هذه الوثيقة بأنها لم ترد في الفقه والحديث الصحيح رغم أهميتها التشريعية،بل رواها ابن اسحاق بدون إسناد «وأجابه حسين مونس في كتابه عالم الإسلام». وقد أورد عدة أسباب لإنصراف المحدثين عن هذه الوثيقة منها أن علماء الحديث في عصر ابن إسحاق لم يكونوا يحبونه وكانوا يتهمونه بقلة الأمانة وكان الإمام مالك بن أنس في خصومة معه وهناك سبب آخر هو أن النص الذي أتانا به ابن إسحاق اعتمد على أصلين مكتوبين: كان أحدهما عند أبي جعفر محمد الباقر من أئمة الشيعة وكان الآخر عند عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهذا الأخير أعطاه لإبن إسحاق وكان إبن إسحاق شديد الاتصال به. ومن الجدير بالذكر أن هذه الصحيفة ظهرت في العصر العباسي الأول حيث كانت السلطة فيه لا تقبل أي منازع في سلطانها المطلق".

وفي ص٢٦٤"كذلك إن أسلوب الوثيقة ينم عن إصالتها، فنصوصها مكونة من جمل قصيرة بسيطة وتعابيرها مألوفة في عصر الرسول وليس فيها ما تمدح قوماً أو تذم أو تقدح وأيضاً التشابه بينها وبين مكتوبات النبي ﷺ يعطيها دعما أكبر. فهي تشتمل القسمين الأول بين المهاجرين والأنصار والقسم الثاني بين اليهود والمسلمين وأما تاريخ الوثيقة فبعض أنها كتبت قبل معركة بدر وبعض بعدها "

ورد في المادتين ٢٣ و٣٦ أن محمداً ﷺ هو الحكم في الخلافات التي تقوم بين الأطراف المختلفة في المدينة وأنه لا يسمح بالخروج من المدينة إلا بإذنه ويعتقد "غريم المستشرق" ان هذا من الأدلة على مكانة الرسول الرفيعة وأن هذا لم يحصل الا بعد موقعة بدر وأيضاً في المواد: ١٧ و١٩ و٤٥،

وفي خصوص الأمر الثاني يعتقد بعض المستشرقين أن هذه المعاهدة كانت بين الرسول والعرب واليهود[١]، ويرى البعض الآخر أنها كانت بين العرب

تحتوي القتال الذي يدل على أنه بعد معركة بدر وأما قول أبي عبيد القاسم بن سلام: إنما كتابة الصحيفة حدثان مقدم الرسول المدينة وقبل تقرر الجزية لأهل الكتاب.

ذكر محمد حميدالله في كتابه مجموعة الوثائق السياسية ...ان الوثيقة جائت في كتاب الاموال لابن جوزيه من طريق ثالث وهو طريق الزهري وهكذا فان الوثيقة التي بين أيدينا وردت من ثلاث روايات مختلفة الاسانيد . ...(سنن البيهقي ج٩ص١٨٢ واباعبيدة، الاموال ص٢١٥)

يجب أن يعلم أن الامام الباقر عليه السلام يحتفظ بصحيفة كتبها عبد المطلب حول أمية وصحيفة كتبها المنافقون في حجة الوداع، ولعل كلمة صحيفة أوقعت مؤلف كتاب العلاقات في الاشتباه، إلا أن يكون ابن إسحاق قد صرح بأن هناك نسخة من تلك المعاهدة عند الإمام الباقر عليه السلام.

وفي كتاب «يهود حجاز» بعد تفسير إصطلاح الموادعة، تعرض لأهمية العهد والحلف في الجاهلية، وكذلك أهمية ذلك العهد المنعقد طبقاً لآداب القبائل وحقوق الطوائف ويذهب المؤلف إلى أن ذلك الحلف كان بين الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين واليهود ويرى أن المشركين وعبدة الأصنام لم يشاركوا فيه، ولم يكن اليهود المذكورون في هذا الحلف من المعروفين منهم ولعلهم كانوا هم المتهوّدون من العرب، ويحتمل أن تكون هذه الرواية قد أدغمت حلفين، يؤيده تكرر بعض البنود فيها، ولكن من المسلّم أن القبائل الثلاث المعروفة لليهود كانت في معزل عن هذا الحلف، وصار المؤلف يذكر على أن عقد هذا العهد من جانب الرسول مع اليهود كان تصميماً ستراتيجياً ورؤية سياسية، وليس مرحلياً قمعياً يتحين به الفرصة لتصفية اليهود في الوقت المناسب، ولذا فإن اليهود إذا لم ينقضوا ذلك العهد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوفي لهم، لأن الوفاء بالعهد في الإسلام من أهم الواجبات ما لم ينقض الطرف الآخر ميثاقه، ونذكر أنه جاء ذلك الكلام في كتاب «الرسول واليهود» أيضاً.

ونقل ذلك في كتاب« العنصرية اليهودية ٢: ٨٢ » في هامشه مفصلا وفي ص٨٣، أضاف أن البيهقي نقل بعض تلك الرواية مما يرتبط بالأنصار على حدة، وجاء بعضها في الأحاديث الفقهية في باب «من لا تؤخذ منه الجزية » وأعاد فيه كلام صاحب العلاقات ايضا.

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٣٢، العنصرية اليهودية٢: ٨٢، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢ : ٦٠.

المسلمين فقط وهذا عندنا أقرب إلى الصواب، ولاشك أن من يذهب إلى أنها كانت بين الرسول ويهود بني إسرائيل قد عدل عن طريق الصواب، ولعل سببه الصدر الأول من الوثيقة، هل هو كلام إبن هشام[١]؛ اوكلام إبن إسحاق، لأنه جاء في كتاب إبن هشام! :«قال محمد بن إسحاق وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم وإشترط عليهم».

وأما الأمر الثالث فإن البعض يرى أن هذه الوثيقة مجموع معاهدتين أو ثلاث معاهدات جاءت في قالب رواية واحدة، لأن بعض المجاميع الحديثية نقلت قسماً منها فقط[٢]، والأولى أن هذه الرواية مبينة لمعاهدة واحدة، لأن لكل معاهدة صدر وذيل ويذكر في أولها إسم الطرفين ويختم بالشروط والعهود، فإذا نقل المحدث أو المؤرخ جانباً فيها لبعض الدواعي، فإنه لا يكون دليلاً على تعددها، وهذا الأمر مشهود بالنسبة إلى نقل الأحاديث، خصوصاً المفصلة منها.

زمان المعاهدة

يعتقد بعض المستشرقين أن هذه المعاهدة كانت بعد معركة بدر، لأن المتراءى منها أن الرسول ﷺ يتكلم من موضع القدرة، حيث جعل من نفسه حكماً، ولكن الأكثر يذهب إلى أنها كانت أوان دخوله المدينة وهو الأقرب إلى الصحة[٣].

فإنه يجب أن يعلم أن هيبة الرسول ﷺ وقدرته وعظمته عند أهل المدينة إلهية لا بشرية، فهو الذي أضفى عليه تلك القداسة والمهابة، وإذا لم تخضع له قريش بمقتضى سيرتها وطبعها، فإن الذين آمنوا به من المهاجرين والأنصار قد خضعوا له وسلموا له كمال التسليم، ولا حاجة إلى تفسير تلك القدرة والشوكة بالانتصار في المعركة مع المشركين، بل من الممكن أن يؤدي الإنتصار إلى حزم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١١.

(٢) يهود حجاز : ٦٩.

(٣) العلاقات: ٢٦٥.

مخالفيه في مخالفته وقد شاهدنا نظير ذلك في غزوة بني قينقاع، فمن المحتمل قوياً أن المعاهدة كانت قبل معركة بدر.

أهمية هذا العهد

إن أهمية هذا العهد آتية من ناحية إنطوائه على كيفية إدارة المدن واستتباب الأمن والإستقرار والحيلولة دون النزاعات الداخلية، والإبقاء على بعض العهود القبلية التي كانت قبل الإسلام، وأيضاً فإن رعاية حقوق الآخرين على أساس القسط الذي تكرر ذكره في المعاهدة مما يلفت النظر، جاء هذا مقارناً لحصول الإختلال في توازن القوى الناشئ من إسلام البعض دون الأخر، كإسلام الإبن دون الأب أو الزوج دون الزوجة وبقائه على الشرك أو اليهودية، وكذا فإن عطف نظر زعماء القوم على حفظ الثغور وتعيين وظيفة كل قبيلة في قبال ذلك، وكذا إيجاد الوحدة والتآلف بين المهاجرين والأنصار بحيث لا يفتخر أحدهما على الآخر ولا يتعدى عليه، ومنح اليهود الحقوق المدنية التي يتمتع بها المسلم في مقابل تحمل المسؤلية اللازمة، كل ذلك من إمتيازات هذا العهد .

ويعلم من بنود هذه المعاهدة أن ظروف ذلك الزمان كانت تفرض إيجاد تلك الوحدة، وأن نفسية القبيلتين (الأوس والخزرج) كانت مستعدة لقبولها، ولكن محو كل الرواسب الذهنية المرة وما خلّفته النزاعات السابقة، والعصبيات الجاهلية، لا يتيسر إلا تحت لواء الإسلام وفي ظل نورانيته ومعنويته، نعم كان لبناء مسجد المدينة والحث على المشاركة في صلاة الجماعة والجمعة، دور أساسي في تعزيز تلك الوحدة، وكذا تحكيم المعايير الدينية على التعهدات الأُخرى ولم يكن مطروحاً قبل ذلك الزمان، وكذا فإن التأكيد على بعض الأحكام مثل حرمة دم المؤمن ووضع القصاص العادل، وأن نفس المؤمن بنفس المؤمن دون الكافر، وإنفاذ أوامر الرسول وإثبات حاكميته بأن يكون هو الحكَم في كل نزاع بين الطوائف، ساهم كل ذلك في إستمرار قداسة النبي صلى الله عليه وآله ورسالته، وصار يعطي كل من ينتمي إليه مكانة أكبر، حتى أن يهود بني عوف صار لهم إمتياز في تلك المعاهدة لأن النبي صلى الله عليه وآله ورد عليهم اولاً حينما هاجر الى المدينة وكان منهم المسلمون الأوائل من الأنصار.

يهود بني إسرائيل والعهد المذكور

بيَّنا أن المعاهدة المذكورة لم تشمل يهود بني إسرائيل، بل كانت بين المسلمين من المهاجرين والأنصار ومن يلوذ بهم، وإنما جاء إسم اليهود العرب لأجل تحالفهم مع بعض الأطراف أو سكناهم المدينة وغيرها، ومع ذلك لم يعيّن في المعاهدة موضع لتوقيعهم، والنتيجة أولاً أن هذه الموادعة تُعد في الحقيقة منشوراً ودستوراً تقرر على خصوص أهل المدينة، بينما كان بنو إسرائيل في الغالب خارج المدينة، ولهم مواطنهم وحصونهم المستقلة، وثانياً: أن هذا العهد بحسب الظاهر يختلف مع العهود الأخرى التي يتزعمها فرد أو مجموعة من الأفراد من كل طرف ويختم بتوقيعهم في آخر المطاف، وسنرى في المعاهدة مع يهود بني إسرائيل توقيع شخص من كل طائفة نيابة عنهم وعلى هذا يستنبط أن الرسول ﷺ قرر فور دخوله المدينة خطة للعمل من دون إكتراث بهولاء اليهود وحتى لم يتعرض لشأنهم، وكأنه كان ينتظر ردود الفعل الصادرة منهم.

الكلام الثاني

المعاهدة مع يهود بني إسرائيل

نحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله مبعوث إلى جميع العالم بما فيهم اليهود، وكان نصف أهالي البقعة التي يبلغ فيها من اليهود، فصرف شطراً من حياته في مجابهتهم، الأمر الذي يدعونا إلى مطالعة عمل اليهود والرسول صلى الله عليه وآله والتأمل فيه، وبما أن الدين الإسلامي كان يتقدم وهو دين لعامة البشرية إلى يوم القيامة، فلابد من أن ترسم صورة عن العمل في الظروف المختلفة كي يتخذ سنة جارية، وتطلع الأجيال القادمة والدول الإسلامية على كيفية التعامل مع غير المسلمين خصوصاً اليهود، ومن هنا كانت خطورة هذا الموضوع كبيرة، وهدفنا النهائي في هذه الرسالة ليس هو النقل وإن كنا مضطرين إلى ذلك، بل هو الوصول الى النظرة الواقعية ومعرفة الجذور الأخلاقية والإجتماعية وإكتشاف الأسباب والدواعي وراء المواجهات والمعارضات التي حدثت بين الرسول صلى الله عليه وآله واليهود إعتماداً على الروايات والأخبار المعتبرة.

فإن عمل الأنبياء مثل أقوالهم ينبع من الحكمة ويصير سنة من بعدهم على أن لا نغفل عن بعض الحقائق مثل نبوتهم ومقام العصمة والتأييد الإلهي الذي طالما حالفهم، والملك المقرب جبرئيل الذي شمّر عن ساعد الجد في خدمتهم، وغيرها من الحقائق.

ومهما كان ذلك العمل فمنشؤه أمر الله سبحانه ومقام الولاية والإشراف وليس هو عمل إنفعالي وعفوي، وذلك أن التدبر في آيات القرآن يوصلنا إلى أن مثل خطاب القرآن وعتابه وكذا عمل رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا كان من منطلق الهداية والتربية ومبني على الحكمة لا يعد إهانة ولا تحقيراً، بل لايزال توجيهاً وهداية، فبعنوان المثال نجد أن القرآن يأمر النبي بالإعراض عن عمل المنافقين وفي نفس الوقت يأمره بالوعظ فيقول: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ

عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[١]، حيث نشاهد الجمع بين الإعراض والموعظة، أو نشاهد توبيخ اليهود مع الدعوة إلى وجه الإشتراك في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[٢]، فإن خطاب المعلمين والرسل وعتابهم له حساب آخر، ولا يعني من مثل توبيخ الرسول صلى الله عليه وآله المجابهة والمنافرة، بالإضافة إلى ملاحظة إختلاف معاملة الرسول صلى الله عليه وآله مع اليهود المهذبين، عن معاملته مع اليهود المشاكسين، وبصورة كلية فإن معاملة الرسول مع اليهود لم تكن تثيرالعواطف، والدليل على ذلك وجود أعداد كبيرة من اليهود في مركز الدولة الإسلامية يعني المدينة، وإشغالهم أهم المراكز الإقتصادية من أول الهجرة إلى وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

كان الرسول صلى الله عليه وآله يعامل اليهود كأب حنون، يريد سعادتهم وسلامتهم، وكان يدعوهم إلى الإسلام بمنتهى الرفق ويذكر لهم الحجج والبراهين ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويحذرهم ببيان ما أصاب بني إسرائيل في سالف الأيام[٣]، فكم كان يصابر على جواب أسئلتهم ولم يترك سؤالاً الا و يجيب عليه إلا أن ينتظر فيه الوحي، هذا وقد تناقلت كتب الأخلاق والسيرة نماذج كثيرة من ملاطفة الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) النساء: ٦٣.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) البحار١٣ : ١٨٦، عن تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام ٢٥٦و٥٤٦: أقبل رسول الله على اليهود وقال: إحذروا أن ينالكم بخلاف أمرالله وخلاف كتاب الله ما أصاب أوائلكم الذين قال الله فيهم: فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم، وامروا بأن يقولوا..... فقال الله تعالى: "فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً" عذابا " من السماء" طاعونا نزل بهم فمات منهم مائة وعشرون ألفاً، ثم أخذهم بعد ذلك فمات منهم مائة وعشرون ألفاً أيضاً و كان خلافهم أنهم لما أن بلغوا الباب رأوا بابا مرتفعا فقالوا ما بالنا نحتاج إلى أن نركع عند الدخول هاهنا ظننا أنه باب منحط لا بد من الركوع فيه و هذا باب مرتفع إلى متى يسخر بنا هؤلاء يعنون موسى و يوشع بن نون...الحديث

ورحمته باليهود كأُنموذج مما مدحه به الله سبحانه حيث يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [١].

علمنا أن يهود المدينة هم في الأصل طائفتان وعندما دخل الرسول المدينة ميّز بينهما كما علمنا ذكر اليهود العرب الساكنين في المدينة وأطرافها في العهد الأول ولهم أن يبقوا على يهوديتهم، ويعيشوا مع المسلمين بسلام، نعم جعلت عليهم بعض الوظائف التي يجب عليهم تحقيقها وهو مشهود في الموادعة.

وأما يهود بني إسرائيل فإن النبي صلى الله عليه وآله تركهم وحالهم ولم يتعرض لهم، وكأنه ينتظر ردود الفعل من قبلهم تجاه تواجده في المدينة، ويستنبط في هذا النحو من التعامل أنهم لو سكتوا ولم يحركوا ساكناً وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله يتابع أعماله كان بإمكاهم البقاء على يهوديتهم والعيش بسلام حتى من دون دفع الجزية.

ويشهد لذلك العهد الثاني مع الطوائف الثلاث اليهودية المبتني على أصلين أساسيين الذين إقترحهما اليهود وهما:

«لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » و «أن لا نكون لك ولا عليك».

وبذلك نجد أن بعض اليهود الذين وفّوا بما عليهم من الحقوق بقوا في المدينة في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته من دون دفع الجزية، ولم يزاحمهم أحد[٢]، وأن بعضهم ممن أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عليهم أن يؤمنوا به، أسلموا في خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام، يعني بعد ثلاثين سنة، وهذا يعني بقاءهم على يهوديتهم إلى ذلك الحين.

وهو يعكس عدم وجود ضغوط تجبرهم على الإيمان بالرسول فقد كانوا يتمتعون بتمام الحقوق ومظاهر الحياة في المدينة، وما كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وآله في وسطهم إلا الإرشاد بحيث لا ينافي ذلك العهد، لأن إبلاغ الرسالة هو واجبه الإلهي، فكان يحضراجتماعاتهم ويدعوهم برفق أو كان يبعث إليهم سفيراً ينفذ

---

(١) القلم :٤.

(٢) ملامح من تاريخ القديم ليهود العراق : ٢٣٠.

مهمته الارشادية، حتى قيل إنه ذهب إلى كنيستهم وتكلم معهم فأسلم واحد من بينهم[١].

وقالوا إنه كتب إلى أهل خيبر كتاباً يذكّرهم فيه على العهد المأخوذ عليهم في نصرة نبي آخر الزمان ودعاهم فيه إلى الإسلام[٢].

---

(١) تفسير الميزان١٨: ١٩٨، أبو يعلى أخرج أبو يعلى وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي صلى الله عليه وآله وأنا معه حتى دخلنا على كنيسة اليهود يوم عيدهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: أروني اثني عشر رجلاً منكم ـ يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي عليه فسكتوا فما أجابه منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد فثلث فلم يجبه أحد فقال: أبيتم فو الله لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفي آمنتم أو كذبتم ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج فإذا رجل من خلفه فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل ذلك الرجل الجماعة وقال: أي رجل تعلمونني فيكم يا معشر اليهود؟ فقالوا: والله لا نعلم فينا رجلاً أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدك، فقال: إني أشهد بالله أنه النبي الذين تجدونه في التوراة والإنجيل، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا شراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذبتم لن يقبل منكم قولكم فخرجنا ونحن ثلاث: رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا وابن سلام فأنزل الله: (**قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فامن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين**).

(٢) جواباً على كتاب النبي صلى الله عليه وآله إلى أهل خيبر أنهم بعد التشاور مع عظماء اليهود وجّهوا عبد الله بن سلام أحد رؤساء اليهود مع أربعة آلاف مسألة وأربع مسائل مستخرجة من التوراة حتى جاء بها إلى النبي ودخل عليه مع جماعة من اليهود ليسألوا عن تلك المسائل ويعرفوا حقانيته، وما أن دخلوا عليه حتى أخبره النبي بقصده وما جاء له والمسائل التي جمعها، فسأل بعض أسئلته وتيقن أنه النبي الموعود، فآمن به في الخفاء، فقال عبد الله: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فأخبئني عندك وابعث إلى أهالي فسلهم عني، فخبأه رسول الله صلى الله عليه وآله وبعث إليهم فجاؤوا، فقال: أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟، قالوا: هو خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وابن عالمنا، قال: أرأيتم إن أسلم أتسلمون فقال: يا عبد الله بن سلام اخرج إليهم، فلما خرج واعلم إسلامه،

وفي خبر أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل خيبر كتاباً دعاهم فيه إلى الإسلام، فصار عظماء اليهود في صدد التحقيق عن الرسول كي يجيبوا على كتابه[١].

وكان رؤساء يهود بني إسرائيل يظنون أن قريشاً ستكفيهم أمر رسول الله ولا تشملهم دعوته، ولكن بمجرد دخول النبي ﷺ المدينة، علم اليهود أنهم في قبال أمر خطير، وأنهم إذا آمنوا فقدوا رئاستهم، وإذا خالفوا هلكوا.

ففي الخبر أن أحبار اليهود اجتمعوا في خيبر وتشاوروا وقالوا: إن محمداً قد أفسد شبابنا واجتذبهم إليه، يجب أن نذهب إليه فنسأله عن أساس علمه، وعما يدعو إليه[٢].

فقد حضر رؤساء الطوائف اليهودية الثلاث، وتكلموا معه، وتوصلوا إلى عقد معاهدة وتوقيع وثيقة لايعلم بالدقة تاريخ إنعقادها، والأقوى أنها قبل نفر بني قينقاع، لمجيء الكلام عن مخيريق اليهودي الذي أستشهد في معركة أُحد.

أنظر إلى متن الرواية : قال علي بن إبراهيم بن هاشم: وجاءته اليهود قريظة والنضير وقينقاع فقالوا: يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وإني الذي تجدونني مكتوباً في التوراة، والذي أخبركم به علماؤكم أن مخرجي بمكة، ومهاجري في هذه الحرّة، وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبي يبعث في هذه الحرة، مخرجه بمكة ومهاجره ههنا، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، يركب الحمار ويلبس الشملة، ويجتزي بالكسرة، في عينيه حمرة وبين كتفيه خاتم النبوة، ويضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى، وهو الضحوك القتال، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فقالوا له: سمعنا ما تقول، وقد جئناك لنطلب منك الهدنة **على أن لا نكون لك ولا عليك**، ولا نعين عليك أحداً ولا نتعرض لأحد من أصحابك ولا تتعرض لنا ولا

قالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا فقلبوا كلامهم، فقال ابن سلام: قد أخبرتك يا رسول الله إن اليهود قوم بهت.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢ : ٥٨، وفي التبيان١: ٣٣٦، وإعلام الورى١: ١٥٧.

(٢) موسوعة الفلاسفة المتصوفة اليهودية للدكتور عبد النعيم الحفني: ٣٣ وتاريخ العالم اليهودي٢: ٢٠، تفسير الامام الحسن : ٤٦٢يراجع بحث إسلام ابن سلام..

لأحد من أصحابنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك. فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك، وكتب بينهم كتاباً ألّا يعينوا على رسول الله ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا بكراع في السرّ والعلانية، لا بليل ولا بنهار، الله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله في حل من سفك دمائهم وسبي ذراريهم ونسائهم وأخذ أموالهم، وكتب لكل قبيلة منهم كتاباً على حدة، وكان الذي تولى أمر بني النضير حيي بن أخطب _، فلما رجع إلى منزله قال له إخوته جدي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك؟ قال: هو الذي نجده في التوراة والذي بشّرنا به علماؤنا ولا أزال له عدواً لأن النبوة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً _.

وكان الذي ولي أمر قريظة كعب بن أسد، والذي ولي أمر بني قينقاع وكان أكثرهم مالاً وحدائق، فقال لقومه: تعلمون أنه النبي المبعوث؟ فهلمّوا نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين، فلم يجبه قينقاع إلى ذلك[1].

وإمتياز هذا العهد أنه إنعقد بطلب من اليهود فكان الرسول فيه من موقع القدرة، وسند هذا الحديث أفضل وإن كانت بنوده المنقولة مختلفة ولكن مضمونه واضح والأطراف فيه والموقعون مشخصون، وعلى أساسه ألزم اليهود أنفسهم بعدم الإقدام على ما يغيض الرسول والمسلمين فتحل دماؤهم للنبي وتسبى ذراريهم ونعم أموالهم. هذا وقد كتب لكل طائفة كتاباً على حدة وكأن كل طائفة عقدت عهداً يخصها وقد لوّح الرسول في [illegible] أصحاب النبي وأن على اليهود ملاحظتهم، ولم [illegible] هي عهد إلى [illegible]

(١) بحار الانوار ٩: ٦٢ وج ٢١ و ١١ و موسوعة التاريخ الإسلامي ٥٨:٢ اعلام الوري ١٥٧:١ العنصرية اليهودية ٨٧:٢ وقد ذكر في تاريخ اليهود في بلاد العرب ص١٢٧ عدة معاهدات ولكنه لم يتعرض لهذه المعاهدة [illegible] يظهر من كتاب العلاقات ص ٣١٥ أن المؤلف لم ير هذه المعاهدة، ولم يذكرها في أول البحث وقد [illegible] يكون ذلك لأجل نقل المصادر الشيعية لها فقط ولكنه تكلم عن معاهدة النبي مع بني النضير بعد [illegible] قتل كعب وإبن سنية، وأنها كانت محفوظة عند أمير المومنين عليه السلام ونحن أسميناها المعاهدة الثالثة. [illegible] قيل إن مخيريق الذي تولى أمر [illegible] قينقاع كان من بني النضير ولعل بمناسبة إرشادهم [illegible] التاريخ [illegible] ٦٨-

يقرر في هذا العهد جزية على سكناهم في المدينة واطرافها، ولم يشترط خروجهم على شي من إذن، ويكونون أحراراً في دينهم وممارسة طقوسهم الدينية.

ولعل إقتراح هذا العهد وقبوله من قِبل اليهود هو في الحقيقة قبول لسلطة الإسلام بحيث إذا نقضوه تعرضوا لخطر الإبادة.

وقد جاءت في هذا العهد نكتة مهمة وهي أن اليهود طلبوا الهدنة إلى أن يتبين حال الرسول مع قومه، فهو يحكي عن ثورة ونقل للسلطة، وهي فرصة محدّدة للنبي في قبالهم تظل محفوظة، وينبغي الإلتفات إلى أن هذه المعاهدة إنعقدت حينما كان اليهود أكثر من أحد عشر ألفاً، وعدد المسلمين لا ينيف على ألف، فإن إنعقاد هذا العهد في حريم اليهود ومواطنهم يعني يثرب وحواليها مع إطلاعهم الكامل على المحل و إمتلاكهم القدرة الكافية والتجارب اللازمة في خوض الحروب، وإمتلاكهم لأقوى العُدد الموجودة في ذلك الزمان، وإمتلاكهم الأموال الطائلة، كل ذلك يعكس قدرة الرسول الإلهية، بحيث لا يمكن تحليلها بالموازين الظاهرية.

وعلى هذا فكلام بعض المستشرقين في تفسير ما وقع بعدم وجود التوازن الذي ألجأ الرسول إلى الحيلة وإتخاذ تلك السياسة لأجل تلافي ذلك الضعف مقابل اليهود غير صحيح، وما قولهم ذلك إلا لأن عقولهم قاصرة عن درك تلك القدرة والعزة الأزلية وتصديقها بالنسبة للأنبياء عليهم السلام ولا يسعهم درك ذلك بفكرهم المحدود.

معاملة اليهود مع الرسول

وكما قلنا مراراً إن رؤساء اليهود الواقفين على نصوص التوراة كانوا يعلمون أن الرسول الخاتم من العرب ومن أبناء إسماعيل وكانوا يرقبون ظهوره من سالف الأيام من بين العرب، وما زالوا في صدد إخماد نوره، وما زالوا يعادونه بغير إنقطاع ولم يفتر عداؤهم وإن كانت أنحاؤه تتغير من فترة إلى أخرى.

فقد لاحظنا كلام حيي بن أخطب أنه قال: والله هو الذي نجده في التوراة والذي بشّرنا به علماؤنا، ولا أزال له عدواً؛ لأن النبوّة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل، ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً[1].

---

(١) البحار ١٩ : ١١٠.

والسبب الآخر لحقد اليهود وغيضهم هو فقدانهم لمناصبهم ورئاستهم و كيانهم الديني، إذ لم يبق مع ظهور النبي لعلمائهم مكانة ولا أقل إعتبار، خصوصاً مع إخبار القرآن عن أخلاقهم الباطنية وأعمالهم السرية التي تهدم كل ما أسسوه في السابق، فصارت العرب تتعرف على حقيقة من كانت تتعايش معه، وأن تلك الإحترامات والتوجهات التي كانوا يبذلونها لهم لم تكن في محلها.

وقد غبر اليوم الذي كانت اليهود تصف نفسها فيه بأنها خيرالأُمم، وقد صار خير الأُمم هي الأُمة الإسلامية، وهي القدوة والأسوة للعالمين.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾[2].

بالإضافة إلى إختلاف طريقة الرسول وطريقة علماء اليهود في أنظار الناس إختلافاً فاحشاً، سواء في الإعتقادات النظرية أو العمل، فإن عمل علماء اليهود وطريقتهم في الحياة بالخصوص أحبارهم ورجال الدين على خلاف ما أمر به الأنبياء وطريقتهم في الحياة الدنيا، مثل أكلهم الربا وشربهم الخمر وطلب العلوّ والأنانية والتمييز العنصري وغيرها من آثار الأحكام التلمودية هي من جملة الموارد التي يتمايز فيها طريقة عمل الرسول مع طريقة عمل اليهود، فإن التاريخ يشهد أن الرسول ﷺ كان منزّهاً من كل تلك الرذائل.

وكان اليهود يقولون للعرب بصريح الكلمة: إنكم أُميون ويحق لنا أن نأخذ أموالكم، وإذا أودع البعض عندهم أمانة، فإنهم لا يتورعون عن الخيانة بها، ولا

---

(١) آل عمران : ١١٠.

(٢) الأحزاب : ٢١.

يجدون أي حزازة في وجدانهم ولا حرجاً في أنفسهم من ناحية العقيدة والتدين، ولعل تعايشهم مع عبدة الأصنام أورث عندهم هذه الحالة وجعلتهم بحيث لا يتحرجون من إرتكاب الذنوب، لأنها لم تكن مذمومة عند المشركين. وبعد ظهور الإسلام وتجلّي الأحكام الإلهية، صار اليهود في معرض نقد جديد ووضعت أعمالهم في الميزان الحقيقي وصار يحكم بها أصحاب الضمائر الحرة، فلم تكن نتيجة ذلك إلا الخسران.

ولا نترك القول بأن التاريخ الإسلامي الحافل بما ينسبه إلى اليهود من العناد وتأجيج الفتن بالنسبة للرسول، ينقل في عرض ذلك صفحات مشرقة عن اليهود الذين أسلموا وجاهدوا في سبيل الله، وأظهروا المودّة والصداقة والنصيحة ودعاء الخير ونهاية الأدب، فإن هناك يهوداً كانوا على طيبهم وسرعان ما أسلموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ولأنهم صاروا في زمرة المسلمين فهم خارجون عن دراستنا، فإنا لاحظنا في الآيات المكية أن الله سبحانه وتعالى مدحهم واستشهد بإسلامهم على السائرين :﴿ **قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ** ﴾[1]، فإن من المسلّم أن بعض الشباب اليهود إعتقدوا بالرسول، ولكنا لم يبلغنا دخولهم في الإسلام بشكل جماعي كالذي سمعناه عن إسلام الأوس والخزرج، أو لم نطلع على ذلك، مع أن اليهود كانوا هم أهل الكتاب والأوس والخزرج من عبدة الأصنام، وليس سوى ما جاء من إسلام أهل اليمن الذين كان فيهم يهود كثيرون، فإنهم أسلموا بشكل جماعي[2].

وكذا يهود المدينة فإن منهم من كان مهذباً ويتعامل بكامل الأدب وحتى مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يأتونه من حيث الصداقة وهم على يهوديتهم، فإن كاتب الرسول صلى الله عليه وآله كان يهودياً إلى فترة، وهناك رواية عن الإمام الباقر عليه السلام تحكي عن

---

(١) الأحقاف : ١٠.

(٢) وذلك لما ذهب إليهم أمير المؤمنين عليه السلام بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله ودعاهم إلى الإسلام.

تفاؤل بعض اليهود بالإسلام، فكانوا يذكرون أوصاف الرسول وبشائر الكتب المقدسة للمسلمين بحسن نية وصدق[١].

والمناظرات والجدال الذي كان يدور بين اليهود والنبي صلى الله عليه وآله والأسئلة الكثيرة التي يطرحها اليهود، تحكي عن وجود حالة سلمية نسبية مع النبي صلى الله عليه وآله، و إن كانت تلك المحاورات تنتهي إلى إستكبار أكثر اليهود وتعنتهم.

هذا وقد ظل اليهود العرب على عهودهم ومواثيقهم في الغالب، يعيشون في المدينة مع الرسول ولكنهم كانوا قليلين، ولكن صحيفة أعمال يهود بني إسرائيل صارت تنطوي على حوادث مرّة وغير مستساغة، بحيث لا تصدق كلية الحكم بمسالمتهم وأدبهم، ويجب القول بأن مبنى روابطهم مع الرسول على أساس المنافرة والحقد وتصعيد النقاش إلى حد المحاربة وسفك الدماء، ولو أنهم مكثوا على الهدوء والسلم ولم يبرزوا كل تلك العداوة والشر مع الإسلام والمسلمين لأمكنهم العيش بكرامة في مواطنهم في ظل الأمن والإزدهار الذي شمل الدولة الإسلامية، والأهم من ذلك سنوح الفرصة للقوى الإسلامية وجنود الرسول صلى الله عليه وآله أن يصرفوا هممهم في مجال آخر، وأمكنهم الزحف والتقدم خارج حدود اليهود، خصوصاً أهل خيبر، و هل يعلم المسلمون أن التعرضات اليهودية كانت قد حدثت في أهم الظروف وأكثرها حساسية، بحيث حالت دون تجلّي الأسرار القرآنية وإنتشار المعارف الدينية والعلمية، وتعليم وتربية المجتمع الإسلامي، وتدوين القوانين المدنية الجزائية والسياسية العادلة، والنتيجة أنها حالت دون إنتشار الإسلام الأصيل وتقدمه. ولعل أفضل دليل هو مطالعة الأحداث والفتوحات والآثار التي أعقبت فتح خيبر، فهي تعبّر عن قدرة الرسول على الأخذ بالأُمة الإسلامية إلى أعلى القمم، على رغم تواجد المنافقين اليهود في حياة

---

(١) نقل الشيخ الطوسي في التبيان والطبرسي في المجمع ١: ١٤٢، عن الإمام الباقر عليه السلام أن طائفة من اليهود لم يكونوا من المعاندين والكذابين وكانوا إذا رأوا المسلمين ذكروا لهم صفات رسول الله التي ذكرت في التوراة حتى نهاهم عظماؤهم وقالوا: تخبرونهم بما جاء في التوراة من صفات محمد صلى الله عليه وآله يحتجون بذلك عليكم عند الله سبحانه ! وقد نزلت آية ٧٦ــ ٧٧ من سورة البقرة في هذا الشأن.

المجتمع الإسلامي وحقاً على المسلمين أن يعرفوا عدوّهم الواقعي، ولقد أضرّ اليهود ليس بالمسلمين فقط، بل بجميع المجتمع البشري ضرراً لايتيسر تلافيه.

على الرغم من أن أكثر اليهود لم يكونوا مع الرسول، ولكن البعض منهم صار يعلن عداءه ونفرته أكثر، فصار يسب الرسول ويتمسخر بكل أفعال الرسول، ويمنع الآخرين من الإنتماء إليه، فكانوا يقولون بصريح الكلمة إن محمداً ليس هو النبي الموعود به في آخر الزمان، هذا وقد ذكر التاريخ أسماء بعض اليهود الأجلاف الذين اشتهروا بذلك[1].

والذي كان يدعو اليهود لإستمرارهم على العداء القائم مع الرسول صلى الله عليه وآله هو الوعد الإلهي بالنصرة في القرآن للرسول، و الأخر هي المعاجز التي كانت تظهر على يد الرسول المعجزة تلو الأخرى، ويليها تنامي شوكة الاسلام و عظمته بين الناس، كل ذلك كان يثير حفيظة اليهود ويؤجج حقدهم، فاضطرب اليهود

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٢٠و١٢١ – من يهود بني قينقاع :إزار بن ابي إزار، اشيع، بحرى بن عمرو، خالد بن أبي ازار، رافع بن أبي رافع، رافع بن حارثة، رافع بن حريملة، رافع بن خارجة، رفاعة بن زيد بن التابوت، رفاعة بن قيس بن زيد بن ابي ازار، زيد بن اللصيت، سعد بن حنيف، سويد بن الحارث، شاس بن عدي، شاس بن قيس.

ومن يهود بني النضير : أبو عامر، أبو ياسر بن اخطب، جدي بن أخطب، حيي بن اخطب، الحجاج بن عمر، الربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، زينب بنت الحارث، سمية، سلام بن أبي الحقيق، سلام بن مشكم، عمرو بن جحاش بن كعب، كعب بن الأشرف، كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، النباش بن قيس.

ومن يهود بني قريظه : ايو نافع، أسامة بن حبيب، بنانة، حمل بن أبي قشير، الحارث بن عوف، الزبير بن باطا، شموئيل بن زيد، عدي بن زيد، فردم بن كعب، كردم بن زيد، كعب بن أسد، نافع بن ابي نافع، النجام بن زيد، وهب بن زيد، و هب بن يهودا.

ومن يهود بني ثعلبه : عبد الله بن صوريا الأعور.

ومن يهود بني زريق :لبيد بن الأعصم.

ومن يهود بني حارثه : كنانة بن صوريا.

ومن يهود بني عمرو: ابو عفك وفردم بن عمر.

ومن يهود بني النجار: سلسلة بن برهام .

وأضِف :ومن يهود خيبر : مرحب، ياسر، الحارث بن زيد، عثمان بن أوفي، عمربن أضا، نعيم بن عمرو

الذين صار نجمهم في أفول و شهرتهم في خمول وتراجع صيتهم وسيادتهم في الجزيرة العربية و اغتاضوا من ذلك، وساهم في هذا الحال الآيات التي صارت تنزل و تخبر عن أحوالهم في الوهن المستمر، والذل وفقدان الإعتبار، لأن كلام الوحي يحظى بصدق اللهجة و له تأثير عجيب، فطال على أثر ذلك عداءهم للقرآن المجيد فادعوا أنه مجرد أسطورة و إفتراء[1]، جُمع ذلك مع حسدهم الكامن في سرائرهم و سيرتهم، فولّد نار الغضب في ضمائرهم التي لم تطفأ إلا بهلاك تلك القلوب السوداء، وانتهت بإضمحلال الطوائف الثلاث اليهودية الكبرى في جزيرة العرب.

كيف تشددت مجابهة اليهود في أول الهجرة؟

كان اليهود في مجال مواجهة الرسول ومعارضته في حالة ترديد في أول الأمر، ولكن تشدد عزمهم على مجابهة الرسول ﷺ شيئاً فشيئاً حتى حصل الجزم بذلك، و في البداية علم اليهود بظهور النبي الموعود وليس من المناسب مواجهته بالحرب، و الحال أن بعض علماءهم قد صدق به و أسلم، و من ناحية أخرى لا يعلم ما سيؤل إليه أمره مع قومه قريش وهل يمكنه إقامة دولة أو أنه سرعان ما سيقتل بيد قومه وتنطفىء جذوته كأنبياء بني إسرائيل، فإن في تاريخ بني إسرائيل أنه لم يُمهل بعض الأنبياء لأداء مهمّته التبليغية حتى يوماً واحداً، يعلم ذلك من كلام بعض اليهود مع رسول الله ﷺ في أول الهجرة، قالوا: جئناك لنطلب منك الهدنة على أن لا نكون لك ولا عليك ولا نعين عليك أحداً و لا نتعرض لأحد من أصحابك و لا تتعرض لنا و لا لأحد من أصحابنا حتى ننظر إلى ما يصير أمرك و أمر قومك .

---

(١) العلاقات ص٢٩٣ . إن المؤلف المحترم قد دارس دراسة قرآنية في هذا المجال ولكن مع الأسف لم يراع ترتيب زمنية نزول الآيات وقد خلط أول الهجرة الى آخره ولم تعتبر فيها تحول أخلاقهم من الإستسلام الى العدى وإشعال الحرب.

وأنظر صحيح البخاري: ٣: ١٥٧

ثم إن الإختلاف القومي هو الآخر عامل نفسي على صدّ اليهود عن الإقدام الجسور، لأن التعصب القومي والقبائلي شديد بين العرب، فكان اليهود يتحرزون عن القيام بعمل صريح و الإقدام على قتل الرسول صلى الله عليه وآله دون مساعدة قريش، و كانوا يرغبون في تحقق القتل بيد قومه، فكانوا يتصورون مع الإلتفات إلى عداء قريش الشديد للنبي وموقعية أبي سفيان بين طوائف العرب أن ذلك الأمر سيتحقق بسرعة ولذلك أحجموا بعض الوقت.

ولعل هذه الحالة النفسية تتجلى من طلبهم الهدنة وعقد المعاهدة التي تقدموا بها بصورة واضحة، بالإضافة إلى الرعب والخوف الذى ملأ قلوب اليهود المعاندين[1]، وقد يكون ذلك قد سلبهم القدرة على اتخاذ القرار الحازم، ولذا طلبوا المهلة و الهدنة لأجل التفكير بعض الوقت و التدبير ورسم خطة عملية مناسبة.

ولكن سرعان ما شملت نورانية القرآن وحلاوة آياته وحكمة بيّناته كل الأرجاء وإستمال حتى بعض العلماء و رأس جواليت اليهود، و أضاءت مناظرات الرسول العذبة والمستدلة أفكار السائلين، وإجتذبت أخلاق الرسول الحسنة و وقاره و رأفته القلوب حتى بلغ الحال أنه إذا توضأ لم يقطر من وضوئه على الأرض قطرة بل يأخذه الأصحاب يتبركون به.

بينما رؤساء اليهود المتغطرسون قد طلبوا العهد من جانب و قيدوا أنفسهم بذلك، ومن جانب آخر تتأجج نار قلوبهم غيضاً ولا يتمكنون من إخفائها، و بعد تحقق الغلبة للمسلمين في غزوة بدر وذلك بالإمداد (الغيبي)، نفذ صبر اليهود و ظهرت أول بوادر نقض العهد بغلظة بني قينقاع وحدّتهم، فبدأ فصل جديد من الروابط بين الرسول صلى الله عليه وآله ويهود بني اسرائيل سنتكلم عنه في القسم الثاني من الكتاب إن شاء الله.

---

(١) جاء في الأحاديث أن الرسول صلى الله عليه وآله كان منصوراً بالرعب، وقد اكّد ذلك في القرآن ﴿.وقذف في قلوبهم الرعب﴾ وذلك الرعب الذي ذكر نظيره في أصحاب الكهف في القرآن و كذا في كتب الأنبياء.

الكلام الثالث

بيان القرآن عن تعامل النبي و اليهود

اليهود في القرآن أوائل الهجرة

قبل التعرض لغزو اليهود، من الأفضل أن نستعرض حال اليهود في أوائل الهجرة حتى نلاحظ حدود أخلاقياتهم من لسان القرآن، و نرى أن أخلاق هذا القوم تقوم و تستند على أي شئ، و ما هي خلفياتهم و تاريخهم وكيفية تعاملهم مع الأنبياء السابقين و المقدسات الدّينية وكذا تعاملهم مع الإسلام الحديث الظهور، و ما هي ردود الفعل التي صدرت منهم، فإن حقّانية القرآن و صدقه في الحديث تطمئن به القلوب الطاهرة و تصدقه.

القرآن يحدثنا عن المجتمع اليهودي في ذلك الزمان بشكل واسع ودقيق، بحيث يمكن دراسته تحت عنوان «علم الإجتماع اليهودي» و تسبر أغواره، فإنه غير الدراسة التفسيرية للآيات التي لها محدودياتها، حينما نشاهد أن الحديث عن اليهود وعملهم في إحدى سور القرآن يبلغ ثلث السورة أونصفه، فلا يمكن قطع النظر عنها و يكون الكلام عن «تعامل اليهود و النبي »بدون ملاحظة هذه الآيات ناقصاً.

ومن المهمّ جداً أن نعلم سبب إهتمام القرآن بعقائد اليهود وسرائرهم و نواياهم وأفعالم و سلوكهم، وما هو الهدف الذي كان وراء بيان قصص أنبياء بني اسرائيل وأُممهم و فضح سوابق بني اسرائيل واليهود، وما علاقته بيهود زمان النبيﷺ وإلى أي حدّ، هل كان أكثر يهود المدينة من بني اسرائيل كي يجيء خطاب «يا بني اسرائيل» وهل إن عمل أجدادهم له من القداسة عندهم حتى يؤاخذوا به ويلاموا عليه، هل إن الربّ الحكيم سبحانه أراد بتوجيه ذلك اللّوم الذي لايرضونه تحذيرهم كي ينصرفوا عن الكفر والإلحاد، أو أنه أراد أن يعتبر المسلون بحالهم و لا يتخذونهم أولياء، أو أنه أراد أن يبين حقيقة اليهود لجميع

العالم. ونحن نأمل أن تكون هذه الدراسة تحذيراً للقراء اليهود، ولا تكون مجرد تقريع و إيلام فيتركون مطالعة الكتاب فإن في هذه السورة وكما هو مشهود، تقريعاً لأجداد اليهود على أعمالهم الكافرة، ذلك الكفر الذي أخرج أعقابهم أيضاً عن جادّة الحق، فإن من الواضح أن اليهود في زمان النبي لو تركوا الكفر و الظلم لم نشهد اليوم كفر اليهود وإراقتهم لدماء المسلمين وغيرهم.

واليهود اليوم أيضاً مسؤلون أمام دعوة نبي آخر الزمان محمّد المصطفى ﷺ و يجب عليهم التحذر من غضب الله و الرسل، و عليهم أن لا يعملوا ما يستوجبون به اللّعن و الثبور من الأجيال اللاحقة.

اليهود في سورة البقرة

نعلم أن الرسول ﷺ حينما هاجر إلى المدينة توجه إليها بعد تمهيد وطلائع، وقد هاجر إلى المدينة و دخلها بعض المسلمين، وقد مهّد لها قبل ذلك النقباء و الأنصار من الأوس و الخزرج، فإن هجرة النبي ﷺ وإن كانت مفاجئة بالنسبة لقريش ولكن في الحقيقة كانت مع التخطيط و التمهيد الكامل، و كان الأنصار يبشرون بمجيئه إلى المدينة، واليهود لم يكونوا عالمين بما ستأتي به الأيام و لم يكونوا يتوقعون أن يروا تمايل علمائهم إلى النبي ﷺ بهذه السرعة و حضورهم في خدمته الأمر الذي يؤدي إلى تشتت الأمّة اليهودية وضعفها.

نزلت سورة البقرة في أوائل الهجرة وقيل إن المائة آيةً الأولى نزلت في شأن يهود المدينة[1]، والأصح أكثر من هذه، وبهذا تكون مرآة لعمل اليهود في السّنة الأولى و الثانية للهجرة و تكون لها أهمية كبرى في دراستنا، ونلفت الأنظار إلى أن شأن نزول الآية لا يؤدي إلى تخصيصها، بل إن بيان القرآن عام وشامل ولا يتحدد بزمان و لا مكان، و لو أنه نازل في مورد خاص، ويمكن أن نكشف النقاب من خلال هذه السورة - بالإضافة إلى ما تنطوي عليه من المعارف المتعالية الشاملة

---

(١) قال إبن إسحاق: بلغني أن صدر سورة البقرة الى المائة منها، نزل في هولاء من أحبار اليهود والمنافقين من الأوس والخزرج(سيرة إبن إسحاق١: ١٣٢)

– عن مجابهة يهود المدينة للرسول ﷺ وكيفية مخالفتهم، وبصورة كلّية نستنبط عمل اليهود في أوائل الهجرة، فإن هذه السورة تعكس إستمرار تحدياتهم و تداومها.

والأمر المهم أن نزول هذه الآيات في الحقيقة يدخل في إطار حرب باردة مع اليهود في المدينة يؤدّي في النتيجة إلى إنهيار قواعدهم في ديارهم على الرغم من تاريخها وسابقتها ونفوذها الاقتصادي و الثقافي، و يجعلها منفورة عند المسلمين، ويفقد اليهود تلك المنزلة و المكانة التي حصلوا عليها بين قريش و الأميين.

وليس هذا الأدب الرفيع المدمّر لقواعد اليهود الذي جاء به القرآن حكراً على سورة البقرة، بل إنه إستمرّ في جميع هذا الكتاب السماوي وإلى آخر ما نزل الوحي، مما يحكي عن خطورة اليهود وخطورة تواجدهم و تحديهم في كل أُمة وكل مجتمع يسير في طريق الإصلاح أو القيام بإصلاحات أساسية على أساس التعاليم الإنسانية و الإسلامية، ولكن بعد وفاة الرسول ﷺ وإنقطاع الوحي و خروج زمام الأمر من يد المربي الإلهي، صار ذلك التنفر من اليهود وأعمالهم يخمد، وأخذوا يدبّون للنفوذ في حكومة الخلفاء الثلاثة، و صارت تتراجع تلك النهضة التي تحققت بإرشاد الوحي و تدابير الرسول لتطهير الوسط الإسلامي من أفكار الشرك وآدابه ومن بدع اليهود ومنكراتهم وأخذت تسير القهقرى، فضاع بعض أتعاب الرسول ﷺ وتمهيداته، و مع أن الدين الإسلامي بحسب الظاهر صار حاكماً على جميع الجزيرة العربية والدّول النّائية ولكن ليس كما أراد الرسول من الضوابط والآداب بل بالخطط التي تدخلت الأصابع اليهودية في تنظيمها وإملائها.

سنجد في هذه السورة أن مزاحمات اليهود في الأمور المختلفة الثقافية و السياسية والإجتماعية و الأمنية و الإقتصادية كانت من السّعة بحيث شغلت أكثر وقت الرسول ﷺ ونزلت آيات كثيرة من منبع الوحي لإصلاح ما أفسدوه وإبطال مفعول وساوسهم و إلقاءاتهم و افكارهم، و هو أكبر دليل على هذه الدعوى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن، عند اليهود لها معنىً خاصّاً والآية تخاطبهم بأن هذا القرآن هو الكتاب الذي وصف لكم من قبل، بأنه يبدأ بالحروف المقطعة، فلا تشكّوا فيه فليس في هذا الأمر أيّ ترديد، و بذلك أتم الله الحجة على اليهود[1].

فكان المنتظر من اليهود الذين عندهم خبر الرسالة الخاتمة وعلامته، أن يؤمنوا ولكنهم كفروا، فيما التعبير عنهم بـ «الَّذِينَ كَفَرُوا»، وصار هؤلاء الجماعة يصرون على الكفر، و يستفاد من لحن الآيات الحاد، أن هؤلاء كانوا قد أنذروا من قبل لعدة مرّات، وقد قرأت عليهم آيات الحق و لعل هي الآيات المكّية :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

لم يتحدد جحودهم و كفرهم بحدود الإعتقاد والنظر، بل صار له آثار مخربة في الساحة العملية، ذكّر على ذلك القرآن ضمن آيات متعددة وبأنحاء مختلفة، تارة يظهر بعنوان النفاق وأخرى بنحو التمسخر و الإستهزاء، وثالثة بمنع الآخرين عن دخول الإسلام، واتخذوا بذلك طريق الفساد و الهلاك :﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

(١) على طبق ما جا في الحديث، فإن الألف دال على الله واللام على الملك العظيم القاهر للخلق أجمعين والميم على المجيد المحمود في كل أفعاله ... الحديث. وجاء في التفسير:لما بعث موسى بن عمران ثم من بعده من الأنبياء إلى بني اسرائيل لم يكن فيهم إلا أخذوا عليهم العهود والمواثيق ليومنن بمحمّد العربي الأمي المبعوث بمكة الذي يهاجر الى المدينة ياتي بكتاب بحروف مقطعة إفتتاح بعض سوره، يحفظه أمّته فيقرئونه قياما وقعوداً ومساءً على كل حال.....الحديث (تفسير الإمام الحسن العسكري :٦٣و٦٤)

﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾.

الآيات القرآنية التي هي دليل صدق النبي ﷺ ولا ينبغي الشك في أحقيتها، إذا أراد اليهود تكذيبها فكان عليهم أن يفندوا تحدي القرآن: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، ويعدّ هذا التحدي بشارة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين.

فإن الله سبحانه وتعالى لايرتضي الإيمان والإعتقاد غيرالمدعوم بالبرهان والفاقد لعلامة الحقيقة، وما ليس له أرضية واضحة مضيئة في القلوب.

وأعقب ذلك دعوة اليهود إلى إتيان آيات مثل القرآن، وهو دليل على تشابه قلوب هؤلاء اليهود والمشركين.

الإستهزاء، هو العلامة الأخرى على كفر اليهود، فإذا ضرب الله سبحانه مثلاً فلا يكون إلا عن حكمته المتعالية، ولا يصح الإستهزاء به، و إن كان فهمه يصعب على البعض، ولكن اليهود كانوا يتخذونه هزواً ويقولون: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، لا محالة يصفهم بالفاسقين ويعقبه بذكر أوصافهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ فكلام اليهود في هذا الشأن مثل كلام المشركين، في إبتداء الرسالة [1].

---

(١) جاء هذا المعنى في كلام يهود مكة والمشركين، في سورة المدثر من سور أول البعثة: ٣١ .

في الآيات التي تأتي بعدُ، قصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنة، التي لا تخلو من مناسبة، لأنها موعظة تقرع أسماع اليهود: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ بهذا يذكّر القرآن بني اسرائيل بما تلقاه آدم من ربه لأجل أن يتوب عليه، فإنهم يجدون في كتبهم أن آدم عليه السلام قال: اللّهم بجاه محمد و آله الطيبين، بجاه محمد وعلي وفاطمة و الحسن و الحسين و الطيبين من آلهم، لّما تفضلت بقبول توبتي، وغفران زلّتي، وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي، فقال الله عزوجل:"قد قبلت توبتك وأقبلت برضواني عليك وصرفت آلائي و نعمائي إليك وأعدت إلى مرتبتك من كراماتي ووفرت نصيبك من رحماتي"[1].

وفي النهاية يقبل الرب الرحيم توبة آدم لأجل أحبّ عباده إليه محمّد وآله عليهم السلام، و بعدها فإن اليهود إذا تابوا بعد ما غضب الله عليهم و آمنوا بالنبي وكتابه وصدّقوه وأقرّوا بوصيه فإنهم سيهتدون و تقبل توبتهم لأجل النبي، فإن الله سبحانه يقول بعد ذلك مخاطباً اليهود: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾.

المخاطب بذلك هم اليهود من أحفاد يعقوب الذين أخذ عليهم نبيّهم موسى و أوصياؤه عهداً وميثاقاً بأن يؤمنوا برسول الله و هو موجود في كتابهم.

فعلى اليهود أن يفوا بهذا العهد وأن يؤمنوا كما قرؤوه في كتابهم بالنبي و وصيّه، ولايكتموا ذلك، وليخافوا الله ولايستروا ما يجدونه من علامات النبوة في الرّسول الكريم، ولايتردّدوا في ذلك ولايضلّوا الآخرين عن الطريق، ولايلبسوا الحق بالباطل:﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ

---

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري :٢٢٦.

بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

فكان علماء اليهود يقولون كل ما جاء في التوراة عن محمّد و علي فهو صحيح ولكن ليس المقصود هو محمّد و عليّ الموجودان في هذا العصر ولكنهما يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة، وخطاب **وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى** بهؤلاء النفر من اليهود.

فكم كان اليهود يتمكنون من مساعدة النبيﷺ بما يمتلكونه من العلوم الموروثة حول النبي وأهل بيته، وكان بإمكانهم تمهيد الطريق لنجاح دعوته بسهولة، ولهم أن يؤيدوا مزاعمه وعلائم صدقه بما في كتبهم بإراءتها للآخرين، ولكن وللأسف مكنوا الشيطان من أنفسهم[1].

وفي الآيات اللاحقة يعود الخطاب إلى بني اسرائيل ليزعزع بذلك البيان الشامل اُسس اليهود والنصارى وأفكارهم الخاطئة، و يأتي بنيانهم من القواعد،

---

(١) آية ٤٠-٤٦ من سورة البقرة : فقال رسول الله: أترضون بالتوراة بيني وبينكم ... الحديث . والملخص منه: كان هولاءقوم من رؤساءاليهود وعلمائهم إجتحنوا أموال الصدقات والميراث فاكلوها وأقطعوها ثم حضروا رسول الله وقد حرشوا عليه عوامهم، يقولون إن محمداً تعدى طوره وإدعى ما ليس له، فجائوا بأجمعهم إلى حضرته وقد إعتقدوا عامتهم أن يقعوا برسول الله فيقتلوه ولو أنه في جماهير أصحابه، لا يبالون ما أتاهم به الدهر، فلما حضروه وكانوا بين يديه قال رؤسائهم : يا محمد جئت تزعم أنك رسول رب العالين نظير موسى وسائر الأنبياء المتقد مين، فقال رسول الله ﷺ: أما قولي فاني رسول الله نعم وأما أن اقول إني نظير موسى والأنبياء فما أقول هذا، ماكنت لأصغّر ما قد عظّمه الله تعالى من قدري، بل قال ربي:« يا محمّد إن فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة كفضلي وأنا ربّ العزة على سائر الخلق أجمعين»، وكذلك قال الله عزوجل لموسى لما ظن انه قد فُضل على جميع العالين، فغلظ ذلك على اليهود وهمّوا بقتله فذهبوا يسلّون سيوفهم، فما منهم أحد الا وجد يديه إلى خلفه كالمكتوف يابسا لايقدر أن يحرّكها، وتحيّروا....ثم قال رسول الله: معاشر اليهود هولاء رؤساؤكم كافرون ولأموالكم مجتحنون ولحقوقكم بلخسون... تمام الحديث في كتاب تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام : ٢٣٥.

وتليه الآيات العادة لنعم الله سبحانه لبني إسرائيل: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ فإن علاقة هذه الآيات بالآيات السابقة مما يدعو إلى التأمل، و المستفاد من أحاديث تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن بركات الربّ على بني اسرائيل في السابق إنما شملتهم ببركة التوسل بمحمد وآل محمد، سواء كان بتوسل النبي موسى عليه السلام أو بتعليم منه، فليس من الإنصاف أن يتنعم أجدادهم ببركة محمد وآل محمد وهم اليوم في عصره يرفضون الإيمان به ونصرته، و يواجهون دعوته بالصدّ و المخالفة[1]، فالنعم المذكورة في القرآن تعود إلى بني اسرائيل وتستمر إلى ٢٥ آية.

ومن أخلاق اليهود الذي يكشف عنه القرآن أنهم كانوا يوصون الناس بالإحسان و هم لا يعملون بذلك: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

ثم خاطب الله اليهود وحذرهم من أن تقسو قلوبهم و يُعلمهم بأنه تعالى غير غافل عن أعمالهم، وأن عليهم الحذر من أن يسيروا بسيرة آبائهم و يتخلقوا بأخلاقهم: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[2]، فغلظ على اليهود ما وبخهم به رسول الله صلى الله عليه وآله فقال جماعة من رؤسائهم وذوي

---

(١) هذا كلام حسن، وإن كانت أكثر كتب التفاسير و خصوصاً تفاسير العامة خالية منه بحيث تظله هالة من الإبهام، ولكن إذا أضيف إليها ما ذكرناه من البيان يتضح الإرتباط بينها بجلاء.

(٢) البقرة: ٧٤.

الألسن و البيان منهم :يا محمد إنك تهجونا و تدعي على قلوبنا ما الله يعلم منها خلافه، إن فينا خيراً كثيراًنصوم و نتصدق ونواسي الفقراء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما الخيرما أريد به وجه الله تعالى ذكره و عمل على ما أمر الله به . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا إخوة اليهود إن الدعاوي يتساوى فيها المحقون و المبطلون ولكن حجج الله ودلائله تفرق بينهم.... فما الذي تقترحون، فهذا رب العالمين قد وعدني أن يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم و يزيد في بصائر المؤمنين منكم. قالوا:قد أنصفتنا يا محمد..... فقالوا له: يا محمد زعمت ....أن الأحجار ألين من قلوبنا وأطوع لله منا وهذه الجبال بحضرتنا فهلم بنا إلى بعضها فإستشهده على تصديقك وتكذيبنا، فإن نطق بتصديقك فأنت المحق يلزمنا إتباعك و إن نطق بتكذيبك أو صمت فلم يرد جوابك فاعلم أنك المبطل في دعواك ...، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:نعم هلموا بنا إلى أيها شئتم فاستشهده ليشهد لي عليكم، فخرجوا إلى أوعر جبل رأوه فقالوا:يا محمّد هذا الجبل فاستشهده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للجبل: إني أسألك بجاه محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدروا على تحريكه وهم خلق كثير لا يعرف عددهم إلا الله عز وجل وبحق محمد وآله الطيبين الذين بذكر أسمائهم تاب الله على آدم و غفر خطيئته وأعاده إلى مرتبته وبحق محمّد و آله الطيبين الذين بذكر أسمائهم و سؤال الله بهم رفع إدريس في الجنة مكاناً عليّا لما شهدت لمحمد بما أودعك الله بتصديقه على هؤلاء اليهود في ذكر قساوة قلوبهم و تكذيبهم في جحدهم لقول محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، فتحرك الجبل وتزلزل و فاض عنه الماء ونادى :يا محمد أشهد أنك رسول رب العالمين و سيّد الخلائق أجمعين وأشهد أن قلوب هؤلاء اليهود كما وصفت أقسى من الحجارة، لا يخرج منها خير، كما قد يخرج من الحجارة الماء سيلاً و تفجراً، وأشهد أن هؤلاء كاذبون عليك فيما به يقذفونك من الفرية على رب العالمين....، الحديث . وقد نقل في تفسير هذه الآيات معاجز للرسول صلى الله عليه وآله حدثت حينما ناظر اليهود تعكس مدى قساوة قلوبهم وعنادهم[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٧ : ١٦٥-١٦٨ ،تفسير الامام العسكري: ٢٨٥.

و الآيات اللاحقة تعكس أخلاق اليهود الخونة، حالهم حال أجدادهم يحرّفون الكلم من مواضعه حيث إمتحن أجدادهم بالسجود حين دخول المدينة وهي أريحا : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[1] فبدلوا ما أمر الله به وقالوا «هطا سمقانا» يعنون حنطة حمراء وبذلك لم ينجحوا في هذا الإمتحان أبداً.

فلا أمل بإيمان هؤلاء القوم مع تلك السوابق المشرّفة وهم اليوم ماضون على آثار أجدادهم فلا يتأمل إيمانهم: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

---

(١) قال الامام الحسن بن علي عليه السلام عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام : هي أريحا ....مثّل الله تعالى على الباب مثال محمد وعليّ وأمرهم أن يسجدوا تعظيما لذلك المثال، ويجددوا على أنفسهم بيعتها وذكر موالاتها وليذكروا العهد و الميثاق المأخوذ عليهم ولهم، وقوله:قولوا حطة أي قولوا إن سجودنا لله تعظيماً لمثال محمد و علي و إعتقادنا لولايتهما، حطة لذنوبنا و محو سيئاتنا .(تفسير الامام الحسن : ٢٦٠و٥٤٦).

عن الباقر عليه السلام قال: قال لأبيه علي بن الحسين بعض من في مجلسه: يابن رسول الله كيف يعاتب الله و يوبخ هؤلاء الأخلاف على قبائح ما أتاه أسلافهم وهو يقول ولا تزر وازرة وزر أخرى، فقال زين العابدين عليه السلام : إن القرآن بلغة العرب فهو يخاطب فيه اهل اللسان بلغتهم، يقول الرجل التيمي: قد أغار قومه على بلد و قتلوا من فيه :«أغرتم على بلد كذا وقتلتم كذا»، ويقول العربي أيضاً: «نحن فعلنا ببني فلان و نحن سبينا آل فلان و نحن خربنا بلدا كذلك »، لا يريد أنهم باشروا ذلك ولكن يريد هؤلاء بالعذل و أولئك بالإمتحان (بالافتخار) أن قومهم فعلوا ذلك، فقول الله عز وجل في هذه الآيات إنما هو توبيخ لأسلافهم و توبيخ العذل على هؤلاء الموجودين، لأن ذلك هو اللغة التي بها نزل القرآن والآن هؤلاء أيضا راضون بما فعل أسلافهم مصوبون ذلك لهم، فجاز أن يقال: أنتم فعلتم أي أرضيتم قبيح فعلهم.(تفسير الامام الحسن العسكري:٢٧٢).

و الشعوذة الأُخرى لليهود أنهم إذا آمنوا بالظاهر عند رؤية المعاجز المتكررة، فإيمانهم لأجل الإطلاع على أسرار المسلمين، فإذا لاقوا المؤمنين أظهروا الإيمان وإذا جلسوا مع اليهود قالوا نحن نستهزئ بالمسلمين، فأخبر الله سبحانه عن نواياهم السيئة ويقول تطمعون بإيمان هؤلاء والحال أن أجدادهم شاهدوا الآيات في الطور و سمعوا الكلام ولكنهم حرفوها حيث ذهب منهم سبعون شخصاً بدعوة من موسى عليه السلام كي يسمعوا كلام الله و يخبرون الآخرين، فلما سمعوا صار بعضهم يحرفها وينقلها إلى الآخرين محرفة .

هذا و قد ذُكر مكرراً أن في كتب اليهود ما تتم به الحجة للمسلمين عليهم من البشائر والأوصاف من النبي وأمته وبعض اليهود نقلوها لإخوانهم المسلمين فكان رؤساؤهم يكرهون إطلاع المسلمين عليها ونهاهم عن ذلك:﴿ **وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾.

يتألف المجتمع اليهودي كباقي المجتمعات من قسمين الأمي و المتعلم، والقرآن يذكّر على إستغلال الأحبار اليهود الفرصة لكسب المنافع و التخريب: ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾.

فالأُميون منهم مسرورون بيهوديتهم وغرّهم مواعيد أحبارهم و علمائهم، فيمكثوا في الأماني، وبذلك الزعم يقفون أمام دعوة الرسول صلى الله عليه وآله، و العلماء منهم كانوا يكتبون ما يخالف القرآن و يقولون: التوراة تقول كذا، لكي يظهروا مخالفة القرآن للتوراة، ومنها يكتبون صفاتاً لنبي آخر الزمان من عند أنفسهم بحيث لا ينطبق على نبي الإسلام و يظهرونه لليهود و يقولون لهم هذه صفات نبي آخر الزمان في التوراة ومحمّد بخلافه وهو يجيء بعد .

وقد تكررت كلمة «ويل» في هذه الآية ثلاث مرّات جزاءً على عملهم الشنيع، ومع الإلتفات إلى خطورة معنى هذه الكلمة -آخر مكان في جهنم- تتجلى عظمة هذه الجريمة، ومع الأسف: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، ذلك أنه كان لهم أصهار و إخوة رضاع من المسلمين يسرون كفرهم عن محمد و صحبه و إن كانوا به عارفين، صيانة لهم لأرحامهم و أصهارهم قال لهم هؤلاء: لِمَ تفعلون هذا النفاق الذي تعلمون أنكم به عند الله مسخوط عليكم معذبون، ؟

أجابهم ذلك اليهود بأن مدة ذلك العذاب الذي نعذب به لهذه الذنوب أيام معدودة تنقضي، ثم نصير بعد في النعمة في الجنان[1]. فهذه إحدى سفاهات اليهود أنهم يرون أن القيامة بنفعهم، و الجنة لهم وحدهم، ولذا يكونون قد أنكروا القيامة في الساحة العملية فإذا كانت بعض الآيات تذم من لا يؤمن بالقيامة، فلا يُتصور إنصرافه عن اليهود.

ثم يخبرنا الله سبحانه في الآيات اللاحقة عن نزول التوراة والفرقان على النبي موسى عليه السلام مما يدعو من يقرأ القرآن إلى التأمل، ما هي العلاقة بين هذا الكلام وبين ما جاء في الآيات السابقة التي يخاطب بها بني اسرائيل، والحديث أدناه يبين هذه العلاقة[2].

---

(١) تفسير الامام الحسن العسكري:٣٠٣، فهذه الآية لاتدع المجال لأحد أن يدعي عدم تحريف التوراة، أو أن التحريف كان في التفسير و التأويل فقط.

(٢) وإذ آتينا موسى الكتاب و الفرقان لعلكم تهتدون* الكتاب هو التوراة و الفرقان ما يوجب الفرق بين الحق والباطل. لما أكرمهم الله بالكتاب والإيمان به والإنقياد له، أوحى الله بعد ذلك إلى موسى، يا موسى هذا الكتاب قد أقروا به وقد بقى الفرقان، فرق لهم بين المحقين والمبطلين فجدد عليهم العهد به، فإني قد آليت على نفسي قسماً حقاً لا أتقبل من أحدٍ إيماناً و لا عملاً إلا مع الإيمان به، قال موسى :ما هو، ؟ قال الله عزوجل :يا موسى تأخذ على بني اسرائيل أن محمداً خير النبيين وسيد

فمن الصعب تصديق مطالبة قوم معلّمُهم نبيٌ كموسى عليه السلام برؤية الله الذي لاتدركه الحواس، إلا أن يكون أمراً عظيماً قد بيّن لهم غير قابل للتصديق بزعمهم ودعاهم إلى مثل هذا الطلب . نعم فإن أمر الولاية كان ثقيلاً على قلوب قوم موسى عليه السلام ولذا أرادوا أن يطمئنوا، فسألوا رؤية الله حتى يخبره بذلك مباشرة، فإن بني اسرائيل بعد حضورهم الطور– وتجلى نور الله الذي دكّ الجبل دكّا وأصعق من كان مع موسى عليه السلام – حصل لموسى إضطراب عظيم من صعق أصحابه، وللنجاة من هذا المضيق توسل الى الله سبحانه بمحمد وآل محمد حتى يفيق أصحابه، فليس من الإنصاف أن يكون للجماعات اليهودية هذا الموقف مع الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته[1].

وأما بعض العهود الأخرى التي تعهدها قوم موسى عليه السلام هو أن لا يعبدوا إلا الله و بالوالدين إحساناً ولا يقتل أحدهما الآخر...[2]، ظلت إلى زمان النبي صلى الله عليه وآله

المرسلين، وأن أخاه وصيه علياً خير الوصيين وأن أولياءَه الذين يقيمهم سادة الخلق، وأن شيعته المنقادين له المسلّمين له أوامره ونواهيه ولخلفائه نجوم الفردوس و ملوك جنات عدن. قال :فأخذ عليهم موسى ذلك، فمنهم من إعتقد حقاً و منهم من أعطاه بلسانه دون قلبه، فكان المعتقد منهم حقاً يلوح على جبينه نور مبين ومن أعطى بلسانه دون قلبه ليس له ذلك النور، فذلك الفرقان الذي أعطاه الله عز و جل موسى عليه السلام ثم قال عز وجل:« لعلكم تهتدون »اي لعلكم تعلمون ان الذي به يشرف العبد عند الله عزوجل هو إعتقاد الولاية كما شرف به أسلافكم.(تفسير الإمام الحسن العسكري :٢٥٢).

(١) فقال الله عز وجل لاهل عصر محمد صلى الله عليه وآله فاذا كان بدعاء بمحمد وآله الطيبين نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم انما يجب عليكم ان لا تتعرضوا لمثل ما هلكوابه.(تفسير الامام الحسن العسكري:٢٥٦).

(٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾.

لتكون ذكرى وبينة لوحدة تعاليم الأنبياء، وأن ليس هناك فرق بينها، والظريف أن الله سبحانه بهذا البيان الصادق يبين أن أجداد اليهود لم يعملوا بهذه التعهدات وأراقوا دماء بعضهم وأخرجوا جماعة من ديارهم[1]، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

حقاً فإن بلوغ هذه العهود إلى أسماع اليهود ماذا سيصاحبه من ردود الفعل؟

ولا يخفى أن كل ما أخبر به الله سبحانه من أخلاق اليهود الرذيلة يعزوه اليهود إلى الرسول الخاتم، لأن اليهود لا يؤمنون بأن القرآن من الله، فلم يتركوا أن ينسبوا الجنون و الكذب و الإفتراء و غيره إلى النبي صلى الله عليه وآله.

ومن اللازم أن نذكر طبقاً لتوافق الشرائع السّماوية مع بعضها، فإن هذه العهود أُخذت على المسلمين أيضاً و توجه اليهم ذلك الخطاب، فليس من العجيب إرادة الرسول صلى الله عليه وآله توصيف يهود هذه الأُمة إذا تلا هذه الآية، أو إستشهد الإمام عليه السلام بهذه الآية على ظلم عثمان في حق أبي ذر[2].

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٧٩ ولعل هذه الآية هي إشارة إلى الحوادث الدموية بين الطوائف اليهودية.

(٢) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله: أفلا أنبئكم بمن يضاهيكم من يهود هذه الأمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قوم من بني أمية ينتحلون بأنهم من أُمتي، يقتلون أفاضل ذريتي وأطايب أرومتي ويبدّلون شريعتي وسنتي، يقتلون ولدي الحسن و الحسين كما قتل أسلاف هؤلاء اليهود زكريا ويحيى، ألا وإن الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً بأمر ولدي الحسين المظلوم يصرفهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنم ألا ولعن الله قتلة الحسين ومحبيهم

و هكذا فإن تكرر الحديث عن نزول الكتاب على موسى عليه السلام في هذه السورة -وقد لاحظنا إلى الآن ثلاثة موارد منها- يدعو إلى التأمل والتدبر: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ في الآية تصريح ببعثة الرسل من بعد موسى على بني إسرائيل و نعلم أن الرسول غير النبي، ولعل بعض أُولئك الرسل كان صاحب كتاب، وهم لما لم يكونوا على ما تهوى أنفس المنافقين كذبوهم وقتلوهم. وفي عقيب تلك الآية يبين بعثة عيسى عليه السلام على حدة، فهو آخر نبي من بني اسرائيل له كتاب ولكن كذّبه اليهود أيضاً، فهذه الآية تبين تمايلات اليهود وسيرهم على خلاف تعاليم الأنبياء و تبريراتهم و طالما سلكوا غير سبيلهم .

ثم إن أحد مزاعم اليهود للردّ على النبي عند رؤية المعلجز، أنهم يقولون إنّ قلوبنا مغلقة ولا تستقبل أي معلومة: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾، والذي يتأتى في الذهن إستقبال اليهود لهذا الكلام و يعدّونه مدحاً، ويفسّرونه بأن قلوبهم إمتلأت من العلم حتى إنغلقت، ومع ذلك لا نعرف لمحمّد فضيلة، فهم لا يرونه مذمةً، ولكن الله سبحانه يخبر عن

وناصريهم والساكتين عن لعنهم من غير تقية تسكتهم، ألا وصلى الله على الباكين على الحسين بن علي رحمة وشفقة واللاعنين لأعدائهم و الممتلئين عليه غيظاً وحنقاً، ألا وأن الراضين بقتل الحسين شركاء قتله، ألا وإن قتلته وأعوانهم و أشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله، إن الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين إلى الخزان في الجنان فيمزجوها بماء الحيوان فيزيد في عذوبتها وطيبها ألف ضعفها، وإن الملائكة ليتلقون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين فيتلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها و صديدها وغساقها وغسلينها فيزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها الف ضعفها يشدد بها على المنقولين اليها من أعداء آل محمد عذابهم، .... الحديث عن أمير المومنين(تفسير الإمام الحسن العسكري : ٣٦٩و٣٧٠).

إنقفال قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة وأنهم كفار وجحدة وملعونون بعيدون عن رحمة الله[١].

واليهود كانوا من قبل ظهور محمّد بالرسالة يستفتحون به، أي يسألون الفتح و الظفر على الذين كفروا من أعدائهم المبغضين والمناوين وكان يفتح الله لهم و ينصرهم، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ فلما جاء هؤلاء اليهود بعد ما عرفوا من نعت محمد و صفته، كفروا به و جحدوا نبوته و أنكروا كتابه، حسدا له وبغيا عليه[٢].

وذلك لأن النبي أصطفي من العرب ومن بني إسماعيل وهو خاتم الرسل صلى الله عليه وآله ، فحسده بنو إسرائيل والحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب وبهذا إشتد غضب الله سبحانه على اليهود بكفرهم بالنبي صلى الله عليه وآله بعد إنكار نبوة عيسى عليه السلام من قبل: ﴿ **بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن**

---

(١) اذا قرئء غُلفٌ فهو المعنى الاول وأما اذا قرئ غلُف فإنهم قالوا قلوبنا غلُف في غطاء فلا نفهم كلامك وحديثك كما قال الله تعالى:« وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ». وكلا القرائتين حق . ...الحديث : تفسير الامام الحسن العسكري: ٣٩٠.

(٢) قال الامام العسكري عليه السلام :قال أمير المومنين عليه السلام: ذم الله اليهود فقال: وكان الله عزوجل أمر اليهود في أيام موسى وبعده اذا دهمهم داهيه أن يدعوا الله عزوجل بمحمد وآله الطيبين وأن يستنصروا بهم وكانوا يفعلون ذلك حتى كانت اليهود من أهل المدينه قبل ظهورمحمد صلى الله عليه وآله بسنين كثيرة يفعلون كذلك فيكفون البلاء والدهماء والداهية، وكانت اليهود قبل ظهور محمد بعشر سنين يعاديهم أسد وغطفان قوم من المشركين ويقصدون أذاهم فكانوا يستدفعون شرورهم وبلاءهم بسؤالهم ربهم بمحمد وآله الطيبين حتى قصدهم في بعض الاوقات أسد وغطفان في ثلاثه آلاف فارس الى بعض قرى اليهود حوالي المدينه، فتلقاهم اليهود وهم ثلاثمائة فارس، ودعوا الله بمحمد وآله عليهم السلام فهزموهم وقطعوهم.(تفسير الامام :٣٩٤).

﴿ يُنَزِّلُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].

ومع ذلك فطالما دعاهم الرسول ﷺ إلى الحق، وأتاح لهم الفرصة للتخلص من غضب الله، وفي هذه الآية نجد دعوة اليهود إلى القرآن مرّة أُخرى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

لاحظوا كيف رفع الله العليم الخبير الستار عن سيرة اليهود وكشفها للناس، ولولا أنهم راضون بعمل آبائهم من إنكار رسالات الله وقتلهم الأنبياء، لما لامهم القرآن على فعل آبائهم، وصيغة المضارع في هذه الآية تعني إستمرار هذا العمل، وبذلك كان من السهل عليهم التفكير في قتل النبي المعظم ﷺ وقد فكروا بذلك.

فلم يؤمن اليهود في واقع الحال أبداً حتى بالأنبياء السلف من بني إسرائيل، ولما لم يبعث في بني إسرائيل نبيٌ من بعد عيسى عليه السلام فالآية تتحدث عن قتلهم الأنبياء من قبل عيسى، حيث كان يصدر منهم هذا العمل الشنيع[1].

---

(١) اشتروها بما أنفقوا في عداوة رسول الله، ليبقى لهم عزهم في الدنيا ورياستهم على الجهال وينالوا المحرمات وأصابوا الفضولات من السفلة، وصرفوهم عن سبيل الرشاد ووقفوهم على طرق الضلالات ثم قال عزوجل : أن يكفروا بما أنزل الله :اي بما أنزل على موسى تصديق محمد عليه السلام بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده . قال: انما كفرهم لبغيهم وحسدهم له لما أنزل الله من فضله عليه وهو القرآن الذي أبان فيه نبوته وأظهر به آيته ومعجزاته، قال فباؤا بغضب على غضب، يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله على غضب في أثر غضب، قال والغضب الاول حين كذبوا عيسى بن مريم والغضب الثاني حين كذبوا بمحمد عليه السلام، قال والغضب الاول أن جعلهم قردة خاسئين ولعنهم على لسان عيسى والغضب الثاني حين سلط عليهم سيوف محمد وآله وأصحابه وأمته حتى ذللهم بها .. .الحديث.(تفسير الإمام الحسن العسكري :٤٠١و٤٠٢)

وعلامة أخرى لكفر بعض اليهود إتخاذ العجل، والحديث عنها في الآية يعكس عمل المنافقين من قوم موسى عليه السلام تجدهم يصنعون العجل بعدما عرفوا طريق الصواب، ويدعون الناس إلى عبادته ويخالفون هارون خليفة موسى عليه السلام في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾، فقد كان لهؤلاء المنافقين الأشقياء علاقة عجيبة بالعجل، وألحوا على ذلك إلحاحاً حتى جاء التعبير بكلمة الشرب، يعني أنه نفذ بسهولة إلى أعماق وجودهم و إستعذبوه[٢].

ثم أقبلوا على عبادتها بعد النبي يوشع عليه السلام مرة أخرى، كما جاء في تاريخ بني إسرائيل، أن دعاهم إلى ذلك رجل يعرف بـ«برعام»[٣].

---

(١) ومع ذلك فقد عد في الرواية إنكار الأحكام الدّينية والتخلف عنها من قتل الأنبياء، ولم يخل اليهود في زمان الرسول ﷺ من ذلك.

(٢) فقد قيل: إنه لما أحرق العجل وأُلقي رماده في الماء، علق رماده على سطح الماء، ألقى عبدة العجل أنفسهم في البحر وإبتلعوا من ذلك الماء والرماد، وقد ألمحت إليه الآية، كما أن فيه تعريضاً بحال مدينة النبي ومخالفة منافقي الأمة الإسلامية وجحودهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته، الأمر الذي طالما أكد عليه النبي ﷺ، ولكنهم إختاروا عليه غيره، بإصرار ورغبة تامة وأشربوا في قلوبهم من محبته.

قال رسول الله: يا علي إن أصحاب موسى إتخذوا بعده عجلاً وخالفوا خليفته وستتخذ أمتي بعدي عجلاً ثم عجلاً ثم عجلاً ويخالفونك وأنت خليفتي هؤلاء يضاهؤن أولئك في إتخاذهم العجل زمان موسى ولم يتوبوا في نار جهنم خالدين مخلدين. قال أبو يعقوب: قلت للإمام عليه السلام: فهلك إن لرسول الله ولأمير المؤمنين آيات تضاهي آيات موسى؟ فقال: عليٌّ نفس رسول الله وآيات رسول الله آيات عليّ وآيات عليّ آيات رسول الله وما من آية أعطاها الله موسى ولا غيره من الأنبياء إلا وقد أعطى الله محمداً مثلها أو أعظم منها أما العصى... الحديث (تفسير الأمام الحسن العسكري: ٤١٠، ٤٢٤).

(٣) رسالة مختصرة للسيد بحرالعلوم الموجود في مكتبة گوهرشاد في مدينة مشهد المقدسة و مذكور في كتبهم بالصراحة.وفي الإنجيل أيضا، تفصيل الكلام في كتاب الإسلام واليهودية، للدكتور عماد علي:٩٠-١١٠.

والشاخصة الأُخرى لقوم موسى عليه السلام هو إباؤهم عن قبول التوراة وعدم إطاعتهم التكاليف المفروضة عليهم إلى أن أحسوا بالخطر، فلولا أن يرفع الله فوقهم الجبل وأحسّوا أنه سيطبقه عليهم إذا لم يأخذوا بكتاب الله، ما آمنوا وما سلموا: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] فليس من العجيب أن لا يؤمن يهود المدينة بالنبي صلى الله عليه وآله وبالقرآن رغم موافقته للتوراة، إذ لولا أن فيهم من له روحية عبادة العجل لم يكن هناك وجه للتعريض عليهم بذلك.

ومن الواضح فإن الله سبحانه وتعالى يحب الإيمان والإعتقاد المستند على البرهان والدليل، ولذا يطالب اليهود بالبرهان على الصدق كما وتحكي عن دعوى علماء اليهود الفارغة، وتوقظ المسلمين وتلفت أنظارهم إلى أن لكل حقيقة علامة.

ويقول: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ثم يخبر بأنهم لايتمنون ذلك أبداً: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، نزلت هذه الآية في أوائل الهجرة، وهي تنفي القضية بكلمة لن، فحينما يدعي اليهود

---

(١) قال أمير المؤمنين إن الله تعالى ذكره بيَّن لبني إسرائيل في عصر محمد صلى الله عليه وآله أحوال آبائهم الذين كانوا في أيام موسى كيف أخذ عليهم العهد والميثاق لمحمد وعلي وآلهما الطيبين المنتجبين للخلافة علي الخلائق ولاصحابهما وشيعتهما وساير أمة محمد صلى الله عليه وآله .....ثم قال تعالى للموجودين من بني إسرائيل في عصر محمد صلى الله عليه وآله على لسانه، قل يا محمد .....بئسما يأمركم به إيمانكم أن تكفروا بمحمد وتستخفوا بحق علي وآله وشيعته إن كنتم مومنين كما تزعمون بموسى والتوراة .(تفسير الإمام الحسن العسكري ٤٢٤).

عدم دخول غيرهم الجنة فلابد أن يتمنوا الموت (وبعده) لينالوا درجات الجنة ، أو يقدموا على المباهلة فيدعو كل واحد على صاحبه حتى يعلم الصادق من الكاذب[١]، ولن يفعلوا.

ونحن نجد ملامح ذلك النوع من التفكر الفاسد في التوراة المحرف والتلمود بوضوح[٢].

وفي نظير هذه الآية يطالبهم بالبرهان، الآية ١١١ من هذه السورة: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

ولا ينفك تعلق اليهود بالدنيا وحرصهم عليها ولا يخرج حبّها من قلوبهم، ولو لحظة، أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن سرائرهم وأن أحدهم يرغب في أن يعمّر ألف سنة، والألف لبيان طول المدة التي قد تعني الخلود، ونحن نعلم أن رأس كل الأمراض القلبية هو حبّ الدنيا وطلبها وهو أجلى شاهد على الصفة التي أشيرت اليها في الآية السابقة، يقول:﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

---

(١) البحار١٧: ١٦٩ وفي مجمع البيان ١: ١٦٤ عن إبن عباس :قال : كان رسول الله يقول لهم إن كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا: اللهم أمتنا، فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل إلا غض بريقه فمات مكانه، وهذه القصّة شبيهة بقصة المباهلة، إن النبي ﷺ لما دعا النصارى إلى المباهلة إمتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه و خوفهم من صدق النبي وقال: لو باهلوني لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً، فلما لم يتمن اليهود الموت إفتضحوا كما أن النصارى لما أحجموا عن المباهلة إفتضحوا و ظهر الحق . إنتهى

(٢) سفراللاويين ١١: ٤٣، ٤٤و ٢٦: ١١، ١٢و تعاليم التلمود :١٦٠، ١٦١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الإسلام واليهودية :٥٦٤و٥٦٥.

ومن هذه الناحية فاليهود لا يكرمون الملك جبرئيل الأمين ويعادونه، يعود ذلك إلى زمان بخت نصر الذي أباد اليهود وأجلاهم من بلادهم[١]، بل بلغ الأمر بيهود عصر النبي صلى الله عليه وآله إلى أشده عندهم خصوصاً بعد نزول آيات عديدة تفضح اليهود وتكشف أسرارهم، وقد علم اليهود أن الذي نزل بها هو الملك جبرئيل عليه السلام، فمن الطبيعي أن يشتد عداء اليهود له: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وقد جاء في شأن نزول هذه الآية أن العالم اليهودي إبن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: لوكان الوحي الذي ينزل عليك يأتي به غير جبرئيل لآمنت بك، ويبدو العداء حتى من علمائهم بوضوح، وفي هذا المقام أجاب سلمان جواباً حكيماً نزلت بشأنه هذه الآية[٢].

ومن صفات اليهود البارزة نقضهم للعهود، بحيث ذهب المثل لمن يبالغ في نقض العهود بأن يده يد يهودي، والحال أن هذه الآية تتكلم عن جماعة يتكرر نقضهم للعهود: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة جاءه اليهود وسألوه عن رسالته، فأجابهم بأني على أثر رسالة أخوَيّ موسى وعيسى ومصدِّقهما وإذا لم تؤمنوا بي فأنا ماضٍ على أمري وأنتم على دينكم، لا أتعرض لكم ولا تتعرضون لي، فقبلوا ذلك وأبرمت كل طائفة منهم عهداً مستقلاً مع الرسول، ولكن اليهود لم يراعوا

---

(١) ويقولون إن النبي دانيال أراد أن يقتل بخت نصر وهو طفل ولكن جبرئيل حال دون ذلك وقال إنه لم يرتكب ذنباً بعد، فلما ترعرع بخت نصر وكبر قام بأسر اليهود، فاليهود يرون أن تأسيرهم كان بسبب الملك جبرئيل عليه السلام وأنه عدو اليهود، (تفسير الامام الحسن العسكري:٤٤٩.)

(٢) تفسير الإمام الحسن العسكري:٤٥٢ .

هذه العهود والآية تحدثنا عن نقضهم المكرر لها، ويظهر من الروايات أن هذه الآية نزلت مع ظهور أول بوادر الخلاف في السنة الثانية للهجرة، وسيأتي التفصيل في القسم الثاني من هذا الكتاب [١].

ونحن نلاحظ أن اليهود لم يلتزموا حتى بمعتقداتهم، فتركوا آيات الله وراء ظهورهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٢].

وأقبلوا على السحر، حتى كانت الكهانة وعلم السحر وعلم الأعداد أحد شروط الجاثليقية، ومن أجل الإطاحة بالرسول ﷺ التجأوا إلى السّحر والفتنة، نظير ما فعله الشياطين في ملك سليمان وذلك أنهم زعموا أن الرسول طالبَ الدنيا بالحيل والمخاريق والسحر كما مَلكَ سليمان بسحره الدنيا بزعمهم وقالوا نحن إذا تعلمنا بعض ما كان تعلمه سليمان، تمكنا من إظهار مثل ما يظهره محمد و عليّ، و ادعينا لأنفسنا ما يجعله محمّد لعلي، و قد إستغنينا عن الإنقياد لهما [٣].

وكان اليهود حسدة وبخلاء، لا يحبون نزول الرحمة على المسلمين من الله سبحانه، و في المقابل كان المسلمون على عادتهم في السابق رحماء على اليهود، فأعلم الله _العالم بالسرائر_ المؤمنين بجاهلهم وقال: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) أنظر المعاهدة في البحار ١٩: ١١٠، عن إكمال الدين: ١١٤، ١١٥. تفسير الامام الحسن العسكري:٤٦٥.

(٢) وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَ زَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ .

(٣) تفسير الإمام العسكري : ٤٧٧-٤٧

مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1].

وما زال اليهود منكرين لنسخ الشرائع ويعتقدون ملازمته لجهل الله سبحانه مع مجيء النسخ في التوراة وفي شريعتهم، وقد فصّل ذلك في الكتب المؤلفة بهذا الشأن مدعوماً بالأدلة والشواهد من التوراة وكلمات الربيين، وقد ركّز القرآن الكريم على إلقاءات اليهود التي لها جذور أعتقادية، وسرعان ما ستُثار تلك الشكوك في صفوف الأمة الإسلامية، بحيث يصعب الردّ عليها لولا بيان القرآن: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، قال الإمام الهادي عليه السلام: قال محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام: «ما نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ »بأن نرفع حكمها، « أَوْ نُنْسِها »بأن نرفع رسمها، و نزيل عن القلوب حفظها و عن قلبك يا محمد، كما قال الله تعالى «سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّه» أن ينسيك فرفع ذكره عن قلبك. «نَأْتِ بِخَيرٍ مِنْها »يعني بخيرلكم، فهذه الثانية أعظم لثوابكم، و أجلّ لصلاحكم من الآية الأولى المنسوخة، «أَوْ مِثْلِها» من الصلاح لكم، أي إنا لاننسخ و لانبدّل إلا و غرضنا في ذلك مصالحكم. ثم قال الله سبحانه : يا محمد «أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ» فإنه قدير يقدر على النسخ و غيره[2] .

---

(١) قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام : قال علي بن موسى الرضا عليه السلام إن الله تعالى ذم اليهود [و النصارى] و المشركين و النواصب فقال ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ اليهود و النصارى وَ لَا الْمُشْرِكِينَ و لا من المشركين الذين هم نواصب يغتاظون لذكر الله و ذكر محمد و فضائل علي ع و إبانته عن شريف [فضله و] محله أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ [و لا يودون أن ينزل عليكم] مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ من الآيات الزائدات في شرف محمد و علي و آلهما الطيبين ع و لا يودون أن ينزل دليل معجز من السماء يبين عن محمد و علي و آلهما. ....(تفسير الإمام العسكري : ٤٨٩).

(٢) تفسير الإمام العسكري : ٤٩١.

ولما كانت القبلة تعني الأصالة والأمة والشخصيّة، أُمر الرسول ﷺ عندما كان في مكة أن يصلي إلى بيت المقدس، فكان يقف مكاناً تجاه الكعبة وبيت المقدس معاً، ولما هاجر إلى المدينة أخذ اليهود يحتجون عليه بأنك إذا كنت على ملّة إبراهيم فقبلته الكعبة، وأنت تصلي إلى قبلتنا، فطلب رسول الله ﷺ من ربه أن يجعل قبلته الكعبة، فأجابه إلى ذلك، وبعدها فلم يحق لأي مسلم أن يصلي إلى غير الكعبة، وكان اليهود قد بلغهم أن قبلة نبي آخر الزمان هي الكعبة، وأنه ذو القبلتين، ولذلك أخبر القرآن بأن اليهود يعلمون أن تغييرالقبلة حق، ومع ذلك كانوا ينتقصون النبي والمسلمين ويذهبون إلى بطلان عباداتهم و هذا هو دليل على شقاء اليهود ولجاجتهم حيث كانوا يعلمون صحة تغيير القبلة ومع ذلك يعيبون ذلك على النبي والمسلمين ويعدون عباداتهم باطلة ويستهزؤن بهم: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.

نحن نعلم كثرة حجج بني إسرائيل ولجاجتهم وقلة أدبهم، وطلباتهم الفارغة من نبيهم موسى عليه السلام، وهكذا كانوا يطلبون من الرسول الاعظم ﷺ أموراً غير معقولة مثل رؤية الله، أو نزول كتاب من السماء على كل شخص، أو نزول الملائكة : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وذلك أن النبي ﷺ قصده عشرة من اليهود يريدون أن يتعنتوه ويسألوه عن أشياء يريدون أن يتعانتوه بها، .. والحديث عنها مفصل [1].

والمشكلة الأساسية لتركيبة المدينة أنها كانت تتألف من طوائف مختلفة وبينهم روابط وثيقة، تربطهم المصاهرة والجوار والتجارة وغيرها مما يدعو إلى تداعي العادات القديمة والرجوع بوسوسة كفار اليهود إلى دين آبائهم القديم،

---

(١) تفسير الإمام العسكري : ٤٩٧.

بحيث تحكي هذه الآية الحملة الثقافية اليهودية على الإسلام والرسول وقد أزال الله عنها الستار، و المسلمون حديثو العهد بالإسلام لم يتحملوا من معارفه شيئاً يذكر ولم يكونوا أهل جدل و نقاش ولا يمكنهم التحرز عن معايشة اليهود، فليس هناك أفضل من الصفح والعفو والفض عما يعمله اليهود حتى تتهيأ الظروف للرد والنقاش والمجابهة عندما يتهيأ المسلمون ويلتحق أكثر أهل المدينة بهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقد فسّرقوله :﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ في الآية بالغزو، وطريق التخلص من اليهود في النهاية هو الغزوات التي حصلت بعد ذلك. ولذلك أمرالله المومنين أن التجئوا بالصلوة والزكوة لأنهما أصلان في بقاء العقيده الدينيه :﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

بينما يذهب البعض إلى عدم فتح باب الجدال والنقاش مع أتباع الديانات الأُخر في عصر النبي وإنما أفتتحت في القرن الثاني الهجري، ولكن الروايات عن أهل البيت تتناقل مناقشات شخص الرسول العديدة مع اليهود والنصارى و الدهريين والصابئة ومجادلتهم ويظل يبطل حججهم، على أن تلك المناقشات تتضمن ظرائف منطقية وكلامية وعقلائية نافعة لفهم أُصول الدين الإسلامي ودراستها، والرواية التالية هي واحدة من تلك الروايات في باب إحتجاجات الرسول : عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:لقد حدثني أبي الباقر عليه السلام، عن جدي علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي سيد الشهداء، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين : **أنه إجتمع يوما عند رسول الله صلى الله عليه وآله. أهل خمسة أديان اليهود و النصارى، و الدهرية، و الثنوية، و مشركو العرب.**

---

(١) تفسير الإمام العسكري : ٥١٥.

فقالت اليهود نحن نقول عزير إبن الله، و قد جئناك يا محمد لننظر ما تقول فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل، و إن خالفتنا خصمناك. و قالت النصارى نحن نقول، إن المسيح ابن الله اتحد به. و قد جئناك لننظر ما تقول، فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل، و إن خالفتنا خصمناك. و قالت الدهرية نحن نقول الأشياء لا بدء لها و هي دائمة، و قد جئناك لننظر ما تقول، فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل، و إن خالفتنا خصمناك. و قالت الثنوية نحن نقول إن النور و الظلمة هما المدبران، و قد جئناك لننظر ما تقول، فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل، و إن خالفتنا خصمناك. و قال مشركو العرب نحن نقول إن أوثاننا آلهة و قد جئناك لننظر ما تقول فإن تبعتنا فنحن أسبق إلى الصواب منك و أفضل، و إن خالفتنا خصمناك. فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله وحده لا شريك له، و كفرت بكل معبود سواه. ثم قال لهم إن الله تعالى بعثني كافة للناس بشيرا و نذيرا، حجة على العالمين و سيرد الله كيد من يكيد دينه في نحره. ثم قال لليهود : أ جئتموني لأقبل قولكم بغير حجة قالوا لا، قال: فما الذي دعاكم إلى القول بأن عزير ابن الله، قالوا: لأنه أحيا لبني إسرائيل التوراة بعد ما ذهبت، و لم يفعل به هذا إلا لأنه إبنه . فقال رسول الله ص: فكيف صار عزير ابن الله دون موسى و هو الذي جاءهم بالتوراة و رئي منه من المعجزات ما قد علمتم و لئن كان عزير ابن الله لما ظهر من إكرامه بإحياء التوراة، فلقد كان موسى بالبنوة أحق و أولى، و لئن كان هذا المقدار من إكرامه لعزير يوجب أنه إبنه، فأضعاف هذه الكرامة لموسى توجب له منزلة أجل من البنوة، لأنكم إن كنتم إنما تريدون بالبنوة الولادة على سبيل ما تشاهدونه في دنياكم هذه من ولادة الأمهات الأولاد بوطء آبائهم لهن، فقد كفرتم بالله و شبهتموه بخلقه، و أوجبتم فيه صفات المحدثين، و وجب عندكم أن يكون محدثا مخلوقا، و أن له خالقا صنعه و إبتدعه. قالوا لسنا نعني هذا، فإن هذا كفر كما ذكرت، و لكنا نعني أنه إبنه على معنى الكرامة، و إن لم يكن هناك ولادة، كما قد يقول بعض علمائنا لمن يريد إكرامه و إبانته بالمنزلة من غيره يا بنيّ، و أنه إبني. لا على إثبات ولادته منه، لأنه قد يقول ذلك لمن هو أجنبي لا نسب بينه و بينه، و كذلك لما فعل بعزير ما فعل، كان قد إتخذه إبنا على الكرامة لا على الولادة. فقال رسول الله ﷺ فهذا ما قلته لكم إنه إن وجب على هذا الوجه أن

يكون عزير إبنه فإن هذه المنزلة لموسى أولى، و إن الله تعالى يفضح كل مبطل بإقراره ويقلب عليه حجته. إن ما إحتججتم به يؤديكم إلى ما هو أكبر مما ذكرته لكم، لأنكم قلتم إن عظيماً من عظمائكم قد يقول لأجنبي لا نسب بينه و بينه يا بنيّ، و هذا إبني، لا على طريق الولادة، فقد تجدون أيضا هذا العظيم يقول لأجنبي آخر هذا أخي، و لآخر هذا شيخي، و أبي، و لآخر هذا سيدي، على سبيل الإكرام، و إن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، فإذا يجوز عندكم أن يكون موسى أخا لله أو شيخا له أو أبا أو سيدا لأنه قد زاده في الكرامة على ما لعزير، كما أن من زاد رجلا في الإكرام فقال له يا سيدي و يا شيخي و يا عمي و يا رئيسي و يا أميري على طريق الإكرام، و إن من زاده في الكرامة زاده في مثل هذا القول، أ فيجوز عندكم أن يكون موسى أخا لله، أو شيخا، أو عما أو رئيسا، أو سيدا أو أميرا لأنه قد زاده في الإكرام على من قال له يا شيخي أو يا سيدي أو يا عمي، أو يا رئيسي، أو يا أميري. قال فبهت القوم و تحيروا و قالوا يا محمد أجلنا نتفكر فيما قلته لنا. فقال أنظروا فيه بقلوب معتقدة للإنصاف، يهدكم الله.....ثم أقبل ص على النصارى فقال لهم: .....لأن قولنا إن إبراهيم خليل الله، فإنما هو مشتق من الخِلة و الخُلة فأما الخلة فإنما معناها الفقر و الفاقة، فقد كان خليلا إلى ربه فقيرا، و إليه منقطعا، و عن غيره متعففا معرضا مستغنيا، و ذلك لما أريد قذفه في النار، فرمي به في المنجنيق فبعث الله تعالى جبرئيل ع و قال له أدرك عبدي. فجاءه فلقيه في الهواء، فقال كلفني ما بدا لك فقد بعثني الله لنصرتك. فقال بل حسبي الله و نعم الوكيل، إني لا أسأل غيره و لا حاجة لي إلا إليه. فسمّاه خليله أي، فقيره و محتاجه، و المنقطع إليه عمن سواه. و إذا جعل معنى ذلك من الخلّة و هو أنه قد تخلل [به] معانيه، و وقف على أسرار لم يقف عليها غيره كان معناه العالم به و بأموره، و لا يوجب ذلك تشبيه الله بخلقه، أ لا ترون أنه إذا لم ينقطع إليه لم يكن خليله و إذا لم يعلم بأسراره لم يكن خليله و أن من يلده الرجل و إن أهانه و أقصاه، لم يخرج عن أن يكون ولده لأن معنى الولادة قائم. ثم إن وجب لأنه قال الله إبراهيم خليلي أن تقيسوا أنتم فتقولوا إن عيسى إبنه، وجب أيضا كذلك أن تقولوا لموسى إنه إبنه، فإن الذي معه من المعجزات لم يكن بدون ما كان مع عيسى، فقولوا إن موسى أيضا إبنه، و إنه يجوز أن تقولوا على هذا المعنى شيخه و سيده و عمه و رئيسه و أميره كما قد

ذكرته لليهود. فقال بعضهم و في الكتب المنزلة أن عيسى قال: أذهب إلى أبي. فقال رسول الله ص :فإن كنتم بذلك الكتاب تعملون، فإن فيه"أذهب إلى أبي و أبيكم" فقولوا إن جميع الذين خاطبهم كانوا أبناء الله، كما كان عيسى إبنه من الوجه الذي كان عيسى إبنه، ثم إن ما في هذا الكتاب يبطل عليكم هذا [المعنى] الذي زعمتم أن عيسى من جهة الإختصاص كان إبنا له، لأنكم قلتم إنما قلنا إنه إبنه لأنه تعالى إختصه بما لم يختص به غيره، و أنتم تعلمون أن الذي خصّ به عيسى لم يخص به هؤلاء القوم الذين قال لهم عيسى :«أذهب إلى أبي و أبيكم». فبطل أن يكون الإختصاص لعيسى، لأنه قد ثبت عندكم بقول عيسى لمن لم يكن له مثل إختصاص عيسى، و أنتم إنما حكيتم لفظة عيسى و تأولتموها على غير وجهها لأنه إذا قال «أبي و أبيكم» فقد أراد غير ما ذهبتم إليه و نحلتموه، و ما يدريكم لعلّه عني أذهب إلى آدم و إلى نوح إن الله يرفعني إليهم و يجمعني معهم، و آدم أبي و أبوكم و كذلك نوح، بل ما أراد غير هذا، قال فسكتت النصارى، و قالوا ما رأينا كاليوم مجادلا و لا مخاصما و سننظر في أمورنا..... قال :فقال القوم : سننظر في أمورنا، ثم سكتوا.

و قال الصادق عليه السلام :فو الذي بعثه بالحق نبيا ما أتت على جماعتهم ثلاثة أيام حتى أتوا رسول الله فأسلموا، و كانوا خمسة و عشرين رجلا من كل فرقة خمسة و قالوا ما رأينا مثل حجتك يا محمّد، نشهد أنك رسول الله "[1].

---

(١) تفسير الإمام العسكري :٥٤٤ وقال الصادق عليه السلام:قال أمير المؤمنين عليه السلام: فأنزل الله الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ، فكان في هذه الآية رداً على ثلاثة أصناف منهم. لما قال الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ . فكان رداً على الدهرية الذين قالوا: الأشياء لا بدء لها و هي دائمة. ثم قال:وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ فكان رداً على الثنوية الذين قالوا إن النور و الظلمة هما المدبران. ثم قال: ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ فكان ردا على مشركي العرب الذين قالوا إن أوثاننا آلهة. ثم أنزل الله تعالى قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إلى آخرها، فكان فيها رداً على كل من إدعى من دون الله ضدا أو ندا. قال: فقال رسول الله : لأصحابه قولوا إِياكَ نَعْبُدُ أي نعبد واحدا، لا نقول كما قالت الدهرية :إن الأشياء لا بدء لها و هي دائمة، و لا كما قالت الثنوية الذين قالوا: إن النور و الظلمة هما المدبران، و لا كما قال مشركو العرب: إن أوثاننا آلهة، فلا نشرك بك شيئا، و لا ندعو من دونك إلها كما يقول هؤلاء الكفار، و لا نقول كما قالت اليهود و النصارى:إن لك ولدا، تعاليت عن ذلك [علوا كبيرا].

ومن جملة المبهمات التاريخية التي تحتاج إلى التنقيب هو إعتقاد بعض فرق اليهود بوجود إبنٍ لله، والمستفاد من القرآن والأحاديث أنهم جعلوا عزيرَ ابنَ الله سبحانه. وهذا الإنتساب ليس بالإسم فقط، بل يبلغ حدّ الشرك، ونجد أن الله سبحانه ينزه ساحته المقدسة مما يعتقده اليهود: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾.

وفي بعض التفاسير، قد نسب القول بأنوثة الملائكة المذكور في القرآن إلى اليهود. وأما اليوم لا نجد ذلك في إعتقادات اليهود المعاصرين .

ونحن نعلم أن دين النبي هو ملّة إبراهيم، فامّا اليهود فإنهم لم يرضوا ذلك عن الرسول صلى الله عليه وآله إلا أن يدخل في دينهم: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾. ونحن نعلم أنَّ الرضا والسخط أمر باطني ولا يطلع عليه أحد إلا الله سبحانه، والله سبحانه يعرض لنا حالة واحدة يرتضي فيها اليهود بالرسول، وهي بأن يتبع ملّتهم ويترك العقائد الصحيحة اي ملّة إبراهيم، فاليهود كانوا يريدون من الرسول صلى الله عليه وآله ما لايرضى به الله سبحانه ولم يوضح لنا التاريخ مقترحات اليهود على الرسول ولكن يستفاد من الآية مطالبتهم الرسول بما لا يرضى به الله ولا يسع الرسول تغيير طريقته به، قال سبحانه: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾، وكلنا نعلم أن كلمة «لن» تاتي لنفي الأبد، يعني لا يتحقق ذلك في أي زمان لأنهم لايستحسنون العيش مع المسلمين في زمان، إلا إذا كانوا أقلية مضطرين للتعايش معهم كرها، ولذا تتحدث الآية عن عدم إقتناعهم بذلك.

ويجيء الخطاب هنا مرة أُخرى إلى بني إسرائيل أن أذكروا نعم الله، كنعمة الهداية ورسالة رسول الله، وقد مضى شطر منها في الآية ٤٧ وما بعدها بالألفاظ المارة ، و مع الإلتفات إلى الآيات التي تليها و إتصالها بقصة إبراهيم الخليل

وإرتباطها برسالة النبي الأعظم، يعلم دور اليهود في مجتمع ذلك العصر وفي تعاملهم مع النبي المكرم[١].

---

(١) يجب إستعراض تلك الآيات لكي تتجلى كلمة الإهتمام بقصة إبراهيم الخليل. ولا يسعنا تفصيل ذلك في هذا الموضع وإن كان تكمن فيه بحار من العظمة والقدسية والعز والكرامة بحيث أن اليهود لو كانوا صادقين في إنتسابهم إلى إبراهيم أمكنهم الإستفادة من هذه الفرصة الذهبية ولكنهم عن دينه مبعدون و الحسد يمنعهم من ذلك. يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ

ولا يمكن إصلاح اي مجتمع إلا بإجراء التعديل على أفكار ذلك المجتمع حتى يقفوا على حقيقتهم ولا يصيبهم الغرور ولا تتعاظم عندهم العصبية ومن جهة أُخرى لا تفوتهم الفرص، فاليهود يرون أنفسهم ممتازون عندالله وأنهم أصحاب الحق ومن أهل الجنة وكذا النصارى وأما عبدة الأوثان يفضلون طريقتهم على الآخرين، وبذلك كلٌّ يكذب الآخرين، مع أن الكتب السماوية مثل التوراة والانجيل بينهم قد عيّنت الحق وأهله والباطل وأهله وذكرت فيهما معايير وملاكات وكذا القرآن عكس هذه المشكلة وبيَّنها ثم عالجها : ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** [١].

وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

(١) قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام: إنما أنزلت الآية لأن قوماً من اليهود، و قوماً من النصارى جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يا محمد إقض بيننا. فقال صلى الله عليه وآله : قصوا علي قصتكم. فقالت اليهود نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم و أوليائه، و ليست النصارى على شيء من الدين و الحق. و قالت النصارى بل نحن المؤمنون بالإله الواحد الحكيم و أوليائه و ليست هؤلاء اليهود على شيء من الحق و الدين. فقال رسول الله ص : كلكم مخطئون مبطلون فاسقون عن دين الله و

ومن نزعات القوميه والعرقية يرى اليهود أنفسهم أهل حق وعلى طريق مستقيم وكذا النصارى، ولكن الحكم هنا بيدالله، وهو الحَكَم بين الناس، إن الله يأبى أن يكون اليهود على الهدى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.إنّ تنزيه إبراهيم من الشرك في هذه الآية وأشباهها والإصرارعلى ذلك، يأخذ بأيدينا إلى حقيقة أن اليهود لم يكن على دين إبراهيم بل كانوا مشركين، بينما لم يكن إبراهيم مشركاً أبداً .وامّا هذا السؤال: لماذا ينسب اليهود أنفسهم إلى إبراهيم ولماذا يأبى القرآن ذلك؟ سؤال آخر بحاجة إلى كتاب آخر.

يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله: إن اليهود مازالوا يخالفونك مهما جئتهم بآية على حقانيّتك ولايتّبعون قبلتك وأنت لاتتّبع قبلتهم، فيظل ذلك النزاع باقياً، و عليك أن لاتتّبع أهواءهم وميولهم: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] وهذا التهديد صدر لمرة ثانية وفيه تلميح بان أهواء اليهود قائمة على الظلم والجور .

أمره. فقالت اليهود كيف نكون كافرين و فينا كتاب الله التوراة نقرؤه، و قالت النصارى كيف نكون كافرين و فينا كتاب الله الإنجيل نقرؤه، فقال رسول الله ﷺ: إنكم خالفتم أيها اليهود و النصارى كتاب الله و لم تعملوا به، فلو كنتم عاملين بالكتابين لما كفر بعضكم بعضا بغير حجة، لأن كتب الله أنزلها شفاء من العمى، و بيانا من الضلالة، يهدي العاملين بها إلى صراط مستقيم، كتاب الله إذا لم تعملوا به كان وبالا عليكم، و حجة الله إذا لم تنقادوا لها كنتم لله عاصين و لسخطه متعرضين. ثم أقبل رسول الله ﷺ على اليهود فقال: إحذروا أن ينالكم بخلاف أمر الله و بخلاف كتابه ما أصاب أوائلكم...الحديث (تفسيرالإمام‌العسكري : ٥٤٨).

(١) بحار الأنوار ١٩: ١١٤ - إن رسول الله أحب أن يحول الله قبلته إلى الكعبة فخرج في جوف الليل و نظر إلى آفاق السماء ينتظر أمر الله و خرج في ذلك اليوم إلى مسجد بني سالم الذي جمع فيه أول جمعة كانت بالمدينة و صلى بهم الظهر هناك بركعتين إلى بيت المقدس و ركعتين إلى الكعبة و نزل

ذكرنا قبل ذلك أن اليهود كانوا عارفين بالنبي ﷺ من قبل، و الله سبحانه علّمنا في الآية ٢٠ من سورة الأنعام مقدار وقوف يهود مكة على ذلك، وقال إنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وهنا يفرض هكذا معرفة ليهود المدينة هذه المرة ويضيف عدم إستعداد بعضهم للإقرار برسالته ويكتمون ذلك: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ قال أمير المومنين عليّ عليه السلام وأما أصحاب المشئمة فهم اليهود والنصارى، يقول الله عزوجل: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، يعرفون محمداً والولاية في التوراة والإنجيل، كما يعرفون أبناءهم في منازلهم، وإن فريقاً منهم ليكون الحقّ وهم يعلمون، الحق من ربك: إنك الرسول اليهم، فلا تكونن من الممترين، . ...الحديث[1].

روى إبن إسحاق عن إبن عباس: إن رسول الله ﷺ دعا اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام و رغبهم فيه وحذّرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف :بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا، فانزل الله في ذلك :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾، فاليهود يقولون كما يقول المشركون والقرآن يعكس حالهم واقوالهم[2].

ولما كانت أفعال الله سبحانه تبتني على الحكمة، فقد بُشّر اليهود بظهور نبي الإسلام وأطلعهم أنبياؤهم على أخبار نبي آخر الزمان حتى يتبين المؤمن من المنافق بقبول تلك الغيبيات وردها، ومنافقو اليهود هم الذين أعرضوا عن تلك

عليه «قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها الآيات..».الحديث.

(١) تكمله نهج البلاغة ميرجهاني٢ :٢٢٥و٢٢٦ .

(٢) تفسير الإمام العسكري: ٥٨٢. موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ١٦٨.

الأخبار ونقضوا عهدهم في هذا الشأن، وقد لعنوا في كتب السابقين على لسان داود وعيسى بن مريم، وهذه الآية تتعرض إلى ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾، فإن هذا الأمر له من الأهمية غاية الحد، وشامل لجميع من بلغه من فضائل محمّد وآله شيئٌ ولا يجوز كتمانه من أهله وهو أصل الدين، والجزاء على كتمانه هو نارجهنم وقال الله :«فما أصبرهم على النار» ثم بشرالله تعالى ذكره «لمن تاب آمن وعمل صالحا ثم أصلح» أن يغفره ويبلغه الى درجات النعيم ..[1].

هذاوقد شملت إستهزاءات اليهود عامة المسلمين وكان تفاخرهم يؤذي المؤمنين، كما هو مذكور في الآية اللاحقة يقول: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾.فهذه الفضائل أوصاف أهل الإيمان وسيّدهم أميرالمومنين علي بن أبيطالب عليه السلام فمن فيه هذه الاوصاف فهو من الأبرار[2].

---

(١) تفسيرالإمام العسكري : ٥٧١.

(٢) تفسيرالإمام العسكري : ٥٩٢ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ يقول الإمام العسكري عليه السلام: فعلى كل مومن أن يجدد الإقرار بتوحيد الله، و نبوة محمد رسول الله، و ليجهر بتفضيلنا، و الإعتراف بواجب حقوقنا أهل البيت و بتفضيلنا على سائر [آل] النبيين و تفضيل محمد على سائر النبيين، و موالاة أوليائنا، و معاداة أعدائنا، و البراءة منهم كائنا من كان، آباءهم وأمهاتهم و ذوي قراباتهم و موداتهم، فإن ولاية الله لا تنال إلا بولاية أوليائه و معاداة أعدائه. وفي قوله تعالى:«وَ أَقامَ الصَّلاةَ »، قال:والبرّ، برّمن أقام الصلاة بحدودها، و علم أن أكبر حدودها : الدخول فيها، و الخروج منها معترفا بفضل محمد صلى الله عليه وآله سيد عبيده و إمائه و الموالاة لسيد الأوصياء و أفضل الأتقياء عليّ سيد الأبرار، و قائد الأخيار، وأفضل أهل دارالقرار بعد النبي الزكي المختار..الحديث. [1].

يقول الإمام العسكري عليه السلام قد بيّن وصف الطائفتين إحداهما: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله ...﴾ والأُخرى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ...﴾ وبيّن خصائصهم، ثم دعا الناس إلى الطائفة الثالثة الذين يرتضي عملهم وهو: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾، يعني في سلم الدين الإسلامي بشكل جماعي بجميع أحكامه، ولاتكونوا كالذين يقبل بعضه ويدع بعضه، فمن يؤمن برسالة محمد ولايؤمن بخلافة أفضل اُمته علي بن أبي طالب لم يكن قد أطاع رسول الله صلى الله عليه وآله [2]:﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾، ولا يغويكم فتسيروا في طريق الضلال، فهو يدعوكم إلى إتّباع ذلك وإرتكاب المعصية ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ ومن الدلائل الواضحة على عدائه هي رغبته في حرمان المؤمنين من ثواب الولاية العظيم، وإلقاءهم في العذاب الأليم :﴿ فَإِن

---

(١) تفسيرالإمام العسكري: ٥٨٩.

(٢) تفسيرالإمام العسكري: ٦٢٦.

زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

وفي هذه المرحلة من تاريخ الإسلام التي يتوجب فيها الجهاد والحرب مع أن بعض مسلمي المدينة كانوا من أهل الكتاب، فإن بيان الوقائع السابقة يستطيع أن يؤثر في معنويتهم خصوصاً مع تطابقه مع ما في كتبهم التي كانوا قد قرأوها، مثل قصة طالوت وجالوت وإمتحان بني إسرائيل وملك داود وضرورة تشريع الحرب والجهاد لتطهير الأرض من المفسدين، كان ذلك في تلك المرحلة مؤثراً كما أنه يرغّب في الآية ١٤٤ المسلمين على الجهاد، ويقول هنا أيضاً: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

ثم قال سبحانه: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، صدق الله العلي العظيم.

كل ما قيل هنا، هو ملخص من آيات سورة البقرة حول الأخلاق العملية والنظرية لليهود وقد يكون بيان القرآن خاصاً والمعنى عام أو بالعكس، ولذا لا يستشكل علينا بأن ذلك غير مختص بيهود زمان النبي ﷺ، بل ظهر ذلك وما

يزال يظهر بين عامة البشر وعلى مرّ العصور ولذلك جاء في بعض الأحاديث «يهود هذه الأُمة » ويراد به من ينقض العهد أو من يعاند النبي وأهل بيته عليهم السلام هذا وقد عزل القرآن المشاكسين من اليهود عمن سواهم، وعبّر عنهم بـ«**الذين كفروا**»، فلا يتصور أحد أن هذا الكلام هو إهانة لعامة اليهود، وفي كل الأحوال، فإن النكات التفسيرية المبينة في العلوم القرآنية قد أُخذت بنظرالإعتبار مهما أمكن في هذا المجال.

والمتحصل من ذلك الكلام أن اليهود الذين خالفوا:

١ــ لا يكترثون بالنصائح.

٢ــ لا يعتبرون بالآيات والأمثال.

٣ــ يؤمنون بالسحر والشعوذة أكثر من الوحي الإلهي.

٤ــ يعادون جبرئيل الأمين لأنه نزّل الآيات على قلب النبي صلى الله عليه وآله.

٥ــ في قلوبهم مرض وهو يزداد وكذبوا بآيات الله و ختم الله على قلوبهم.

٦ــ فاسدون وفي الأرض مفسدون و يخادعون الله وهو خادعهم.

٧- ينبذون العهد وراء ظهورهم ويتركون كتاب الله التوراة.

٨ــ ينقضون عهد الله ويقطعون ما أُمروا بوصله.

٩ــ لأجل اعتزازهم بأنفسهم يرون أنهم آمنون من العذاب الإلهي، وارتابوا في أمر القيامة.

١٠ــ يرون أنهم أهل الجنة ولا يجرؤن على طلب الموت.

١١ــ ليسوا حلماء بل مشاغبين لا يصدر منهم إلا الكفر والنفاق.

١٢ــ باعوا الضلالة بالهدى وصمّوا وعموا.

١٣ــ يحبون الدنيا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة .

١٤ــ يأمرون الناس بالبر ولا يعملون به.

١٥ــ يواجهون المؤمنين بالنفاق.

١٦ــ لا يحبون أن تصيب المسلمين رحمة من ربهم.

١٧ــ أكلوا الربا والسحت وخانوا الأمانة.

١٨ــ يخالفون أوامر الله ولا يعملون به.

١٩_ يكتمون الحق ويحرفون كلام الله بعد سماعه.

٢٠_ يرون الحق مشتبهاً ويظنون باطلاً .

٢١_ رأوا دلائل الحق ولكن قست قلوبهم حتى كانت كالحجارة.

٢٢_ أحبارهم يؤلفون كلاماً من عندهم ويقولون هو من عند الله، فالويل لهم ولما يعملون.

٢٣_ لا يرضون عن النبي إلا أن يتبع ملتهم.

٢٤_ توقع المسلمين إيمان هؤلاء مجرد عبث.

وفي الختام نسأل الله الهداية لنا ولكل ذي لبّ يجاول أن يصل الى ضفاف الهدى والإستقامة، إنه سميع مجيب .

القسم الثاني

جهاد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله
مع الكافرين من اليهود

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ

(آل عمران: ١٤٩)

الفصل الأول

دورة جديدة من علاقات اليهود والرسول صلى الله عليه وآله

حصل من اليوم الأول تضارب فكري بين المسلمين واليهود _ كما هو مستفاد من القرآن الكريم _ لا يسمح ببقاء روابط حميمة بينهما، فهم يختلفون في الأُصول والأُسس، ولكن وجود أواصر القرابة المسبقة والروابط التجارية والإجتماعية القائمة حال دون انفصام تلك الأواصر بالمرة. ومن الطبيعي فإن هذا الحال سيجر إلى نزاعات ومشاجرات فردية وكلام غليظ ونقاش وجدل في الزقاق والسوق ويعود أمراً عادياً.

وفي هذه الوهلة نزلت آيات من سورة البقرة وسورة آل عمران تلمح إلى غلظة اليهود في الخطاب خصوصاً مع المسلمين: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

تحدثنا الآية الكريمة: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ عن المعاناة و الخسائر المالية والنفسية التي سرعان ما ستصيب المسلمين من قبل اليهود والمشركين.فقوله: ﴿ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ في الآية هم اليهود الذين لا يسلِمون ولا يتركون المشاكسة[3].

---

(١) آل عمران: ١٨٦.

(٢) البقرة: ٢١٢.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ١٧٨. نقل عن عطاء أن الآية نزلت في رؤساء اليهود من بني قريظة والنضير و قينقاع كانوا يسخرون من فقراء المهاجرين.

وفي هذا الصدد نجد الرسول صلى الله عليه وآله يأمر المسلمين بالصبر والحلم ورعاية الأخلاق الإسلامية والجدال بالتي هي أحسن، عسى أن يرغبوا في الإسلام، ومع الإلتفات إلى حرص المسلمين الجُدد على إطاعة أوامر الرسول بحذافيرها فإذا حدثت أي مشاجرة مع اليهود يجب أن يكون السبب هو إساءة الأدب من قبل اليهود وإبرازهم حقدهم لا محالة.

الكلام الأول

تهييج اليهود وبدء إشعال الحرب

معركة بدر وآثارها على سلوك اليهود

كان الدّين الإسلامي ما زال فتياً والمسلمون قليلون لم يجربوا الحرب من يوم بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وقد توالت الأخبار والشائعات عن تجهيز قريش جيشاً لقتال المسلمين فكان الجو الحاكم في المدينة يلفت نظر جميع ساكنيها، واليهود الذين كانوا يرون أنفسهم في خطر صاروا يرتقبون مصير النبي صلى الله عليه وآله مع قومه لأنهم كانوا قد وقّعوا معاهدة سلام مع الرسول من ناحية ولا يحق لهم الإقدام بنفع قريش على ان الرسول صلى الله عليه وآله لم يطلب منهم أن يدافعوا عن المدينة أمام هجوم العدو.

ومن ناحية أخرى يترصدون هلاكه وزوال امره، فإن بقاء الرسول وعدمه مرهون بنتيجة تلك المعركة، فهم ينتظرون نهاية الرسول صلى الله عليه وآله في تلك المعركة خصوصاً وقد أطلع الرسول المؤمنين وبعض المنافقين واليهود على نتائجها قبل ذلك بستة عشر يوماً حتى أنه أراهم مواضع مقتل المشركين بدقة، وحان الوقت لكي يعلم مدى صدق أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وعدمه، فإذا جرت الأحداث كما أخبر الرسول فسيؤدي إلى تجلّي حقانيته وبالتالي تعاظم شوكة المسلمين وقدرتهم، وتتضاعف رغبة الشبيبة في الإسلام وتضيق الحلقة على اليهود، ولا يسع كتمان ذلك مع حساسية الموقف ومحدودية المدينة.

وبالتالي تجلى علم الرسول ﷺ وقدرته، ففي عشية المعركة دخل زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة المدينة على ناقة النبي ﷺ حاملين بشارة النصر إلى أهلها، فدهش اليهود ولم يصدقوا وقالوا: إذا كان الأمر كذلك فبطن الأرض خير لنا من ظهرها، ولم يسعهم سوى تفنيد ذلك الخبر وقالوا: إذا كان محمد حياً لقدم وبشر الناس بنفسه وهذه ناقته بدون صاحبها، ولا يحكي رد الفعل هذا سوى عن اندهاش اليهود وتحقق ما لا يحتمل تحققه في تلك المعركة، وعلموا أن هذا النصر سيعقبه انتصارات أعظم وأكبر.

ولم يبدو من اليهود إلى ذلك الحين ما يؤدي إلى نقض العهد، ولم تبلغ مؤشرات على ضلوع اليهود في هذه المعركة ولا عمل يقوي طرف المشركين على المسلمين.

ولكن إنتصار الرسول ﷺ في بدر أدّى إلى تغير أحوال اليهود، فتبدلت أخلاقهم بصورة كلية، وكأنهم يرون إنكسار قريش هو نهاية لهم لأنه يضمن إستمرار الدين الجديد.

فإن نتيجة تلك المعركة غير المتوازنة والأخبار التي بلغتهم عنها أدت إلى حكومة الرعب فيهم، فمن اليوم فصاعداً لا تجد أي طائفة بنفسها القدرة على مواجهة المسلمين، ولم يكن من السهل تأليف اليهود وجعلهم تحت راية واحدة، ولذلك اضطربوا اضطراباً شديداً، وصار ذلك الغضب يبرز من شذرات كلامهم وبعض أفعالهم، خصوصاً بنو قينقاع الذين كانوا على مقربة من المدينة وتكثر مخالطتهم للمسلمين، فهم أول من ظهرت منهم تلك البوادر، وقد كانت ردود الفعل حينها شديدة، وصار أذى اليهود بمقدار من الشدة و الغلظة، بحيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[1] فالآية تتكلم عن احتمال وقوع القتال مع اليهود.

---

(١) آل عمران: ١١١.

ولم يكتم شعراء اليهود ذلك الغضب وصاروا يهجون المسلمين والرسول صلى الله عليه وآله ومن جملتهم أبو عفك اليهودي الذي كان له من العمر ١٢٠ سنة ولا يقدر على أي عمل الا الشعر، ولا يتمكن من إبراز غضبه الاّ بالشعر، فقد نقل الواقدي عن إسماعيل بن مصعب أنه كان في بني عمروبن عوف شيخ كبير يدعى أبا عفك، بلغ مائة وعشرين سنة، لم يدخل الإسلام، بل كان يمرض على عداوة النبي، ولما خرج رسول الله إلى بدر ونصره الله، حسده و قال شعراً وهجا فيه النبي، فقال سالم بن عمير من بني النجار، عليَّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، وفي شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة كانت ليلة صائفة، نام فيها أبو عفك بفناء بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم بن عمير حتى وضع السيف على كبده وحتى غرزه في الفراش، وصاح الرجل، وثاب إليه ناس، فقبروه في منزله[1].

فإن هذه الأخبار المتوالية عن عداء اليهود للمسلمين تحكي عن وجود الجرأة و إساءة أدب من قبل اليهود، والذي جرّأهم هو أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله الطيبة وصبره واحتماله، ومع أعمالهم تلك كانوا يعيشون مع المسلمين بسلام آمنين، يرون أن السّلاحة مفتوحة لهم يمكنهم أمثال ذلك التجسّر، ولذا فإن بعض المسلمين الجدد صار بصدد الرد على ذلك وإيقاف المتجاسر عند حده وإنهاء أمره على رغم وجود العلقة النسبية أو السببية وما ذلك إلا لأجل الجهاد في سبيل الله.

ومع أن أباعفك من اليهود العرب، أمابعد قتله إنتاب اليهود حالة عجيبة من الولع والخوف، وسرعان ما جاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وطلبوا منه التأمين على أنفسهم.

ومن ناحية أُخرى فإن كعب بن الأشرف رئيس بني النضير وشاعرهم سافر إلى مكة المكرمة والتقى بعظماء قريش، وأخذ يرثي قتلى قريش في بدر وشوقهم للقيام بإقدام آخر، وقد هجا الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين في شعره، بحيث قلب الأجواء في مكة. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الشاعر حسان بن ثابت أن يجيبه، فأجابه حسان وحمل عليه إلى حد أن المرأة التي كانت تستضيف كعباً وكان في بيتها

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٠٢.

اضطرت لأن تلقي متاعه ورحله خارج الدار وطلبت منه أن يغادر، ولم يطق كعب البقاء بعدها في مكة فعاد إلى المدينة[١].

ويعلم من ذلك مدى أهمية الشعر في المجتمع يومذاك ووقعه كوقع السيف أو أكثر فلا يتصور أن إنشاء عدة أبيات شعر في الهجاء لا أهمية لها ولا يعد جرماً، بل الأمر بالعكس. ويعلم من سماح الرسول صلى الله عليه وآله أو رضاه بقتل بعض الأشخاص مثل أبي عفك اليهودي يعني أن هذه الأعمال السيئة تعدُّ نقضاً للعهد ويكون دمهم هدراً، وإن كان نقض واحد منهم لا يعني نقض جميع الجالية اليهودية للعهد، نعم إذا كانت تلك التعديات من رئيس الطائفة أو كانت بحد من الشيوع بحيث تعد نقضاً من جميع القوم أو تصل إلى مرحلة الإستهزاء بالأمة الإسلامية، فسيعني نقض تلك الطائفة أو تلك الجالية.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٣٦.

غزوة بني قينقاع

يرى المفسرون أن آيات من القرآن نزلت في هذه الغزوة، ومن جملتها :﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٨ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ۝٥٩ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [1].

وكما ترى فإن الآيات عبرت عن يهود بني قينقاع بشرّ الدواب، والسبب في ذلك يعود إلى أن الرسول ﷺ لما قبلهم وأقرهم على دينهم، وأبرم معهم عهداً ولم يأخذ منهم الجزية على الرغم من كونهم يهود، فإنهم في المقابل وقفوا أمام الرسول ﷺ وفي ذلك المأمن أعني المدينة وصاروا بصدد التخبيث ومساعدة كفار قريش وبذلك نقضوا العهد وفقدوا اعتبارهم، ولا يمكن بعد ذلك الاعتماد عليهم في مجال الوفاء بالعهد ؛ و إلا فليس من المستبعد أن يعقد الرسول ﷺ معهم عهداً آخر، وبذلك السبب لم يقبل منهم طلب البقاء في المدينة، والمستفاد من قوله :﴿كل مرّة﴾ في الآية أن هناك عهوداً متعددة قد تم عقدها، وفي كل مرّة ينقضون العهد، ويعقدونه مرّة أُخرى.

---

(١) الأنفال: ٥٦ تا٦٤، سيرة إبن إسحاق: ٣٢٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ٢:٢٠٣.

وبعد نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ . قال رسول الله ﷺ: «**نعم فأنا أخافهم**» [1]، وهو يحكي عن عدم إعتماد النبي ﷺ على تلك الطائفة اليهودية.

والآية الأُخرى التي يرى المفسرون أنها نزلت في بني قينقاع هذه الآية :﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [2].

فإن هذه الآية تحذر اليهود من السعي والمحاولة عبثاً فإنهم سيغلبون لا محالة وجزاؤهم جهنم، يعني أن وقوفهم أمام الرسول ﷺ ومجابهته ذنب لا يغتفر ويوجب غضب الله سبحانه وتعالى ولا فائدة لهم في دنياهم، و الله سبحانه يؤيد بنصره من يشاء كما نصر المسلمين في معركة بدر أمام المشركين، و اليهود قد شاهد ذلك من بعيد، فعليهم أن يعتبروا.

عوامل غزوة بني قينقاع

مع الأخذ بعين الاعتبار التشكيلة الموجودة في المدينة بما فيها أتباع الأديان المختلفة والأخلاقيات والرّوحيات المتفاوتة، فإن الكلمات الغليظة التي تصدر من اليهود و المسلمين فيما بينهم لا تعود من الأسباب الأساسية للمواجهة المسلحة، ولكن بإمكانها تشديد ذلك، ولذا نجد أن الرسول ﷺ إكتفى بمجازاة المخطئ فقط إذا تنازعوا.

---

(١) مغازي الواقدي ١: ١٨٠و١٧٧، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٢٠٤.

(٢) آل عمران:١٢و١٣، موسوعة التاريخ الإسلامي٢ :٢٠٧، وتفسيرالقمي١: ٩٧، ونقل إبن إسحاق من عكرمة عن إبن عباس أن هذه الآية قدنزلت في شأن بني قينقاع، وترى فيها وحدة السياق وجائت بعد :"**الم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون**".

فعلينا أن نبحث عن عوامل أُخرى هي السبب في حدوث غزوة بني قينقاع بعد معركة بدر، ولعل السبب الأساسي هو تجسّر اليهود ومضايقاتهم المتزايدة التي عرفت من لحن كلامهم وتعريضهم بالنبي والمسلمين الذي هو بمثابة إعلان الحرب مع الرسول.

ومع الإلتفات إلى أخلاق الرسول الحسنة، وسعيه الدائب في تجنب الحرب و تفضيل غيرها من الوسائل، فلا يصح القول بأن الرسول ﷺ كان يترقب الفرصة لقتال اليهود، بل إن غرور اليهود واستكبارهم وأنانيتهم وكفرانهم النعم هي التي إضطرت الرسول لاتخاذ موقف حازم، فقد كان الرسول ﷺ وبمقتضى وظيفته الرّسالية بصدد هداية اليهود إلى سبيل السعادة عن طريق النصيحة والإرشاد، حتى إنه جمعهم في سوق بني قينقاع ووعظهم وقال:

"يا معشراليهود، إحذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة و أسلموا، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل. تجدون ذلك في كتابكم و عهدالله اليكم وما كان منهم إلا أن قالوا: يا محمّد إنك ترى أنا مثل قومك، يغرّنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منه فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس، (اولتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا)[1].

فإن جوابهم يحكي عن نوع من الغلظة والتجاوز والمشاكسة التي إعتمدوها في المدينة[2].

---

(١) البحار١٩: ٢٠٦.

(٢) يتبين من هذا الخبر بوضوح أمور: الأول: أن هذه الدعوة كانت بعد معركة بدر، الثاني: أن شوكة اليهود وغرورهم لم ينكسر بعد، بحيث تمكنوا من الوقوف أمام الرسول والجرأة عليه، وهو دليل الحرية التي كانوا يلمسونها، الثالث: أراد الرسول ﷺ ترغيبهم في الإسلام، فقد عرّف نفسه لهم عدة مرات، وكلمهم في صفات نبي آخر الزمان والعهد الذي كان له عليهم والموجود في كتابهم وليس هناك منافاة بين العهد الذي كان مع اليهود وبين دعوتهم إلى الإسلام فالآن وظيفة الرسول ﷺ هي إبلاغ الرسالة، وهذا مجرد إرشاد لا يمنع منه كل عهد وميثاق، ولذا لم يستند اليهود إلى ذلك العهد في مقام الإجابة على دعوة الرسول ﷺ، ولم يتذرعوا بأن لهم حق البقاء على دينهم، نعم مشكلة اليهود شيء آخر، وداؤهم يرتبط بأخلاقهم وسلوكهم المخالف للمسلمين والمد الإسلامي.

وكذا فإن هذه الإجابة تحكي عن وجود اساءة أدب في السابق، إذ لاتتصور المبادرة إلى مثل ذلك التجاسر في أول مواجهة لدعوة النبي صلى الله عليه وآله، أ ما كان من وسعهم أن يجيبوا أفضل من ذلك الجواب، ويتذرعون بالعهد ويطلبون البقاء على دينهم؟ أليس جوابهم ذلك هو إعلان للحرب؟

ومن ذلك يعلم أن قول ولفنسون في هذا الصدد: «لو وقفت تعاليم الرسول عند محاربته للديانة الوثنية فحسب ولم يكلف اليهود أن يعترفوا برسالته لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين»[1] غيرصحيح ومرفوض جداً لأن الرسول صلى الله عليه وآله إنما أنذرهم بعذاب الله وحذّرهم من الله :﴿**إحذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة**﴾ وهو داخل في رأفته عليهم، واليهود الذين عاينوا صدق ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من نتيجة معركة بدر، فكان المفروض تصديق كلامه في هذا المورد، ولا أقل من رعاية الأدب ولكنهم أبوا.

---

(١) وقال صاحب العلاقات ٣٠٧ :" قال ولفنسون في هذا الصدد :لو وقفت تعاليم الرسول عند محاربته للديانة الوثنية فحسب ولم يكلف اليهود ان يعترفوا برسالته لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين، واضاف : يجب ان لا تغرب عن الاذهان بان هذه الدعوة اساس كل ما حدث بين اليهود والرسول من خلاف ونزاع ولو لا ها لما حدث شئ من الخلاف، (تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٣٤): يتضح من كلام ولفنسون بأنه يصف الرسول بالتعصب بطريقة ماكرة ويتجاهل فشل اليهود في إقامة علاقات سليمة مع ايّ شعب جاورهم أو عايشهم، ففي يثرب نفسها اقتتل العرب واليهود كما اقتتل اليهود انفسهم ولم يطلب اليهم تغيير دينهم، وهذا كله يؤيد ما ذهبنا اليه من أن الأسباب الإقتصادية والتعصب القومي وحب الاستعلاء هي الأسباب الحقيقية في خلافهم مع المسلمين وذهب أرنولد توينبي الى أبعد مما سبق بقوله : إن الشعب اليهودي بعد ان إهتدى الى التوحيد سمح لنفسه ان تفتنه هذه الحقيقة، فترك اليهود لانفسهم العنان لتفتنهم حقيقة ناقصة، نسبية وموقوتة، ومدار تلك الحقيقة اعتبارهم السموّ الروحي الذي بلغوه امتيازا خلعه الرب عليهم وحدهم بموجب عهد أبدي يجعل منهم "شعب الله المختار"وهكذا أضلتهم الحقيقة الناقصة فأردتهم في خطأ مميت. وهكذا أوجس الرسول خيفة من وجود اليهود أعداء بين ظهرانيه فبعد ان قطعوا كل صلة حسنة مع المسلمين فأنزل الله تعالى **"وإما تخافن من قوم خيانه فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين** الانفال ٥٨."

وكذا فإن تشبيه مصير اليهود بمصير قريش في كلام النبي ﷺ، يحكي عن طبيعة عملهم، ومن الواضح فإن قريش اختارت الحرب وبعثت جيشاً إلى المدينة، كذلك يهود بني قينقاع بسلوكهم المعادي صاروا قريش المدينة، يغلظون في القول ويوصلون الأذى إلى المسلمين وصاروا في صدد قتل الرسول، فأراد الرسول ﷺ دعوتهم إلى دين الله و تذكيرهم بالمعاهدة ليحد من تعديهم وأذاهم بالنسبة للمسلمين والراغبين في الإسلام، ولم يقصد من دعوته تلك إعلان الحرب، لأنه استند في دعواه إلى الدليل، وذكّرهم بالعهد المأخوذ عليهم واحتج عليهم بما يرتضيه اليهود أنفسهم من الحجج.

توضيح ذلك، أن اليهود كانوا قد أُخذ منهم الميثاق من قبل وعاهدوا على الإيمان بآخر الرسل، وكان هذا العهد مثبتاً في كتبهم ومازال يجدد عليهم ويذكرون به، والرسول ﷺ تمسك بذلك، وفي المقابل فإن اليهود بذلك الجواب الساخر لم يخالفوا الرسول ﷺ فقط، وإنما خالفوا موسى كليم الله عليه السلام وإله موسى .

وبهذا فإن أحد أسباب غزوة بني قينقاع هي مشاجرات اليهود الكلامية و حذوهم في الساحة العملية حذوقريش، وإعلانهم المخالفة والتأهب للمواجهة المسلحة.

والسبب الآخر: روابطهم مع المشركين التي صارت تتحكم بعد انتصار الرسول في معركة بدر، فهذا أول نقض للعهد الذي عاهدوا عليه، حيث كانوا يبعثون بأخبار المدينة وتدابير الرسول ﷺ إلى قريش، فبلغ ذلك النبي محمد وبعد نزول هذه الآية ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ** ﴾، قال: نعم أنا خائف منهم.[1] ومنه يعلم أن تحركاتهم كانت بحيث أفزعت الرسول ﷺ، فإذا لم يكن ذلك نقضاً للعهد فهو مقدمة للنقض ويجب أن لا ننسى أنهم عاهدوا على عدم التدخل في مشاجرة النبي ﷺ مع قومه واتخاذ موقف الحياد الكامل، وعليه يكون تجسسهم لصالح المشركين نقضاً لما عاهدوا، هذا وقد كشف القرآن النقاب في هذه الفترة عن إفساد اليهود وانحيازهم إلى عدو المسلمين، وكذا

---

(١) الأنفال: ٥٨. موسوعة التاريخ الإسلامي :٢: ٢٠٤.

فإن المحققين المعاصرين لا يختلفون في مساعدة اليهود للمشركين بعد معركة بدر ويسلمون ذلك ويرونه أحد أسباب نقض العهد[١].

ومن الواضح أن الإنتصار في بدر أثار حفيظة قريش واليهود معاً، وعندما صمم المشركون على تجميع قواهم واستئناف القتال مع الرسول، وجدوا في اليهود أفضل عون من الداخل، ومعه يكون التخوف من تواطؤهم مع قريش وغدرهم بالمسلمين في محله، خصوصاً وقد سافروا إلى قريش في السر وراسلوها وبعثوا إليهم بالأخبار والأسرار، والنبي قدعرف أن اليهود يطلبون الفتنة وينتظرون الفرصة لإنزال الضربة القاصمة بالإسلام والمسلمين.

فقد جاء وفقاً لما نقله الواقدي عن إبن كعب القرظي أنه لما انتصر الرسول صلى الله عليه وآله في معركة بدر، حسده يهود بني قينقاع وطغوا عليه ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه[٢].

والسبب الثالث: مقتل رجل في سوق بني قينقاع، والقصة أن امرأة مسلمة جاءت بخمارها إلى سوق الصاغة وأغلبهم من يهود بني قينقاع، فاستهزأ بها بعض الشبان اليهود، وقد شاهد ذلك شاب مسلم فجاء واعترض على ذلك الشاب اليهودي، وتعالى النزاع بينهما حتى سقط الشاب اليهودي صريعاً على أثر ضربة الشاب المسلم.

فاجتمع اليهود من جميع الأطراف وقتلوا ذلك الشاب المسلم في ذلك المكان ، فبلغ ذلك رسول الله فجاء وبمجيئه عاد الهدوء إلى ذلك السوق و تقرر

---

(١) العلاقات :٣٠٤ : ان اتصال اليهود بالفئات المعادية للرسول اعتبر نقضاً للمعاهدات والمواثيق التي عقدها الرسول مع البطون اليهودية وتذكر معظم المصادر الاسلامية هذه المواثيق وترى ان نقض اليهود لها كان السبب في إعلان الرسول الحرب عليهم ولذا اعتبر معركة البدر أول قدم في الصراع على اليهود ومن هنا وقفوا في صف الوثنية علنا ولم يكتف بهذه الأقوال، بل سافر كعب بن الأشرف الى مكة ينشد الأشعار ويشبب المسلمين ويرثي قتلى بدر من المشركين.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٠٢.

دفع دية اليهودي[١].

ويأتي السؤال هنا عن كيفية عدّ هذه الواقعة نقضاً للعهد من قبل بني قينقاع وكيف يكفي مثل ذلك لكي يامرهم الرسول ﷺ بالخروج من المدينة ويجبرهم على الرحيل عنها؟ والذي يدعم هذا الشك أن الرسول ﷺ حكم بدفع دية الشاب اليهودي المقتول، فهو يعني عدم رضاه بعمل الشاب المسلم وهو بعينه دفاع عن اليهود، ولم يبلغنا حديث عن المطالبة بدية المسلم المقتول على أيدي اليهود.

ولا نعلم هل أن دمه كان هدراً، أو أنه كان في قبال قتل اليهودي، فلماذا أمر بدفع دية اليهودي، ولم يطالب بدية المسلم؟ لابد من تحري جواب ذلك في العهد الموقّع بين رسول الله واليهود.

وأما الذي لابدّ أن يلفت النظر اليه أن مدة المهادنة[٢]، وهو ترك القتال كانت إلى زمان تعيين حال الرسول ﷺ مع قومه، وقد إنتهت بانتصار الرسول على قريش، فكان على اليهود أن يحددوا موقفهم اتجاه قبول الإسلام ورفضه، ولكن

---

(١) هذا الخبر بحاجة إلى التثبت كي يعلم حدود رعاية حقوق اليهود، هل كان هناك اعتداء من ناحية الشاب المسلم حتى تجب الدية لليهودي ام لا؟ وما هو حال دية الشاب المسلم؟ هل إن دمه هدر، وكيف ساهم هذا النزاع في تشديد الاختلاف هل هو أحد أسباب الحرب؟

إذا لم يكن ليهود بني قينقاع روح المخالفة والمضادة، ومع الإلتفات إلى المعاهدة المبرمة مع الرسول ﷺ ألم يكن من الواجب عليهم أن لايزاحموا المرأة المسلمة! ألم يكن عليهم أن يترافعوا إلى الرسول في شأن جناية الشاب المسلم؟ ألم يكن في قتل القاتل زوال حق المقتول اليهودي؛ ينقل المحققون في هذا الموضع كلاماً عن المغازي وهو أنه لما قدم رسول الله المدينة وادعته اليهود وكتب بينه وبينها كتاباً وألحق رسول الله كل قوم بحلفائهم، وجعل بينه وبينهم أماناً وشرط عليهم شروطاً فكان فيما شرط ألا يظاهروا عليه عدواً، فلما أصاب رسول الله أصحاب بدر وقدم المدينة بغت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله من العهد

(٢) كلمة المهادنة والهدنة تعني ترك القتال وهي تفيد أن تلك المعاهدة هي نوع من متاركة القتال بشكل موقت.

لماذا خُص ببني قينقاع، ولعل خباثتهم كان لها دور في قلب أوضاع المدينة بحيث أدت إلى سلب أمان الرسول ﷺ من ناحيتهم، ولذا الزموا بذلك. ونتيجة ذلك أن الرسول ﷺ بعث إليهم رجلاً ليأمرهم بالنزول على حكم الرسول ﷺ فقط وليس أكثر فهي المرحلة الأُولى، والحال أن اليهود لم يكونوا يعلمون ما هو الحكم، ولعله دفع الجزية، ولكن عبد الله بن أُبي منافق المدينة بعث إليهم بأن يبقوا في حصونهم ولا ينزلوا على حكم رسول الله وأنه سرعان ما سينصرهم، وكذلك فعلوا، ولم يجيبوا دعوة الرسول ﷺ بل آذنوا بالحرب. الأمر الذي أدى إلى أن يتعامل الرسول ﷺ معهم بشكل جاد [١].

ويرى صاحب كتاب العلاقات أن أحد أسباب هذه الغزوة هوتحركات كعب بن الأشرف المشؤمة بعد معركة بدر، ولكن بالالتفات إلى أنه من بني النضير، لا يمكن جعل عمله على حساب بني قينقاع [٢].

---

(١) لو لم ينخدع اليهود بكلام المنافقين ما وصل حالهم إلى ذلك، بل خدعتهم أنفسهم أيضاً حيث كانوا يظنون أنهم قادرون على مواجهة جيش الإسلام، وأنهم إذا خاضوا الحرب مع الرسول فإن حمية باقي اليهود ستتأجج ويسرعون إلى نصرتهم كما سيساعدهم المنافقون حسب ما وعدوهم، ولكن لم يتحقق شيء من ذلك، فلماذا لم يعتبر هؤلاء اليهود مما شاهدوه في بدر من نصرة الله سبحانه؟ لم يتحلّ اليهود بصفة الانقياد وروح المسالمة، بل كانوا على طرف صراع مع الرسول ﷺ حيث كانوا يظنون أن بإمكانهم ذلك، مع علمهم بأن الرسول ﷺ يسيّر الامور بالعلم الإلهي، وكان رسول الله من خلال الآية القرآنية قد حذرهم من ذلك قال الله سبحانه: ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأُولي الأبصار﴾.

و قال في المغازي ١:١٧٤- ١٧٨: ونبذوا العهد الى النبي و حاربوا و تحصنوا في حصنهم فكانوا أول يهود حاربت.

(٢) العلاقات :٣٠٤.

تاريخ الغزوة

نقلوا عن الواقدي أن غزوة بني قينقاع كانت بعد عشرين شهراً من الهجرة، حاصرهم الرسول صلى الله عليه وآله فيها من منتصف شهر شوال حتى غرة ذي القعدة[١].

وفي موسوعة العنصرية اليهودية حدد تاريخ الغزوة بـ ١٥ شوال من السنة الثانية للهجرة، ١٠ نيسان ابريل سنة ٦٢٣ ميلادية، بعد شهر من معركة بدر[٢].

شروع الغزوة

لما شاهد الرسول صلى الله عليه وآله عدم نزول بني قينقاع على حكمه سار بجماعة من المسلمين إلى محاصرتهم، وأعطى عمه حمزة لواء أبيض وهو أول لواء نشر في جيش المسلمين، فوعظهم الرسول وطلب منهم النزول على حكمه، ولكنهم أبوا ذلك و صمدوا خمس عشر يوماً في كل ذلك قد حاصرهم الرسول صلى الله عليه وآله، ولعل الرمي بالسهم هو أول وسيلة وأسهل ردود الفعل التي يمكن صدورها منهم ولكن لم يحدثنا التاريخ بذلك، فهو يحكي عن شدة رعبهم وتخوفهم من عاقبة الأمر، فإن كل تلك المناوشات الكلامية وإثارة الفتن لم ينعكس منها في الساحة العملية وفي مقام المواجهة شيء يذكر، ولعلهم كانوا ينتظرون بادرة المنافقين.

لم يكن الرسول يرغب في قتل واحد من اليهود، وكان يسعى للحيلولة دون وقوع الحرب، ولكن المنافقين كانوا بانتظار مثل هذه الفرصة كي يثيروا الفتنة ويقلبوا أوضاع المدينة على عقب، بينما الرسول انتظر في محاصرتهم حتى ملوا وسلموا أنفسهم ثم أمر بإخراجهم مقيدين من الحصن.

والمنافقون الذين لم يبرزوا رؤسهم في هذه المدة ولم يعلم أين كانوا، جاؤوا فجأة يرأسهم عبد الله بن أُبي إلى الرسول صلى الله عليه وآله وتوسط لهم وقال: يا محمّد أحسن في موالي، فابطأ عليه النبي فقال: يا محمد احسن في موالي، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وآله، فأدخل يده في جيب رسول الله، فغضب رسول الله حتى رأوا لوجهه ظللاً،

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢ : ٢٠٨.

(٢) العنصرية اليهودية٢: ٤١٧.

وقال له: أرسلني ويحك، فقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر، (منعوني يوم الحدائق ويوم بعاث من الأحمر والأسود) تحصدهم في غداة واحدة، إني امرء أخشى الدوائر، فقال النبي ﷺ: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم، هم لك على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها[١].

ثم حاول ابن أُبي تخفيف ذلك الحكم وإبقاءهم في المدينة وألح على ذلك حتى اجتذبه بعض الأصحاب (عويم بن ساعدة) وأبعده عن الرسول ﷺ، فدخل الرسول ﷺ في بيته ومنع الأصحاب ابن أُبي من الدخول، ولكنه أصر على ذلك وهم يمنعوه حتى جُرح وجه ابن أُبي، فلما رأى ذلك بنو قينقاع وعلموا أن الأمر لابد منه، وخافوا زيادة العقوبة نزلوا على حكم الرسول ﷺ وقالوا في أنفسهم لا نريد البقاء في بلدة جرح فيها مثل عبد الله ابن أُبي ونحن غير قادرين على نصرته، فلا نفضل البقاء هنا، وقد انتهى الأمر بهذا النحو[٢].

يعلم من هذا الخبر حصول مناوشات خفيفة مع المنافقين قرب بيت الرسول، ولكان بنو قينقاع مكتوفي الأيدي لم يتمكنوا من نصرة ابن أُبي، وأما إصرار إبن أُبي وتوسطه على تخفيف حكم الرسول ﷺ في الحقيقة هوتلافي لعدم الوفاء لهم بما وعدهم به من النصرة فإنه كان قد بعث إليهم أن أمكثوا في حصونكم فإني سأنصركم، وقد تجلى في هذا الموقف تواطؤ اليهود مع المنافقين بوضوح، كما سنذكر أيضا في أخبار غزوة بني النضير. فإنهم نالوا من عبد الله بن أُبي لأنه واعد بني قينقاع بالنصرة والدفاع عنهم ولكنه أخلف وتركهم لوحدهم.

ولعل سبب مكث بني قينقاع ١٥ يوماً في حصونهم هو ذلك الوعد، عسى أن يسعفهم المنافقون ويبادرون إلى نجدتهم، ولكن لم يتحقق ذلك، ومهما يكن من ذلك فليس من الواضح هل إن ابن أُبي في تلك الفترة توسط أو أرسل

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٠٥، وسيرة إبن هشام ٣: ٧، تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٤٢.

(٢) العلاقات: ٣٠٨، موسوعة التاريخ الإسلامي٢ : ٢٠٦.

إليهم المعدات الحربية أو لا، فهناك حلَق فارغة في هذه الغزوة كثيرة، ولا تكفي الأخبار الموجودة لمعرفة العلل والأسباب.

وفي هذا البين نجد أن سعد بن عبادة أحد رؤساء الخزرج ومن حلفاء بني قينقاع جاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وتبرأ من هؤلاء اليهود الخونة، وخالف ابن أبي في جرأته على النبي صلى الله عليه وآله ولامه[1].

ونقل إبن إسحاق عن الوليد بن عبادة أنّ عبادة بن الصامت جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وتبرأ من اليهود وكل ما اجترموه، لأنه كان رئيس الخزرج ومن حلفائهم[2].

ويأتي السؤال هنا عن سبب قبول النبي صلى الله عليه وآله وساطة ابن أُبي وهِبته بني قينقاع؟ والجواب هو أنه إذا وقفنا على محاسن أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وأنه كان يحسن حتى إلى العدو، وعرفنا مكانة إبن أُبي في المدينة، فقد نجد الإجابة على ذلك السؤال، لأنه كان لابن أُبي نفوذ واسع في المدينة، والمنافقون الذين حوله كثيرون، وقيل إنه بإمكانه تجييش ألف أو ألفين مقاتل، وكان قد حصل قبل ذلك توافق إجمالي بين قبيلتي الأوس والخزرج على ترئيسه، ولما مات طلب أصحابه من الرسول صلى الله عليه وآله أن يكفنه بثوبه، فقبل الرسول ذلك، وقال لأصحابه آمل أن يسلم الكثير، وليس من المستبعد إتخاذ النبي صلى الله عليه وآله ذلك القرار لأجل حفظ وحدة أهل المدينة والحيلولة دون حكومة الهرج والمرج وإخماد حقد المنافقين وكمدهم، فإن أكثرهم كان من اليهود أو حلفائهم من السابق، ولعل ظروف المدينة كانت لا تحتمل إجراء حكم القتل على بني قينقاع رغم استحقاقهم ذلك بنقضهم العهد، ومن الممكن أنه لو تم إجراء الحكم في حقهم وقتل منهم مئات الأشخاص فليس من المستبعد أن يثير ذلك حفيظة المنافقين من حلفائهم فيجردوا سيوفهم بنفع اليهود ويقلبوا أوضاع المدينة على عقب وهذا ما يؤدي إلى ارتداد جماعة من حديثي العهد بالإسلام.

---

(١) العلاقات: ٣٠٨.

(٢) سيرة إبن هشام ٣: ٨.

ومما يستحق الإلتفات إليه أن النبي ﷺ طلب من اليهود أن ينزلوا على حكمه، ولم يعين ما يريده منهم، ولعل ما طلبه ابن أُبي وبادر إليه لا يمثل حكم الرسول ﷺ النهائي، ولعل أراد النبي ﷺ أن يفرض عليهم الجزية، ولكن لما راى دعماً من المنافقين ورأى تعاضدهم في التدبير على الإسلام لم ير الصلاح في بقائهم في المدينة واختار العفو عنهم وإخراجهم ليمتن على إبن أُبي ويكون قد أبعدهم عن المدينة ورحّلهم عنها. ويرى البعض أن حكم بني قينقاع الأول هو القتل، وقد خفف بتوسط ابن أُبي إلى حدّ التبعيد، ولعل هذا هو ظاهر الحال وهو المستفاد من بنود المعاهدة المعقودة، ولكن لا يمكن اليقين بذلك لعدم إنحصار طريق الحل بذلك، فإن من الممكن أن يكون حكمهم إذا لم يدافع عنهم المنافقون ولم ينهض ابن أبي لحمايتهم لم يبلغ حد التبعيد، بل كان يتم بمجرد التعزير أو كما قيل تُفرض عليهم الجزية لا أكثر.

ينبغي الإلتفات إلى أن حال بني قينقاع يخالف حال سائر الجماعات اليهودية، فإنهم كانوا أقرب إلى المدينة من غيرهم، واشتغالهم بالصياغة وتجارة الذهب والفضة يحسن أحوالهم، ومع الإلتفات إلى ثرائهم ومكانتهم الإقتصادية لا تتصور منهم هذه المجازفة والمخاطرة، فلابد من إحساسهم بالقدرة على مواجهة الرسول لوجود الدعم والضمان من الآخرين، ولا نعلم ماذا وعد لهم المنافقون أو قريش، وما هي ضماناتهم لهم وما هي خطتهم ولماذا التجأوا إلى الحصون ولم يحاربوا خارجها، هل كانت القلاع تحصنهم وتنجيهم من الخطر؟ قد تكون هناك خطة قد رسمت من السابق، وهي: عندما تشرع الحرب مع اليهود وينشغل الرسول ﷺ بهم يطعنه ابن أُبي والمنافقون من الخلف ويفك الحصار ويلتحم القتال، وهناك تعلم فراسة الرسول ﷺ وأنه ساس القضية بنحو لم ينجر الأمر الى القتال و لم يتمكن المنافقون من مدد اليهود ولا شك أن صبر اليهود على الحصار ومقاومتهم الطويلة ينتظرون في ذلك تحقق وعد المنافقين يحكي عن وجود تصميم قاطع من قبلهم للخروج بنتيجة قطعية من تلك المواجهة، وتحقيق ما لا تتمكن قريش من تحقيقه في بدر، يعني قتل الرسول ﷺ وإنهاء أمره .

ولكن إحجام ابن أبي قد أفشل خطتهم، فكان إصرار ابن أُبي وتصلبه في المطالبة بالتخفيف دليل على أنه كان قد غدر ببني قينقاع وأضر بهم ضرراً كبيراً وهو يريد تلافي ذلك الغدر وجبر ذلك الضرر بنحو من الأنحاء.

والذي يلفت النظر ويحتاج إلى دراسة العلل والأسباب هو عدم تمكن اليهود من تحقيق النصر من أول مواجهة مع قلة عدد المسلمين.

والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه لماذا لم ينضم بنو قريظة والنضير إلى بني قينقاع في هذه المواجهة ولم يسعفوهم، ولماذا لم تهزهم العاطفة اليهودية وتدفعهم إلى ذلك؟ خصوصاً وأن ذلك عار لحق اليهود لم يلحقهم مثله من قبل، فقد أُخذوا مقيدين بالأصفاد وأخرِجوا من قلاعهم، هل إن سائر الطوائف اليهودية ظلت ملتزمة بالعهد مع الرسول ﷺ أو كانوا يتوقعون عاقبة ذلك التحرك من قبل وعلموا أن دفاع بني قينقاع لا يعد و كونه عبثاً، أو أن هيبة الرسول ﷺ لم تسمح لهم بذلك؟ او أن الخلافات الداخليه في الجسم اليهودي جعلتهم متفككين الى هذا الحد إحتمالات.

وأتصور أن تشتت الطوائف اليهودية وانعدام العاطفة فيما بينهم كاده قد وصل إلى حد أنهم لم يساعد بعضهم البعض في شيء من تلك الحوادث، ولم يكن لرؤساؤهم تلك القداسة والدّيانة حتى يدافعوا عن حريم الملّة والدّين، فإن حميتهم الدينية تذكرنا بقوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾.

فليس هناك سوى الحسد وطلب الرئاسة وكل تحركاتهم تصب في هذا المصب، فلا يتوقع من الطوائف اليهودية الأُخرى أن يهبوا لمساعدة إخوانهم ويخاطروا بحياتهم الدنيوية من أجل الآخرين، والعهد الذي كان بينهم وبين الرسول ﷺ هو ذريعة مناسبة لتجنبهم ذلك، ولما كان بنو قينقاع يعلمون أخلاق أهل ملتهم لم يعتمدوا عليهم وإنما اعتمدوا على المنافقين وهم أيضاً آيسوهم، ولم

يبق لهم من أجل الحفاظ على حياتهم سوى التسليم للرسول ﷺ، فاختاروا ذلك[١].

والذي يؤسف له أن بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام يذهب إلى أن الرسول ﷺ إنما هاجم بني قينقاع طمعاً في ثرواتهم، - فإنهم كانوا يشتغلون بالذهب ولهم أموال طائلة والمسلمون كانوا في شدة وضيق واليهود تحت أيديهم - فلذلك أمر المسلمين بذلك[٢]، وهذا الكلام يبعث على السخرية وهناك أدلة على بطلانه، أولها: أن الرسول ﷺ يعمل بوحي من الله، ويمتثل ما يأمره به، وثانياً: لم يكن مصيرالحرب معلوماً من السابق، فقد تكون الغلبة لليهود من أجل شجاعتهم المعروفة وقلة عدد المسلمين فلوكان اليهود يعلمون بالانكسار لم يقدموا على ذلك، وثالثاً: لم يكن حكم الرسول معيناً من السابق، فلو كان بنو قينقاع قد نزلوا على حكم الرسول ﷺ قبل المحاصرة أو صالحوا بعد المحاصرة كان بإمكانهم البقاء في المدينة، فإن الآية اللاحقة: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ** ﴾[٣] كانت تسمح للرسول ﷺ بذلك. ورابعاً: أن إعلان الحرب كان من قِبَل اليهود، فهم الذين تحصنوا في قلاعهم وكانوا مطمئنين بالتغلب على الرسول ﷺ، وخامساً: فإن بني قينقاع لم يمنعوا سوى عن أخذ السلاح معهم وقد أخذوا أموالهم معهم حينما غادروا المدينة وهو مسموح لهم، وإنما تركوا السلاح وما لا ينقل من الأموال، أي : الشيء القليل الذي لا يكفي المسلمين و لا يرفع إحتياجاتهم، وسادساً، كانت غنائم بدر كافية للمسلمين في ذلك الوقت.

ولو لم يكن شيء من ذلك فإن الرسول الذي كان في معتقده ومما أُوحي إليه أنّ﴿ **لله ما في السموات والأرض * ولله ملك السموات والأرض * وإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين * لا نسألك رزقاً نحن نرزقك**﴾ لم يكن يفكر في طرق

---

(١) العلاقات: ٣٠٩، تاريخ اليهود في بلاد العرب:٩٩، ١٠٠.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٤٠.

(٣) الأنفال: ٦٤.

تقوية المسلمين، لأنه أقدم بيد خالية وبالاعتماد على الله سبحانه على حرب قريش وما راعه ذلك، وقد نصره الله سبحانه، في تقوية المسلمين، فإذا إفترى على الرسول مثل ولفنسون أو فكر فيه، فلأجل أنه لا يعتقد بالمعنويات والإيمان بالله القادر المتعال مالك الأرض والسماء والمهيمن عليهما، ولا يرى سوى الأسباب المادية.

وبعدما حكم الرسول صلى الله عليه وآله بخروج بني قينقاع، كلّف عبادة بن صامت بترحيلهم، فأمرهم عبادة بحمل الأحمال والأمتعة والخروج من المدينة، فخرجوا إلى وادي القرى في المرحلة الأُولى، ومكثوا هناك فترة، على أمل الرجوع إلى المدينة، ولكن بعد غزو الطوائف اليهودية الأُخرى، يئسوا من ذلك وتوجهوا إلى الشامات[١]، وقيل: إن جماعة منهم توجهوا نحو العراق، وقيل وقع بينهم الموت على أثر مرض مسرٍ فهلكوا جميعاً.

وغنم المسلمونَ ما تبقى من أموال اليهود مما لم يمكنهم حمله، فعزلوا خمسه وقسموا الباقي بين المجاهدين وهي أول غنيمة يدفعون خمسها، واصطفى الرسول صلى الله عليه وآله لنفسه منها ثلاثة أقواس ودرعين وثلاثة سيوف وثلاثة رماح[٢].

وكان في هذه الحصون أسلحة كثيرة، وبعض أدوات الصياغة والصباغة التي لم يأخذوها معهم، هذا وقد تصدّى محمد بن مسلمة لجمع تلك الغنائم[٣].

والسؤال الذي ظل بغير إجابة، هو عدم تدخل مخيريق اليهودي رئيس بني قينقاع والموقّع عنهم في عهد الموادعة مع النبي صلى الله عليه وآله في هذا الأمر، وأنه قد كان يحب النبي صلى الله عليه وآله فكيف ترك قومه يعملون هذه الجرأة وينقضون العهد، فليس في الأخبار الموجودة منه ذكر ولا خبر، هل كان قد تبرأ من اليهود واليهودية في تلك الفترة وأسلم؟ وحينما كان يشوق يهود بني النضير للمشاركة في معركة أُحد قيل له: اليوم يوم السبت ولا يُعمل في السبت شيء فقال: ليس بعدها سبت، يستفاد

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٠٧.

(٢) العلاقات: ٣٠٩.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٠٦، ٢٠٧.

من ذلك أنه أسلم وأنه لما اشترك في معركة أُحد واستشهد فيها قال رسول الله ﷺ فيه « مخيريق خير يهود »[١]، يستفاد من هذا الخبر أنه كان على اليهودية حتى معركة أُحد.

ولو كان قد أسلم قبل ذلك لتبرأ من اليهود كما فعل سعد بن عبادة، ولكن لم يبلغنا ذلك، ولكن تواجده في المدينة إلى زمان غزوة بني النضير مع أن قبيلته كانت قد رحلت قبل ذلك بمدة يعدّ قرينة على إسلامه، ولكن لا يعلم متى أسلم بالدقة.

آثار الغزوة

كانت هذه الغزوة مهمة من عدة جهات أولها: أنها كانت بعد شهر من معركة بدر، وقد ضاعف الانتصار فيها عزة الإسلام والمسلمين كما زادت من قوة الرسول ﷺ وشوكته في عيون قريش واليهود وسائر الناس، وقد أسلم على أثرها جماعة من اليهود، فتراجع عزم المناوئين.

وثانياً: كان تواجد اليهود بما ينطوون عليه من الخيانة لا يجتمع مع أمن المدينة، ومع ترحيلهم صار الداخل أكثر أماناً.

وثالثاً: كانت علاقة اليهود والمنافقين الحميمة وارتباطهم السري مع بعضهم سبباً للمشاكل ومع ذهاب اليهود غلّت يد المنافقين بعض الشيء وتحددت مساعيهم، فصاروا في اضطراب وأخذوا يحسون بالوحدة لأن أكثر المنافقين هم

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب:١٤٤ و قال ابن هشام ٣ : ٤١في سنة ثلاث قد وقع غزوة احد وفي هذه الغزوة خرج مخيريق اليهودي في السبت وقال: يا معشر اليهود والله لقد علمتم ان نصر محمد لحق عليكم ثم أخذ عدته وسيفه فقال: ان اصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا الى النبي ﷺ فأسلم وكان معه حتى قتل، فقال رسول الله فيه : مخيريق خير يهود فكانت صدقات النبي منها.

موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٢٧٣ . قال: إن مخيريق من يهود بني ثعلبة بن فطيون، وعلى رأي بعض أنه كان من بني النضير.ولعله استفاد من خبر أنه وعظ بني النضير للشركة في غزوة أحد.

من يهود بني قينقاع الذين أسلموا في الظاهر، واضطر عبد الله بن أُبي للتعاطف مع بني النضير مع أنه كان من حلفاء بني قينقاع.

رابعاً: إنتقال بني قينقاع حدى بالجماعات المسلمة للاستقلال الإقتصادي و الاكتفاء الذاتي وتبدلت مظاهر التجارة في المدينة، لأن اليهود كانوا قد بنوها على التجارة الربوية لسنين متمادية.

خامساً: جرب المسلمون محاصرة قلعة العدو وهذا النحو من الحرب لأول مرة، وقد استفادوا من هذه التجربة في محاصرة بني النضير وخيبر.

ردود فعل اليهود بعد جلاء بني قينقاع

إن انتصار الرسول ﷺ على بني قينقاع شوّش أفكار سائر اليهود وجعلهم يفكرون في طريق الخلاص، غير أنهم لم يروا الصلاح في نقض العهد بالهيّن خصوصاً مع عدم وجود توافق بينهم من هذه الناحية، بل ظل قول الله سبحانه ﴿قلوبهم شتى﴾ مشهوداً طوال تلك المدة.

ومن ناحية أخرى فإن تواطؤهم مع قريش للإطاحة بالنبي ﷺ وقلب أوضاع المدينة وغيرها من أعمالهم الغادرة لم ينته بانتهاء غزوة بني قينقاع، بل زاد من حدتها وصار يبرز ويشتد بمرور الأيام.

ومن تلك الموارد ما فعلته العصماء بنت مروان من بني أُمية وهي من النساء الشاعرات وكانت يهودية، حيث تألمت كثيراً لترحيل بني قينقاع وقالت شعراً هجت فيه الرسول ﷺ والمسلمين، وفي المقابل فإن المسلمين الذين وجدوا آثار الجهاد المعنوية لم يترددوا في التضحية في طريق الحق، وكانوا على استعداد للقضاء على كل معاند حتى لو كان من قبيلتهم وقومهم، ويظل المنسق للسلوك العام والمعين للمصلحة يتمثل في ذات الرسول ﷺ لأن المسلمين يتلقون وظائفهم ويستنبطونها من أقواله وأفعاله المحفوفة بالقرائن وملاحظة الظروف، ففي قضية أبي عفك نجد أن واحداً من جديدي الإسلام من قوم أبي عفك نهض ليُنهي عداءه المستمر للرسول وإساءته فقتله.

وكذا بالنسبة للعصماء فقد تصدى لها رجل باسم عمير بن عدي من بني خطمة وكان زوج العصماء من بني خطمة ايضا فقتلها[1].

ولا يحدث تصور عند القارئ أن هذا القتل وأمثاله كان يحدث ببساطة وخال من العواقب والتوالي، بل كان صعباً جداً وبحاجة إلى التفاني، ولكن المسلمين في هذه الظروف كانوا بشجاعتهم وشهامتهم يتحملون كل تلك المصاعب، وكانوا يتمتعون بالحماية من الرسول صلى الله عليه وآله وأتباعه.

ويرى البعض أن قتل أبي عفك كان في هذا الظرف، أعني بعد غزوة بني قينقاع، فإذا كان ذلك حقاً فإن من الواجب أن يُجعل هجاؤه وسبابه كردٍّ فعلٍ على غزوة بني قينقاع.

ومن الأعمال العدائية لليهود هي خصومة كعب بن الأشرف اليهودي رئيس بني النضير مع النبي صلى الله عليه وآله، لأنها تضاعفت بعد هذه الغزوة، ومن الأفضل أن نترك التعرض لها في هذا الموضع ونتعرض لها بعد معركة أُحد.

محاولات المشركين بين بدر وأُحد

كانت هناك محاولات وخطط تستهدف الرسول والمسلمين لا تخلو من تورط اليهود فيها. خصوصاً مع ما حدث في بدر وانكسار قريش فإن من الواضح أن

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٣٦١ - باب قتل ساب النبي : نقل الطبرسي عن كتاب أبان، لما غزا رسول الله حمراء الأسد وثبت فاسقة من بني خطمة يقال لها العصماء أم المنذر تمشي في مجالس الاوس والخزرج وتقول شعرا تحرض على النبي صلى الله عليه وآله، ولم يكن يومئذ في بني خطمة مسلم الا واحد يقال له عمير بن عدي، فلما رجع رسول الله، غدا اليها عمير فقتلها وأيده رسول الله، والاقوال في هذه الحادثه كثيره خصوصاً من المستشرقين، ولو كانت عصماء يهودية فهي من مفردات ما قاله الواقدي، واظهرت اليهود القول السيء فقالوا ما محمّد الا طالب ملك، أصيب في اصحابه واصيب في بدنه وما أصيب هكذا نبي قط، فقام عمر يستأذن في قتل من سمع ذلك منه من اليهود والمنافقين، فقال رسول الله يا عمر !ان الله مظهر دينه ومعزّ نبيّه ولليهود ذمّة فلا اقتلهم، فقال عمر: فهولاء المنافقون يا رسول الله، فقال: أليس يظهرون ان لا اله الا الله وأني رسول الله، أقول في هذه عبرة وتذكر لعمر وغيره وشاهد على وفاء الرسول العهد مع اليهود .

مثل أبي سفيان وكبار قريش الآخرين لا يمكثون مكتوفي الأيدي، فقد دعا صفوان عميَر بن وهب الجمحي إلى بيته في مكة، وطلب منه اغتيال الرسول وعرض عليه خطته، وتعهد عمير بالمشاركة وسافر فاتخذ ذلك ذريعة للسفر إلى المدينة، فدخلها بتلك الحجة وطلب ملاقاة الرسول صلى الله عليه وآله كي ينفذ خطته، فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله سأله النبي :ماذا جاء بك إلى المدينة؟ فقال: جئت لرؤية ولدي وهو أسير عندكم، فقال له: كذبت، جئت لقتلي، والدليل هو الخنجر الذي خبأته في كمّك، فقال عمير: صدقت، وأنا الآن علمت أنك رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وبذلك أسلم فأمر الرسول صلى الله عليه وآله بفك ولده، وأوصى البعض بأن يعلّمه آيات من القرآن ويعلمه الأحكام الشرعية، ثم لبث عمير فترة في المدينة ثم استأذن الرسول صلى الله عليه وآله في العودة إلى مكة حتى يدعو الآخرين إلى الإسلام[1].

لاحظ أن هذا العدو اللدود للنبي صلى الله عليه وآله الذي جاء لقتله وقطع مسافة بعيدة من أجل ذلك، بمجرد إخباره بخبر واحد غيبي ينقلب إلى ناصر ومحب للنبي صلى الله عليه وآله ويصبح من المبلغين والناشرين للإسلام، فما هو هذا التحول.

و قد تكرر مثل ذلك طول حياة الرسول صلى الله عليه وآله مرات و مرات، و العجيب أن المستشرقين مع نقلهم مثل هذه الوقائع والحوادث الخارقة للعادة لم يكترثوا بها ولم يعتبروا بها ويصرون على تفسير أكثر الوقائع بمنظار مادي.

والمحاولة الأُخرى هي قدوم أبي سفيان مع جماعة للغارة على المدينة ليلاً، فلما صاروا على مقربة من المدينة قال أبو سفيان لأصحابه: امكثوا هنا حتى أذهب إلى المدينة وأرجع، فدخل المدينة مساءاً وذهب إلى دار حيي بن أخطب رئيس اليهود، فلم يستقبله ابن أخطب لأي علة ولعله يخالف مفاد الميثاق مع النبي فالتجأ إلى سلام بن مشكم من بني النضير، فاستقبله سلام وتكلما طويلاً، ولعل أبا سفيان أراد الإطلاع على أوضاع المدينة وأن يعرض موضوع الغارة على اليهود وينسق معهم، ومهما يكن من ذلك فقد رجع أبو سفيان بعد ساعات إلى أصحابه، وقيل:

---

(١) البحار١٩: ٣٢٦، سيرة ابن هشام٢: ٢٣٧، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٠٨، ٢٠٩، العلاقات:٣١١.

إنه لما رجع بعث جماعة من قريش للإفساد فقاموا بقتل واحد من الأنصار وحليفه خارج المدينة وحرقوا داره[١].

وقد تابع النبي ﷺ هذا الأمر في تلك الليلة وبعث جماعة وراء جيش قريش فلم يجدوا سوى سويقاً على الأرض، وبذلك عرفت بغزوة السويق[٢].

ويبقى استقبال سلام لأبي سفيان في تلك الليلة هل يُعدّ من نقض العهد أولا؟ فلم ينقل عن الرسول ﷺ أنه وبخ سلّام على ذلك العمل، خصوصاً وأننا سنجد أن سلام نهى حيي بن أخطب عن نقض العهد في غزوة بني النضير كما سيأتي. ولكن يعلم من عدم استقبال حيي بن أخطب لأبي سفيان، وعدم ادخاله في داره والحال أن قريشاً في حرب مع الرسول ﷺ فلأجل أن استقباله يقتضي نقض العهد، ولذا يرى بعض المحققين أن ملاقاة سلام مع أبي سفيان تعد خيانة ونقضاً للعهد[٣].

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢١٩.

(٢) العلاقات: ٣١١.

(٣) العلاقات: ٣١٧، وجاء في هامش موسوعة التاريخ أن خيانة اليهود هذه كانت للمرة الثانية.

الكلام الثاني

اليهود في القرآن أواسط الهجرة

نزلت آيات كثيرة في سور متعددة في أواسط الهجرة حول أهل الكتاب واليهود، والكلام فيها جميعها غير ممكن لأنه يؤدي إلى الخروج عن موضوع الكتاب، لذا نكتفي بآيات من سورة الأنفال وسورة آل عمران.

كان نزول هاتين السورتين بعد حسم نتيجة الحرب في بدر ومقارناً لمعركة أُحد وغزوة بني قينقاع وبعض السرايا الأُخرى، فالقرآن يتكلم في هاتين السورتين عن تواجد المنافقين وارتباطهم بالمشركين وباليهود، ويفصح عن تداوم عداء اليهود وعنادهم ومجابهتهم تبعاً لما جاء في سورة البقرة، ويؤكد أيضاً على صفاتهم الرذيلة وأخلاقهم المذمومة التي جاء ذكرها أو ذكر ما يشابهها في سورة البقرة، مما يدل على استمرار أفعالهم غير المرضية وتداومها.

وقد كانت تلك الأعمال مثل الإعلام المعادي القرشي واليهودي والكيد للمسلمين واستعمال المكر وتشجيع قريش لإرسال الجيش من مكة وتحريك أعراب البادية وغيرها تترك أثرها على أجواء المدينة و تقلق المسلمين، من طرف آخر كان سطوع آيات القرآن وبشائره يصقل قلوب المسلمين ويقويها، ويبعث على السكينة والهدوء.

وكذا فإن إقامة الصلاة مع الرسول ودور المسجد واجتماع المؤمنين الحافل، كل ذلك يقوي الروح الجهادية وروح التضحية لدى المسلمين، كما عكست هاتان السورتان انتفاع المسلمين بما يغنمونه من الغنائم بشكل موجز.

وما زال المجتمع الديني مشمولاً للألطاف الإلهية ببركة النبي صلى الله عليه وآله ولا يزال يحظى بالعناية الإلهية الشاملة، فتزداد عزتهم وارتفاعهم، وبالعكس فإن عدوهم كان يتقهقر ويصيبه الخزي. وبحق فإن ذلك المجتمع كان حياً ومترقياً، ولم تشهد البشرية في تاريخها الطويل مجتمعاً بهذا الحد من الحيوية والنشاط وسرعة الرقي،

ولكن وللأسف ما أن ارتحل الرسول ﷺ وانقطع الوحي توقف ذلك الرشد وانحرف مسيره عن الطريق الإلهي المرسوم.

فلابد من دراسة سورتي الأنفال وآل عمران بدقة متميِّزة وسليقة مفعمة، فإن آيات هاتين السورتين تمثل منشوراً يتكفل تطور مجتمع المدينة يومذاك والمجتمع الإسلامي الناهض من جهات مختلفة اقتصادية وأمنية وفي مجال تنظيم الروابط الإجتماعية والأهم من جميع ذلك تركيز الأسس الإعتقادية وفضائل الأخلاق والسلوك الروحي ولم تنحصر وظيفة هذه الآيات في الجانب التعليمي والإرشادي خصوصاً مع ملاحظة تواجد النبي ﷺ ومسارعته إلى تأدية الوظائف الفردية والإجتماعية بحيث صارت تضمن جانب التطبيق العملي وتتحكم في أعمال المسلمين وسلوكهم، ونحن سنتابع في المباحث اللاحقة علاقة هذه الآيات باليهود وآثار تواجدهم في مجتمع ذلك اليوم ونشير إلى تطبيقاتها على مجتمع اليوم وكيفية اجرائها.

سورة الأنفال

قلنا إن نزول هذه السورة كان مقارناً لوقوع بعض غزوات النبي ﷺ وفي ذلك الحين كان المجتمع في المدينة بحاجة إلى قوانين ومقررات تضمن التصدي لتعديات قريش ونقض أهل الكتاب عهودهم، وكذا تبين حكم الغنائم التي يغنمونها في الحروب، كل ذلك بحاجة إلى تدوين نُظُمٍ جديدة يضمن اجراؤها الأمن والعدالة الإجتماعية، وترفع المستوى الثقافي للمجتمع.

كما أن وجود المنافقين المتأسلمين في وسط المجتمع الإسلامي يشكل خطراً جاداً، إلا أن نزول الآيات التي تفضح أعمالهم وسلوكهم المشابة لسلوك اليهود كان له الأثر الكبير، خصوصاً وأنها تكشف النقاب عن روابطهم مع المشركين، الأمر الذي كان يضاعف من إنزجار المسلمين منهم وبالخصوص فإن كيفية بيان ذلك وتوضيح معنى النفاق وطريق معرفة المنافق، له أثره البالغ في إبطال مفعول وساوسهم وأعمالهم المغرضة.

كما تتكلم آيات هذه السورة عن العون الإلهي والإمداد الغيبي، الأمر النافع لتعزيز الروح المعنوية عند المسلمين والذي يؤدي إلى تقوية صفوفهم القتالية كما أن الرعب والخوف الذي ألقاه الله سبحانه في قلوب قريش واليهود قد سلبهم قدرة المقاومة وحتى القدرة على التخطيط والتفكّر، فكان بيان هذه الأسرار يعزز من موقف المسلمين ويرجح كفة النصر إلى جانبهم.

وأما الجانب الروحي، فقد نزلت آيات من هذه السورة تعتبر الأموال والأولاد فتنة وتنهى عن التعلق بهما، وتجعله بمثابة عبادة الأصنام ان كان في عرض حب الله سبحانه، كل ذلك كان في مجتمع إذا افتخر افتخر بالأموال والأولاد، تريد له أن يتسامى ويتلقى دروساً في الإخلاص والتوحيد ليترقى في مراقي التقوى الإلهية، وتأخذ بالمسلمين إلى المقامات العالية حتى تبلغهم إلى درجة من الفرقان وهي الموهبة التي أُكرم بها الأنبياء العظام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[1].

والمثير للدهشة في هذا البين سرعة ذلك التحول، فإن رفع الإنسان في ظل التعاليم الإسلامية من حضيض الكفر والجهل إلى قمم التوحيد والمعرفة في مدة قصيرة بحيث يجعل ذلك الإنسان الجاهل قادراً على درك المعاني العرفانية الرفيعة بل يتذوقها ويلمسها من أعجب العجب.

كما تجد السر في توفيق الإنسان مهما كانت مرتبته في الكمال في هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]. فهي توصي بالصبر والإستقامة في مجال

---

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) الأنفال: ٤٥و٤٦.

إطاعة الرسول، لأن ذلك لازم وخطير جداً بالنسبة لمجتمع ذلك العصر الذي يمثل جماعة كانت عاكفة على عبادة الأصنام ولهم رسومهم وعاداتهم صاروا يتركون تلك السنن والرسوم التي كانوا عليها لعدة قرون، ويسيرون في مسير التوحيد وجماعة أُخرى من اليهود والنصارى الذين كان لهم ثقافة دينية مختلفة، أقبلوا على هذا الدين الجديد و هم يريدون التأقلم معه، وفي هذا الحال فإن المنافقين المتبعين للأهواء والوساوس الشيطانية كان بإمكانهم أن يزلزلوا مجتمع المدينة ويقلبونه على عقبه، ومعه فإن حفظ ذلك التعادل لم يكن بذلك السهل إلا مع الإعتماد على الأصل الأول يعني القيادة الحكيمة، والطاعة لها، واتباع الرسول الأمين والكتاب المبين.

ولا زال التنازع والإنقسام هو الآفة التي تهدد عزة المسلمين واقتدارهم وتجعل أُمورهم في أيدي المنافقين يميلون بهم كيف شاؤا. ونحن نجد أن هذه السورة توضح دور اليهود وكيفية إثارتهم للشكوك في الأُصول الإعتقادية والأحكام الفرعية في هذه المرحلة من تاريخ الإسلام أنظر الآيات (٤٩ _ ٥١) بدقة، وفي الآيات (٥٢_ ٦٠) من هذه السورة يذكر القرآن لأجل ثبات المؤمنين ومقاومتهم مثالين، واحداً منهما مثال آل فرعون وعمله وهو الشيء الذي نجده بوضوح عند اليهود الكفار، ذلك التشبيه الذي ذكر فيهم عدة مرات في هذا الكتاب المقدس:

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾.[1]

---

(١) الأنفال: ٥١-٥٤.

فيهود زمان النبي صلى الله عليه وآله الذين رفعوا راية المخالفة مثل الفراعنة اللذين خالفوا رسولهم وعاندوه وهكذا ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ يجعلهم في صف اولئك الظلمة، ثم إن نقض بني قينقاع صار يأخذ قالبه الخاص كما قال: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾.[1]

تصف هذه الآيات الأشخاص الذين انتهى أمرهم إلى أسوأ حال واستعاضوا الإيمان والنور بالكفر والجهالة، وقد نقضوا العهد الذي طالما أبرموه ووكدوه، وكان من هؤلاء جماعة من بني قينقاع، وبالطبع فإن الله سبحانه لا يحب الخائنين ولا يصلح أعمالهم، عبّر عن ذلك بكلام الوحي البليغ الذي لا يتصور أفضل منه وأصرح يعرّفنا حال اليهود الكفرة، ويبين وظائف المسلمين تجاههم في كل عصر وزمان، فعلى المسلمين أن يعدّوا العدة ويتجهزوا لمقابلة هؤلاء الأجلاف وأن يقووا مواقعهم ويحرسوا ثغورهم الإعتقادية والأرضية، وأن يعرفوا أعداءهم، كي يسلبوهم فكرة التعدي والتجاوز، فإن الإسلام يعني نفي الكفر، فيجب اتخاذ الحذر لأن سوق الكفر اليهودي مازال عامراً إلى أن يشاء الله سبحانه.

ولا ينبغي للمسلمين أن يطرحوا أسلحتم وينامو ملء جفونهم، فإن اليهود يترصدونهم في كل زمان وبأنحاء مختلفة كي يسددوا الضربة للمسلمين، وعلى المسلمين أن يدافعوا عن دينهم ويحمونه في كل زمان بحسب مقتضياته :﴿ . وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[2].

---

(١) الأنفال: ٥٥-٥٩.

(٢) الأنفال: ٦٠.

فإن أعداء الدين يتلونون بكل لون لينفذوا في الصف الإسلامي ويطعنونه من دون أن يكون بشكل ظاهر ومعلن ولا يعرفون في بعض الأحيان، ولكن الله يعلم بهم، فلابد من الإستمداد من الله :﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[١]، كما أنه سبحانه عالم بمن يسعى في سبيله وينفق أمواله في ذلك السبيل، وسيخلفه له ويثيبه عليه: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٢].

وكما هو واضح فإن الرسل ليسوا أهل إنتقام، بل هم مسالمون يدعون إلى الصلح ما أمكن، وليس لهم حرب مع أحد إلا إذا أراد ذلك الإنسان الحرب :﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٣].

ولما شاهد بنو النضير مصير بني قينقاع الأسود مدّوا يد الصلح وطلبوا تجديد العهد، فأذن الله سبحانه لرسوله أن يتوكل على الله سبحانه ويأتيهم من باب الصلح، لأنه لا اعتماد على أقوالهم وعهودهم، ويحتمل أن يكون ذلك مجرد مكر وحيلة: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] ولا شك أن الآيات السابقة مليئة بالأسرار، لأنها تخبر عن أُمور سرعان ما ستظهر للجميع، ولو أمكن خداع الرسول وتفريق أصحابه عنه، فلا يمكن خداع الله، لأنه قادر على تشتيت اليهود وإيقاع الفرقة بينهم وفي المقابل يؤلف قلوب المؤمنين ويوقع الصلح بينهم لتلتحم قلوبهم، الأمر الذي لا يتحقق بدون إرادته حتى لو أنفق الرسول جميع ما في الأرض[٥]، وسرعان ما ستضم المدينة مجتمعاً يبلغ مائة ألف نفر من طوائف

---

(١) الأنفال:٦٠.

(٢) الانفال: ٦٠.

(٣) الأنفال:٦١.

(٤) الأنفال: ٦٢.

(٥) أُفق هذا الكلام وسيع جداً وفيه الأرضية للبحوث التخصصية في العلوم الإجتماعية وعلم الأنسنة.

وأديان مختلفة، أقبل جميعهم على الإسلام وصاروا في صف واحد من أجل رب واحد، مستعدين للجهاد والتضحية.

نعم فإن محورية الرسول صلى الله عليه وآله ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام تتمكن من تشكيل هكذا مجتمع ديني لتوصله إلى المحل المقصود، لأن الله سبحانه وَعَدَ أن ينصر أولياءه ويعينهم، ولكن وللأسف الشديد سرعان ما تناسى الناس عهدهم مع نبيهم نبي الرحمة وتركوا ولي الله وتفرقوا وتشتتوا: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

سورة آل عمران

تشرع هذه السورة بالحديث عن نزول التوراة والإنجيل، وتحصي أسباب هداية البشر على مر التاريخ وتشير إلى أن البشر لم يخلُ من كتاب ولامنشور سماوي، والمفروض أن يقبل الهداية على الدوام، وهؤلاء الذين يكفرون بالرحمن لهم عذاب أليم، فهذه الآيات تخاطب أهل الكتاب واليهود الذين يستحبون الكفر ويكفرون بنعمة الرسالة، بأن الله لم يغفل عنهم ويعلم سرهم ونجواهم وصغير أمورهم وكبيرها ولا يخفى عليه شيء.

هذا وقد شبهت هذه الآيات مقاومة أهل الكتاب الدخول في الإسلام بكفر آل فرعون، وما زال يتكرر هذا المثل، ويذكرهم به القرآن مرات عديدة، ويقول إنّ حال هذا الرسول كحال موسى، وأن إنكار نبوته مثل كفر الفراعنة، ولا يصعب على أهل الكتاب فهم هذا المعنى، كل ذلك يحكي عن إنزجار النبي صلى الله عليه وآله وتألمه لإصرار هؤلاء القوم على الكفر ومقاومتهم للإنخراط في الصف الإسلامي الناشط[2].

---

(١) الأنفال:٦٣.

(٢) يروى أن الآيات ١٠- ١٣من هذه السورة نزلت في شأن يهود بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير، التبيان٥٤: ٤٦، مجمع البيان٤: ٨٥٠.

ثم إن أوضاع المدينة صارت بحال تقتضي بذل الجهد والتضحية بالنفس، ولابد للمؤمنين من قطع علائقهم الدنيوية ورغبتهم فيها، ولابد من بيان شرف الجهاد في سبيل الله ومقام المجاهدين، وفي هذه الظروف الصعبة فإن ثروات أهل الكتاب قد تكون فتنة يفتتن بها المسلمون، وإن وجود الأثرياء الذين يحترمون لأجل أموالهم ويرون أنها تصون شرفهم وتبني عزهم وتحفظ كرامتهم، يمنع من تحقق ذلك الأمر، فلابد من تكريم أهل الحق والتعريف بهم كي تتميز الوجوه المزيفة وتنجلي الظلمة بنور الحقيقة.

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾[1].

يجب أن يعلن لجميع العالم أن دين جميع الأنبياء يصب في صراط مستقيم واحد، ويرتبط بالله ويربط بين والمبدأ والمعاد والدنيا والآخرة، والجسم والروح، ويتساوى إنسان اليوم وإنسان الأمس في مسيرالكمال والقرب والعبودية، كما وترد هذه الآيات على اليهودية والنصرانية وتخبر عن منشأ الإختلافات الموجودة فإنها تنشأ من البغي والحسد، كماوتصرح بأن دين موسى وعيسى هو الإسلام، ذلك الدين الذي ينطوي على التسليم والرضا: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

(١) آل عمران: ١٤-١٧.

﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].

فهي تبيّن هذا المعنى، وهو عدم وجود إجبار لقبول هذا الدين، وليس على الرسول سوى إبلاغ الرسالة وتعليم أتباعه التسليم والرضا، وتشترط على من يريد الإحتجاج على اليهود والنصارى رعاية أمرين مهمين الأول اللين في الكلام، والثاني عدم إكراههم على قبول الإسلام.

والمتصور عدم نزول آية إلى هذا الحين تبيح قتال أهل الكتاب، حتى مع عدم صدور شيء من أهل الكتاب غير الكفر والنفاق والأذى والألم، وإن كانوا دائبين في مساعدة المشركين في مجال الوقوف أمام الرسول ومعاداته.

ومن الشواهد على كفرهم إضافة على إنكار القرآن أنهم أنكروا أحكام التوراة، لما جاؤا إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم بكتابهم، ولكنهم أنكروا ما حكم به لما سمعوه ولم يرتضوا به: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[2].

والنقطة المهمة هي أن القرآن يشير في مجال بيان علة ذلك إلى أمر أساسي ويطرح معادلة مفادها أن كل من يقبل القيامة ويؤمن بها في الواقع، فهو يقبل كلام الرسول ﷺ ويؤمن به، فالمنكر به في الحقيقة هو منكر للقيامة والبعث، فهذا أصل وقاعدة قرآنية هامة جداً تدعو إلى التأمل.

---

(١) آل عمران :٢٠.

(٢) آل عمران :٢٣.

فماذا العمل وهؤلاء القوم لا يخافون القيامة، وكأنهم يرون أنهم لا يعذبون إلا أياماً فتمادوا في طغيانهم، ومن ذلك يظهر بوضوح مدى تأثير الإعتقادات النظرية على السلوك والسيرة العملية [١].

هذا وقد حان الوقت لأن يمنع الرسول صلى الله عليه وآله المؤمنين من معاشرة اليهود الكفرة، وأن يتركوا الاعتماد عليهم بل يخرجوا حبهم من قلوبهم، ولعل هذه أول آية تحمل هذا المعنى بهذه الصراحة، وبالطبع فإن ملاحظة التلاحم الموجود في مجتمع المدينة يومها والروابط العائلية والإجتماعية وحتى التجارية بين المسلمين واليهود، نستفيد ذلك من الآيات التي تطرح مسألة التقية ورعاية المصالح في الكلام.

وكان المسلمون على أثر ذلك يرغبون في دخول أهل الكتاب في الإسلام، ولكن المنافقين الحاقدين استغلوا هذه الفرصة واستطاعوا أن ينفذوا في صفوف المسلمين ويتجسسوا أخبارهم، بيد أن النفاق والتجسس في هذه الظروف خطير ومن الممكن تسببيه خسائر عظيمة غير قابلة للتلافي، والقرآن بدوره يحذر المنافقين بأن الله سبحانه محيط بكل ما في الأرض والسماء ويعلم سرهم ونجواهم [٢].

ويستفاد من هذه الآيات أيضاً أن جحود اليهود للنبي صلى الله عليه وآله وكفرهم يعدُّ استمراراً لجحودهم النبي عيسى عليه السلام وكفرهم به، مع أنه كان مصدِّقاً بالتوراة، وأحلّ لبني إسرائيل بعض الذي حرم عليهم [٣]، إلى أن يبلغ إلى هذه الحقيقة وهي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [٤].

وكان اليهود يصرون ويحاولون إضلال المسلمين الجدد بكل جهدهم، وذلك بإلقاء الشبهات والأكاذيب من قبيل أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يهودياً وينقلون

---

(١) قوله ﴿ذلك بأنهم﴾ هو في الحقيقة نوع من التعليل وبيان السبب.

(٢) آل عمران : ٢٧و ٢٨.

(٣) آل عمران:٣٤ ـ ٥٠.

(٤) آل عمران: ٥١.

بصيغة وكأنه كلام الله، كل ذلك دليل على خداعهم ومكرهم وضلالتهم، وفي المقابل نجد أن الرسول ﷺ كان يدعوهم بلسان صادق وكلام عذب وسماحة عالية وطيب سريرة متلقاة من الوحي الإلهي: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

فيأتي هذا السؤال، ما هو السبب في تأكيد القرآن في الآيات المكّية ويكرر في الآيات المدنية أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وفي كل مرة يعيد ذلك للأذهان بشكل أصرح وأوضح؟ لا شك أنه يريد بذلك، الردّ على دعاوي اليهود والنصارى وإفتراءاتهم، وبصورة كلية لماذا كان اليهود والنصارى يصرون على نسبة دينهم إلى إبراهيم، هل كان ذلك لأجل معرفة العرب بإبراهيم وعقائده؟ أو لأن الرسول ﷺ كان ينسب دينه إلى إبراهيم؟ أو لأجل مقام إبراهيم وعظمته وتقديسه من قبل الجميع .؟

نعم فإن السكوت أمام إدعاء اليهود بأن إبراهيم كان يهودياً يعني توجيه ضربة إلى أصل الدين الأول وأساسه وهو التوحيد، لأن ذلك يعني نفي التوحيد، واللوث في عقائد عامة البشرية فضلاً عن أهل الحجاز، لأن القرآن بعدما يصرح بأن إبراهيم لم يكن يهودياً، يؤكد على أنه لم يكن من المشركين، وهذا يعني أن دين اليهود مشوب بالشرك، وليس على ملة إبراهيم، وكأن الإله الذي يعبده اليهود

---

(١) آل عمران: ٦٤-٦٧.

«يهوه» غير الله جلّ جلاله الذي كان إبراهيم يدعو إليه، فالسكوت على ذلك يعني أن على الإسلام السلام.

ويحتمل أن يكون تعدد الآيات في إنكار ذلك لأجل تعدد المخاطبين فهو في كل مرة يخاطب جماعة من اليهود أو النصارى ممن كان يدعي ذلك عند الرسول صلى الله عليه وآله ويصر عليه، فذلك التكرار لأجل أن لا يترك كلامهم وإصرارهم آثاره على عقائد المسلمين فإن الله سبحانه وتعالى لم يكتف برد ذلك الإدعاء، بل يخبر عن أن دين إبراهيم هو الحنيفية ويأمر نبيه بأن يقتدي بدين إبراهيم، فإذا ادعى اليهود أنهم أتباع إبراهيم الحقيقيون يرد عليهم القرآن بأن أحق الناس بهذه الدعوى من يتبع دين إبراهيم الحقيقي، وليس ذلك سوى النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وشيعته ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

إن ملاحظة ترتيب الآيات يوصلنا إلى أن الدعايات المغرضة والإعلام الهدام من ناحية أهل الكتاب كان مستمراً من دون توقف، ولم ينفك اليهود من محاولة إضلال المسلمين الجدد، وما زالوا يظهرون الباطل بمظهر الحق ويخادعون المؤمنين بذلك، والله سبحانه يبين للمسلمين علامة الإيمان والهدى كي لا ينخدعوا باليهود: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ۚ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ

---

(١) آل عمران :٦٨.

أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1]، تعكس هذه الآيات مدى شيطنة اليهود ونفاقهم في المجتمع الإسلامي وفي محيط المدينة.

فاعتقاد اليهود أنه لا حقَّ لغير اليهود على واحد من اليهود، بينما يحق لهم التصرف في أموال الناس وأرواحهم لمنافعهم[2]، :﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3]. وإذا رجعنا إلى صدر الإسلام وفكرنا في الضرورة التي دعت إلى أن يبين الله سبحانه وتعالى لجميع البشر على لسان الوحي هذا الأمر الموهوم لليهود، فإنا سنصل إلى مدى حساسية ذلك الأمر ودوره الفاعل في سلوك اليهود الفردي والجماعي وإستمرار عدوانهم وتهديهم وتعديهم على الناس، فالقرآن يفضح كوامنهم وأفكارهم حتى يعلم العالم حقيقة اليهود وما كانوا عليه في السابق وما سيكونون عليه، وأنهم في كل دورة سيقومون بتعتيم الفضاء السالم للدول الإسلامية ويضيقون الخناق على المسلمين.

ثم إن اليهود لا يعطون لواحد من العرب الأُميين حق الإعتراض عليهم، ويرون أن ذلك هو حكم الله، ولذا فإن القرآن يصرّح بأنه إفتراء على الله

---

(١) آل عمران:٦٩- ٧٤.

(٢) كأن منطق التلمود اليهودي قد وصل قبل ظهور الإسلام من فلسطين والشام إلى الجزيرة العربية مع أن التاريخ يتكلم عن وجود شخص باسم داود بن عنان في العراق وجنوب الجزيرة ويبين أن أكثر يهود المنطقة كانوا من القرائيين يخالفون التوراة الشفاهية ويستصغرون تعاليم التلمود.

(٣) آل عمران ٧٥و٧٦.

سبحانه[١]، ومن الوقاحة دعوى الدكتور حبيب لوئي وكوهن شرباك في كتابيهما من أن المجتمع اليهودي كان على مر التاريخ يتعاطف مع البشر ويخدمهم وما زال كذلك، فهؤلاء مثل سائر اليهود يظهرون الباطل بثياب الحق ويلقونه إلى الناس[٢].

والأكثر وقاحة أنهم ينسبون أفكارهم الشيطانية إلى الله سبحانه وتعالى ويقولون هو حكم الله، بينما يؤكد القرآن في عدة مواضع على ضلوع اليهود في تحريف الكتب السماوية ويفضح أسرارهم: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣]، ويرى البعض أن المراد بـ﴿ يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم ﴾ هو تحريف التوراة والإنجيل في مجال التفسير والتأويل، ويقولون بعدم تحريف المدون منهما من حين شروع الكتابة، ولكن من الواضح أن الأمر ليس كذلك، بل تصرفوا في التوراة المدون، وهناك آيات أُخرى تدل على ذلك.

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٤]، الشيء الذي يصعب إثباته في هذا الزمان بينما نجد أن القرآن يكشف عنه النقاب و هو إعتقاد اليهود بأن لله ولداً، و أن الملائكة شاركوا في الخلق، و ينكر القرآن ذلك عليهم ويرفضه بالمرة ويعاتب اليهود عليه.

ومن وجهة نظر القرآن فإن جميع الأنبياء كما بشروا بالنبي اللاحق كذلك بشروا بظهور خاتم الأنبياء وأفضل الرسل، وأوصوا بإتباعه ونصرته : ﴿ وَإِذْ

---

(١) لهذا الإدعاء جذور في تعاليم التلمود وكان دأب اليهود قبل ظهور الإسلام عليها ثم إستدام، لا أنه لم يكن في السابق وظهر مع ظهور الإسلام كما إستظهره صاحب العلاقات.

(٢) أحكام ومقررات حضرت موسى: ٥٠ -٦٠، فلسفه يهودي: ٤٠- ٤٥.

(٣) آل عمران :٧٨.

(٤) آل عمران:٨٠.

أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (١).

يستفاد من هذه الآيات مما له علاقة باليهود أمران، الأول: أن نبي الإسلام مبعوث لجميع الأُمم وفي كل العصور بدليل أخذ الميثاق على جميع الأنبياء بأن يؤمنوا بالرسول الخاتم، فما يذهب إليه بعض الكتّاب من أن الرسول مبعوث إلى العرب دون اليهود باطل من الأساس ومجرد تخرص وإعتباط. الثاني: أن الآية تذكر أصلاً وقاعدة يجب على أساسها على عامة أهل الكتاب الإيمان بالنبي في كل العصور، لأنه جاء مصدّقاً للتوراة والإنجيل.

ثم إن كثرة توجيه الخطاب إلى أهل الكتاب في القرآن دليل على كثرة تواجدهم في المدينة، ونفوذهم بين المسلمين، والآيات ٩٧ إلى ١١٨ تعطي هذا المعنى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

---

(١) آل عمران ٨١- ٨٣.

(٢) آل عمران : ٩٨-١١٠.

يتضح من خلال هذه الآيات جلياً مدى أذى اليهود وإضرارهم بالمسلمين وأن لهم سعياً دائباً ومستعراً، وكلما استشار المسلمون النبي ﷺ فيهم كان يأمرهم بالصبر، وكذا فإن هذه الآيات تتحدث مع يهود أطراف المدينة، وتؤشر إلى الذل والعار الذي سيصيبهم كنتيجة لمخالفتهم النبي ﷺ وكأنها تؤشر إلى وقوع حرب في القريب العاجل ليس لها نتيجة سوى إنكسار اليهود وتدهور أوضاعهم، وسرعان ماسيتحقق الوعد القرآني ويظهر صدقه.

وعلى أساس ذلك يمكن تسرية الوعيد المذكور في الآية إلى جميع اليهود الذين يعادون الرسول والدين الإسلامي، وفي الحقيقة أنهم بذلك العداء والعناد والكفر بنبي الرحمة ﷺ يكون قد شملهم الذل والهوان وإن كانوا أغنياء من الناحية المادية.

في الواقع إذا كان اليهود يدركون حقانية الرسول الأعظم وسايروه وسايسوه وسكتوا كم كانوا قد أتاحوا للرسول ﷺ الفرص لبناء المجتمع الإسلامي، فليس اصلاح أمر قريش بذلك الصعب، ولكن مضايقات اليهود كانت شديدة وهدامة، ولذا جاءت أكثر آيات القرآن في هذا الباب في مواجهة اليهود، فلولا حماية اليهود ومساعدتهم قريش لم يجرأ قريش على بعث الجيش بعد معركة أُحد ولتمّ حسم الموقف فيها: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[1].

---

(١) آل عمران: ١١٠-١١٢.

فإن القرآن يحذر المسلمين من اليهود لعدة مرات وبشكل أكيد، وينهاهم في هذه السورة للمرة الثانية عن مصادقتهم وإذاعة الأسرار لهم، وهذا يحكي عن علاقة اليهود مع أعداء الدين حيث كانوايتجسسون للأعداء وينقلون لهم الأخبار، فهذه الآيات تفضح وتبين أحوالهم ونياتهم بأفضل بيان وأوضح تصوير، وفي نفس الوقت تدعو النبي صلى الله عليه وآله و المسلمين إلى التحلي بالصبرو الحلم أمام استفزازاتهم ومكرهم، ليحول دون وقوع الحرب الأهلية واضطراب المدينة، فهذه أفضل سياسة ممكنة إتبعها الرسول.

وبهذه الروح العالية في النبي صلى الله عليه وآله ختمت غزوة بني قينقاع وبني النضير من دون إراقة دماء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1].

مع الإلتفات إلى سياق هذه الآيات والآيات اللاحقة يمكن الحدس بأن نزول هذه الآيات كان مقارناً لهذه الغزوات، وهو يحكي عن عدم وجود فكرة العنف والقتل عند رسول الرحمة صلى الله عليه وآله.

وليس حكم الجهاد حكراً على الدين الإسلامي بل كان في دين موسى وعيسى، حتى أن بعض أنبياء بني إسرائيل أمروا بالجهاد بمقتضى الضرورة: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(٢) آل عمران:١١٧-١٢٠.

﴿ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1]، وتعبير «الربيون» خاص بأهل الكتاب، وتجد كتب الأنبياء والملوك من الكتاب المقدس مشحونة من أخبار الحروب العقائدية، فإن بيان هذا الأصل وأن الدين توأم مع الجهاد في جميع الأديان الإبراهيمية لأجل تجييش اليهود الذين أسلموا للتو: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[2].

هذا كلام بعض اليهود سمعه الله وعاتب اليهود على هذه المقالة، و كأن عامة اليهود شاركوهم في هذا القول، حيث يقول ذلك البعض إن الله فقير ونحن أغنياء، كيف يمكن صدور هذا الكلام من ملّة لها دين سماوي وكتاب مثل التوراة، بل كيف يفكرون في ذلك أو يتوهمونه من رب العالمين، إلا أن تكون اعتقاداتهم متأثرة بعبدة الأصنام ومشوبة بالشرك.

والقرآن بإنشاء ذلك الكلام يكون قد بين طريقة تفكيرهم، والمهم أن يقرن هذا الكلام بقتل الأنبياء، وهذا يعني أن نفي الأحكام الإلهية وأصول الدين يساوي قتل نبي من الأنبياء، لأن كلمة «لَّقَدْ سَمِعَ» يفهمنا أن اليهود المعاصرين للنبي ﷺ قالوا ذلك الكلام، ونحن نعلم أنهم لم يقتلوا نبياً في ذلك الزمان، فيمكن تنزيلهم منزلة قاتليهم، بإعتبار ما ورد في الحديث: « مَنْ رَضِيَ شَيْئاً كَانَ كَمَنْ أَتَاهُ »[3]: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ

---

(١) آل عمران: ١٤٦.

(٢) آل عمران: ١٨١و١٨٢.

(٣) وسائل الشيعة ١٦ : ١٣٨، باب وجوب إنكار المنكر بالقلب:وفي عيون الأخبار وفي العلل عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن عبد السلام بن صالح

﴿ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾[1].

هذا وقد كانت عند اليهود بالنسبة للنبي اللاحق علائم خاصة، وإن لم يعتمدوا عليها في الساحة العملية، ولكنها كانت ذريعتهم لرد دعوة الأنبياء مثل عيسى عليه السلام بحجة عدم تحقق تلك العلائم، ولكنهم أعادوا تلك الحجة كذباً وافتراءاً، وادعوا عدم تحققها هذه المرة أيضاً وأنكروا نبوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله[2].

والقرآن يزيل الستار عن حركة اليهود الكافرة وهي إنكار نبوة الأنبياء السابقين مع وجود العلامات فيهم ويسأل عن سبب ذلك: ﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3] والعلامة التي نتحدث عنها هو وضع القربان في موضع القرابين فتأتي نار من الغيب وتأخذه.

الهروي قال : قلت لأبي الحسن علي موسى الرضا عليه السلام يابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام قال اذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آباءهم ؟، فقال :هو كذلك فقلت: قول الله عزوجل ولا تزر وازرة وزر أخرى ما معناه ؟ قال:صدق الله في جميع أقواله ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آباءهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قُتل بالمشرق فرضي بقتله رجلٌ بالمغرب لكان الراضي عندالله عزوجل شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم اذا خرج لرضاهم بفعل آباءهم ...الحديث ومثل ما ورد في جامع الأخبار: ٧٤، قال النبي صلى الله عليه وآله من أعان على تارك الصلاة بلقمة أو كسوة فكأنما قتل سبعين نبيا، أولهم آدم و آخرهم محمد صلى الله عليه وآله..

(١) آل عمران : ١٨٣و١٨٤.

(٢) يجب الإشارة إلى أن اليهود لا يؤمنون بجميع أنبياء بني إسرائيل، بل يؤمنون بمجموعة قليلة منهم يراجع الكتب المؤلفة بهذا الشأن.

(٣) آل عمران : ١٨٣.

ثم قال: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

ونحن لانعلم حدود مضايقات اليهود وضغطهم على المسلمين ولكن إخبار القرآن أصرح من كل خبر آخر، والقرآن يعبر بـ﴿أذى كثيراً...﴾ وكلمة الكثير في القرآن يعني كثيراً جداً، ومع ذلك فقد أُمر المسلمون للمرة الثانية في هذه السورة بالصبر، و لما كان المسلمون قد ضاقوا ذرعاً بهم، صار الصبر في هذه المرحلة من عزم الأُمور، مما يحكي عن صعوبته ومرارته.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]، وكان علماء اليهود يخفون الحقائق ليس فقط عن غير اليهود، بل عن عوام اليهود أيضاً، فكانوا يخفون فضائل وأوصاف الرسول الخاتم ولم يبينوها للناس، والذي يستفاد من الآية بوضوح هو أن على كل مؤمن أن يتعلم عقائد وأحكام الدين الإسلام ويبلغها للآخرين، فكلمة للناس تعني جميع الناس، وليس ذلك العمل مخصوصاً بطائفة خاصة، بل على كل مسلم أن يتعلم أُمور دينه ويعلِّمها .

وفي آخر السورة يثني على اولئك الذين تواضعوا من أهل الكتاب وآمنوا :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ

---

(١) آل عمران: ١٨٦.

(٢) آل عمران: ١٨٧و١٨٨.

﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

وهناك طائفة قليلة من اليهود وأكثر منهم من النصارى اتخذوا طريق الزهد والرهبنة، ولما جاء الإسلام استقبلوه بشوق وآمنوا به، والقرآن وعدهم بعدم ضياع أجورهم، ويمكن أن نفهم من كلمة ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أن هناك بيانات في كتابهم يلزم من العمل بها الإقرار برسالة النبي الكريم، هذا وقد أخبر الله سبحانه في أواسط هذه السورة عن انتماء جماعة من أهل الكتاب إلى الإسلام: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]، وتختم هذه السورة بمسألة المرابطة في الثغور وتأمر بالتقوى مما يحكي أهمية حفظ الثغور المادية والمعنوية وحراستها.

ويجب أن يُعلم أن القرآن مشحون بالأسرار التي لا يؤتى عليها إلا بعلم الإمامة، وما أوردناه هنا فهو قبس من تلك المعارف، مقتبس من الأحاديث التي ترتبط باليهود، ولا تحتمل هذه الرسالة لأكثر من ذلك، وهناك تفصيلات أكثر، تجدها في كتاب بعنوان «اليهود في القرآن».

---

(١) آل عمران ١٩٨و١٩٩.

(٢) آل عمران : ١١٣و١١٤.

الكلام الثالث

غزوة بني النضير وعواملها

طائفة بني النضير وموقعهم عند اليهود

كان بنو النضير من القبائل اليهودية يسكنون شمال المدينة قرب وادي بطحان، وكان فيها ماء وفيروبساتين مكتضة بالأشجار وعلى جبالها بنى اليهود قلاعهم، وهي على ميلين أو ثلاثة أميال من المدينة.

وتعداد هذه القبيلة أكثر من سائر القبائل اليهودية ولهم موقعية مرموقة بين اليهود، وكان من المتفق عليه بين اليهود رجوع نسبهم إلى النبي هارون فكان يقال لأحدهم الكاهن، ومنهم الزعماء الدينيون لعامة المنطقة وكلامهم نافذ ومسموع عند الجميع.

والمستفاد من أوضاع الطوائف الثلاث اليهودية أنهم كانوا يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وآله ويخافون العاقبة من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإن الحسد واللجاجة كانت قد نمت في قلوبهم بالنسبة للنبي الخاتم من قديم الأيام، كل ذلك أوجد عندهم ترديداً واضطراباً شديداً سلبهم التصميم القاطع والجرأة الكافية، وهو المراد بالرعب المذكور في القرآن، فإن رؤساء اليهود مثل سلام بن مشكم وزبير بن باطا و... كانوا على علم قاطع بأنه النبي الموعود، وكان فيهم بعض الميل للالتحاق به ليواكبوا الموج الشعبي الموجود ولكن لم يتمكنوا من إقناع قومهم بأن يسلموا، وكان من الصعب عليهم المخاطرة بمناصبهم ورئاستهم بمخالفة قومهم، فهم يرون أنهم في مواجهة مع قدرة الله من ناحية ولا يسعهم الرضوخ لذلك من ناحية أخرى ولا يتمكنون من الثبات ولذا تراهم يعملون كل عمل بدون روية.

إن سلطة حكومة الرسول صلى الله عليه وآله التي هي شعاع من حكومة الله جلّ جلاله وإن كانت حديثة عهد ولكنها نافذة ومقتدرة، وبحيث سلبت الأمل من قلوب اليهود، وحالت دون تحقق الإتحاد بين طوائف اليهود الثلاث، فكل طائفة تحاول المحافظة على كيانها المستقل وتفكر فيما سيؤول إليه أمرها، وهي تترقب الفرصة

وتترك العلاج الحاسم إلى حينه، ولذا فإن نقض اليهود العهد لم يكن بتوافق وإنما حصل اعتباطاً ومتفرقاً ولم يتمكنوا من التناصر في الساعات الحرجة.

ولم يكن بين تلك الطوائف الثلاث روابط حميمة تربطهم، بل كان هناك رقابة وتفاخر وتعالي على البعض أضعف تلك الأواصر وبصورة كلية كان يشكو بعضهم من البعض الآخر، ومثاله الرواية التي يرويها علي بن إبراهيم[1].

وعلى الرغم من وجود وجوه الإشتراك الكثيرة بين طوائف اليهود مثل تكذيب النبي صلى الله عليه وآله ومخالفته ومواجهته والسعي في قتله، ولكنهم لم يتمكنوا من توحيد صفوفهم في حال من الأحوال، لأنهم كانوا يعلمون أن أمر النبي صلى الله عليه وآله هو أمر إلهي وتستند حكومته على القدرة الإلهية ولا تمكن محاربة الله سبحانه، وفي نفس الوقت لم يتمكنوا من إقناع نفوسهم المظلمة والدميمة والرضوخ لما قضى الله سبحانه، وهذا معنى كفرهم به، وفي الساحة العملية يكفي حصول حالة من التهور والتعصب الشيطاني والحمية الجاهلية لتهيّجهم وتحركهم ليقفوا بوجه ذلك الوجود المقدس والمعظّم، ولكن هذه الحالة لم تتحقق في زمان واحد بالنسبة للطوائف الثلاث، ولذا كان عملهم انفعالياً من غير توافق وتواطؤ، ففي الوقت

---

(١) بحار الأنوار ج٢٠ ص١٦٧ من تفسير القمي ١: ١٨٦: كان بالمدينة بطنان من اليهود من بني هارون و هم النضير و قريظة و كانت قريظة سبعمائة و النضير ألفا و كانت النضير أكثر مالا و أحسن حالا من قريظة و كانوا حلفاء لعبد الله بن أبي فكان إذا وقع بين قريظة و النضير قتل و كان القاتل من بني النضير، قالوا لبني قريظة : لا نرضى أن يكون قتيل منا بقتيل منكم فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتتلوا حتى رضيت قريظة و كتبوا بينهم كتابا على أنه أي رجل من اليهود من النضير قتل رجلا من بني قريظة أن يجنيه ويحمم و التجنية أن يقعد على جمل و يولي وجهه إلى ذنب الجمل و يلطخ وجهه بالحمأة و يدفع نصف الدية و أيما رجل من بني قريظة قتل رجلا من النضير أن يدفع إليه دية كاملة و يقتل به، فلما هاجر رسول الله ص إلى المدينة و دخل الأوس و الخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود فقتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير فبعثوا إليهم بنو النضير: ابعثوا إلينا بدية المقتول و بالقاتل حتى نقتله، فقالت قريظة :ليس هذا حكم التوراة و إنما هو شيء غلبتمونا عليه، فإما الدية و إما القتل و إلا فهذا محمّد بيننا و بينكم فهلمّوا نتحاكم إليه...

الذي ثار فيه بنو قينقاع واختاروا العصيان كان بنو النضير في حالة هدوء يعتقدون لزوم الصبر والتأني إلى حلول الوقت المناسب، فكانوا يتظاهرون بالبقاء على العهد، وكذلك بنو قريظة وأهل خيبر، ولذا فإن عدم وجود قطب مصمم يخضع له الجميع وتشتتهم فيما بينهم وضعف إرادتهم ووهنها، جعلهم في حالة من التزلزل والترديد، مما أدى إلى إضمحلال قدراتهم أمام غزوات مختلفة وتدميرها بالكامل، مع أنهم كانوا يضاهون المسلمين من حيث العدد والعدة أوائل الهجرة.

وفي هذا الشأن فإن تعاون اليهود مع المنافقين والتشاور معهم كان مخرباً أكثر من أن يكون نافعاً، فكل طائفة منهم انخدعت بمواعيد المنافقين ومقترحاتهم بسهولة، واغتروا بهم رغم مشاهدتهم لنفاقهم السابق، وقد تكرر ذلك لعدة مرات، حتى أن بني النضير الذين كانوا حلفاء الأوس، تصافقوا مع عبد الله بن أُبي رئيس الخزرج و رضوا بالتبعية للخزرج، وليس ذلك إلا لحسدهم وحقدهم على الرسول و استكبارهم أمام إرادة الله سبحانه وتركوا هدايته التي حالفت أهل تلك الدورة، فإن درك زمان نبيٍ نظير موسى الكليم بل أفضل منه، تُعد سعادة عظيمة لم يعرف قدرها اليهود.

هذا وقد عرّفنا التاريخ أن المشركين متى أرادوا أن يهاجموا المدينة أو يغيروا عليها تعاون معهم اليهود بنحو من الأنحاء وكانت لهم اتصالات سرية معهم، حتى أن قريش في بعض الأحيان كانت تتهددهم وتطالبهم بفتح باب العداء مع المسلمين والتحرك من أجل قتل الرسول صلى الله عليه وآله[1]، فاليهود في الحقيقة أوقفوا أنفسهم مجاناً لخدمة قريش وكانوا يكسبون ودّهم بذلك، ويؤيد ذلك ملاقاة أبي سفيان مع حيي بن أخطب وبعدها مع سلام بن مشكم، و كذا فإن أعمال كعب رئيس بني النضير هي واحدة من تلك النماذج.

وبعض الآيات من سورة الأنفال وآل عمران المارّة تحكي أذى اليهود و تحرّشاتهم بالنسبة للمسلمين بحيث كاد أن تختم بالجدال، ففي واحدة من هذه

---

(١) العلاقات: ٣١٦.

الآيات يقول: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾، وهذا يعني قرب وقوع المناوشات والقتال، ويقول القرآن: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ نزلت هذه الآية ابتداءً في مقام المقابلة مع اليهود، ومنها يعلم أن مقارعتهم بحاجة إلى استعداد المسلمين، كما تفهمنا استمرار شرارات هذه الطائفة، وكذا يستدلهم من هذه الآية أن إعداد السلاح والإستعداد الحربي لحفظ الثغور ودفع هجمات العدو وغاراته، يجب أن يكون بحد من الإستعداد بحيث يُرهب العدو ويجعله يترك التفكير بالهجوم، ويعلم من ذلك أيضاً أن هذه الجماعة من اليهود هم أعداء الله وأعداء المسلمين، ومن يدافع عن أعداء الله؟

ومع كل ذلك الوصف وكل تفريط هذه الطائفة كان الرسول ﷺ يلطف بهم، ولعله لأجل انتسابهم إلى هارون، غير أن احتمال الرسول ﷺ لم يزدهم سوى جرأة حتى أنهم نقضوا العهد ثلاث مرات وآذوا الرسول ﷺ بذلك.

مقتل كعب بن الأشرف

كان كعب يهودياً طامعاً في الرئاسة، ومحب للأموال وله أموال طائلة، وهو سيد بني النضير. وينقل البعض أن أباه كان من طي، ويراه البعض أنه من بني إسرائيل، ولكن لا إختلاف في كون أُمه من بني النضير، ويقال إن ديانة الإبن عند اليهود تتبع ديانة الأُم، والإنتساب إلى اليهودية بالخصوص يكون من ناحية الأُم[١]، فكل من كانت أُمه يهودية يُعدّ يهودياً ولذا فإن كعباً كان يميل إلى أُمه وقرابته من أُمه ويُعد نضيرياً. جاء في كتاب شرح المواهب اللدنية ما مضمونه:

« إن إبن الأشرف كان طويلا جسيما(جميل الوجه)، ذا بطن وهامة، شاعراً مجيداً، ساد يهود الحجاز بكثرة ماله، فكان يعطي أحبار اليهود ويصلهم، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة جاءه أحبار اليهود من بني قينقاع وبني قريظة لأخذ صلته على عادته فقال لهم: ما عندكم من أمر هذا الرجل(الذي جاءبدين جديد)؟ قالوا: هو الذي كنا ننتظر، ما أنكرنا من نعوته شيئا، فقال لهم : قد حرمتم كثيراً من الخير، إرجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثيرة، فرجعوا عنه خائبين، ثم رجعوا اليه فقالوا له : إنا تعجلنا فيما أخبرناك به أولاً، ولما إستوثقنا علمنا أننا أخطأنا وليس هو النبي المنتظر، فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئا من ماله .... »[٢].

---

(١) وفي الكيان الصهيوني اليوم (دولة إسرائيل الغاصبة)، لا تقبل يهودية المهاجرين اليها رسمياً في المحكمة الدينية العليا إلا اذا كانت أمّ الشخص يهودية.

(٢) العلاقات:٣١٢، عن الزرقاني٢: ٨.

أقول:نعم هذا هو إبطال الحق وبيع الأديان، على طريقة كبار اليهود مما يدعو إلى إحساس اليهود الحقارة، من أجل متاع الحياة الدنيا يسحق الإنسان حياته المعنوية ويكون مصداق أكالون للسحت، فالأحبار الذين وجدوا صفات أفضل ولد آدم محمد المصطفى في الكتاب المقدس، وأقروا بذلك، ولكن لأجل الرئاسة الدنيوية يقطعون النظر عنه ولأجل صلة إنسان حقير وساقط لها أنكروا ما عرفوا وعادوا ربهم، فليس نصيب كل من يدافع عن هذا المعتقد سوى الذلة والهوان.

كان كعب في أول الهجرة من الموقّعين للعهد مع الرسول ﷺ من قبل بني النضير، ومع ذلك كان لعدائه مع الرسول والمسلمين يتحين كل فرصة، ويعد من أعدى أعداء الإسلام والمسلمين، وهو ممن هجاهم بشعره فقد كان له ذوق رفيع في إنشاد الشعر، وكان يستفيد من هذه الحربة للإستهزاء بالرسول ﷺ وأذية المسلمين، وقيل إنه ذهب إلى مكة بعد معركة بدر وصار يحرك قريش بشعره ويرثي قتلى المشركين في بدر، ويحرضهم على القتال، عندها شوق رسول الله ﷺ حسان بن ثابت للإجابة على هجائه، فرد عليه رداً عنيفاً بحيث لم يتمكن بعدها من المقام بمكة، ولما رجع إلى المدينة صار يؤذي نساء المسلمين فكان يذكر محاسنهن وخصائصهن بالشعر بطريق الإستهزاء، ويفضحهن بذلك، والرسول المصطفى ﷺ الذي طالما ماشاه وغض عنه أحل دمه هذه المرة، وليتنا نعلم أي أعمال كعب أثارت غضب الرسول ﷺ، فإن الرسول لم يهدر دمه قبل أن يتعرض لنساء المسلمين، وجاء في الحديث أن جبرئيل الأمين جاء بالحكم من الله سبحانه بهدر دمه وهو المستفاد من شعر أمير المؤمنين عليه السلام، ثم إن رسول الله ﷺ قال:«**من لي بابن الأشرف** »، [فقد آذى الله و رسوله][1].

قال محمد بن مسلمة: هل تحب أن أقتله؟ فقال: نعم، فقال! إإذن لي أن أقول كلما جرى على لساني، فأذن له، فذهب محمد بن مسلمة ومن معه لملاقاة كعب، منهم سلكان بن سلامة أبو نائلة أخو كعب بالرضاعة، فتقدموا أبونائلة اليه فجاءه فقال له [محمد بن مسلمة على قول]: إن هذا الرجل (محمداً ﷺ) يريد منا الصدقة وقد ألحف علينا، وجئتك لاستسلف منك مالاً، قال كعب: أنت مِلتَ إليه؟ قلت: أما أنا فصاحبه حتى نعلم إلى ما يكون أمره، وأُريد أن أقترض منك الآن وسقاً أو وسقين من الطعام، فقال: يجب أن تجعل عندي رهناً، قلت: ما ذلك؟ قال: إحدى نسائك! قلت: أنت رجل جميل كيف يمكن أن أدع زوجتي عندك، قال: فأحد أولادك، قلت: عار علينا أن نرهن أولادنا لأجل وسق من الطعام، قال: فسلاحك، قلت: نعم، هذا مقبول، فتواعدا إلى المساء.

---

(١) سيرة إبن إسحاق :٣٢٦.الرسول واليهود ٢: ٧٣١ .

تلك الليلة كانت ليلة الرابع عشر من ربيع الأول، وبعد صلاة العشاء ودع رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة وأصحابه وقال: إذهبوا على بركة الله، فذهبوا إلى قصر كعب، فلما التقوا به دعوه للمشي بعض الوقت في الصحراء إلى شعب العجوز، فشغله محمد بن مسلمة بالكلام حتى ابتعدوا عن القصر، فحمل عليه أبو نائلة ومحمد بن مسلمة وقتلاه ورجعا إلى المدينة في تلك الليلة وأخبروا رسول الله ﷺ بالخبر[١].

ويرى المستشرقون اليهود على أساس الأخبار الواصلة عن كيفية قتل كعب بن أشرف أنه قتل غدراً وحيلة وشنعوا بذلك على المسلمين[٢]، وقال المحققون المسلمون في مقام الجواب على ذلك: أنه تعهد بعدم الإقدام على ما يضر بالمسلمين، ولكنه ذهب إلى المشركين من عبدة الأصنام وحرضهم على رسول الله ﷺ وهجاه بشعره ثم هجا نساء المسلمين، إلى حد أن الرسول ﷺ وصف عمله بأنه يؤذي الله و الرسول، مع أن كعباً يعلم جيداً أن هجو الرسول أو حتى واحد المسلمين يعدُّ إقداماً جدّياً يثير العداوة، وإذا كان كعب يرى أن عمله هذا لا أثر له في مجتمع ذلك العصر لم يكن له داعٍ آخر يدفعه لاظهار عدائه ونفث سمه بهذا النحو، فكان إقدامه على هذا العمل يُعدّ نقضاً للعهد ويحل إراقة دمه. ولكنه لم يكن يتصور هو ولا قومه مبادرة المسلمين إلى ذلك بهذه العجالة ويتم قتله بهذه السهولة و على يد المسلمين، و الرسول ﷺ ليس من أهل الغدر وليس في عمله غدر، ولو لا أنه شاهد منه كل هذا النقض للعهد لم يأذن في قتله[٣].

والذي يدعو إلى التأمل في ذلك أنه لو أراد المسلمون قتل كعب علانية في الملأ العام لأنه نقَضَ العهد، فسيلزم نقض مضاعف للعهد، لأنه كان رئيس قومه

---

(١) العلاقات: ٣١٣، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٣٧. مجمع البيان ١٠: ٢٥٧.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٤٥.

(٣) بحث معنى الغيلة والفتك في القتل في كتاب يهود حجاز: ٢٣٠ – ٢٤٥.

ويتمتع بمكانة ومنزلة عند اليهود، وسيؤدي قتله علانية إلى تجريدهم السيوف والخوض في دماء المسلمين فيعم النقض للعهد، وقد ينجر إلى حرب دموية، ولذا فإن الرسول ﷺ رضي بعمل محمد بن مسلمه، لأن ذلك بنفع اليهود أكثر من أن يكون بنفع المسلمين، ويقول محمد بن مسلمة في معرض الحديث عن قتل كعب: لما انتشر خبر كعب في صبيحة ذلك اليوم خاف جميع اليهود على أنفسهم ولم يقر لهم قرار وفقدوا استقرارهم.

وبعد قتل كعب جاء اليهود إلى الرسول ﷺ وأظهروا تخوفهم وطلبوا الأمان، وكأن نقض واحد للعهد خصوصاً إذا كان رئيسهم يسري إلى جميع الطائفة، فقال لهم الرسول ﷺ :"**لو أنه سكت كما سكت غيره لم يقتل، فقد هجاني بشعره وآذى الله ورسوله وكل من يعمل عمله فجزاؤه السيف**[1]".

ويعلم من هذا الكلام أن النبي ﷺ قد بيّن جرم كعب كي لا يفكر البعض أنه قُتل ظلماً وغدراً ومكراً[2].

---

(١) العلاقات: ٣١٤ عن كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول مخطوط رقم ٢٥٠/٤٠ خزانة القرويين فاس المغرب، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٢٤٠.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٢٤١ في الهامش عن المغازي١: ١٩٢، روي أن يهودياً بإسم إبن يامين النضري وفد على مروان بن الحكم من طرف معاوية أو يزيد والي المدينة وكان عنده يوماً فجاء محمد بن مسلمة وقد شاخ إلى مروان، فأقبل مروان على ابن يامين وقال له: كيف رأيت قتل كعب بن الأشرف؟ فأجاب إبن يامين: بأن قتله كان مكراً وغيلة، فلم يستقبح مروان قوله هذا، ولكن محمد بن مسلمة نادى يا مروان، أترى أن رسول الله ﷺ أهل المكر والغيلة، أُقسم بالله ما قتلنا كعباً إلا بأمر رسول الله، ويشهد الله لا يجمعنا بعدها سقف واحد إلا المسجد، ثم إلتفت إلى إبن يامين وقال: يابن يامين اقسم بالله إذا قدرت عليك في مكان وكان معي سيفي لضربت عنقك، ثم إن محمد بن مسلمة كان في تشييع جنازة فرأى إبن يامين في البقيع فأخذ محمد سعف نخل رطبة كانت إلى جانب النعش وضرب بها رأس إبن يامين وكلما انكسرت سعفة أخذ أُخرى حتى كسر

فالرسول وإن كان بوسعه أن يؤاخذ عامة الطائفة لأن كعب هو رئيسهم ومن الموقعين للمعاهدة ونقضه يعد من نقضهم، ولكنه رحمهم ولم يحمل ذنبه على الآخرين، ولما كان العهد قد انعقد ووقع بواسطة كعب، فقد فُقد إعتباره بقتله، ولم يكن كعب موجوداً حتى ينفذ عهده، الأمر الذي حدى برسول الله ﷺ إلى أن يدعو يهود بني النضير لتجديد العهد، فقبلوا ذلك، فجلسوا في بيت رملة بنت الحارث وكتبوا عهداً آخر تحت ظل شجرة[1]، ومنه يعلم أهمية قرارات الرؤساء وتصميماتهم بالنسبة إلى مصير الطائفة، وكان هذاالعهد في هذه الظروف لازماً، لأن يهود بني النضير كان قد أصابهم الهلع والخوف بما يحتمل معه تركهم العهد وذلك لمكان كعب بينهم.

والحق أن الأخباروالإنعكاسات عن مقام كعب بين اليهود وخصوصاً قومه غير واضحة ولاصريحة، وروي في تفسيرقوله تعالى: ﴿ **وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ** ﴾ في سورة الحشر، أن الله سبحانه ألقى ذلك الرعب بقتل كعب في قلوب اليهود، ومنه يعلم مقامه ومنزلته عند اليهود، خاصة وأنه كان يترأس بني النضير، وهم أهم الطوائف اليهودية وأكثرهم عدداً، وبذلك فإن ميزان تأثير فتنة كعب وإفساده في محيط المدينة كبير[2].

تلك الجرائد على راسه ووجهه، ثم قال :والله لو قدرت على السيف لقتلتك به، ثم أرسله ولا قدرة به.

(١) قيل إن هذا العهد كان محفوظاً عند أمير المؤمنين، وتحدث في كتاب المغازي عن هذا العهد، ولم ينقل نصّه، على أن هذا العهد هو العهد الثالث، وبه تمت الحجة الأكيدة على يهود بني النضير، إذا نقضوه مرة أُخرى لا يبقى مجال للطف، والمستشرقون يقطعون النظر عن كل ذلك اللطف والإرفاق ويعترضون على عمل النبي ﷺ.

(٢) مجمع البيان :١٠: ٢٥٨.

بينما نقض بنو النضير العهد وحكم بخروجهم، جاء نساء اليهود إلى رسول الله واستمهلوه كي ينصبوا مجلس العزاء لكعب، فأمهلهم رسول الله ﷺ ليتسلى خاطرهم.

أشرنا سابقاً إلى أن البعض يعتقد أن كعباً كان حياً إلى غزوة بني النضير، وقيل إنه التقى بكبار قريش في مكة بعد معركة أُحد ليؤجج الفتنة ويتواطؤ معهم، والآية الشريفة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾ نزلت في شأنه[1]، وقيل إن كعباً عقد عهداً مع قريش في بيت الله، وأقسم عند الكعبة بأن يفي لقريش ولا يقر له قرار حتى يقتل رسول الله ﷺ.

وتنص هذه الأخبار على أنه قتل في الليلة التي حكم في يومها بخروج بني النضير على يد محمد بن مسلمة[2].

---

(١) النساء ٥١- العنصرية اليهودية٢: ٤٢٧: وبعدها تبين خصائصه واتباعه :أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ النساء ٥٢- ٥٥

(٢) إن الطبرسي في المجمع ١٠: ٢٥٧ نقل كلام إبن إسحاق في تفسير آيات سورة الحشر ولكن ليس مطابقا لما ورد في سيرته :٣٢٨.فقال: «إن محمد بن مسلمة هو أخو كعب من الرضاعة وهوجاءه تكلم معه قبل قتله وسأل منه الطعام »ولكن في السيرة : إن أبا نائلة تكلم معه وانه أخو كعب من الرضاعة .و في كتاب الرسول واليهود: ٧٣٢ نقلاً عن جابربن عبدالله الأنصاري :إن محمد بن مسلمة أتى كعب بن الأشرف و تكلم معه ....مطابقا لما نقل الطبرسي ولم يذكر أنه أخوكعب من الرضاعة .

ونقل أن رسول الله ﷺ قال بعد قتل كعب: من ظفرتم به من يهود فاقتلوه[١]. فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيئة اليهودي أحد تجارالمدينة المعروفين فقتله، وكان حويصة بن مسعود اذ ذاك لم يسلم وكان أسنّ من محيصة فلما قتل جعل حويصة يضربه ويقول أي عدوالله قتلته، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله، فقال محيصة :فقلت له والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك، فأسلم حويصة خوفاًوقال :والله إن ديناً بلغ بك هذا، لعجب[٢].

ولا يعقل صدور ذلك الأمر بتلك العمومية -أعني قتل كل من يرى من اليهود- لأن كلمة يهودي تشمل جميع طوائف اليهود وكيف يقتل كل اليهود لأجل نقض كعب الذي كان من بني النضير العهد وكيف يتعرض جميع اليهود للخطر من أجل واحد؟ فلابد من تقييده بيهود بني النضير، وليس من المسلّم كون ابن سنية من بني النضير وعدّه البعض من بني حارثة[٣]، والذي يبدو أنه لا ارتباط لهذين الخبرين ببعض، وإذا كان محيصة قد قتل ابن سنية بقول الرسول المار، فلا حاجة إلى أمر الرسول ﷺ في قتل حويصة، ولا معنى لقوله: إذا أمرني

وطبقاً لرواية إعلام الورى وما ذكر علي بن ابراهيم في تفسيره٢: ٣٥٩ أن كعب كان حياً في شروع غزوة بني النضير، ولكن أكثر المؤرخين يذهبون إلى أنه قتل قبل الغزوة بسنة، واما القرينة على حياة كعب وقتئذ أنه قيل إنه قتل في إحدى الليالي التي تقرر إمهال اليهود، أعني العشرة أيام، بالإضافة إلى ما روي في إعلام الورى، ما نقل عن رسول الله ﷺ بعد غزوة بني النضير: من رأى يهودياً فليقتله، بأن مثل هذا الكلام ورد بعد مقتل كعب، ومنه يحتمل أن قتل كعب والغزوة كانا متقاربين، ولكنه لا يلائم مع خبر مجيء اليهود إلى الرسول ﷺ وطلبهم الأمان، فإنه بعد مقتل كعب وقبل غزوة بني النضير بمدة أكثر من عشرة أيام، (البحار٢٠: ١٥٨) وبعيد أن يكون مجيئهم في أيام المهلة العشرة .

(١) سيرة إبن إسحاق: ٣٢٨.

(٢) سيرة إبن إسحاق ٣٢٩.

(٣) اسد الغابة في معرفة الصحابة ٢: ٦٦وفي هذا الخبروطريقه تأمل خصوصا بالإلتفات الى رواية رواها إبن هشام في سيرته ٣: ١٦، حول محيصة في قتل كعب ابن يهوذا الذي وقع في سنوات بعدئذ.

الرسول بقتلك لقتلتك، فيستفاد من ذلك أولاً: أن محيصة كان له إذن خاص في قتل ابن سنية، وثانياً :يستفاد منه أن كل مسلم بحاجة إلى إذن خاص في قتل أي يهودي، حتى أن المسلم لو رأى من يهودي خيانة أو جناية لا يحق له قتله بدون إذن الرسول إلا إذا كانت هناك حقوق شخصية.

ولذا فإن هذه الأخبار بحاجة إلى تنقيح، نعم بعد غزوة بني النضير سنرى أنه روي مثل ذلك ولكن في خصوص بني النضير، وهو قرينة على أن مقتل كعب وغزوة بني النضير كانا في زمان واحد[١].

ومهما يكن من ذلك فقد غلب الخوف على اليهود والمنافقين بعد قتل كعب بشكل عجيب، إلى أن كتبوا عهداً جديداً[٢]. ويجب الإلتفات إلى عدم وجود أخبار عن اليهود العرب «المتهودة»ولعلهم كانوا معروفين برعاية العهد ولهم الأمان.

---

(١) يعتقد في كتاب العنصرية اليهودية٢: ٤٠٢ أن تاريخ قتل كعب في ١٤ ربيع الأول في السنة الثالثة الهجرية ٤ إيلول عام ٦٢٤م، أي سنة قبل غزوة بني النضير، وفي كتاب (بنو إسرائيل بين نبأ القرآن وخبر العهد القديم:٤٣) يرى أن مقتل كعب كان بعد ٢٥ شهراً من الهجرة. فإذا كان قتل كعب في السنة الثالثة فلابد من وقوع إشتباه في الرواية الدالة على حضور كعب حين الغزوة، ولابد أن يبدل بـ«حيي بن أخطب».

(٢) العلاقات: ٣١٥.

غزوة بني النضير

نسلط الضوء في البداية على الآيات النازلة بشأنها

إتفق المفسرون والمحدثون على أن سورة الحشر نزلت في إجلاء بني النضير، حتى اطلق عليها سورة النضير، ولم تنزل سورة في شأن أي غزوة أُخرى مما يحكي عن أهميتها وأهمية نتائجها، فإن هذه السورة شرحت ظروف الحرب وكيفيتها ومصيرها ونتائجها بإيجاز واختصار تام[1].

---

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

ويستفاد من آيات هذه السورة أن أهل الكتاب صنفان، صنف منهم مسالمون ومستقرون، وهم على عهدهم، والصنف الآخر أشرار ومشاكسون ينقضون العهد، ولهم مضادة ومنافرة مع الرسول ﷺ دائماً، وبذلك إستحقوا عنوان الكفر، وقد قيده في الآية بـ ﴿**الذين كفروا من أهل الكتاب**...﴾.

وكذا يعلم أن هؤلاء اليهود لم يكن بوسعهم الخروج من حصونهم بشكل جماعي والإصطفاف للقتال سواء لغلبة الخوف عليهم أو لعلةٍ أُخرى، فكانوا إذا قاتلوا قاتلوا من داخل القلاع فقط، أو كانوا يغيرون من وراء الدور، ولذا من دون وجود جيش وقوات نظامية.

وكذا يمكن إستفادة تشويق المنافقين لهم بالبقاء في حصونهم حتى يواسوهم وينصروهم، وادعوا أنهم إخوانهم، والله سبحانه يفضح كذبهم وخداعهم ويكشف الستار عن أسرارهم، فأبان بجزم أنهم لا ينصرونهم ولا يواسونهم،

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ (سورة الحشر الآيات ١-١٧)

وأضاف بأن الطوائف اليهودية الأُخرى لا تأتي لنصرتهم، ثم عبّر عنهم بالذين كفروا مرة أُخرى.

فقد صرّح بأن الذي أخرجهم من ديارهم هو الله .ثم يعطف القرآن على عملهم حين خروجهم وتخريبهم بيوتهم وسلط الضوء على الناحية الأخلاقية لهذا العمل فجعله عبرة للآخرين، تلك البيوت التي كانت مأواهم وكانوا يأنسون بها صاروا يخربونها بأيديهم.

وقد صرح ايضا أن قطع الأشجار العديدة في هذه الغزوة باذن الله نحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وآله طالما أوصى بعدم قطع الأشجار وعدم قتل الحيوانات في الحروب مهما أمكن، ومن أجل أن لا يكون هناك تناقض بين قول الرسول وفعله ولا يلقي المنافقون الشك والريب في قلوب المؤمنين، ويكون عند المؤمنين جواب ذلك للأجيال الآتية فقد بين القرآن ذلك وبين أنه بأمر الله سبحانه.

ثم يذكر القرآن تشابه مصير بني النضير في عقوبة الكفر والتمرد مع بني قينقاع، وأن الطائفتين تشابهتا في نقض العهد، وكان إجلاء بني النضير جزءاً من عقابهم وقد تحقق في آخر الغزوة، ولكن القرآن أشار إليه في أول السورة كي تتوجه الأذهان إلى عاقبة كفران النعم الإلهية، ويعتبر ذلك أول جلاء جماعي لليهود، ولكن يتصور إخراج بني قينقاع كان هو الأول فكيف إعتبروا نفر بني النضير أول خروج جماعي؟ فالله العالم[1].

ومن أجل ألا يتحدث البعض بمظلومية هذه الطائفة صرح القرآن بأنها ظالمة وكافرة وفاسقة وأنهم مع المنافقين في جهنم خالدون فيها أبداً.

---

(١) إختلفوا في معنى كلمة ﴿لأول الحشر﴾ فقال البعض إن إجلاءهم هو أول حشر ثم إعماله بحق اليهود والحشر الثاني يوم القيامة يكون الى أرض الشام، نقل عن ابن عباس والزهري والجبائي، قال أبن عباس: قال النبي صلى الله عليه وآله لبني النضير أخرجوا من المدينة إلى أرض المحشر، فالشام محل الحشر في القيامة،وقيل: إن هذا أول الحشر لأنه أول فتح للرسول في قتاله مع اليهود(مجمع البيان١٠: ٢٥٨). يقول المؤلف: إن الله سبحانه كان قد كتب الجلاء على بني النضير، ولولا ذلك لعذبهم، ولذا فأول فريق تم إجلاؤهم هم بنو النضير، ولكن بني قينقاع، قيل إنهم ماتوا بمرض مسري بعد الجلاء، فكان المكتوب عليهم الهلاك دون الجلاء.

والنتيجة أن كفران اليهود بنعمة الرسالة والرعب الذي ألقاه الله سبحانه وتعالى في قلوب هؤلاء، وغدرالمنافقين ومواعيدهم الكاذبة، وإضمحلال الأواصر بين طوائف اليهود، هي الأسباب التي أدّت إلى حرمانهم الحياة في ظل الحكومة الإسلامية، وجلاهم من دورهم وديارهم وقد أخبرنا بذلك القرآن.

أسباب الغزوة

ذكرنا مسبقاً أن بني النضير بالإضافة إلى بني قينقاع وبني قريظة جاؤا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وعقدوا معه موادعة وعهداً يمكّنهم من البقاء على دينهم حتى يتضح أمر الرسول مع قومه، وبعد إخراج بني قينقاع جاؤوا وجدّدوا ذلك العهد وتعهدوا بعدم التعرض للرسول صلى الله عليه وآله وبعدم إعانة عدوه عليه، وجاؤا للمرة الثالثة وعقدوا عهداً بعد مقتل كعب، للتبري من عمله والبقاء في حماية النبي صلى الله عليه وآله، لكي يأمنوا خطر المسلمين وتعرضاتهم، ولكنهم لم يصبروا على ذلك وصاروا بصدد قتل الرسول صلى الله عليه وآله بالمكر والحيلة، وبنقضهم العهد فقدوا استقرارهم وألقوا أنفسهم في المهلكة، وبالتالي ومن أجل التخلص من الموت اضطروا لترك ديارهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وابتعدوا عن أطراف المدينة وانتقلوا إلى الشام.

والذي يدعو إلى دراسة هذه الواقعة هو ملاحظة قول المستشرقين وكتّاب اليهود بأن الرسول صلى الله عليه وآله أجحف باليهود و غيّر من رويته معهم وبتعبيربعضهم أن المسلمين من الأوس والخزرج لما قوت شوكتهم ضيقوا الخناق على اليهود وأبلحوا عليهم الظلم[1]، هل هذا بصحيح وموافقا للواقع، أو أن اليهود هم الذين داسوا عهودهم بأرجلهم واغتروا بقدرتهم وغرهم وعود المنافقين الغادرة، واستطالوا على الله ورسوله فاشتروا بذلك الخذلان وقاربوا الهلاك، والرسول هوالذي أعطاهم الفرصة للمرة الثانية فنجوا بأنفسهم؟نعم فإن شرح ذلك مهم جداً لأجل استعراض أسباب هذه الغزوة وكيفية استطالتهم على الرسول صلى الله عليه وآله.

---

(١) العلاقات: ٣٢١ عن كتاب مونقمري وات : ١٥١.

يجب الإذعان بأنه ليس لهذه الغزوة سبب واحد معين، بل هي مجموعة عوامل وأسباب دفعت ببني النضير للوقوف بوجه المسلمين، فهم وإن كانوا قد التزموا بالعهد في غزوة بني قينقاع ولم يأتوا إلى نصرتهم وشاهدوا عاقبة تجرّيهم، ولكن بعد مرور عام على نهاية بني قينقاع المرة، تجرأوا ونقضوا عهدهم.

وقيل إن أحد أسباب نقض بني النضير العهد هو عدم اشتراكهم في معركة أُحد ففي الخبر: أن مخيريق اليهودي وقف في معركة أُحد بين بني النضير وقال: يا معشر اليهود والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم السبت، قال: لا سبت لكم بعد، ثم ذهب إلى المعركة واستشهد، ويستفاد من ذلك الخبر أن الموجود في الأذهان أن على بني النضير أن يدافعوا عن المدينة ويحاربوا مع حليفهم رسول الله صلى الله عليه وآله أعداءه، ولكن اليهود لم يجيبوا مخيريق ولم يقدموا على ذلك، ولم يجبرهم الرسول صلى الله عليه وآله على الاشتراك في المعركة، ويعتبر المحققون أن عدم مشاركتهم يعد مرحلة من نقض العهد، ولكني أذهب إلى عدم لزوم ذلك عليهم لأن المعركة كانت على ١٠ كيلومترات من المدينة وبنو النضير على ١٨ كيلومتر من الجهة المخالفة، فقد لا يعدون من سكان المدينة الذين يجب عليهم الدفاع عنها.

والعهد الذي ذكر فيه لزوم الدفاع عن المدينة يخص اليهود العرب الساكنين في المدينة وأطرافها، ويضاف إلى تلك الأُمور قول الرسول صلى الله عليه وآله: لا أستعين بالمشركين لحرب المشركين، ومعه لا يعتبر عدم اشتراك بني النضير في المعركة نقضاً للعهد[1]، وبالاستلهام من رواية مجمع البيان يمكن النظر إلى معركة أُحد من منظر اليهود، بمعنى أن الخسائر العظيمة التي تحملها المسلمون من كفار قريش أثار شكوك اليهود بأنه لو كان نبياً مرسلاً حقاً ما انكسر في المعركة، فليس هو النبي الموعود، ولعل هذا التشكيك صدر من علمائهم بغياً، أرادوا أن يحتالوا بذلك ويمكروا ليصرفوا اليهود عن النبي ويكونون تبعاً لهم: ولذا فإن نتيجة معركة أُحد جرّأتهم على نقض العهد، وعلى إعلان المخالفة مع النبي، فسافر رئيسهم كعب مع أربعين شخصاً إلى مكة ليحرّض قريش على قتال النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) هنا نكتة ظريفة وهي تعبير الرسول صلى الله عليه وآله عن اليهود بالمشركين.

والسبب الآخر الذي يوجّه الغزوة هي المؤامرة لقتل الرسول صلى الله عليه وآله على يد أفراد هذه الطائفة، وتفصيل ذلك كما جاء في الخبر، هو أن اليهود إقترحوا على الرسول صلى الله عليه وآله أن يجتمع ثلاثون نفراً من كل طرف (اليهود والمسلمين) لأجل المناظرة والكلام، فإذا اقتنع اليهود أسلموا، فقبل الرسول صلى الله عليه وآله منهم ذلك الاقتراح وحضر العدد في الموعد المقرر، ولما اجتمعوا اقترح اليهود اقتراحاً آخر وقالوا: لا تبلغ أصواتنا جميع الحاضرين، فالأفضل أن ننتخب ثلاثة أشخاص من كل طرف للمناظرة والكلام، فقبل الرسول صلى الله عليه وآله ذلك، وكان لليهود خطة شريرة، فقد كان مع كل واحد من هؤلاء الثلاثة خنجراً، يتحينون الفرصة لاغتيال الرسول صلى الله عليه وآله والأشخاص الثلاثة الذين معه، ولكن امرأة يهودية كان قد أسلم أخوها فأخبرت أخاها بذلك، فأسرع ذلك الشاب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وهمس في أُذنه، فنهض الرسول وترك المجلس ورجع إلى المدينة[1].

ولا يعلم تاريخ هذه المؤامرة، ولكنه يتماشى في كل الأحوال مع أخلاق اليهود الغادرة[2].

و النقض الأساسي لهذه الطائفة، هو المؤامرة لقتل الرسول صلى الله عليه وآله بعد قصة بئر مؤنة[3]، وقالوا إن الرسول صلى الله عليه وآله أراد دفع دية العامريين اللذين قتلا على يد

---

(١) العلاقات: ٣٢٠.

(٢) العلاقات: ٣٢١، ويقول في كتاب العنصرية اليهودية: لكن ان كان هذا هو الحق وموجب للغدرعن الجميع لم يرجع اليهم الرسول لإستقراض الدية منهم ولم يأمن اليهم الا اذا قلنا هذا للامتحان والاختبار وهو يعلم ما لا نعلم وقد قيل قد نزل هذه الآية بعد هذه "يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم اذ همَّ قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكفَّ أيديهم عنكم واتقوالله وعلى الله فليتوكل المؤمنون" (المائده:١١) أقول هذا بعيد جداً بالنسبة الى زمان نزول المائدة وكيفية نزولها بأنها نزلت جملة واحدة.

(٣) قتل جماعة من القراء (يجب التحقيق في عددهم) في بئر مؤنة يحتاج إلى دراسة، فإذا كان عامر بن الطفيل قد قتل جماعة كبيرة فكيف طالب بدية شخصين من قبيلته، ولماذا لم يطالب الرسول صلى الله عليه وآله بدية القراء الذين كانوا في حماية عامر بن مالك، ولماذا يبعث سبعين نفرا على أثر طلب شخص لا يعلم هل سيسلم أو لا، خصوصاً في تلك الظروف الخطرة التي يتوقع فيها الغارة من شرق

مسلم خطأ وكان يرى نفسه ملزماً بدفعها، فمن أجل طلب العون المالي صمم بالذهاب إلى بني النضير حتى يعينه على هذا الأمر، فخرج بصحبة أمير المؤمنين وجماعة من الأصحاب من المدينة وذهبوا إليهم، فاستقبله اليهود أولاً، وأعلنوا موافقتهم في الظاهر، وتركوه ينتظر حتى يهيئوا ما أراده، وفي تلك الأثناء فكروا في قتل الرسول صلى الله عليه وآله وتشاوروا، فقال حيي بن أخطب؛ لا نجد فرصة كهذه، فإن محمّداً جاءكم بنفسه، فصمَّموا على قتله، فقرروا أن يعلو أحدهم السطح ويلقي عليه صخرة فيقتله، فانتدبوا شخصاً باسم عمرو بن جحاش، فقبل ذلك، ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر الرسول بتصميمهم، فغادر رسول الله صلى الله عليه وآله الموضع بالفور ورجع إلى المدينة ولم يخبر بذلك سوى أمير المؤمنين عليه السلام.

تكلمنا إلى هنا عن أسباب الغزوة ومقدماتها، وقبل الحديث عن كيفية الغزوة نشير إلى بعض النقاط حول الرواية السابقة:

النقطة الأُولى: ما هو وجه طلب الرسول صلى الله عليه وآله العون من بني النضير؟ هل كان ذلك على أساس العهد وبمقتضى ضوابط الأحلاف الدائرة بين القبائل، أو كان مجرد اقتراض واستعانة ومساعدة الدولة الإسلامية؟ لا أظن أن الرسول صلى الله عليه وآله كان محتاجاً إلى هذا الحد حتى يستقرض من اليهود، إلا أن يريد إختبارهم، فقد جاء في الأخبار تعبيران أحدهما الإستعانة والآخر الإستقراض، وكذا ذكروا في جواب اليهود نحوين، أحدهما: أنهم استقبلوا الرسول صلى الله عليه وآله والثاني: أنهم طعنوا عليه وقالوا: وصل بك الحال أن جئتنا بحاجتك.

النقطة الثانية: لماذا طلب الرسول ذلك من بني النضير ولم يطلب من بني قريظة؟ يمكن الإشارة في مقام الجواب إلى عدة أسباب، الأول: إن بني النضير أثرى من غيرهم، الثاني: أن بني عامر حلفاء هذه الطائفة، طبقاً لبعض الأخبار[1]، ولعل تلك الأحلاف كانت توجب بعض الأُمور بحيث تجعل الرجوع إلى بني النضير

المدينة ووجود طائفة غطفان، وللوقوف على القصة ينظر موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٣٩٩، والمغازي ١: ٣٤٧، وسيرة ابن هشام٣: ١١٩.

(١) تفسير مجمع البيان.١٠: ٢٥٧.

مقدماً على غيرهم. الثالث: يحتمل أن الرسول صلى الله عليه وآله أراد أن يختبر وفاء هذه الطائفة بالخصوص، لأنه شاهد بعض الأعمال المعادية من رئيسهم كعب. الرابع: باعتقادنا أن جميع أعمال الرسول صلى الله عليه وآله في مجال نبوته وحكومته كان بوحي من الله، فكان الرجوع إلى هذه الطائفة بأمر من الله سبحانه ولا يعلم حكمته إلا الله سبحانه.

النقطة الثالثة: لما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله المجلس بدون أن يعلمهم ولم يخبر بذلك سوى أمير المؤمنين عليه السلام فإن في هذه العمل عدة مصالح يمكن الإشارة إليها، الأُولى: أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يخبر اليهود بما أخبره جبرئيل ولم يعترض عليهم حتى وصل المدينة، لأجل أنهم لم يصنعوا شيئاً بالفعل وإن كانوا قد هيئوا مقدمات ذلك العمل، فكان من الممكن إنكارهم ذلك وإتهامهم الرسول صلى الله عليه وآله بالكذب والإفتراء.

وإذا ذاع ذلك الخبر فستقع حرب طاحنة، خصوصاً مع الإلتفات إلى المدد الذي طلبه بنوالنضير من سائر اليهود [1]، فإذا حصلت أي مواجهة فليس من المستبعد أن يقتل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وثانياً: إنه لم يخبر أصحابه لأجل أن لا يحصل عندهم إضطراب فيصدر منهم ما لا ينبغي صدوره وثالثاً: أنه لم يخبر اليهود لأجل أن لا يمنعوه من الرجوع، وكانوا يرون أنه ذهب لقضاء الحاجة، رابعاً: ترك أصحابه في مجلس اليهود كي يغفل اليهود عن رجوعه إلى المدينة ولما كان يعلم أن هدف اليهود هو قتله وحده وهم غير قاصدين لقتل أصحابه وهو حي، فلا يخاف

---

(١) وجاء في خبر آخر: أن اليهود لما صمموا على قتل النبي، ومن أجل عِظم هذا الإقدام والخطر الذي يتهددهم على أثر ذلك ، بعثوا بريداً إلى سائر الطوائف اليهودية حتى يرسلو إليهم بالمقاتلين، لأن ذلك قد يؤدي إلى الحرب، وعند رجوع ذلك البريد شاهد رسول الله صلى الله عليه وآله راجعاً إلى المدينة لوحده، فتعجب من ذلك، ولعله هو الذي أخبرهم برجوع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وبخبره عرف أهل القلعة ذلك، وإلا فإن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله _ غير أمير المؤمنين _لم يكونوا عالمين بذلك .(الإرشاد١: ٩٤، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤١٢ الهامش).

عليهم إذا بقوا هناك، ولذا فقد تركوا المجلس بعد فترة بسلام وعادوا إلى المدينة على أثر الرسول[١].

وينكر ولفنسون هذه القصّة ويستدل على إنكاره بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت في بني النضير ويذهب إلى أن هذه الحادثة لو صحت فهي غير كافية لاعلان الحرب على جميع بطون بني النضير لأننا نعلم من نص المعاهدة الكبيرة بين الرسول واليهود أن كل جرم من جهة فرد أو مجموعة أفراد يقع وزره على فاعله وأهل بيتهم دون أن يمس غيرهم بشيء، ويضيف ولفنسون إلى رايه قوله: والذي يظهر لكل ذي عينين أن بني النضير لو كانوا ينوون اغتياله غدراً لما كان هناك ضرورة لالقاء الصخرة عليه من فوق الحائط بل كان بإستطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحادثهم إذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه[٢].

ويمكن الجواب على ذلك أولاً: إذا كان يحتج بالآيات ففي نفس هذه السورة جاء التعبير عن هؤلاء اليهود بالفاسقين والكافرين والظالمين، أليس فيه الكفاية؟ وكذا فإنه عدّ بني النضير مثل بني قينقاع الذين جاء التعبير عنهم : ﴿ **إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ** ﴾.

فبنوالنضير بنقضهم العهد و مشاقتهم الله والرسول من أخس خلق الله على الكرة الأرضية، أليس في ذلك الكفاية؟

ثانياً: إن عمل رئيس القبيلة يأتي على حساب جميع القبيلة، لأن كل طائفة هي طوع رئيسها ويمكن إثبات ذلك بالرجوع إلى الكتب والرسائل التي يخاطب فيها الرسول رؤساء القبائل، كما قيل إن الراضي بعمل قوم فهو منهم، وكان أفراد تلك القبيلة راضين بعمل رئيسهم وكانوا يدافعون عنه، ألا ترى أن سلام بن مشكم الذي خالف رأي حيي بن أخطب ابتداءً ولكن تابعه في النهاية واشترك في ذلك العمل وذاق وبال أمره، ولكن يامين بن عمير وأبا سعد بن

---

(١) بحار الأنوار٢٠: ١٦٥.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب:١٤٨و١٤٩ و العلاقات :٣٢٠ .

وهب ابتعدوا عنهم واسلموا، فإذا لم يكن أفراد تلك الطائفة راضين بعمل رؤسائهم لعملوا مثل هذين، فاليهود كانوا مطيعين لرؤسائهم بصورة كاملة، وكانوا يصرون على ذلك رغما على معرفتهم الحقيقة، ومنه يعلم معنى ﴿**إتخذوا أربابا**﴾ جيداً، فالحق أن أفراد الطائفة يتحملون وزر رؤسائهم ما أطاعوهم،

ثالثاً:وبعد فترة من واقعة بني النضير قال الرسول ﷺ ليامين بن عمير بن كعب الذي أسلم في الحصار- إبن عم عمرو بن حجاش-يوماً: ماذا صنعت مع إبن عمك الذي أراد قتلي؟

وهذا الخبر يحكي بوضوح عن وجود تلك المؤامرة، فلاوجه لإنكار ولفنسون ذلك.

وقيل:إن إبن يامين خجل من كلام النبي، فأعطى في ذلك اليوم مالاً لشخص كي يقتل عمرواً، فقتله.

ومن هنا يعلم أن إنكار هؤلاء المؤلفين واعتراضاتهم المغرضة مجرد خداع وحيلة، ونضيف تكميلاً للجواب: إن المدينة مركز المسلمين مازالت عرضة لهجوم الأعراب وعبدة الأوثان وقد جهزت قريش الجيوش ودفعتها إلى المدينة عدة مرات خلال هذه السنوات الثلاث، وفي كل ذلك يحاول اليهود مساعدتهم، والذي حال دون وصولهم إلى أهدافهم هو فطنة الرسول ﷺ ونباهته، والأُمور الأُخرى التي لا تكون إلا بعلم النبوة وإلا فإن عزم قريش واليهود وإقدامهم كان جاداً ومؤثراً، وكانوا متعطشين لدم الرسول ﷺ، ولولاحفظ الله له لكانوا قد قتلوه في الأيام الأُولى، و مع ذلك كيف يقطع هؤلاء النظر عن مساعدة اليهود .

ونحن قد لا يمكننا أن نعي مقتضيات تلك الدروة جيداً، فانظر إلى هذا الكتاب الذي بعثه النبي ﷺ إلى أهل خيبر يطلب منهم دية المقتول الذي قتل قريباً منهم ولاحظ كيف أملاه :

كتب إلى يهود خيبر:" **أنه قد قتل بين أبياتكم فودّوه أو ائذنوا بحربٍ من الله**".

فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً، فودّاه الرسول من عنده[1].

---

(١) الوثائق: ٦٧.

كيف من الممكن أن يكون قتل مسلم عادي وعدم جبرانه بالدية حرباً مع الله، ولا يكون كل ذلك المكر والحيلة والخيانة بالنبي صلى الله عليه وآله والمسلمين والتواطؤ مع المشركين والأعداء نقضاً للعهد.

وما شخوص النبي صلى الله عليه وآله بنفسه إلى يهود النضير في قصة دية العامريين مع تمكنه من إرسال رسول إلا ويعني احترام تلك الطائفة وليدلهم على أنه ليس له أي نزاع معهم، ولكنهم لم يقابلوا ذلك الاحترام إلا بالخيانة والغدر، ولم يكتفوا بعدم العمل بما وعدوه به من القرض، بل أرسلوا عمرو بن جحاش إلى السطح ليلقي بالصخرة على رسول الله ويغتاله، فبرهنوا على نواياهم وقاموا بتنفيذها، وقد غفلوا عن أن الرسول صلى الله عليه وآله في أمان الله وجبرئيل يرعاه ويخبره بنواياهم المشؤمة، أليس في ذلك نقضاً للعهد، وهل إن خبر جبرئيل الملك المقرب يخالف الواقع. فلماذا حينما بعث الرسول محمد بن مسلمة و أبلغهم ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله مما يتضمن غدرهم سكتوا ولم ينكروا الخيانة والغدر، ولم يعملوا شيئاً سوى أنهم أطرقوا، ولماذا رضوا بالحكم فوراً ولم يعترضوا عليه. **رابعاً**: ما كان بوسع اليهود أن يتحاربوا مع الرسول وأصحابه، لأنهم لا يجرأون على ذلك ولا يجرأ أحد على مواجهة النبي صلى الله عليه وآله لأن هيبة الرسول رغم رقته لا تدع أحداً ينظر إليه فكيف مواجهته وشهر السيف عليه، ولا ينبغي الغفلة عن وجود أمير المؤمنين عليه السلام فكان اليهود يعرفونه جيداً، وأنه لا يغلب حتى لو اجتمع عليه اليهود صفاً بعد صف، بالإضافة إلى أن قلاع بني النضير على مقربة من المدينة فلا يتمكن اليهود من صيانة أنفسهم من مدد المسلمين، ثم لا يكون لليهود بعد قتل النبي صلى الله عليه وآله مجالاً للعيش في تلك الأطراف ولا يقر لهم قرار، فالخطة التي رسمها اليهود حسبوا فيها جميع قدراتهم وظروفهم، والذي يبدو من هذه الخطة أن فكرتهم هي أنهم إذا قتلوا النبي بتلك الطريقة، يمكنهم أن يبرؤا أنفسهم إذا إعترض عليهم المسلمون ويلقون باللائمة على عمرو بن جحاش المعهود، بل حتى أنهم قد يقتلونه أو يدفعونه للمسلمين يقتصون منه، ويتبرؤن من عمله ويظهرون عدم إطلاعهم.

ولكن السؤال المطروح هو سبب محاولة بني النضير لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله، فمن الواضح أن عداء حيي بن أخطب كان من السابق، من يوم دخول الرسول صلى الله عليه وآله المدينة كما سمعت، ومن ناحية فإن عيون كثيرمن اليهود بكت على كعب وولّد حس الإنتقام عند حُيي بن أخطب، فأخذ يحاول الإنتقام من النبي صلى الله عليه وآله غيلة وبالمكر.

ومن ناحية أُخرى فإن قريش كانت تتهدد اليهود وتعدهم بأنهم إذا لم يقتلوا محمداً فسيهجمون على المدينة ويقتلون الرجال ويسبون النساء والذراري[١]، فقد ضاعف هذا التهديد من تحرك اليهود، ومع إنتصارالرسول في بدر وإخراج بني قينقاع ضاقت العرصة على اليهود، وهم يجدون أنفسهم في محاصرة سلطة النبي صلى الله عليه وآله فكانوا يجددون العهد معه دائماً الأمر الذي أثار غضب حيي بن أخطب للغاية [٢].

واليهود الذين كانوا يفكرون في قتل النبي صلى الله عليه وآله من الأول صاروا يغتنمون هذه الفرصة الذهبية التي لم يكونوا يحلمون بها، فصمموّا على قتله في تلك العجالة فكشفوا بذلك عن نواياهم الغادرة الشريرة، وقيل: إن حيي بن أخطب قال: يا معشر اليهود قد جاءكم محمد في نفير من أصحابه لا يبلغون عشرة فأطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي هو تحته فاقتلوه فلن تجدوها خلى منه الساعة [٣].

فتأملوا ايّها القاري الكريم الواقعة فإن الرسول صلى الله عليه وآله كان يريد بقاءهم و سعادتهم، وهم يفكرون في قتله ومحو دينه.

ويتضح مما ذكرناه في علل هذه الغزوة مع تواجد الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة وضمانه رعاية العهود وإشرافه على أعمال المسلمين يمكن الجزم بعدم صدور

---

(١) العلاقات: ٣١٦ عن إبن علي الشامي في سبل الهدى والرشاد .

(٢) البحار٢٠: ١٦٤.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي٢ : ٤١١، ٤١٣.

عمل غير مناسب من ناحية المسلمين يغضب اليهود و يدعوهم إلى العصيان، لأن النبي ﷺ لم يدعهم يظلمون أهل الكتاب [١].

بينما صار الكاتب اليهودي مونتقمري وات يهذو ويقول إن حادثة بني النضير هي نتيجة لتراجع الروح المعنوية عند المسلمين ولكن لم يأخذ هذا الكاتب عداء كعب بن الأشرف وحيي ين أخطب بنظر الإعتبار، ومهما غاب عن ذاكرة التاريخ من الوقائع فإن تحركات اليهود وتدبيرهم للنبي ﷺ والمسلمين لم يغب عنها بالكامل.

---

(١) تتضح هذه الحقيقة من كلام كعب بن أسد في غزوة بني قريظة التي وقعت بعد ذلك .

إعلان الحكم الإبتداي و ردود فعل اليهود

بعدما شاهده النبي صلى الله عليه وآله من عداء بني النضير للإسلام لم ير الصلاح في بقائهم في أطراف المدينة، فاستغل النقض الذي صدر منهم للعهد وعاقبهم بأقل عقوبة أي النفي بعدما كان استحقاقهم بمقتضى بنود المعاهدة هو القتل، فحكم بخروجهم وأبلغهم ذلك على لسان محمد بن مسلمة قاتل كعب بن أشرف، فالتقى ابن مسلمة بيحيي بن أخطب وغيره ليقرأ عليهم بيان الرسول صلى الله عليه وآله ويبلغهم حكمه .

وفي رواية أن محمد بن مسلمة قال لهم، إن رسول الله ارسلني اليكم برسالة ولست اذكرها لكم حتى اعرفكم شيئا تعرفونه: انشدكم بالتوراة التي انزل الله على موسى هل تعلمون أني جئتكم قبل ان يبعث محمد وبينكم التوراة فقلتم لي في مجلسكم هذا : يابن مسلمة ان شئت ان نغديك، غديناك وإن شئت أن نهودك هودناك ؟ فقلت لكم غدوني ولا تهودوني فإني والله لا أتهود أبدا، فقلتم لي ما يمنعك من ديننا إلا أنه دين يهود كأنك تريد دين الحنيفية التي سمعت بها : «...أتاكم صاحبها الضحوك القتال، في عينيه حمرة، يأتي من قبل اليمن، يركب البعير ويلبس الشملة ويجتزي بالكسرة، سيفه على عانته، وليس معه آية سوى ينطق بالحكمة والله ليكونن بقريتكم هذه قتل ومثل وسلب؟فقال اليهود:بلى نحن قلنا لك ذلك، ولكن ليس محمّد هو ذلك الشخص الموعود، ثم قرأ عليهم حكم رسول الله وأبلغهم إياه:

"فبما هممتم به من الغدر ونقضكم العهد فأخرجوا من أرضي إلى عشرة أيام، فمن يشاهد بعدها يقتل"[1].

فقال اليهود: ما كنا نظن أن يبلغنا ذلك رجل من حلفائنا من الأوس، فقال محمد بن مسلمة : تغيرت القلوب. وأما حُيي بن أخطب الذي كان يخاطبه إبن مسلمة رضي بذلك و سلّم من دون أي إعتراض، لأنه علم أنه لا حيلة لبني النضير و لايسعهم سوى الخروج من دارهم وديارهم والإنتقال إلى محل آخر.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤١٣، في الهامش تفسير القمي٢: ٣٥٩، إعلام الورى :٩٨و٩٩.

والرسول صادق مصدق وكلامه حجة قاطعة، يستفاد من بلاغه أن ما قام به اليهود كاف لنقض العهد، والرسول إنما عمل بما أتاه به جبرئيل عن إله السماء والارض سبحانه، ولعمري فإن هؤلاء لا يريدون فهم الحقيقة ولا معرفة الحق، وهو ما يدعو إلى التأسف الشديد.

ويمكن هنا طرح أسئلة، **الأول**: لماذا رضي بنو النضير بحكم الرسول ابتداءً من دون أي اعتراض أو مقاومة، ولم يطلبوا الحل السياسي، ولم يعتذروا، ولا الإمهال و التخفيف أو الصلح، فإن ذلك اولاً: يورث الظن باعترافهم بالجريمة والقيام بعمل يستحقون به ذلك. وثانياً: أنهم بعملهم لم يبق لهم أي وجاهة عند الرسول صلى الله عليه وآله حتى يطلبوا العفو أو التخفيف .

مع أن ضعف الروابط مع بني قريظة وما شاهدوه من غدر المنافقين ببني قينقاع كانوا يتحسسون بالوحدة وعدم وجود ناصر كي يقاوموا حتى مجيء المدد، فليس لهم سوى الخضوع أمام حكم النبي صلى الله عليه وآله ومن ناحية أُخرى فإن الله سبحانه ألقى في قلوبهم الرعب كما أشار إليه القرآن، وهو أهم أسباب التسليم في هذه المرحلة .

السؤال الثاني: لماذا إختارالرسول صلى الله عليه وآله لهم الجلاء؟ وقد أشرنا إلى أن حكم نقض العهد هو القتل، وعلى أساس ذلك قتل كعب، وعلى أساسه كان عبد الله بن أُبي يخشى على بني قينقاع، فتوسط لهم وطلب التخفيف، ولكن يراه القرآن هذا من الإرادة والقضاء الإلهي والآية تعطي ذلك المعنى: ﴿ **وَلَوْلَا أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا**.﴾والعذاب في الدّنيا هو تجرعهم المنون و قتلهم بيد المسلمين، و رسول الله صلى الله عليه وآله حكم هنا بجلاءبني النضير مع نقضهم المكرر و إغضائه عن تعدياتهم لعدة مرات، فلم يقطع عطفه هذه المرة واكتفى بتبعيدهم موافقا لما اراد الله سبحانه .

و رؤساء بني النضير كانوا يترقبون ذلك الحكم قبل سماعهم بحكم النبي صلى الله عليه وآله ، ففي رواية أن عبد الله بن صوريا كان في قلعة بني النضير، ولما علم برجوع النبي

إلى المدينة قال: إن ربه أطلعه على ما أردتموه من الغدر ولا يأتيكم والله بأول ما يأتيكم إلا رسول محمد يأمركم عنه بالجلاء [١].

وأشرنا إلى أن سلام بن مشكم كان ينصح حيي بن أخطب ويمنعه من اغتيال الرسول وقال له: إنك بعملك هذا ستجلى من ديارك، ويعلم من كلام رؤساء اليهود أنهم كانوا يترقبون هذا العقاب جزاء على عملهم، وبذلك نرد على كلام ولنفسون المتقدم، بأن الجلاء والنفر جزاء لنقضهم ليس بجزاف حتى عند علماءهم .

خداع شيطان المدينة وظهور شقاء آخر

بعد خضوع اليهود لحكم الرسول ﷺ صاروا بصدد جمع أثاثهم وأموالهم واستأجروا دواباً لحمل متاعهم[٢].

ولما علم عبد الله بن أُبي بتصميم بني النضيرعلى الرحيل بعث إليهم من يقول لهم امكثوا في دوركم ولا تتركوا مساكنكم، سآتي لمددكم مع ألفي فارس، وأرغّب بني قريظة لنصرتكم، واليهود إستناداً إلى وعد إبن أُبي تشجعوا، وأظهروا المخالفة مع حكم الرسول، وأرسلوا إليه أننا سنبقى في دورنا، فافعل ما شئت[٣].

تاريخ الغزوة

يرى البعض كالزهري أن الغزوة كانت بعد ستة أشهر من معركة بدر وقبل معركة أُحد، ويرى ابن إسحاق أنها كانت في السنة الرابعة للهجرة وبعد معركة أُحد، والمنقول عن الواقدي ٣٧ شهراً بعد الهجرة، في السّنة الرابعة شهر ربيع الأول.

---

(١) البحار٢٠: ١٦٤.موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٠٤وهامش ٤١٤.

(٢) العلاقات: ٣٢١.

(٣) العلاقات: ٣٢٢ وموسوعة التاريخ الاسلامي ٢:٤١٤و٤١٥ في الهامش.

وتردد صاحب كتاب موسوعة التاريخ الاسلامي بتقارن مقتل كعب مع غزوة بني النضير[١].

وفي كتاب يهود حجاز ذهب إلى تقارنهما وجعله الموافق لرأي اليعقوبي والشيخ المفيد[٢]، ولكنه يختلف مع قول المغازي وإبن هشام بسنة، وقيل: إن هناك قرائن أُخرى تؤيد هذا الرأي[٣].

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٠٦ في الهامش، عن الواقدي١: ٣٦٤، ويرى صاحب العلاقات أن شروع الغزوة كان في السنة الرابعة بعد معركة أُحد، العلاقات: ٣١٦، وفي كتاب العنصرية اليهودية ٢: ٤٢٤- ٤٢٨يرى أن الغزوة في السنة الرابعة.

(٢) يهود حجاز: ١٢٥ – ٢٤٧.

(٣) بحار الأنوار٢٠ :١٦٤-.«ثم كانت غزوة بني النضير و ذلك أن رسول الله ﷺ مشى إلى كعب بن الأشرف يستقرضه فقال مرحبا بك يا أبا القاسم و أهلا فجلس رسول الله ص و أصحابه فقام كأنه يصنع لهم طعاما و حدث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ، فنزل جبرئيل ع فأخبره بما همَّ به القوم من الغدر فقام ﷺ كأنه يقضي حاجة و عرف أنهم لا يقتلون أصحابه و هو حي فأخذ ص الطريق نحو المدينة فاستقبله بعض أصحاب كعب الذين كان أرسل إليهم يستعين بهم على رسول الله ﷺ فأخبر كعبا بذلك فسار المسلمون راجعين فقال عبد الله ابن صوريا و كان أعلم اليهود إن ربه أطلعه على ما أردتموه من الغدر ولا يأتيكم والله أول ما يأتيكم إلا رسول محمد يأمركم عنه بالجلاء ، فأطيعوني في خصلتين لا خير في الثالثة ، أن تسلموا فتأمنوا على دياركم و أموالكم .....و إلا فإنه يأتيكم من يقول لكم أخرجوا من دياركم فقالوا هذه أحب إلينا قال أما إن الأولى خير لكم منها و لو لا أني أفضحكم لأسلمت ثم بعث محمد بن مسلمة إليهم يأمرهم بالرحيل و الجلاء عن ديارهم و أموالهم و أمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال» نجد في هذا الخبر ما دل على حياة كعب حتى غزوة بني النضير، ولكن قد وقع تصحيف والصحيح حيي بن أخطب. أقول :وفي هذا جواب ولفنسون وغيره بان هذا رأي حبر من أحبارهم بان نتيجة نقضهم هوالجلاءعلى أقل تقديرفي المجازاة و لابد أن يقترن بقرائن لم تصل الينا حتى نحكم فيه جزما وندرك حقيقه أمرهم.

كيفية الغزوة والحصار

لما أرسل اليهود وأبلغوا النبي صلى الله عليه وآله بأنهم سيبقون في دورهم فيفعل ما شاء، أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد انتهاء المهلة عشرة أيام لواء الحرب بيد أمير المؤمنين عليه السلام وأرسله مع جماعة من الأصحاب إلى قلاع بني النضير، ثم خرج وراءهم، فلما وصلوا قرب القلعة نصبوا خيمة رسول الله على قلة بني خطمة حتى يشرف على تحركات العدو وعلى أصحابه، ولكن لما جاء سهم من ناحية اليهود وأصاب الخيمة وعلموا أنهم يريدون قتل الرسول صلى الله عليه وآله أصر الأصحاب على نصب الخيمة في موضع آخر بعيداً عن مرمى اليهود، فكانت مدة الحصار ستة أيام إلى عشرين يوماً على اختلاف الأقوال، ولم يكن من اليهود في أيام الحصار سوى الرمي بالنبل من داخل القلاع او بالحجارة، ولم يكن منهم ما يستحق الذكر، لأنهم كانوا خائفين جداً، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يراقب غارات اليهود لأنه علم أنهم يطلبون الفرصة، فشاهد في بعض الليالي جماعة يزحفون نحو جيش المسلمين ويريدون الغارة عليهم، فرصدهم وابتعد من الجيش ولم تكن من عادته ترك الرسول صلى الله عليه وآله ففقده أصحاب الرسول لمدة، ولما انصرم شيء من الليل رأوه يقترب من خيمة الرسول، فدخل عليه وأخبره بغارة عشرة من اليهود، وكان قد تمكن من قتل رئيسهم، وأتى برأسه ليدل على قصدهم وجنايتهم، وبعد ما أخبر الرسول صلى الله عليه وآله بذلك استعان به الرسول للقبض على التسعة الباقين وأرسل معه ثلاثة أو عشرة مقاتلين فأدركوهم قبل أن يصلوا القلعة وقتلوهم.

وقيل: إن رئيسهم كان رجلاً شجاعاً اسمه عزوَر او غَزوَر[1].

وقد أُشير إلى جميع ذلك في القرآن: ﴿ **لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ** ﴾ فقد كان منهم القتال بنوعيه المذكورين في الآية في هذه الغزوة، فقاتلوا من داخل القلاع برمي السهام، وغاروا من وراء الجدران.

---

(١) في تفسير القمي ٣٥٩:٢ والارشاد٢:٩٢- قيل ان اسم رئيسهم هو عزوَك او عزوَر وهو رجل شجاع، و نقل الدكتور الشوقي أن إسمه غزول . (غزوة الخندق ص٤٠) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤٠٥ .

لاحظوا أن مراقبة علي عليه السلام الشديدة انقذت الرسول والمسلمين من خطر عظيم، ولعل السبب الأساسي لتسليم اليهود هو قتل رئيس تلك المجموعة ومن معه، ولم يبلغنا خبر مفصل عن ذلك، وقيل إن عزورا او غزوك هو الذي رمى خيمة رسول الله بالسهم، فرد عليه أمير المؤمنين بما سمعت[1] والمثير للدهشة إعراض أكثر محققي العامة عن ذكر هذا الموقف الشجاع، مع أنه كان قائد هذه الغزوة في كل مراحلها.

ومهما يكن من ذلك فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يرغب بعدم إراقة دمٍ مهما أمكن وكان يعطف على أهل الكتاب بشكل مذهل، فإن مدة محاصرتهم عشرين يوماً لكثير، وكان بوسعهم أن يسلموا أنفسهم لتلك المدة، وما صبر الرسول صلى الله عليه وآله إلا لمراعاتهم، واتماماً للحجة، وإلا فكان بإمكانه أن يهجم عليهم بعد مرور ثلاثة أيام كما حدث في خيبر، ولكنه لم يفعل ذلك لأن هذه الغزوة هي الغزوة الثانية لليهود، عسى أن يفيق رؤساءهم من نومتهم و يتركوا الإستكبار والغرور، ويكوّن مجالاً لأفراد الطائفة كي يتخذوا قراراً صحيحاً ويختاروا طريق الحق، ولكن من المؤسف أنهم أطبقوا أعينهم وسدّوا آذانهم وأسدلوا الستائر على قلوبهم.

وإنما صبر بنوالنضير ولم يسلموا طوال هذه المدة ينتظرون المدد والعون من عبد الله بن أُبي ويتأملون دفاعه عنهم، لأنه هوالذي تسبب في مخالفتهم مع حكم الرسول، ولكن لم ينصرهم ولم يفك عنهم الحصار. لا شك أنه غير قادر على مثل ذلك، وكان قد خدع بني قينقاع من قبل، ولكن اليهود خُدعوا بكلامه مرة ثانية، ويأتي السؤال عن وعده بني النضير بالدفاع عنهم وحمايتهم وهو غير قادر على ذلك؟ ألم ير عاقبة بني قينقاع وهو يعلم بقدرة النبي صلى الله عليه وآله وحزمه، فليس من المعقول الإشارة على بني النضير بالبقاء في دورهم، هل كان يرغب في بقائهم ليحمونه ويعينونه في الوقت المناسب، ولايتحسس بالوحدة مع رحيلهم؟ فلماذا لم يسعفهم ولم يف لهم بما وعدهم، وهل كان يريد نصرهم حقاً؟

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤٠٥.

وبزعمي فإن ابن أُبي كان يفضل سلامة قريش على سلامة اليهود، فراح يسعى في إثارة حفيظة اليهود حتى يقفوا بوجه الرسول ﷺ فينشغل بهم ولا يتمكن من الإطاحة بقريش، فقد وجدناه بالأمس يأمر أصحابه بترك المعركة في أُحد لإضعاف جبهة الرسول ﷺ لأجل تلك الغاية، وهي قرينة مؤيدة لهذا الرأي. فلم يكن ابن أُبي ليتألم على اليهود ويعطف عليهم، ولم يرد إغاثتهم، لعل أراد أن ينتقم منهم لأجل ما كان منهم قبل الإسلام، فعرّضهم للعطب، وقد يعلم ذلك من كلام سلام بن مشكم حينما نصح حيي بن أخطب.

والغريب أن ابن أخطب مع ما شاهده من خيانة هذا المنافق ببني قينقاع، أصر على الاعتماد على مواعيده فألقى قومه في المهلكة، والحال أن حُيي كان يعرف ابن أُبي أكثر من أي شخص آخر، ولكن عداوة الرسول أعمت بصره وسلبت لبّه، حتى اعتمد في هذا الأمر الخطير على منافق مثله، وقد يقول البعض: إن الأمر عنده لا يخرج عن حالين إما أن يتغلب على الرسول فهو المرغوب فيه، أو يُغلب فيكون مصير اليهود هو ما حكم عليهم في أول الأمر، ومعه لا يفرق الحال، ولكن الأمر ليس كذلك فانظر إلى بقية الواقعة.

ولما شاهد الرسول صمودهم، أمر فقطعت أشجار النخيل المحيطة بالقلعة، فاعترض على ذلك رجال اليهود وأخذت نساؤهم تصيح وتبكي، ولم يقطع شيئاً معتداً به من النخل إلا وسلّم اليهود أنفسهم، وقيل إنه لم يقطع سوى ست نخلات، وقيل: إنهم كانوا يحبون النخل حباً شديداً ولذلك استسلموا وأخلوا القلعة، ولكن مثل ذلك لا يكفي لتوجيه تسليمهم، لأنهم على وشك ترك الأرض بما فيها وأخذوا بتخريب دورهم بأيديهم كيف يأسفون على قطع نخيلات كل ذلك الأسف ويتركون كل شيء من أجلها ويسلمون أنفسهم.

فلابد من وجود سرٍ آخر وراء قطع النخل لم يبلغنا خبره، وقد يعتبر ذلك رفعاً للموانع والتهيئة لهجوم كاسح، أو كانوا يخافون ما هو سائد من قطع النخيل ثم إحراقها عليهم فتحرق دورهم، وبذلك كان سلام بن مشكم ينصح حيي بن

أخطب باستمرار ويصر على قبول حكم النبي ﷺ كي لا يبلغ الأمر إلى أسوأ من ذلك[١].

وما صبر الرسول ﷺ لمدة عشرين يوماً لم يخلع عنه الدرعة ووقوف الجيش على أُهبة الإستعداد إلا لأجل أن لا يجر إلى القتال وإراقة الدماء، فيجبرهم على الرحيل، نعم هو نبي الرحمة ولم يزل يترك باباً للشفقة، والقرآن يقول: ﴿ **وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ** ﴾ يعني أن الأمر قد صدر على الرحيل ولكن اليهود يستحقون ان يتجرعوا مرارة الموت في بيوتهم، ولكن لم يحن الوقت لمثل تلك العقوبة، ولابد من أن تتم الحجة على اليهود اكثر، وقد ترك هذا العقاب والمصير لبني قريظة ثم أهل خيبر، حيث قتل جماعة منهم في المعركة .

وبالطبع فإن هؤلاء اليهود لو لم يخالفوا حكم الرسول ولم ينخدعوا بالمنافقين كان بإمكانهم أن يصحبوا جميع أموالهم بكل احترام ويخرجوا من منازلهم، ولكنهم عصوا، فلما رأى الرسول روح الكبروكفران النعم فيهم، علم أن ذلك الحكم الأول لا يكفيهم، ومن ناحية أخرى إذا تقرر خروجهم بجميع أموالهم وأثاثهم إلى خيبر و أذرعات فإنهم سرعان ما سيشعلون نار الفتنة من جديد، ولذلك شدد عليهم وقال: الآن وقد خالفتم حكمي الأول لا يحق لأحدكم أن يأخذ معه سوى حمل بعير ويرتحل، فاضطرب حيي بن أخطب وامتنع من قبول ذلك، فنصحه سلام بن مشكم الذي كان يعلم أنه إذا لم يقبل الحكم الجديد فالحكم اللاحق أشد وأصعب، ولكنه تكبّر واستعلى أمام الرسول ﷺ مما حدى بالرسول إلى تشديد الأمر عليهم أكثر من ذلك، فقرر في المرة الثالثة أن يصحب كل ثلاث عوائل حمل بعير يرتحلون ويخرجون من تلك المنطقة بسرعة، فانطلق اليهود الذين سلّموا

---

(١) اتفق نظير ذلك في السفر إلى تبوك لما التجأ أحد أعداء الله إلى دار يهودي، فأبلغ اما أن يغادر الدار أو تحرق عليه، ولما لم يغادرها أحرق بعض الأصحاب الدار فاضطر اليهودي إلى تركها. أنظر غزوة تبوك العلاقات: ٣٨٥ .وفي تاريخ اليهود وكتبهم المقدسة، انه كلما عجز الحاكم اليهودي عن إحتلال قلعة العدو يلقي عليها النار ويحرقها مع ساكنيها وهم أحياء، ولعل بنو النضير توهّموا ذلك بالنسبة للنبي(ص) .

أمرهم بيد شخص جاهل وأحمق مثل حيي بن أخطب فطلبوا من الرسول أن يمهلهم ثلاثة أيام يجمعوا متاعهم كل ثلاث عوائل حمل بعير، فحملوا الذهب والمجوهرات والأقمشة واتجهوا نحو الشام، وفي كل ذلك منعوا من حمل السلاح وكان جزاء من يحمل سلاحاً القتل، فأمر الرسول بخروج جميع الطائفة وكل من شوهد من بني النضير بعدها فسيقتل بالسيف[١].

وأتصور أن هذا التهديد الذي نقله البعض عن النبي ﷺ بعد مقتل كعب «وأن من وجد يهودياً فليقتله»، كان عقيب هذه الغزوة، والمقصود هم يهود بني النضير، ولعل هذا شاهد آخر على تقارب مقتل كعب وزمان الغزوة.

ولكن اليهود مع كل ذلك الذل والهوان الذي أصابهم لم يقلعوا عن عاداتهم السيئة وبادروا إلى عمل يعكس خصلتهم اليهودية، ودوام ملاحاتهم للنبي ﷺ، فقد قيل إن يهود بني النضير لما ارتحلوا لبس رجالهم أفخر ملابسهم ونساءهم حليهن وأصلحن وجوههن وخرجوا من المدينة ونساءهم تهلهل، فتوادع البعض منهم مع المنافقين و هم ذرفوا عليهم دموع الحسرة فانكشف بذلك أمر بعض المنافقين[٢].

و مع الإلتفات إلى أن قطار الجمال الحامل لمتاعهم بلغ ستمائة جمل، والمقاتلين

منهم يبلغ عددهم ألف مقاتل وبذلك يناهز عددهم الألفين شخصاً، كانوا قد استغلوا مساحات واسعة، ولا يعلم كيف كان شكل المدينة حين ارتحالهم، والحال أنه لم يمض على زمان دخول الرسول المدينة الا ثلاث سنوات وأشهراً، مما يحكي عن اقتدار، الرسول ﷺ وشوكته بحيث استطاع أن يرغم أُنوف المنافقين المدافعين عنهم[٣].

---

(١) البحار٢٠ : ١٦٥، تفسير القمي٢: ٣٥٩، يهود حجاز: ١٤٥.

(٢) سيرة إبن هشام٣: ١٢٥، تاريخ اليهود في بلاد العرب:١٥١، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤١٨ في الهامش، يهود حجاز: ١٤٥.

(٣) العنصرية اليهودية٢: ٤٣٩، والموجود في الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين أن جلاءهم كان ليلاً.

كما قام يهود بني النضير حين ترك ديارهم بسفاهة أخرى حيث قاموا بتخريب منازلهم بأيديهم حتى لا يستفيد منها المسلمون، ولايعلم مقدار ذلك التخريب، ولكن ولفنسون من أجل التغطية على هذا العمل الحاكي عن حسرتهم يقول: إن اليهود كانوا يخفون على أبواب دورهم لوحات كتب عليها وصايا موسى لبني اسرائيل وخرب هؤلاء اليهود أبواب دورهم ليأخذوا تلك اللوحات وتكون معهم فما هو مذكور في القرآن من تخريب الدور يراد به تخريب أبواب الدور فقط[١]، هل إن كلام ولفنسون صحيح برأيك؟ فإذا كان تخريب الدور بهذا الحد فقط، وقابلة للسكنى، لا حاجة لذكره في القرآن وجعله عبرة للآخرين، كما أن القرآن تحدث عن تخريب منازلهم بيد المسلمين أيضاً، فلو كانت قابلة للسكنى[٢]، لم يسمح الرسول صلى الله عليه وآله بتهديمها، فلابد أن تخريب اليهود لمنازلهم كان بحيث صارت غير قابلة للسكنى، ويعتقد البعض أن اليهود ثقبوا جدران منازلهم لأجل الفرار، والتسلل إلى الأطراف والجواب بأن الفرار للنجاة من الهلكة الإحتمالية ومع هذا الخوف لامجال للزينة والتحلي كما سمعت، فليس ردّ فعلهم الا الشقاء والعداوة والسفاهة .

والمستفاد من أخبار الباب أن حكم الجلاء لم يترك لهم اختيار الجهة والمقصد، بل عين لهم الرحيل إلى الشام[٣]، إلا أُسرتين أُذن لهما بالذهاب إلى خيبر والسكنى

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب : ١٥٠.

(٢) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٥٠، العلاقات: ٣١٩، ويذهب البعض إلى رأي آخر فراجع.

(٣) ذهب أكثر بني النضير إلى أذرعات، وسكن رؤساهم جنب إخوانهم اليهود في خيبر، ولعل ذلك من أجل إستعادة القوى وترقب الفرصة للإنتقام، ولم يذهبوا إلى الشام، والعجيب أن هؤلاء أنفسهم اشتركوا في غزوة خيبر ولم يبدوا إستعدادهم للدخول في الإسلام، وكان يهود خيبر من أعدى أعداء الإسلام والمسلمين، وجاء في الحديث أن يهود خيبر كانوا يعادون علياً والنبي عيسى عليهما السلام بشدة، فلذا نجد أن خيبر قد تبدلت إلى مركز عداوة أمير المؤمنين عليه السلام وبذلك أخذت تتحرك تحركاً مؤثراً وتتعاون مع المشركين في مقابل الإسلام والمسلمين.

هناك، ولكن نقل بعض المؤرخين الخبر وكأن اختيار الجهة والمقصد كان بيد اليهود، وأنهم اختاروا الذهاب إلى الشام أو إلى خيبر أو إلى الحيرة[1].

والأسرتان اللتان ذهبتا إلى خيبر هم آل أبي الحُقيق وآل حُيي بن أخطب وقد لعب كل منهما دوراً أساسياً في فتنة بني قريظة.

وانتخاب أذرعات (موضع باتجاه الشام) كان دقيقاً، فإن الفاصلة بين المدينة والشام كبيرة. كما ويوجد في الطريق الفاصل بينهما قرى متعددة، ولكن لماذا كان على اليهود أن يخرجوا من المنطقة العربية والجزيرة العربية، ويرحلون إلى أذرعات؟ هل كان شمال الجزيرة خاضعاً للرسول في تلك الفترة؟ فإذا كان الأمر كذلك فإن انتخاب أذرعات لم يكن باختيار اليهود، والاحتمال الآخر أن اختيار ذلك الموضع لأنه وطن اليهود الأصلي، وكان خارجاً عن حدود دولة الرسول ﷺ بشكل كامل.

لم يسلم من اليهود ولم يعتبر إلا ثلاثة أشخاص: منهم أبو سعد بن وهب ويامين بن عمير، قالا لحيي بن أخطب: والله إنك تعلم أنه رسول الله، فماذا جلوسك، تعال لنُسلم ونأمن على أنفسنا وأموالنا، فنزلا ليلاً من القلعة وسلما أنفسهما وأسلما، فالسؤال هنا عن سبب عدم تبري اليهود من أعمال رؤسائهم؟ وما منع سَلّام بن مشكم الذي كان يعارض حيي بن أخطب ولايرضى بنقض العهد من أن يتبرأ من عمله ويعتزله ؟ يجب القول إن العصبية والتمييز العنصري واللّجاجة والغرور قد رسخ في نفوسهم بحيث لم يعتنق الإسلام من بين كل تلك الجماهير سوى العدد القليل الذين يعدون بالأصابع، فإن هذا الإنقياد الأعمى الحاكم بين عامة الناس هو

الذي سبّب صدور الأحكام التي يستحقها رؤساؤهم على جميع أفراد الطائفة، لأن هؤلاء العامة تعهدوا بالوفاء لرؤسائهم .

ثم إنا أشرنا سابقاً إلى أن ابن أُبي كان قد وعد اليهود بتحريك بني قريظة لنصرة بني النضير، ولكن لم ينجح و بنوقريظه اختفوا فترة الحصار وما أعانوهم

---

(١) البحار٢٠: ١٦١ رواه عن ابن عباس.

بشيء، ولو أنهم أمدوهم بشيء لوصل إلينا، ولعل ذلك لأجل أن إعانتهم على الرسول تُعد نقضاً للعهد، وهم لم يكونوا في تلك الفترة بصدد نقض عهدهم مع الرسول، حتى قيل: إن بني قريظة في فترة حصار بني النضير جاؤا إلى الرسول صلى الله عليه وآله وجددوا العهد معه، فهو مما يدل على تخوفهم على مصيرهم، هذا وقد قيل إنه لم يكن لهم روابط حسنة مع بني النضير[1] وهذا الأمر قد كان معلوما عند ابن ابي.

فعلى كل من يريد الدفاع عن عوائل بني النضيرمن الكتّاب والمتكلمين و يتأسف عليهم، فالواجب عليه أن يلقي اللائمة أولاً على رؤساء اليهود مثل حيي بن أخطب، وأنهم لماذا اختاروا الطريق الوعر الخاطىء، ومن ثم إلقاء اللائمة على عبد الله بن أُبي المنافق فقد منعهم من الرحيل ودعاهم إلى المخالفة، ولم يقدم على إعانتهم فماذا يكون جواب ابن أُبي إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله قد أصدر حكم القتل في حقهم، هل كان بوسعه أن يستخفف ذلك الحكم لمرة ثانية بعد بني قينقاع.

غنائم بني النضير

يرى القرآن أن أموال بني النضير من الفيء المختص بالرسول صلى الله عليه وآله، لأنها ما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وكان المسلمون يعلمون أنها أموال النبي صلى الله عليه وآله، وفي المقابل فإن الرسول صلى الله عليه وآله أراد أن يجبر قلوب المهاجرين الذين مكثوا في منازل الأنصار إلى ذلك الحين، فمنحهم منازل بني النضير بعد ما شاور الأنصار في ذلك لكي يكون قد شكر مواساتهم، ولم يحظ من أموال بني النضير من الأنصار أحد سوى أُسرتين فقيرتين، وقد شكر الله سبحانه في سورة الحشر لهم إيثارهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى

---

(١) إعلام الورى: ٩٨. والظريف أن إبن صوريا كان يدعو الآخرين إلى الإسلام وهو يأبى ذلك كي لا يتخجل عند اليهود، وفي هامش من موسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٤١٢ _ ٤٢٠ جعل مكان ابن صوريا «كنانة بن صويراء».

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿.

وقيل: إن الرسول ﷺ خصص بعض تلك الأموال لشراء السلاح، بالإضافة إلى أنه غنم أسلحة كثيرة تركها اليهود في قلاعهم وصارت إلى بيت مال المسلمين[١].

آثار هذه الغزوة

كان لهذه الغزوة آثار عديدة ومن جهات مختلفة:

أ - أنها ضاعفت من قدرة المسلمين وشوكتهم.

ب- خلوُّ المدينة وأطرافها من العدو الداخلي، فصارت أكثر أماناً، واتسعت رقعة المناطق التي يسكنها المسلمون، لأن مساكن بني النضير صارت في يد المهاجرين يقطنون فيها بعد إعمارها.

ج -فقدان منافقي المدينة للمحامي والناصر، لأن أكثر المنافقين كانوا من اليهود الذين أسلموا، بينما ظل عبد الله بن أُبي الذي كان قد وَعَد اليهود بأن يبعث لنصرتهم ألفي مقاتل منكوس الرأس في المدينة وتزلزلت موقعيته وإن كان قد لحقه الخزي قبلها، حينما ترك المعركة في أُحد[٢].

د - إزدياد رغبة اليهود العرب وغيرهم من سكان المدينة وأطرافها والقبائل العربية للدخول في الإسلام بعد ما شاهدوا إنتصارات الرسول ﷺ وحزمه وعلموا أن أمره خرج من الحالة الإعتيادية وصار مؤيداً من السّماء.

---

(١) العلاقات: ٣٢٥، عن الواقدي١: ٣٧٩.

(٢) قال ابن هشام ٣: ٥٤ إن ابن أبي كان يقوم في الجمعة خطيباً قبل وقت الصلاة، فقال: أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمكم الله به وأعزكم الله به فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا، ثم يجلس، حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا إجلس، أي عدوّ الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس ....» (الدكترشوقي غزوة أُحد: ١١٨، عن السيرة النبوية والآثار المحمدية٢: ٧٨).

إن الهوان والذل الذي أصاب اليهود كان شديداً ويستفاد من الأخبار أن وجدهم وتألمهم لأجل إخراج بني النضير كان أكثر وأشد من تألمهم لإخراج بني قينقاع وقد أحسوا بعدها بالذل والخذلان، لأن أصل بني النضير وإنتسابهم إلى بني إسرائيل كان آكد وأعمق، وكان يُرجع إليهم في الأُمور الدّينية حتى كان يقال لأحدهم الكاهن.

ولما رأى الرسول صلى الله عليه وآله تفشي الحسد والغضب بين اليهود تجنب من الإستعانة بالنزر اليسير الذين كانوا حوله أو كانوا يعينونه في أمرالكتابة وأمر زيد بن ثابت بأن يتعلم اللسان العبري والسرياني حتى يستعين به في كتابة الرسائل ولا يحتاج إلى اليهود ولا يطّلعوا على مضامينها [١].

هـ_ فقدت بذلك قريش موطأ القدم الذي كان لها في المدينة وتحجّم نفوذها وصارت تحسّ بأنها الهدف اللاحق، ونحن نعلم أن أحد عوامل نقض بني النضير العهد هو الضغط الذي أوجدته قريش على بني النضير لمجابهة الرسول صلى الله عليه وآله وهي تجد اليوم أن أيديها في المدينة قد قطعت.

تأثير الغزوة على أدب اليهود

مع أن الأشعار المنقولة عن يهود الحجاز قليلة، وقد ذكر الدكتور صالح موسى درادكة فصلاً في كتابه «العلاقات العربية اليهودية»[٢]، وقد كان لجلاء بني النضير أهمية خاصة بحيث انعكست على أدب اليهود بشكل ملحوظ فكان أكثر أشعارهم في الرثاء وفراق الوطن وهجاء المخالفين، وبملاحظة تلك الأشعار يمكن الوقوف على فكرة اليهود عن الرسول صلى الله عليه وآله والدين الإسلامي وكل ما يختص بالمسلمين[٣].

---

(١) العلاقات: ٣٢٧، عن «حياة محمد» (وإستطاع زيد أن يتعلمهما في أُسبوعين).

(٢) العلاقات: ١٨٤.

(٣) العلاقات: ٣٢٧و ٣٢٨، وقد قيلت اشعار بمناسبه اجلاء بني النضير في المدح والذم ...تعكس لنا هذه الاشعار حالة المشركين والمنافقين في المدينة بعد اجلاء بني النضير كما تعكس الروح المعنوية للمسلمين بعد هذاالنجاح الذي احرزوه (سيرة ابن هشام ٣: ١٢٨-١٣٥)

كما أن هناك أشعاراً أُنشدت من قبل المسلمين حول هذه الغزوة، ولعل أكثرها في مقام الرد على أشعار اليهود، وقد نُسب إلى أمير المؤمنين شعرٌ يتضمن بيان الحقائق وبيان عظمة الرسول صلى الله عليه وآله ورأفته باليهود. بعد ما كادوا أن يتجرعوا الموت كما تجرعه كعب ولكن رحمة الرسول صلى الله عليه وآله أدركتهم وخلصتهم من الموت.

عرفت و من يعتدل يعرف ... وأيقنت حقاً ولم اصدف
عن الكلم المحكم الآي من ... لدى الله ذي الرأفة الارأف
رسائل تدرس في المؤمنين ... بهن اصطفى أحمد المصطفى
فأصبح أحمد فينا عزيزاً ... عزيز المقامة و الموقف
فيا أيها الموعدوه سفاها ... ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذا ... ب و ما آمن الله كالأخوف
وإن تصرعوا تحت أسيافه ... كمصرع كعب أبي الأشرف
غداة راى الله طغيانه ... و أعرض كالجمل الأجنف

قصيدة لعباس بن مرداس يمدح بني النضير:

لو أن قطين الدار لم يتحملوا ... وجدوا خلال الدار ملهى وملعبا
فانك عمري هل رايت ظعائنا ... سلكن على ركن الشطاة فثيأبا
إذا جاء باغى الخير قلن بشاشة ... له بوجوه كالدنانير مرحبا
وأهلا فلا ممنوع خير طلبته ... و لا أنت تخشى عندنا ان تؤ نبا
فلاتحسبني كنت مولى ابن مشكم ... سلام و لا مولى حييّ بن اخطب

وقد رد عليه خوات بن جبير بقصيدة جاء فيها:

تبكي على قتلى يهود و قد ترى ... من الشجو لو تبكي احب و أقربا
إذا السلم دارت في صديق رددتها ... وفي الدين صدادا وفي الحرب تصلبا
رحلت بأمر كنت أهلا لمثله ... و لم تلف فيهم قائلا لك مرحبا
فهلا الي قوم ملوك مدحتهم ... تبنوا من العز الموئل منصبا
أولئك أحرى من يهود بمدحة ... تراهم و فيه عزة المجد تُرتُبا

(١) سيرة إبن هشام ٣: ١٢٨-١٣٥.

فأنـزل جـبريل في قـتله ... بوحي إلى عبده ملطـف
فدس الرسول رسولا له ... بابيض ذي ضُبة مرهف
فبات عيون له مُعولات ... متى يُنع كعب لها تَذرف
وقلن لأحمـد ذرنـا قليلاً ... فإنا من النوح لم نشتف
فخلاهم ثم قال: اظعنوا ... دجورا على رَغَم الآنف
وأجلى النضير إلى غربة ... كانوا بدار ذوي زخرف
إلى أذرعات رُدافى وهم ... على كل ذي دبر أعجف

نستطيع أن نستنبط من هذه الأشعار أن مقتل كعب كان قُبيل غزوة بني النضير، وقريباً من زمانها، وأنه بأمر من الله، وبالتالي لما أصدر الرسول حكم الجلاء لم يكن كعب في قيد الحياة. كما ويعد ذلك تهديداً لليهود وأن مخالفتهم كانت قد تؤدي إلى قتلهم ويكون مصيرهم كمصير كعب، ويمكن استفادة إجبارهم على الذهاب إلى أذرعات وأنه لم يكن بإختيار منهم[1].

معجزة الرسول بمحضر يهودي

وكما تعلمون أنه لم يمر يوم في زمان الرسول صلى الله عليه وآله إلا وقد يكون فيه معجزة أو أكثر من الرسول صلى الله عليه وآله، ومن تلك المعاجز معجزة وقعت في السنة الرابعة للهجرة أيام غزوة بني النضير، ترتبط بأداء دين جابر الأنصاري لأبي شحم اليهودي، قال جابر بن عبدالله الأنصاري : أن رسول الله قال لي : إذا جف التمر فلا تحدث فيه حتى تعلمني، واجعل كل صنف من التمر على حدة ففعلت ذلك وأخبرته صلى الله عليه وآله فصار معي إلى التمر وأخذ من كل صنف قبضة بيده وردها فيه، ثم قال: هات اليهودي، فدعوته، فقال له رسول الله: اختر من هذا التمر أي صنف شئت، فخذ دينك منه، فقال اليهودي: وأي مقدار لهذا التمر كلّه حتى آخذ صنفاً منه ولعل كلّه لا يفي بديني، فقال النبي صلى الله عليه وآله: اختر أي صنف شئت فابتدئ به، فأومأ إلى صنف الصيحاني فقال: أبتدئ به، فقال : بسم الله، فلم يزل يكيل منه

---

(١) البحار٢٠: ١٦٠، عن السيرة النبوية ٢: ٣٣٤، ذكر أسماء عدد من المنافقين الذين اشتركوا.

حتى استوفى منه دينه كلّه، والصنف على حاله ما نقص منه شيء، ثم قال ﷺ: يا جابر هل بقي لأحد عليك ٠شيء من دينه؟ قلت: لا، قال: فاحمل تمرك بارك الله لك فيه، فحملته إلى منزلي وكفانا السّنة كلّها، فكنا نبيع منه لنفقتنا ومؤونتنا ونأكل منه ونهب منه ونهدي إلى وقت التمر الجديد، والتمر على حاله إلى أن جاءنا الجديد[1].

(١) الخرائج١: ١٥٤، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٢٦، في الهامش

أقول:هل إن أبا شحم من العرب أو من بني إسرائيل؟ هذا غير واضح لنا.

الفصل الثاني

أوج عنف اليهود

قام اليهود في مجال الوقوف بوجه الرسول صلى الله عليه وآله بدعوة قريش وتجهيز جيش جرار للقضاء على الرسول وعامة أهل المدينة بزعمهم ولم يتوقعوا معه إنتصار الرسول صلى الله عليه وآله على كل الإحتمالات، فدخلت تعدياتهم وتحدياتهم بذلك التمهيد والإصرار في مرحلة جديدة إذا أردنا معه رسم خطوط ذلك الحقد والتحركات خلال خط بياني فإنه سيتشكل قوسٌ في رأسه غزوة بني قريظة.

الكلام الأول

غزوة الخندق

نزول آيات من سورة الأحزاب

نحن نعلم أن نزول آيات القرآن كان تدريجياً ومتناسباً في الغالب مع الوقائع التي كانت تقع في زمان الرسول صلى الله عليه وآله، وفي نفس الوقت لها شمولية واسعة بحيث تكون خطة عمل لتلك الفترة كما ترسم الطريق للأجيال القادمة، وهذه هي معجزة القرآن، بحيث يظل حياً فاعلاً في كل عصر وزمان، ولا يخلق ولا يبيد.

فسورة الأحزاب تحكي الحوادث والعلل والدواعي والأسباب والنتائج التي حدثت في فترة معينة من تاريخ الإسلام.

ونحن نشير إلى هذه الآيات لأنها تفصح عن دور اليهود آنذاك، ففي الآية: ﴿ **وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ** ﴾ فسّر باليهود و على قول : ﴿ **مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾[1]. مع أن قوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ** ﴾ باتفاق المفسرين يتكلم عن بني قريظة. .

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤٨٢ عن مجمع البيان ٨ : ٣٣٩، ويهود حجاز: ١٩٨.

ونحن نورد الآيات المربوطة في الهامش فهي مشحونة بالأسرار التي لا يمكننا دركها وبيانها وإنما يعلم تأويلها الراسخون في العلم اي الأئمة المعصومون عليهم السلام [1].

---

(١) ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۛ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٩ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٠ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ وَلَمَّا رَءَا

دراسة الآيات:

نزلت الآيتان ٨ و٩ -بمقتضى السياق وملاحظة الآيات اللاحقة لها- وهي تبيّن أن الميثاق الإلهي يدور حول محور الدين والتدين، وأن ذلك كان من زمان آدم ونوح و إبراهيم الخليل، ليستمر إلى زمان خاتم الأنبياء، وله أهمية بالغة بحيث إن نقضه يساوق الكفر ويؤدي إلى الارتداد وما جزاء ذلك إلا جهنم وعذاب النار، كما ويعدّ الوفاء به علامة على الصدق والتصديق، وثوابه جنات النعيم والفردوس. وكلما كان الجهاد و الإخلاص أكثر كانت المنزلة التي تحصل له أعظم وأكثر صدقاً، هذا وقد تجلى في هذه الحرب دور سيد الصادقين وامام المتقين، وقد شرع الله سبحانه فيها ببيان صفات أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبالتالي فإن صدر هذه الآيات يتكلم عن صدق المؤمنين: ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ وتختم في بيان ثوابهم وجزائهم:﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾.

وكذلك أجرى الله فيها العلاقةبين الكفروالنفاق فتكلم أولاًعن عذاب الكافرين و ختمه بعذاب المنافقين، وبذلك يكون هناك ثلاثة عناصر مهمة في هذه المعركة.

أحدها: أن إيمان الصادقين له مراتب يتجلى أعلى تلك المراتب من قوله تعالى:

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1]، وبذلك يكون قد مدح أشخاصاً بأعيانهم، وقد فُسر قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ بأمير المؤمنين علي عليه السلام، والعنصر الثاني: الكفر والشرك وتتزعمه قريش التي جاءت بجيش جرار بعنوان الأحزاب، والعنصر الثالث: النفاق الذي كان في داخل المدينة والمنافقين الذين نفذوا بين صفوف الجيش الإسلامي لإثارة الفتنة وزرع الفرقة وبث الدعايات الموهنة :﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾.

والعرض الآخر للآيات هو تصوير معركة الأحزاب وحضور المشركين المكثّف في أطراف المدينة، والخوف الذي أصاب أهل المدينة وحتى جنود الإسلام ويخبرنا القرآن عن نفث روح الإيمان في قلوب المؤمنين الواقعيين، وأنه كلما صارت جبهة العدو أقوى تزايدت الروح الإيمانية في قلوب اولئك الرجال الربانيين، ومن الطبيعي أن تلك المعادلة تجري لجميع العصور، كي يعلم المؤمنون أن عليهم عند وقوع الحوادث والزلازل الالتجاء إلى الله، لاحظوا بيان الرسول ﷺ لآحاد المصاعب والمشاكل التي واجهتم وتوقعه النصر من الله سبحانه في نفس الوقت، فقد كان رسول الله ﷺ قد أخبر أصحابه فقال: إن العرب ستتحزب عليّ ويجيئون من فوق، وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وأنه يصيبهم جهد شديد ولكن تكون العاقبة لي عليهم[2].

---

(١) في تفسير القمي٢: ١٨٨ رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ألا يفروا أبدا فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ أي أجله و هو حمزة و جعفر بن أبي طالب وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ أجله يعني علياً عليه السلام.

(٢) البحار٢٠: ٢٣٠ .تفسير القمي ٢: ١٨٦-هذا الكلام في الحقيقة هو تفسير لهذه الآية ﴿إذ جاؤكم من فوقكم﴾ قريش﴿ومن أسفل منكم﴾ غطفان واليهود والأحزاب الأُخرى ﴿وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا﴾، وأورد في البحار٢٠: ٢١٦ رواية عن تفسير القمي أن يهود بني النضير الذين كانوا في خيبر ذهبوا إلى قريش وقالوا: إن محمداً فعل بنا كذا وكذا، فتعالوا أنتم من فوق

ثم إن بعض من خاض معركة بدر وأُحد وصمد أمام العواصف والحوادث وثبت واستقام فيهما نجده قد تراجع في هذه المعركة وصار يظهر العجز، فكانت الظروف على المسلمين حرجة للغاية وكانت كثافة الجيوش المحاصرة للمدينة بحدٍ لا يتصور معه النصر، واضطربت قلوب البعض ودبّت في أذهان بعض المسلمين الظنون و الأفكار السيئة[1]، وكأنهم لم يتوقعوا من الله مثل ذلك، وقد غفلوا عن أن الامتحان الإلهي صعب؛ ليتميز المؤمن من المنافق، لتعقبها المرحلة اللاحقة التي تكون انتخابية بعدما كانت المرحلة الأُولى تعليمية ومرحلة بناء: ﴿ **قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ﴾، فمن هذا المنخل سقط المنافقون وافتضحوا حتى أنهم تمنوا أن لم يكونوا من أهل المدينة ولم يشهدوا هذا البلاء، قالوا: ياليتنا كنا من عرب البادية نتحسس أخبار المدينة من الآخرين، فصار كل واحد يفكّر في الارتداد والالتحاق بالعدو :﴿ **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا** ﴾، والفتنة هي الكفر، فهم نفس اولئك الذين تركوا معركة أُحد ثم جاؤا لابرام العهد ليغسلوا ذلك العار وأنهم لن يولوا العدو الأدبار، واليوم

ويهود بني قريظة من أسفل نهجم عليه، وفي رواية أُخرى عن رسول الله ﷺ فسر ﴿من أسفل﴾ باليهود ايضا، ولكن في مجمع البيان ٨: ٣٣٩ وكذا في البحار٢٠: ١٩١ فسر« من فوقكم» أي من فوق الوادي قِبل المشرق قريظة والنضير وغطفان «ومن أسفل منكم» أي من قبل المغرب من ناحية مكة أبو سفيان. وكذا في كتاب يهود حجاز بين أن الناحية الشمالية موطن اليهود أعلى من الناحية الجنوبية .. .

(١) تفسير القمي٢: ١٨٢و١٨٨وبحار الأنوار٢٠: ٢٢٥وقال رجل من المهاجرين و هو فلان لرجل بجنبه من إخوانه: أما ترى هذا الشيطان عمرو، ألا والله ما يفلت من يديه أحد، فهلموا ندفع إليه محمداً ليقتله و نلحق نحن بقومنا ! فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت: **قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَ لا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا** إلى قوله ... **أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَ كانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرا.**

يتركون المعركة بأعذار مختلفة واهية، فاتخذوا بيوتهم ذريعة يقولون هي خالية بلا مدافع: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ فكشف الله النقاب عن نواياهم السيئة وقال: ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾.

ويصوّر القرآن سيرتهم وسلوكهم في هذه السورة لكي لايفكر الأجيال القادمة بأن أصحاب النبي ﷺ كانوا جميعهم مؤمنين والواجب احترامهم ويقال اعتباطاً: «بأيهم اقتديتم اهتديتم»، فهو يصفهم بأن هولاء مرتدون عن الدين:﴿ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾وفي نفس الوقت يُعدّون من المسلمين الذين أدركوا رسول الله وتلبَّسوا بعنوان الصحابة، فلابد من التمييز بينهم: ﴿ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾، ويجعلون في بوتقة الاختبار:﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾.

ولكن المؤمنين لما شاهدوا الظروف الصعبة لمعركة الأحزاب وذاقوا صعابها قالوا:﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[1].

وفي النهاية يخبرنا الله سبحانه عن تعاون اليهود حتى يبين واحداً من أسباب هذه المعركة ويبشرهم بالعقاب الذي اختاره لهم :﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾.

---

(١) فليس عبثاً أن الشيعة تتمسك بالإمام علي عليه السلام ويرونه هو الخليفة من بعد النبي ﷺ، لأن إخلاصه وجهاده قد ظهر في هذه المعركة أكثر من أي شخص آخر، فكان يحرس الخندق في كل ليلة حتى الصباح، وتصدى لقتال عمرو بن عبدود بشجاعة فائقة وقتله وجاء برأسه إلى رسول الله ﷺ (البحار٢٦: ٧١). وينقل في كتاب بصائر الدرجات أن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان عليٌ عليه السلام يوم بني قريظة والنضير، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يحدثانه.

وكما سنجد فإن نار هذه الحرب (حرب الخندق) سرعان ما أُطفئت ببركة ضربة علي أمير المؤمنين عليه السلام فأغمد سيف علي السيوف، وأما اليهود فلابد من قتلهم في معركة أُخرى أو يؤسرون حتى يتحقق الوعد الإلهي في حقهم، ويلقى هؤلاء اليهود المنحطون عاقبة نقضهم للعهد و خيانتهم بالمسلمين في أحرج الظروف و قد تحقق

ذلك في غزوة بني قريظة التي قتل فيها فريق من مقاتلي بني قريظة وأُسرفريق منهم.

هذا وقد قرن الله هذه الغزوة بغزوة الخندق ليبين دور اليهود في تلك المعركة الخطيرة، فهي خيانة عظمى ارتكبها اليهود وصاروا هم السبب في تحملهم ذلك العقاب المخزي، ولكن هناك بعض الكتّاب يرى أن قتلهم جاء مخالفاً للرأفة الإسلامية، ولعلهم لم يتأملوا في الآيات الإلهية والحقائق القرآنية بشكل كافٍ، وباقي الآيات تحدثنا عن فتح خيبر في القريب العاجل والذي سيأتي في الفصل اللاحق.

ملاحظة الأخبار التاريخية لمعركة الأحزاب

سكن رؤساء بني النضير حصون خيبر بعد اجلائهم من أطراف المدينة، واجتمعوا هناك وصاروا يدبرون للنبي صلى الله عليه وآله، ويخططون له ولم يكفهم أنهم رأوا تجارب مُرة من إخوانهم وما اعتبروا، وصاروا في هذا الوقت بصدد الخوض في تجربة أُخرى، فسافر حيي بن أخطب بصحبة كنانة بن أبي الحقيق وسلام بن أُبي الحقيق من كبار بني النضير وجماعة من بني وائلة إلى مكة[1].

رحّب القرشيون بضيوفهم اليهود، فلما رأوا فيهم التصميم على الإطاحة بالرسول ولاحظوا عزمهم الراسخ، ازداد فيهم حس الانتقام، ولما لم يمكنهم البقاء إلا بإنهاء حكومة الرسول مع عدم حصول نتيجة من الغزوتين السابقتين، قبلوا اقتراح اليهود في الهجوم على المدينة هجمة واحدة ومحاصرة المسلمين، ورأوا أن

---

(١) سيرة إبن إسحاق : ٣٩٢.

المفتاح الوحيد هو اتحاد القبائل العربية واليهودية وتحريكهم لأجل هجوم واحد منسق.

وقيل إن هذا الحلف أُبرم في المسجد الحرام تحت أستار الكعبة، وبعد أن ألصقوا أكبادهم بجدارها إمعاناً في توثيق الحلف، وحلفوا بالله أن لا يخذل بعضهم بعضاً ما بقي منهم رجل حتى يستأصلوا الرسول[١].

ويحدثنا ابن هشام عن لقاء هؤلاء الجماعة اليهودية مع قريش للتواطؤ على الإسلام والمسلمين ويقول: إنه قيل إن الآية الشريفة :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾، نزلت في هذا المقطع[٢].

فاليهود الذين يدعون الدّيانة التوحيدية ويرون أنهم أول الموحدين، صاروا يعتقدون أن المشركين وعبدة الأصنام على طريق الهدى، والمسلمين هم أهل الضلال والضياع، وبذلك سحق رؤساء اليهود بهذه السهولة كل معتقداتهم ومصداقيتهم وصاروا يرجحون الشرك وأهله على الإسلام وأهله، أليس هذا علامة على الكفر المحض، وكان هذا العمل الشنيع بحيث لم يتمكن المستشرقون والمحققون اليهود من التغطية عليه أو توجيهه بنحو من الأنحاء، واضطروا للاعتراف بأنها نقطة ضعف ووصمة عار ليهود المدينة[٣].

---

(١) مجمع البيان٣: ٥٩ في تفسير قوله تعالى :«ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب » النساء :٥١.

(٢) النساء:٥١ – ٥٥، سيرة ابن إسحاق : ٣٩٣وسيرة ابن هشام ٣: ١٤٤.

(٣) العلاقات: ٣٢٨– ٣٣٠ و سيرة ابن هشام ٣: ١٤٤، عن المغازي للواقدي.٤٤٢:٢ تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٤٢– ذكر هذا الكلام في حق كعب والحقيقة أنهم جمعاً مصاديق للآية، وقال صاحب العلاقات:وقد إستنكر المورخ اليهودي ولفنسون موقف اليهود هذابقوله :"كان من واجب هولاء اليهود الا يتورطوا في مثل هذاالخطاء الفاحش، والا يصرحوا أمام زعماء قريش بان عبادة الأصنام افضل من التوحيد الاسلامي ولو أدّى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم لان بني إسرائيل الذين

ومع الإلتفات إلى ما يحتاجه تجميع جيشٍ يضم عشرة آلاف مقاتل من التمهيدات، يحتمل معه قوياً تكرر هذه اللقاءات قبيل معركة الأحزاب.

كما سار اولئك اليهود إلى غطفان وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إذا هم ساروا معهم ومع قريش لحرب محمد صلى الله عليه وآله[١]، ثم خرجوا حتى جاؤا بني سليم وحرضوهم مثل سابقيهم وكذلك فعلوا في بني أسد وأشجع وفزارة وكل القبائل التي لها ثار عند المسلمين أو لقريش نفوذ عليهم.

ويعلم من ذلك أن الأساس في إثارة قريش والأحزاب لشن هجوم كاسح على الإسلام والمسلمين هم اليهود.

وفي معركة اُحد كان الأساس هم قريش حيث جاؤوا إلى اليهود وحرضوهم، واختلف الحال في هذه المعركة فإن اليهود هم الذين قطعوا الطريق إلى مكة وحرضوا قريش على الحرب، ولعل ما يثير الدهشة أن أصحاب الدين السماوي يتحدون مع عبدة الأصنام المشركين ويتعاونون معهم على قتل المبعوث من قبل الله على علم منهم واطلاع، ولذا فإن هذه الحرب تُعد حرب اليهود على الإسلام، وليست حرب قريش[٢]، ولذلك لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الحرب وأراد أن يستريح، جاءه جبرئيل وقال: نحن لم نخلع لامَة الحرب بعدُ، صلِّ العصر في بني قريظة، وهو يعني عدم تأخير عقوبة اليهود حتى بمقدار أداء صلاة واحدة، وكما سنرى فإن قريش قد خرجت من هذه المعركة بسلام و رجعوا مع أصحابهم إلى مكة، ووقع اليهود في قبضة المسلمين وتعرضوا للهلاك، فغزوة الخندق هي غزوة اليهود وهلاكهم.

كانوا مدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين (تاريخ اليهود في بلاد العرب: ٥٨)".

أقول: ولا ننسى ان اليهود في تاريخه قد خرج من إعتقاداته التوحيدية وتمايل الى الشرك.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٦٨.

(٢) البحار٢٠: ١٩٨ (أخبره بذلك خزاعة لأنها كانت متحالفة مع الرسول).

ولم يكن المسلمون في غفلة عن تحركات قريش، وكانت أخبارهم تصل على يد القاصدين إلى المدينة[١]، ولذلك فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله في صدد الاستعداد الكامل للدفاع عن المدينة، ولكن المنافقين من الداخل انتهزوا الفرصة وصاروا يعظمون خطر قريش وأنه لا يمكن دفعه، يريدون بذلك تضعيف معنويات المسلمين، فكان أقل عمل صدر منهم هو التجسس للعدو، فكان من الضروري كتمان بعض الأخبار حتى عن هؤلاء المعدودين من المسلمين، حتى لا تصل الأخبار إلى العدو، لأنه يعرقل مواجهة المشركين وكانت مهمة الرسول صلى الله عليه وآله هي تجهيز الجيش والتشاور معهم، فصار رأي الأكثر على البقاء في المدينة وعدم الخروج منها حتى تقترب قريش منها وتكون الحرب داخل المدينة، وقد أبدى البعض هذا الرأي في معركة أُحد ولكن لم يطبّق عندها، بينما في معركة الخندق اتفق رأي الجميع على ذلك، ولم تكن هناك مخالفة معتد بها لهذا الرأي. وهنالك اقترح سلمان أحد أصحاب النبي المقربين بناء على تجاربه ومعلوماته اقتراحاً وافق عليه الرسول صلى الله عليه وآله وحظي بتأييد من الله سبحانه، وهو حفر الخندق في إحدى جهات المدينة على طريق قريش يمنعهم من الوصول إلى المدينة[٢].

بيد أننا نترك التعرض لكيفية حفر الخندق والمعاجز والدلائل التي ظهرت خلال ذلك ونشير إلى نقطة مهمة أشار إليها القرآن وهي أن المنافقين شاركوا في حفر الخندق ليبعدوا عن أنفسهم الظنون ولكن صاروا يتسللون خفية ويتفلتون من المشاركة، فقيل إن الآية اللاحقة نزلت في حق المومنين والمنافقين.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) المغازي٢: ٤٤٤.

(٢) العلاقات: ٣٣٠وفي كتاب كتب اليه الرسول بأنه كان إلهاما إلهيا، (الوثائق :١٠)، ويستفاد ذلك من القسم الخامس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ليهودي (البحار ٢٠: ٢٤٤).وقد أوردناه في ص٤٠٠ من هذاالكتاب،

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾[1].

ولكن الأمر بالنسبة إلى يهود المدينة على العكس من ذلك فقد قيل إنهم لم يساهموا في حفر الخندق، ولكنهم أعاروا المسلمين أدوات الحفر، وهو قرينة على عدم مشاركتهم في حفر الخندق، وإلا لوصل إلينا، ويرى البعض أن مساهمتهم بهذا القدر كافية في رعاية العهد مع الرسول صلى الله عليه وآله[2].

هذا وقد أنفق أبو سفيان والقائمون بهذه الحرب مبالغ طائلة تمكنوا معها من تجهيز جيش يبلغ عدد جنوده عشرة آلاف مقاتل وقيل أربعة عشر ألف مقاتل وسيّروه نحو المدينة؟ وعسكر جيش الإسلام وراء الخندق، فلما وصل جيش قريش قرب المدينة واجهوا مالم يكونوا يتوقعونه، لأن حفر الخندق لم يكن من عادة العرب، فلما رأوا ذلك دهشوا لأنهم رأوا أمراً مستحدثاً، فقالوا هذه حيلة لا يعرفها العرب، فاضطروا إلى التوقف أمامه، لأنه الطريق السهلي الوحيد المؤدي إلى المدينة، والباقي كلها جبلية وعرة، وقد كمن فيها المسلمون.

دور اليهود

لم يتحرك الجيش إلى المدينة حتى أخذت قريش عهداً من حُيي بن أخطب باشتراك بني قريظة، ومعه لابد من تحري نقض اليهود للعهد مع الرسول قبل المعركة.

---

(١) سورة النور: ٦٢-٦٤.

(٢) العلاقات: ٣٣٢.

وكان حيي بن أخطب قد أعطى قريش موثقاً بأنه سيدفع بني قريظة لنقض العهد مع الرسول، ولذا جاء مع جيش قريش إلى المدينة حتى يذهب إلى بني قريظة، ولما نزل قريش في وادي العتيق على مقربة من المدينة قبل جبل أُحد، توجه حيي بن أخطب إلى قلاع بني قريظة [١]، ولا شك أن مساهمة بني قريظة في هذه المعركة مهمة جداً، لأن عدد قريش كان أضعاف عدد المسلمين، والحرب في أطراف المدينة، ومحل بني قريظة جنوب المدينة بإزاء الخندق تقريباً من الطرف المقابل، (على ميلين من بئر المطلب)، وقيل إن مقاتلي بني قريظة ٧٥٠ مقاتل مدججين بالسلاح، وإذا أرادوا أن يهجموا على المدينة من الخلف كان يمكنهم ذلك، فالتقى حيي بن أخطب بكعب بن أسد وتكلموا، ولما كان في ذلك الكلام ما ينفع في محل البحث نورد النص ونلقي عليه الضوء.

يقول محمد بن كعب القرظي الناقل لهذه الواقعة بعدما أبدى رأيه في حيي بن أخطب و رآه المسبب الأول لقتل بني قريظة ما مضمونه:

«ذهب حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد القرضي ـ الذي أمضى عهداً مع الرسول ـ ليكلمه، ولكن كعباً أبى أن يستقبله، فصمد لذلك ابن أخطب، فلم يفتح له باب الدار وقال له: أنت رجل مشؤوم، فقال: ويلك افتح الباب، فقال: إن لي مع محمد عهداً ولا أُريد نقضه، ولم أر منه غير الوفاء، فقال له: ويلك افتح الباب حتى أُكلمك، اتخاف أن آكل من طعام مائدتك، فلما سمع كعب ذلك الكلام وكأنه مس بشرفه، ففتح له الباب فدخل الدار وقال: جئتك بالشرف والعزة، فقال كعب: لا بل بالذل والهوان، قال: جئت مع عامة قريش وغطفان وروما إلى مقربة من أُحد (وادي العقيق) وقد استقروا هناك، وقد أقسموا أن لا يقر لهم قرار حتى يقتلوا محمدا، قال كعب:ويل لك انا مارأيت من محمد الا الوفاء والرحمة دعني، قال ابن اخطب :ان محمدا لا ينجو من هذه المعركة بسلام، وستخلى المدينة من المسلمين، وأخذ ابن أخطب يصف جيش قريش وعظمته وأعطى كعباً موثقاً بأن قريش ستنتصر، فرضي كعب بأن ينقض عهده مع الرسول ويتبرأ منه»[٢].

---

(١) العلاقات: ٣٣٣.

(٢) سيرة إبن هشام٣: ١٤٨. العلاقات: ٣٣٣، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٨٤. (من تفسير القمي).

ثم اجتمع إليه كل من كان في الحصن من رؤسائهم مثل غزال بن سموأل وباشي بن قيس ورفاعة بن زيد والزبير بن باطا، فقال كعب: ما ترون؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا وأنت صاحب عهدنا، فإن نقضت نقضنا وإن أقمت أقمنا معك وإن خرجت خرجنا معك، والتقوا بحُيَي فكلمهم، وبعد سماع كلامه أظهروا ميلهم لإتباع رأيه، ولكن زبير بن باطا كان رجلاً مجرباً وقد قضى عمراً، قال: إن تسمعوا كلامي فلا تنقضوا عهدكم مع محمد أبداً فهو الرسول الذي يصفه الكتاب، لو ناوته هذه الجبال الرواسي لغلبها[١].

فرد عليه حيي بن أخطب وقال: إن محمداً هذا ليس هو النبي الموعود، فهذا من العرب ومن نسل إسماعيل، ولا يتبع بنو إسرائيل بني إسماعيل أبداً، لأن الله فضّل بني إسرائيل على جميع البشر، وجعل فيهم الملك والنبوة، وأن موسى عليه السلام أوصى أن نؤمن بنبيٍّ يرينا هذه الآية: نار تأتي من السماء وتأخذ القربان، وليس مع محمد هذه العلامة، بل إنه جمع جماعة وسحرهم ويريد أن يتغلب عليهم ويرأسهم.

وظل حيي بن أخطب يكلمهم حتى رضوا بنقض العهد، ثم قال لهم: إأتوني بالعهد الذي كتبه لكم محمّد، فجاؤا بذلك الكتاب، فأخذه حيي بن أخطب ومزّقه وقال: قضي الأمر، اذهبوا واستعدوا للحرب.

ثم رجع حيي بن أخطب إلى قريش التي عسكرت على مقربة من أُحد و أخبرهم بنقض بني قريظة ففرح الجميع بذلك[٢].

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢ : ٤٨٤، «قد قرات التوراة التي أنزلها الله في سفرنا، بانه يبعث نبياً في آخرالزمان، يكون مخرجه بمكة ومهاجره بمدينة الى البحيرة، يركب الحمار العاري، ويلبس الشملة ويحتزي بالكسيرة والتميرات، وهو الضحوك القتال، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقاه، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فان كان هذا هو، فلا يهولنه هؤلاء ولا جمعهم، ولو ناوته هذه الجبال الرواسي لغلبها».

(٢) سيرة ابن إسحاق: ٣٩٨، سيرة ابن هشام ٣: ١٤٨، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤٨٥.

يمكن استفادة أمرين هامين حول الرسول ﷺ من هذه الرواية، أحدهما: إقرار رئيس اليهود بوفائه وثباته ﷺ على العهد مع بني قريظة ومعاملتهم معاملة حسنة من أول الهجرة إلى ذلك اليوم، الأمر الذي يجب أن يلتفت إليه المستشرقون. والأمر الثاني: أنه يتأيد بذلك صحة كلام ابن(حواش) خراش وابن الهيبان حول الرسول قبل البعثة الذي نقل عنهما بهذا النص[1].

وكما أشرنا سابقاً: فإن الفرق بين نوايا الرسول ﷺ وأفعاله وبين نوايا اليهود وأفعالهم يكمن في تعامل الرسول ﷺ على أساس الدين والوفاء بالعهد، وكان يصابر رغم ما يراه من شيطنة اليهود على الوفاء وقد تحمل في هذا السبيل الأضرار والخسائر، وفي كل ذلك كان يريد هدايتهم على الدوام. وفي المقابل فإن اليهود كانوا يترصدون الفرصة لنقض العهد على الدوام، وليس في أخلاقهم معنى للوفاء بالعهد ورعاية المواثيق ولا الاعتماد المتبادل، وحتى أنهم لم يشكروا معاملة الرسول الحسنة، بل كانوا يفكرون في قتله ليلهم حتى الصباح، وكان الرسول ﷺ واقفاً على حقيقة اليهود وأنهم لا يمكن الاعتماد عليهم بوجه من الوجوه، ولا خير في نواياهم، فكان بإمكانه أن ينقض العهد معهم في ابتداء الأمر ويأمر بترحيلهم ولكنه لم يفعل ذلك حتى صدر منهم ما يوجب نقض العهد من قبلهم، ومع العلم بتشابه الطوائف اليهودية بالأخلاق، ولكن الرسول ﷺ عامل كل طائفة منهم على حدة ولم يحكم على طائفة بنقض أخرى أبداً.

بينما نجد أن المستشرقين يمرون على ألطاف النبي وسلوك اليهود المشاكس مرَّ الكرام، وكأن شيئاً لم يكن، ثم يعطون لأنفسهم الحق بالحكم على عقاب اليهود في المراحل المختلفة من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة بأنها ظلم وتعدٍ على حقوق اليهود ويعترضون على إقدامات الرسول ﷺ.

نعود إلى الواقعة فعندما كان جيش المسلمين يستعد لخوض الحرب مع قريش وصلت أخبار عن نقض بني قريظة العهد وصارت تتعاون مع غطفان وتتهيأ لفتح

---

(١) هذا المضمون يستفاد من روايات مختلفة بحيث يبلغ حدّ التواترالمعنوي فيجب قبوله ونفي الوضع عنه.

جبهة أُخرى مع المسلمين، ولكن الرسول حاول كتمان ذلك إلى الوقت المناسب، لأن تفشي الحديث عن نقض بني قريظة يعرقل مسير الحرب ويجعل المسلمين في مأزق.

وذلك أن بني قريظة خلف المدينة في الجنوب الشرقي وقد عسكروا هناك، ولا يصدهم شيء عن الهجوم على المدينة، وقد كان جيش المسلمين تحت وطأة جيش قريش المتألف من عشرة آلاف مقاتل، ومن الصعب جداً تأمين أمنية الجبهة الجنوبية في هذه الظروف الحالكة، ولا شك أن إذاعة خبر بني قريظة سيربك الوضع في المدينة إلى أبعد الحدود، لأن ذلك يعني محاصرة المدينة من جميع الأطراف وقيل: أن العدو قرب منها وقد أشرف عليها بحيث لا يتمكن أحد من الخروج للتخلي لاحتمال إصابته بسهام العدو[١].

هذا وقد أصاب المدينة القحط لفترة قصيرة[٢]، والمنافقون الذي أصابهم الذعر في هذا الحال صاروا يتفلتون من المعركة خفية ويبتعدون عن ساحة القتال.

ولا يستطيع أحد أن يقدِّر ما هو حال المدينة لو هجم عليها الأعداء من تلك الجبهتين، فمن البديهي أن جيش المسلمين سيحاصر ويباد من الطرفين، فلولا العناية الإلهية ولولا نصر الله فإن الحسابات العادية تقتضي انكسار جيش الإسلام وهزيمته بسرعة وسرعان ما سيجتاح العدو المدينة ويغير عليها الحاقدون من الخلف، وعند استعراض آيات القرآن المارة نجده يتحدث عن الخوف والرهبة التي شملت المسلمين[٣].

---

(١) بحار الأنوار٢٠: ١٩١.

(٢) بحارالأنوار٢٠: ٢٤٨، الخرائج والجرائح ١: ١٢٣.روي أن عام الخندق أصاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مجاعة لما حاصرهم المشركون فدعا بكفٍ من تمر و أمر بثوب فبسط و ألقى ذلك التمر عليه، و أمر منادياً ينادي في الناس :هلموا إلى الغداء فلجتمع أهل المدينة فأكلوا و صدروا و التمر تبض من أطراف الثوب .بض الماء سال قليلا قليلا. (سيرة إبن هشام ٣: ١٤٦)

(٣) **جاؤوكم من فوقكم (يعني قريش) ومن اسفل منكم(يعني يهود بني قريظه) واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا اذ**

رأفة رسول الله

نعود إلى معركة الأحزاب ونذكر نموذجاً من رأفة الرسول صلى الله عليه وآله، فقد نقلوا أنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ضعف قلوب أكثر المسلمين من شدة الحصار ووهنهم في حربهم، بعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف _ وهما قائدا غطفان _ يدعوهم إلى صلحه والكف عنه والرجوع بقومهما عن حربه على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة، واستشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فيما بعث به إلى عيينة والحارث، فقالا: يا رسول الله، إن كان هذا بأمر من الله ووحيه ، فافعل ما بدا لك، وإن كنت تحب أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأي. فقال صلى الله عليه وآله: لم يأتني وحي به، ولكني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وجاؤوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه ونحن لا نطعمهم من ثمرنا إلا قِرى أو بيعاً، و الآن حين أكرمنا الله وهدانا له وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟! مالنا إلى هذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإن الله لن يخذل نبيه ولن يسلمه حتى نجز له ما وعده، فأخذ سعد ذلك الكتاب ومحى ما فيه[1].

قال صاحب كتاب العلاقات: إن هذا العهد وإن لم يتحقق ولكن مجيء رئيس غطفان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ساعد في حصول شائعة الصلح بين غطفان وجيش الإسلام، وأحدث ترديداً في أذهان قريش، ولذا وقع كلام ابن مسعود الذي سنشرحه مؤثراً، وأضاف بأنا لم نسمع أن غطفان قد اخذت بسهمها من حاصل المدينة أبداً[2].

يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا .....(الاحزاب : ١٠تا ٢٥).

(١) سيرة إبن إسحاق :٤٠٠، الإرشاد ١: ٩٥، .

(٢) العلاقات: ٣٣٨.

و الذي يبدو أن غطفان لو كانت عقدت حلفاً مع الرسول لم تشترك في غزوة خيبر التي سيأتي الكلام عنها، إذ لا يتصور أن تأكل غطفان من ثمرات المدينة وتخرج إلى حرب رسول الله ﷺ، وبذلك تكون مساهمتها في غزوة خيبر علامة على عدم وجود توافق بينها وبين الرسول، وأما ما بعد غزوة خيبر فإن إثبات ذلك ونفيه بحاجة إلى التحقيق، فهناك ما يدل على إعطاء الرسول غطفان سهماً في بعض كتب الرسول ﷺ، ولعل هذا انعقد أواخر الهجرة بعد فتح خيبر[١].

وفي هذه الظروف أراد الله سبحانه وتعالى أن يستجيب طلب رسوله ويكسر شوكة ذلك الجيش، وذلك بإسلام نعيم بن مسعود الغطفاني، فلما كان في جوف الليل جاء نعيم إلى رسول الله ﷺ وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، فقال له: يا رسول الله إني قد أسلمت ولم يعلم بي أحد من قومي فمرني بأمرك، فقال له رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنا ما استطعت، فإنما الحرب خدعة، فانطلق نعيم بن مسعود فاستطاع أن يخذل بين اليهود وقريش ويسلب الاعتماد المتقابل بينهم إلى حد أن بني قريظة طلبوا من قريش رهناً من أشرافهم، وظلت غطفان مترددة إلى آخر المعركة لم تبد تحركاً[٢].

وظل العسكران يتطاولان لمدة اسبوعين من دون قتال إلاتبادل النشاب بشكل متناوب، ولم يكن من السهل عبور الخندق إلى أن استطاع عمروبن عبد ود ونفرات من أصحابه أن يعبروه وتقدموا بعض الشيء نحو المدينة حتى كادوا أن يصلوا إلى خيمة رسول الله ﷺ وجعل عمر بن عبد ود يدعو إلى البراز والمسلمون وقوف لا يقدم واحد منهم عليه فصار يعرِّض بالمسلمين ويقول: ولقد بحت من النداء بجمعكم هل من مبارز؟ والمسلمون كأن على رؤسهم الطير،

---

(١) الوثائق: ٤١، ٤٢.

(٢) سيرة ابن إسحاق :٤٠٥، سيرة ابن هشام٣: ١٥٥، العلاقات: ٣٣٦، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥٠٣. الرسول واليهود ٣: ٩٦٣.

وقد حبست أنفاسهم، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله ضمن لكل من يخرج إلى براز عمرو الجنة ثلاث مرات ولكن لم يتحرك من المسلمين أحد سوى أمير المؤمنين علي عليه السلام في كل ذلك يقوم من بينهم ليبارزه فيأمره الرسول بالجلوس انتظاراً منه أن يتحرك غيره، فلما طال نداء عمرو، قال رسول الله لعلي عليه السلام: امض لشأنك، فأجاب عمرو بشعره المعروف : **لا تعجلن وقد أتاك مجيب**...، فاقتتلا وثارت بينهما قترة، واضطربت قلوب المسلمين وهم ينتظرون وينظرون ماذا سيحدث، إلى أن سُمع تكبير علي عليه السلام، فعلموا أن علياً قد غلبه و انتصر عليه، ثم إن علياً قتله و احتزَّ رأسه على عادة أهل ذلك الزمان وأقبل به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ونقل خبران آخران في ذيل تلك الواقعة العظمى، أحدهما براز زبيربن العوام مع هبيرة أحد أصحاب عمرو وواحد من شجعان جيش الكفر، واستطاع الزبير أن يتغلب عليه ويقتله.

والأُخرى خروج عمر بن الخطاب لمبارزة ضرار بن الخطاب صاحب عمرو الآخر، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً فقال ضرار: ويحك يا بن صهاك، أترمينى في مبارزة؟! والله لئن رميتني لاتركت عدوياً بمكّة إلا قتلته، فانهزم عنه عمر، ومرّ نحوه ضراروضرب على رأسه بالقناة ثم قال: احفظها يا عمر، فإني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه، فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي، وولاه[2].

ثم إن أصحاب عمرو الذين عبروا معه الخندق لاذوا بالفرار، وفقد جيش قريش توازنه وتزعزت إرادته وصار ينهزم، وأصبح أفراده يفضلون الفرار على القرار[3]، وإن كان هناك أخبار ببقاء الجيشين لمدة أسبوعين بعد ذلك في قبال البعض يتراشقون بالسهام، حتى أقلعت قريش وعادت خائبة.

---

(١) سيرة إبن إسحاق : ٤٠١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤٩٠. الإرشاد ١: ٩٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٩٧، عن تفسير القمي ٢: ١٨٥وأضاف :فكان عمر يحفظ له بعد ما ولي فولاّه .

(٣) المغازي٢: ٤٧١، موسوعة التاريخ الإسلامي٢ : ٤٩٧.

وبذلك النصر عاد النشاط في صفوف المسلمين وتنفسوا الصعداء، ولكن لننظر ماذا فعل اليهود في الطرف الآخر من المدينة. فإنهم كانوا قد نقضوا عهدهم مع الرسول ودخلوا في تلك الحرب بشكل جاد، وقد صمموا على إنهاء أمر النبي صلى الله عليه وآله كي لا يجد بعدها الفرصة للانتقام منهم، فكانوا قد تهيؤا للهجوم على المدينة من الخلف واستعدوا للغارة عليها وكانت قواتهم تحت الإنذار الكامل، وقد أرعبت تحركاتهم المسلمين، لإن المدينة كانت مهددة من هذه الناحية بشكل جدي، ولولا ذلك لم يستحق عملهم أن يذكر في القرآن والآية الشريفة: ﴿**ومن أسفل منكم**﴾ ما نزلت بشأنهم، ولكن لماذا لم ينفذ اليهود خطّتهم بشكل واسع؟ ولعلهم لما شاهدوا ظروف الحرب وطول مدتها من ناحية، وتزلزل إرادة قريش من ناحية ثانية، وتأثير كلام نعيم بن مسعود الذي أورثهم الترديد، كل ذلك حجبهم عن الإقدام على عمل جاد، وصاروا يرقبون شروع قريش الحرب وهجومها على جيش المسلمين وانشغال الجيش بذلك، ولكن قريش والأحزاب لما رأوا الخندق لم يتمكنوا من الهجوم على جيش المسلمين بشكل واسع، ولذلك ظلت تنتظر هجوم اليهود الذين لم يمنعهم شيء من الخلف وينفذوا ما تعاهدوا عليه مع قريش حتى تتاح الفرصة لهم للتسلل والعبور من الخندق، فظل كل من الطرفين ينتظر عمل الطرف الآخر ويرتقبه مع نوع من الترديد، نعم وصلت بعض الأخبار عن تعرض اليهود لمنازل المسلمين ومحاصرتهم، وقد أحصت كتب السيرة ثلاثة موارد منها، أحدها: طلب اليهود من قريش وغطفان أن يمدوهم بألفي مقاتل حتى يغيروا على المدينة، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فجعل خمسائة مقاتل في تلك الجبهة وأمرهم بالتكبير إلى الصباح، والحفاظ على المنازل حتى يعلم العدو أن المسلمين أيقاظ ويتصورون أن عدد مقاتلي المسلمين أكثر مما كانوا، فأدى ذلك النداء بالتكبير في منتصف الليل إلى حيرة اليهود وحذرهم.

والثاني: غارة نباش بن قيس مع عشرة أفراد على المدينة واشتباكه مع المسلمين في البقيع ثم عاد منهزماً.

والثالث: هو ما فطنت له صفية عمة الرسول، فإنها رأت يهوديا يقترب من برج النساء، فقالت لحسان الشاعر: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف

بالحصن ...فأنزل اليه وأقتله، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ..، فنهضت صفية وتقنعت وحملت عليه بعمود الخيمة وقتلته[١].

والذي أذهب إليه بناء على الآية الشريفة ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ﴾ أن إقدام اليهود في كل جزء من الحجاز ضد المسلمين لا يكون إلا من داخل الحصون أو الكمائن اومن وراء الجدران وليست لهم الجرأة على الخوض في سوح القتال وأرض المعركة، ولذا فإن العقلاء المستلهمين من القرآن وعلى رأسهم الرسول يعلمون أن بني قريظة لا يخرجون إلى ساحة القتال ولا يواجهون المسلمين بشكل رسمي وفي حرب نظامية، وغاية عملهم هو الهجوم المضاد والغارة الليلية وليس بوسعهم أن يحققوا شيئاً، ولذلك اكتفى الرسول صلى الله عليه وآله بعدد يسير من المقاتلين لتأمين أمنية تلك الجبهة.

وقيل إنه لما أخبروا الرسول بنقض بني قريظة العهد قال: «**الله أكبر ابشروا يا معشرالمسلمين**»، ولعله كناية عن انكسار اليهود في القريب العاجل وهلاكهم، ولكن مع ذلك فقد خافهم المسلمون وأصابهم الرعب والذعر بحيث لم يسكنهم كلام الرسول صلى الله عليه وآله[٢].

وبالتالي فإن هذا الحال استمر اسبوعين، إلى أن قتل عمرو بن عبد ود وبعض أصحابه و فرّ الباقي، ولم يتمكن اليهود من عمل شيء حتى يئست قريش من اشتراكهم في الحرب، وصار نسيم النصر يهب وجاءت جنود من الغيب بحيث أخذ فرسان قريش يصرعون الواحد بعد الآخر، وبلغ الحال إلى حد أن قريش تصورت أن الجن قد اشتركوا في هذه المعركة، وهبَّت الرياح العاصفة التي أخذت تعصف بهم والبرد الشديد القارص سلبهم القدرة على المبادرة وأصابهم

---

(١) سيره إبن إسحاق : ٤٠٤ويهود حجاز: ١٦٠، عن الواقدي، وفي البحار٢٠: ٢٤٥ :إن تلك القلعة كانت لحسان لجأ إليها النساء والصبيان.

(٢) البحار٢٠: ٢٠١، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٨٦.

الضعف من جراء الجوع وشحّة علف المراكب وصاروا مهددين، والأهم من كل ذلك الخوف والذعر ملأ قلوبهم كما أخبر به القرآن، ولذا لم يجد أبو سفيان بداً من العودة، فنادى بالقوم العودة فإني عائد[١].

والحق أن ذلك كان خطراً قد تهدّد الإسلام الناهض، وكانت قريش مطمئنة بالغلبة والنصر، ولكنها رجعت إلى مكة خائبة، وبذلك أعطى يهود قريظة الفرصة للرسول ليعاقبهم، فجفلوا في قلاعهم وآطامهم ينتظرون تنفيذ العقوبة في حقهم.

فكان انهزام جيش قريش البالغ عشرة آلاف مقاتل بمثابة من الأهمية والمصيرية وله دوره الفاعل في بقاء الإسلام بحيث عدّه الله سبحانه من نعمه على المسلمين وامتن به على العباد الموجودين ومن سيوجد: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾[٢].

وترك جيش المسلمين الساحة ظافراً لم يقتل منهم سوى ستة أشخاص وكفى الله المسلمين عادية تلك الحرب بذلك المقدار من الخسائر، ولذا فإن قوله تعالى: ﴿ **وكفى الله المؤمنين القتال** ﴾ كان بشارة كبرى وحياتية تحمل عواقب طيبة ومعاني عظيمة.

سرُّ الإنتصار شجاعة الإمام علي عليه السلام

إن شجاعة أمير المؤمنين الفائقة التي ظهرت عند قتل عمرو بن عبد ود أدت إلى يأس قريش وإنهاء غائلة الحرب وكان السبب تراجع اليهود، فإن مواقف الإمام علي الشجاعة وإن كانت لاتتوقف عند معركة الأحزاب ولكن كلام الرسول صلى الله عليه وآله و عمله في تلك المبارزة يعكس مدى أهميته هذا الموقف من بينها ومقدار عظمته.

---

(١) العلاقات: ٣٣٨.

(٢) الأحزاب: ٩.

نعم، **كفى الله المؤمنين القتال** بقتل عليّ عمرَو بن عبد ود[١].

وذلك لما عبر عمرو الخندق وصار يطلب البراز بكامل الغرور والأنفة، ولم يجرأ أحد على إجابته إلى ذلك، ولم يبرز له سوى أمير المؤمنين عليه السلام، عندها قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إنه عمرو بن ود فارس يليل، فقال علي عليه السلام :وإن[٢]، [أو قال: وأنا علي بن أبي طالب].

عندها دعاه الرسول صلى الله عليه وآله ولاطفه وعممه بعمامته وأعطاه سيفه ذو الفقار، ثم أرسله للمبارزة، ودعا له، كل ذلك يحكي عن عظمة هذا الإمام الهمام وأهمية تلك المبارزة المصيرية، فإن الرسول صلى الله عليه وآله لم يفعل ذلك مع أحد في واحدة من المعارك.

وقيل: إنه لما برز علي إلى الميدان جثى الرسول صلى الله عليه وآله على ركبتيه ورفع يديه إلى السماء وسأل الله سلامة أخيه ووصيه وخليفته[٣].

وكان كلام النبي صلى الله عليه وآله عندما التقى عمرو وعلي عليه السلام أن قال: «برز الإيمان كله إلى الكفر كله»[٤]، فهو يحمل معنى أن غلبة علي وقتل عمرو يعد تجلّياً لعامة الإيمان وغلبته على عامة الكفر، ومن الواضح أن أحد مظاهر الكفر هم اليهود

---

(١) الأحزاب : ٢٥، البحار٢٠: ١٩٧و٢١٣، في البحار:٢٠: ٢٥٩ روى ذلك الشيخ سليمان الحنفي البلخي في كتاب ينابيع المودة .و في البحار ٢٠: ٢٥٩، روي أن عبدالله ابن مسعود كان يقرء هكذا «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وكان الله قويا عزيزا، الآية».

(٢) البحار٢٠: ٢١٦ موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٩١.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامي٢:٤٩١ وقد ذكر الكراجكي:١٣٧، عن ابي جعفرالباقرعليه السلام:ان النبي قال ثلاث مرات : أيكم يبرز الى عمرو واضمن له على الله الجنة ؟. وفي كل مرة يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسو رؤسهم .فاستدناه وعممه بيده، فلما برز قال :برز الايمان كله الى الشرك كله .وعن الباقر عليه السلام :ان النبي قال يومئذ : اللهم انك اخذت مني عبيدة يوم بدر وحمزة يوم احُد وهذا اخي علي ابن ابيطالب "رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين"وقال ابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٩٧:"ودعا النبي وهو جاث على ركبتيه باسط يديه باكية عيناه ينادي بأشجى صوت :يا صريخ المكروبين يا مجيب دعوة المضطرين اكشف همي وكربي فقد ترى حالي "!.

(٤) بحار الانوار٣٩:١، شرح نهج البلاغة لإبن ابي الحديد ٦١:١٩ موسوعة التاريخ الإسلامي ٤٩٢:٢.

الذين تعرضوا للهلاك بعد ذلك على أن الكلام في هذا العامل الأساسي والكتابة فيه لا تفي بها مائة صفحة، لأنها العملية التي تركت آثارها المباركة وثمراتها الطيبة في جميع أرجاء الدولة الإسلامية وحدودها، بمعنى أن ضربة علي عليه السلام يوم الخندق مفتاح كل الانتصارات اللاحقة، وفي الحديث أنه لما قتل علي عليه السلام عمراً سمع نداء من السماء: "قتل عليٌ عمراً، صاد عليٌ صقراً، قصم عليٌ ظهراً، أبرم عليٌ أمراً» وهو أوجز كلام وأخصبه معنى، فهل إن هذا العمل الجبار لايستحق الإشادة به ولا يستحق أن يتناول بالتحليل حتى تتضح الحقائق الكامنة وراء ستار التعصب الجاهلي ؟[1].

ذاك الحدث الذي كسر هيبة الأحزاب وأفشل خطة اليهود وآيسهم، وترك صورة عليّ في مخيلتهم كسدّ منيع غير قابل للنفوذ، أعني مقتل عمرو.

ومما دار بين علي وعمرو من الكلام أن علياً قال: يا عمرو، سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضن عليَّ أحد في الحرب ثلاث خصال الا أجبته إلى واحدة منها وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة قال: هات ياعلي، قال: أحدها أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نحِّ عني هذه، فاسأل الثانية، فقال: أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً وان يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

قال: لاتتحدث نساء قريش بذلك ولاتنشد الشعراء في أشعارها: إني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم. فقال علي: فأما الثالثة أن تنزل إلي فإنك راكب وأنا راجل، حتى أنابذك، فوثب عن فرسه وعرقبه وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها[2].

---

(١) بحار الأنوار٢: ٢١٦، و٢٦١، وردت هذه الرواية في كتب أهل السنة كثيراً، و ذكر مبارزة علي مع عمرو وفي سيرة ابن إسحاق:٤٠١ وابن هشام ٣: ١٥١، وفي مسندى مسلم ومالك و روى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال إن عليا عليه السلام لما قتل عمرو بن عبد ود حمل رأسه فألقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقام أبوبكر وعمر فقبلا رأس علي عليه السلام وروي عن أبي بكر بن عياش أنه قال ضَرب علي ضربة ما كان في الإسلام أعز منها يعني ضربة عمرو بن عبد ود و ضُرب علي ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم عليه لعائن الله .

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٩٣ عن تفسير القمي٢: ١٨٣.

يستفاد من هذا الكلام أن رئاسة عمرو ومنزلته كانت بحيث يمكنه إعادة معنويات جيش قريش فإن زمام الأُمور كان بيده، وكان كل اعتمادهم عليه، والمعروف أنه كان يعد بألف فارس، وبذلك يعلم أن قتل عمرو و إزاحته، يساوي انكسار جيش قريش وتشتته، فإذا جاءالسؤال عن السبب الأساسي لانتصار المسلمين الذي يتحدث عنه المحققون، كان الجواب هو الذي ذكرناه أعني غلبة علي على عمرو بن عبد ود، فلماذا يحكم البعض من غير علم ولابصيرة.

فإذا فرضنا أن علياً عليه السلام لم يكف المسلمين شر عمرو وانتصرت قريش على المسلمين فمن سيكون الرابح الأول؟ أليس هم اليهود، وبقتل عمرو يكون اليهود قد نكبوا أيضاً، ولا يذهب عن الأذهان دور علي عليه السلام في نكبة اليهود، والذي يؤسف له أن المصادر التي يعتمدها المستشرقون وعلماء الغرب حول الإسلام وتاريخه هي مصادر العامة فقط وكتبهم، خصوصاً ما ترجم منها إلى لغاتهم، ولا شك أن ترك التعرض لذلك الحدث العظيم واختيار الصمت أمامه يُعدّ ظلماً عظيماً في حق أمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، فيبقى على المحقيقين المنصفين أن يعيدوا نظرة شاملة

في هذا المجال، فإن مثل هذا الإجحاف. قد تكرر في موارد من تاريخ الإسلام واليهود[1].

ولم تكن راية رسول الله صلى الله عليه وآله في يد علي في هذه الحرب فقط، بل كانت بيده في غزوة بني قريظة وغزوة بني النضير وغزوة خيبر أيضاً، ويبدو أن هذا الفارس المغوار ظل منسياً، بينما مال محققو العامة إلى تضعيف دوره مما أدى إلى عدم تسليط الضوء بشكل كافٍ على بيان عملية استئصال اليهود وقمعهم، لتوقفه على اظهارمواقف الإمام علي عليه السلام وشجاعته، بيد أنه يد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يعني وقوف البشرية على عظمة هذه الشخصية الأمر الذي لا يرتضيه العامة ولا يناسب أهدافهم ومعتقداتهم، فعلينا أن نصرح بأعلى صوت ونقولها للعامة إنكم بكتمانكم تلك الحقائق أصبحتم كاليهود في كتمانهم الحقائق المرتبطة بالرسول

---

(١) سيرة ابن إسحاق: ٤٠١، البحار٢٠: ٢٠٦.

ﷺ، ووصيه . ألم تعلموا أن يد عليٍّ هي سيف الله المسلول في يد الرسول، بحيث أنه لو لا عليٌّ لما تحقق القضاء الإلهي المحتوم، ولما تحققت إنتصارات الرسول وجهاده ولا مقارعته للكفر.

والذي يؤسف له إكتفاء بعض محققي العامة بمجرد الإشارة إلى ذلك، بينما تركه البعض الآخر حتى من دون إشارة ومرَّ عليه مرّ الكرام[١].

فمن اللازم استعراض أخبار معركة الأحزاب الموحشة ولم نكن نقصد الخوض فيها قبل هذا، ففي تلك الظروف الحرجة التي كانت قريش واليهود قد صمموا فيها تصميماً قاطعاً على دخول المعركة الحاسمة بعدما أعدوا كامل قواهم وصاروا يعدون الساعات لإنزال الضربة القاصمة بالمسلمين وقتل عامتهم، وسبي نسائهم، وبتعبير أبي سفيان:" نبقر بطون نسائكم..."، عندها تجلت قدرة الله سبحانه السرمدية من كُمِّ علي بن أبي طالب لتكون هي تمام الإيمان وقد برز إلى عامة الكفر وتقلب الموازين على عقب، ليتجاوز المسلمون تلك العقبة التي هي أخطر ما واجهوه وحتى أخطر من معركة أُحد خلال ساعة واحدة؛ لتبقى راية الإسلام عالية وخفاقة، وتتمهد الأرضية لذلك النصر المؤزر الذي وعد رسول الله ﷺ به المسلمين أثناء حفر الخندق[٢]، فكان ذلك آخر موقع للعدو وآخر مترس يتمكنون من تعزيزه وآخر فرصة يتمكنون من توحيد القوى فيها وجمعها وجعلها كيد رجل واحد. ولذلك قال رسول الله ﷺ بعدها: الآن نغزوهم ولا يغزونا[٣].

ونقل عن أبي وجرة: أن قريش لما صمموا على الرجوع ورجعوا، كتب أبو سفيان كتاباً هذا نصّه: *باسمك اللهم فإني أحلف باللات والعزى، لقد سرت إليك في جمعنا وإنا نريد أن لا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت*

---

(١) والمؤسف حقاً أن محققي العامة بدل ذلك، تعرضوا لعمل مسعود الغطفاني وسلطوا الضوء عليه أكثر من واقعه، أنظروا كتبهم في هذا الشأن.

(٢) البحار٢٠: ١٩١، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٤٩٩.

(٣) الرسول واليهود٣: ٩٦٦، عن المغازي: ٤١٠٩، وفتح الباري٧: ٤٠٥.

لقائنا وجعلت مضائق وخنادق فليت شعري من علّمك هذا، فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد تبقر فيه النساء.

فأجابه رسول الله ﷺ: **من محمّد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب، أما بعد فقديماً غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذاك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى، وأما قولك: من علّمك الذي صنعنا من الخندق؟ فإن الله تعالى ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعني فيه بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك**[1].

وأخيراً رجع رسول الله ﷺ في يوم الأربعاء ٢٣ ذي القعدة إلى المدينة ظافراً.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٥١٣، عن المغازي٢: ٤٤٨ – ٤٩٣.

نقض بني قريظة العهد

كما بينا سابقاً فإن المشركين كانوا قد حاصروا المدينة، وكان المسلمون يحرسون الخندق بكل دقة، بينما صار عليٌّ يعبر الخندق إلى قرب مواضع العدو ليحرس المسلمين إلى الصباح، ويحيل دون تسلل بعض أفراده بقصد الغارة على خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما ظلت الكمائن مراقبة.

بينما دأب المنافقون على إلقاء المخاوف وتشتيت أفكار المسلمين والسعي وراء زعزعة عزائمهم وتفتيت إرادتهم. وفي هذه الظروف العصيبة وصل خبر نقض بني قريظة العهد وخروجهم من حصنهم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وآخرين ليتحققوا من صدق الخبر، ويُعلموا الرسول صلى الله عليه وآله بالكناية، فرجع سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بالكناية بنقض اليهود العهد.

وقبل بيان باقي القصة، نتوقف عند سبب تثبت الرسول صلى الله عليه وآله من خبر نقض بني قريظة العهد وإصراره على التأكد من ذلك، في ذلك الوقت الذي لم يكن مقصد الرسول صلى الله عليه وآله سوى قريش ولم يقصد التعرض لبني قريظة، ولكن نجده يرسل من يتأكد من الخبر مرتين، ما هو السبب في ذلك!

لم نجد مَن طرح هذا السؤال، ولعله لأجل وضوح الجواب، وهو الخطر الذي يهدد المدينة، لأنهم كانوا في الجانب الآخر من المدينة وكانت منطقتهم ستراتيجية ومسيطرة بشكل كامل على المدينة ليس هناك ما يعيقهم دون الزحف عليها، فإذا تقرر هجوم بني قريظة من الخلف في تلك الضوضاء التي أحدثها المنافقون، بما يمتلكونه من العدة والعدد وعدم وجود قوات تصدهم وتقاومهم، وتدفع عاديتهم فهو يعني استيلاؤهم على المدينة والعبث بها وطعن جيش المسلمين من الخلف وبالتالي إنكسارهم، ولذلك أراد رسول الله صلى الله عليه وآله التحقق من صحة الخبر، وهل حقاً نقض بنو قريظة عهدهم، وهل هناك ضرورة داعية إلى إرسال قوات إلى تلك الجهة؟ وإنما يصح هذا الجواب إذا صدر هذا العمل من قائد الجيش الذي لا يستمد علمه من الغيب، ولا يصح في مثل الرسول صلى الله عليه وآله المؤيد بالمدد الغيبي وما زال جبرئيل ينقل له الأخبار، فلابد من أن نطلب دليلا آخر لذلك العمل لم يؤخذ بنظر الإعتبار، وما ذلك إلا رفع الشكوك والإعتراضات.

اذا قال قائل من أين ثبت نقض بني قريظة العهد ولا دليل على ذلك، بخلاف الحال مع بني قينقاع وبني النضير فإن الرسول ﷺ كان قد سمع بنفسه من بني قينقاع (الطائفة الأولى) إعلان الحرب، وشاهد تجمعهم في مواضعهم القتالية، وبالنسبة لبني النضير فقد ارادوا قتله غدرا وأخبره جبرئيل بغدرهم، وأعلمه بعض الأصحاب بذلك و استهدف من قبلهم إذ رموا خيمته بسهم، ، ولكن في واقعة بني قريظة لم يسمع الرسول ﷺ بنفسه منهم شيئاً، ولم ير منهم ما ينقض العهد، ومن ناحية اُخرى فإن لهم روابط حسنة تربطهم مع الأوس نسبية وغيرها، فكيف يمكن إتهامهم بالنقض بسهولة، والحكم عليهم بالكفر والمحاربة والإقدام بقتلهم، فإذا صح الخبر بنقضهم العهد، فلابد من أن يعلمه الأوس، ويتضح لهم الأمر، حتى إذا وقعت الحرب بلا قتال ولا سفك دماء -كما سيتضح- فمن الممكن إثبات تواطؤهم مع قريش في السر وتحالفهم معها، حتى لاينكروا نقضهم للعهد، ، وكان يسعهم إنكار كل ما وقع بعد انتهاء الحرب مع قريش بسهولة، إذ لم يحضر واحد من المسلمين ملاقاة ابن أخطب مع كعب بن أسد ولم يقدم في هذا المجال اقداما موثرا ويظهرون بقاؤهم على العهد متى ما وجدوا أنفسهم في مأزق والحال أنه لم يبرز منهم ما يقتضي النقض في الساحة العملية ولم يمكن إثبات شيء من ذلك، فأراد رسول الله ﷺ أن يكون هناك دليل على النقض ويكون لديه حجة تامة يحتج بها، إذا ما تصدى لبني قريظة بعد الفراغ من منازلة قريش فصار يأمر بالتحقق من صحة الخبر، وإطلع الأنصار على ذلك بهذه الطريقة، ليشهدوا عن قرب عمل حلفائهم، ولكنه كان قد بعث إليهم زبيربن العوام المعروف بالشجاعة والرأي الصائب، في المساء ليأتيه بأخبارهم، قال عبد الله بن الزبير: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثة فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف قال: وهل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله قال من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم، فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله أبويه وقال فداك أبي وأُمي[1].

---

(١) الرسول واليهود ٩٣٥، ٩٣٦، وعن البخاري:٦٢، فضائل الصحابة حديث ٣٧٢٠، والترمذي حديث ١٣٧٤٣ وغزوة الخندق للدكتور شوقي: ١٠٨ وردت هذه الرواية في مصادر العامة ولم أعثر عليها من طرق الشيعة.

ويعلم من هذه الرواية أن هذا الاستخبار كان سراً من دون أن يعلم به أحد، ثم بعث رسول الله ﷺ على أثر ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة مع ابن رواحة وخوات بن جبير الأنصاري الأوسي، _وبرواية الواقدي اسيد بن حضير _ إلى بني قريظة للإلتقاء بهم و نصيحتهم، فذهب سعد بن معاذ الذي تربطه معهم روابط حميمة قريباً من الحصن ليسمعهم كلامه، ولكن اليهود لم يمهلوه وأخذوا بسب الرسول وأعلنوا نقضهم العهد مع النبي فاضطرب سعد لذلك وسكت ولم يقل شيئاً، ولكن سعد بن عبادة رئيس الخزرج أخذ ينصحهم ويكلمهم عسى أن يصرفهم عن تصميمهم، ولكن لم يثمر ذلك سوى العناد والتمرد. وقد قالها اليهود بصراحة بأنهم نقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ فكان سماع ذلك ومشاهدته من رئيسي الأوس والخزرج أكبر بينة للرسول ﷺ ضد بني قريظة، ومع تقديم النصح لهم فقد تمت الحجة عليهم ويسَّرت السبيل للمستقبل، فإذا أراد سعد أن يحكم فيهم يكون قد سمع بنفسه جرأتهم وسبابهم، وشاهد تمردهم ونقضهم العهد.

فإن الملاحظ لذلك وأمثاله والمدقق في تلك الظروف يعلم أن تمام أوامر الرسول ومحاولاته تنبعث من الحكمة وعلى أساس الوحي، وكان دأب الرسول ﷺ سلوك الطرق المعروفة المتداولة مهما أمكن، كي لا يحصل التصور أن الرسول ﷺ يستبد برأيه، فإن باعتقادي أن الرسول كان يعلم بنقضهم وتآمرهم مع قريش، ولكن لما يصعب قبول ذلك على الأوس بالخصوص بعد مشاهدة وفاء بني قريظة بالعهد طول الفترة السابقة وسكوتهم في واقعة بني النضيروبني قينقاع، فيلزم أن يشاهدوا النقض بأنفسهم، ولوكان الرسول ﷺ قد بعث شخصاً آخر غير سعد ولم يسمع سعد كلامهم الغليظ وسبابهم لم يحكم عليهم بتلك القاطعية التي حكم بها، وكان من الممكن أن تؤثر فيه الروابط الموجودة وروح الترحم فيطالب الرسول بالتخفيف كما فعل ابن أُبي لبني قينقاع في السابق، ولكن نجد أن تلك الملاقاة تركت أثرها على سعد بحد أنه لما أصيب عقبه بسهم في الخندق، وصار ينزف نزفاً شديداً، ويأس من الحياة، طلب من الله سبحانه وتعالى أن يمهله حتى ينتقم من بني قريظة الذين كذّبوا الرسول ونقضوا عهدهم،

فكان ذلك البغض في الله سبحانه الذي ملأ وجود سعد نتيجة تلك المأمورية المحوّلة إليه، وإلا فقد كانت ذهنية اليهود عن سعد غير ما شاهدوه بحيث جعلتهم ينزلون على حكم سعد، ويقبلون حَكَميته فيهم، وجعلوا مصيرهم في يده، وكانوا يثقون بشفقته عليهم.

وكانت مهمة هذين مما عدا الاستطلاع هي النصيحة والوعظ، لأن الغالب عدم تخطي الأصحاب عما أُمروا به، ونقلوا أن سعد بن عبادة قدم لهم النصيحة، فإذا كان ذلك حقاً، فهو يعني أن الرسول ﷺ برحمته وشفقته أتاح لليهود الفرصة للنجاة وأراد أن يبعدهم عن حافة الخطر، وأن يتم عليهم حجة الله سبحانه، ولكن اليهود الجحدة لم يستثمروا هذه الفرصة المتاحة، وأصروا على العناد والاستكبار وكان الرسول ﷺ يعلم مصيرهم، ولذلك لما سمع بنقضهم العهد كبّر وبشّر المؤمنين، ليدل على اقتراب نهاية العدو، وسرعان ما وصلت النوبة لمؤاخذة بني قريظة.

حقيقة الحرب في الإسلام

جاء في الحديث: أن أربعة أنبياء قاموا بالسيف، إبراهيم، وموسى، ومحمد عليهم السلام من أُولي العزم، والنبي داود رابعهم، ونجد في القرآن الآية الشريفة: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1]، فليس من الغريب دخول الرسول في حرب، بل كان ذلك جارياً في كثير من الأديان السماوية[2]، ولا يخرج الحال عن أحد أمرين، فتارة تتغلب جبهة الدين وأُخرى جبهة الكفر، وقد يقتل من المؤمنين وقد يقتل من الكافرين، فالحرب هي كذلك، كانت وما زالت.

وكذلك غزوات الرسول ﷺ، ففي معركة بدر يقتل جماعة الكافرين بينما قتل في معركة أُحد مثلهم من المسلمين وفي حنين قتل من العدو الكثير، ولكن في

---

(١) آل عمران :١٤٩.

(٢) لاحظ كتاب «التاريخ العسكري لبني اسرائيل من خلال كتاباتهم»، لياسين سويد .

معركة مؤتة استشهد أكثر الأصحاب افضلهم جعفر بن أبي طالب إبن عم الرسول صلى الله عليه وآله والمهم أن ماهية الحرب في الإسلام بمعناها العام ليست هي إراقة الدماء والتشفي، بل هو الجهاد في سبيل الله لأجل الدفاع عن المستضعفين و إقامة الدين وتمهيد الأرضية لحكومة الله جل جلاله، فلذلك يجب ملاحظة حروب النبي صلى الله عليه وآله من منظار آخر، وخصوصية هذه الحروب أنها آخر الحلول دائماً والخيار الأخير، وما أن تشرع إلا وسرعان ما تخمد ويكتفى فيها بمقدار الضرورة، فمادام النصح مؤثراً والموعظة نافعة وكان هناك مجال للتفاوض ولم تتم الحجة لا تصل النوبة إلى الحرب، وإنما تصل النوبة إلى الحرب بعد سلوك جميع الطرق، وتجربة جميع الحلول، وإذا شرعت فبمجرد ما يتحقق الهدف المقصود أو ترتفع الموانع المنظورة يكتفى بذلك المقداروتنتهي الحرب، ولايصاحب الحرب في الإسلام أي نوع من القسوة والتمادي في سفك الدماء ولا الوحشية والعشوائية، وإذا ما جنح العدوّ إلى طلب الصلح ولم يكن فيه خدعة ولا حيلة يتم إستقباله ويجنح إليه الرسول.

ونحن بعد دراسة حرب النبي مع يهود بني قريظة ونتائجها غير المطلوبة بحسب الظاهر بالنسبة لليهود، يمكن ملاحظة النقاط التالية:

بعد ما عقد اليهود أنفسهم العهود.

بعد ثلاث وقائع متتالية وقعت لليهود هي في الحقيقة ثلاث عبر.

بعد مخالفة المبعوث من قبل الله سبحانه والوقوف بوجهه لإطفاء نور الله.

بعد التآمر والتعاون مع عبدة الأوثان في مجال محاربة الموحدين.

بعد التحالف مع عبدة الأصنام على استئصال رسول الإسلام ودينه.

بعد مشاهدة المعاجز الكثيرة الدالة على حقانية الرسول صلى الله عليه وآله.

بعد رعاية الرسول صلى الله عليه وآله العهد وعنايته باليهود.

بعد نقض العهد وتمزيق كتاب الرسول صلى الله عليه وآله من طرف اليهود.

بعد اقتراح الرسول عليهم السلام ورعاية العهد.

بعد نصيحة أصحاب الرسول اليهود وتوصيتهم برعاية العهد.

بعد نصحهم بواسطة الأحبار اليهود من بني قريظة في رعاية العهد[١].

مع الإنذارات المتكررة أثناء الحصار.

بالإضافة إلى أن اليهود كانوا هم البادئين بالحرب.

فلاوجه للتعجب إذا لاحظنا أن الرسول الذي هو رحمة للعالمين ومظهر للعناية الإلهية على الأرض يفعل كل ذلك مع هؤلاء اليهود، فلا يعد ذلك من العنف ولا هو مناف لحقوق الإنسان، ولا يصدق كل ما نسبه الكتّاب اليهود والمستشرقون إليه[٢]، ويدخل في معالجة المجتمع العالمي، وحالها حال الغدة السرطانية التي لا محيص عن استئصالها من المجمتع حتى لا يتأثر بها باقي الأعضاء وتتأمن سلامتها.

فعلى الكتّاب اليهود والمستشرقين أن يفتشوا عن أسباب هذه الغزوة في أفعال اليهود و أخلاقهم و خباثاتهم و قساوتهم، فهذه هي نتيجة كفرهم و عدم تدينهم و خضوعهم لأهوائهم .

يجب أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو أرحم الراحمين وفي نفس الوقت هو شديد العقاب، وأخلاق رسول الله ﷺ تستمد من أخلاق الله وهو الذي أدبه، وليس في ذاته قسوة أو شقاء، ولا حس الانتقام وسفك الدماء، وهو كما مدحه الله سبحانه طاهر ومطهر وكما جاء وصفه في التوراة : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[٣].

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢ :٥٢٠و ٥٢٣.

(٢) انظر غزوة خيبر للدكتور شوقي أبو خليل:١٠.

(٣) الفتح: ٢٩.

ولعل انتقاد اليهود ومسائلتهم عن سبب تصلّبهم على مواقفهم إلى هذا الحد وسبب كل ذلك العناد واللجاجة والإصرار على اخفاء نور الله وإبقاء البشرية في ظلمة الجهل والتعسف أفضل من انتقاد كيفية مقابلة الرسول صلى الله عليه وآله مع أعداء الله، مع العلم بأنه يعمل وفق ما يوحى له ولا يتخطاه.

فإذا سألناهم مثل هذا السؤال لا نجد عندهم الجواب المقنع ولا يكون عندهم سوى الثرثرة والدعاوي الفارغة التي لا تخضع للمنطق الصائب، وهكذا نجد أن تعديات اليهود وخباثتهم تكررت على طول التاريخ، ولا زالت تتكرر وهي مشهودة في هذا العصر بشكل آخر.

الكلام الثاني

غزوة بني قريظة

الآيات التي تتحدث عن غزوة بني قريظة

قوله تعالى :﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ وقد فسّر آخرها يعني ﴿ وَمِن أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ بتحركات يهود بني قريظة، والآية الأُخرى هي جزء من آية ٢٦ من هذه السورة ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾، فهي تتحدث عن جماعة مشركي قريش في حربهم مع الرسول وقد فسر هذا القسم من الآية بقرينة قوله: ﴿ وَأَنزَلَ ﴾ وقوله: ﴿ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ بيهود بني قريظة. لأن لهم قلاع وقد كمنوا في قلاعهم، وهناك أحاديث كثيرة في هذا المجال[1].

هذا وقد عبّرت هذه الآية عن بني قريظة بـ :المُظاهر وناصر قريش، بينما تخبرنا عن مقتل جماعة منهم وأسر آخرين.

وقال مجاهد صاحب الرأي في التفسيرحول آية: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[2]، المراد هم يهود بني قريظة، الذين كان لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله عهد وميثاق على أن لا يضاروه ولا يعينوا عليه عدواً

---

(١) البحار٢٠: ١٩٧.

(٢) الأنفال: ٥٦.

بإرسال السلاح وغيره، ولكنهم أعانوا قريش على الرسول في معركة الأحزاب ونقضوا عهدهم مرة أُخرى[١].

وأما تاريخ الغزوة فالمعروف أنه بعد معركة الأحزاب مباشرة، ولكن الاختلاف في تاريخ معركة الأحزاب سرى إلى غزوة بني قريظة، وقال في كتاب العنصرية اليهودية: المرجح أن الغزوة كانت في ٢٣ ذي القعدة من السّنة الخامسة للهجرة، شهر نيسان، إبريل ٦٢٦ ميلادية[٢].

أسباب الغزوة

أهم عوامل هذه الغزوة هو نقض اليهود العهد، الأمر الذي اعترف به بنو قريظة، واستشهد عليهم الرسول بما لا يمكن إنكاره.

كيفية الغزوة

لما رجع الرسول صلى الله عليه وآله من معركة الخندق إلى المدينة وصار ينزع لباس الحرب ويغسله، نزل عليه جبرئيل الأمين وقال له: أراك قد وضعت السلاح ولم نفرغ من الحرب، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله مسرعاً وجمع الناس وقال: لا يصلي أحد صلاة العصر إلا في بني قريظة، فأعطى علياً عليه السلام الراية وتوجه نحوهم[٣].

ولم يلتفت بعض المتظاهرين بالقداسة إلى ذلك الخطاب وصلى صلاة العصر في المدينة ثم توجه إلى بني قريظة وصلى البعض في وسط الطريق، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين من أصحابه صلّوا في بني قريظة بعد ذهاب شطر من الليل، فكان ذلك مشهد آخر للانتخاب والاجتهاد في مقابل النص شرع به المنافقون وصار منشأً لنظائره فيما بعد[٤].

---

(١) البحار٢٠: ١٩١.

(٢) العنصرية اليهودية٢: ٤٤١، وكان عدد اليهود في أقل تقدير اربعمأة وقد نزل على شأنهم "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ....(الاحزاب٢٦و٢٧). وجاء في ص٤٥٨ من الكتاب :هذا البلاء على طبق ما حكم في كتابهم:(في التثنية الإصحاح ٢٠ فقرة ١٠و١٢و١٤).

(٣) البحار٢٠: ٢١١، سيرة إبن إسحاق : ٤٠٨ وسيرة إبن هشام ٣: ١٥٨و موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥١٥.

(٤) إعلام الورى : ١٠٢.

وكان علي عليه السلام أول طليعة للجيش وصل إلى بني قريظة فلما رآهم ورأوه خافوه وقالوا: جاء قاتل عمرو، وأخذوا بسبه وسب الرسول صلى الله عليه وآله فرجع علي عليه السلام والتقى برسول الله وحذّره من الاقتراب، فقال صلى الله عليه وآله: لعلك سمعت منهم ما يغيض. ثم أمر بمحاصرة القلعة من كل جانب، عسى أن ينزلوا على حكم الله[١].

ونقلوا في مدة الحصار أخباراً تتراوح من ١٥ إلى ٥٢ يوماً، تعب فيها اليهود من الحصار وصاروا في ضيق وألقى الله سبحانه في قلوبهم الرعب والرهبة، ولم يرضوا بالنزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصروا على عنادهم، وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وآله أن يعاملهم مثل ما عامل به بني النضير، يعني الإجلاء، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله أراد منهم إما أن يسلموا أو يسلّموا أنفسهم من دون قيد أو شرط.

وبقي حيي بن أخطب النضري _ مسبب الفتنة الرئيس في الحصن ولم يخرج، كما وعد بني قريظة حينما نقضوا العهد، فلما رأى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتركهم جلس مع رؤساء اليهود الموجودين في القلعة للتشاور، فقال كعب بن أسد إني أقترح عليكم ثلاثة اختاروا أحدها، إما البيعة مع الرسول وتصديقه لأننا نعلم إنه نبي آخر الزمان الذي نجده في كتبنا، ونحفظ بذلك أنفسنا وأموالنا وأعراضنا، فقالوا: لا نرضى بذلك، ولا نترك التوراة، فقال: إذن تعالوا نقتل نساءنا وأبناءنا حتى لا نتخوف على ما يؤول أمرهم إليه ثم نجرد السيوف للدفاع عن أنفسنا، فقالوا ليس إلى ذلك سبيل، إذ لا معنى للعيش بعد فقد الأحبة والأولاد، فقال: هذه الليلة ليلة السبت نحاربه غداً لعلنا نظفر منه بفرصة أونكمن له، فقالوا: لانترك سبتنا، فقال: إني لا أراكم تجتمعون على رأي حازم[٢].

فطلب اليهود ملاقاة أبي لبابة، فلما ذهب إليهم أبو لبابة فتشاوروا معه على النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله فأشار أبو لبابة إلى عنقه، بمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله حكم بقتلهم، ولكنه ندم بعد ذلك على ما فعل وتاب وتوبته معروفة[٣]، ولما

---

(١) إعلام الورى : ١٠٢، مجمع البيان ٨: ٣٥٢.

(٢) بحار الانوار: ٢٠:٢١١، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥٢١ .

(٣) سيرة إبن إسحاق: ٤١١، سيرة إبن هشام ٣: ١٦١، العلاقات: ٣٢٤ -٣٤١ ، العنصرية اليهودية٢: ٤٥٠.

صار بنو قريظة يتعللون في اتخاذ التصميم، نفذ صبر أمير المؤمنين عليه السلام ونادى بالجيش: بادروا يا جنود الإسلام، وذهب هو والزبير بن العوام مسرعاً نحو القلعة ليستحلها وقال: لأذقن ما ذاق حمزة أو أقتحم حصنهم، وكان بنو قريظة يعلمون شجاعة عليّ فاستولى عليهم الخوف وسرعان ما سلموا أنفسهم وطلبوا من النبي صلى الله عليه وآله أن ينزلهم على حكم سعد، فقبل ذلك[1].

وفي رواية أن الأوس كانوا يرغبون في أن يرحمهم الرسول صلى الله عليه وآله ويخفف الحكم، فرد عليهم رسول الله وقال: متروك لليهود أن يختاروا حَكَماً من بين الصحابة إذا شاؤا، فرضي بنو قريظة بذلك واختاروا سعد بن معاذ.

ورضي رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، واختار الرسول صلى الله عليه وآله تلك الطريقة لكي يرضي الأنصار، ففرحوا بذلك، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله اليهود أن يضعوا أسحلتهم، ثم أمر بتقييدهم وإخراجهم من القلعة مقيدين، ثم بعث من يأتي بسعد، ولما جاوا بسعد وصار أمام اليهود، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لليهود: قوموا إلى سيدكم، فقام اليهود على أرجلهم، ثم إن سعد كلّمهم في أول الأمر ونادى فيهم: يا معشر اليهود هل تقبلون حكمي؟ قالوا: نعم نحن نخضع لحكمك، فأراد سعد بن معاذ بذلك أن يأخذ إقرارهم قبل أن يحكم فيهم، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول وآله وقال: يُقتل الرجال ويسبى النساء والأطفال وقسمة الأموال وأن مساكنهم للمهاجرين، يسكنون فيها، فكبّر رسول الله وكبّر الحاضرون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا سعد حكمت بما حكم به الله سبحانه من فوق سبع سماوات.

وأُخرج الأسرى مكتوفي الأيدي من القلعة، الرجال في جانب والنساء في جانب آخر، وجاؤا بهم إلى المدينة، وكانت مهمة جمعهم على عاتق محمد بن مسلمة، ثم اودعوا في دار بني النجار، أو دار أسامة، أو رملة بنت أبي الجهم العدوي، فأُخذ كل من أنبت وضربت عنقه واحداً بعد واحد، وقد باشر قتلهم بعض المهاجرين ومن الأنصار الخزرج وكان هذا المنظر يؤلم رجال الأوس الذين كان بينهم علاقة الحلف، فلما رأى الرسول صلى الله عليه وآله اضطرابهم وتأسفهم، أوكل

---

(١) غزوة الخندق، الشوقي: ١٤٥، عن السيرة النبوية لابن كثير ٣: ٢٣٤.

اليهم قتل بعض الأسرى حتى يتم إجراء الأمر الإلهي على أيديهم وقد بقي منهم الثماني عشر، و بذلك تزول تلك النفرة التي اعترت أنفسهم واستولت عليها، إذ ليس من المستحسن أن يكره المسلم إقامة الحد الإلهي في نفسه، والمطلوب منهم محبة الله أكثر من حبهم أنفسهم وحبهم للآخرين، وقيل: إن إجراء الحد دام ثلاثة أيام، وقد قيل إنه تمّ عند منتصف الليلة الأولى[١].

روي إنه : لما جيء بحيي بن أخطب لإجراء الحد عليه مرّوا به على رسول الله ﷺ، فقال لرسول الله مخاطباً إياه: والله لا ألومن نفسي في عداوتك ولكن ماذا أفعل فمن يرد الله ذله يذل، ثم التفت إلى سائر اليهود وقال: لما كان هذا قضاء الله وتقديره فما علينا بأس، هذه الملحمة قد كتبت على بني اسرائيل، ثم جلس ومدّ عنقه كي تضرب[٢].

ثم أنظر إلى هذه الرواية حول كعب الرئيس الآخر لليهود، فقد روى ابن أبي عمير والبزنطي معاً عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قال: : لما دعا رسول الله ﷺ بكعب بن أسد ليضرب عنقه فأُخرج و ذلك في غزوة بني قريظة، نظر إليه رسول الله ﷺ فقال له :يا كعب أما نفعك وصية [دواس]إبن حواش، الحبر المقبل من الشام، فقال :"**تركت الخمر و الحمير(الخمور) و جئت إلى البؤس و التمور، لنبيٍ يبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكة و هذه دار هجرته، و هو الضحوك القتال، يجتزئ بالكسرة والتميرات و يركب الحمار العاري، في عينيه حمرة و بين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانه، منقطع الخف و الحافر .**"

قال كعب :قد كان ذلك يا محمد و لو لا أن اليهود تعيروني أني جبنت عند القتل لآمنت بك و صدَّقتك و لكني على دين اليهودية، عليه أحيى و عليه أموت، فقال رسول الله ﷺ :قدموه فاضربوا عنقه، فقدم و ضربت عنقه[٣].

---

(١) سيرة إبن إسحاق: ٤١٥، سيرة ابن هشام ٣: ١٦٤، العلاقات: ٣٤٥.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٥٢٧، عن مغازي الواقدي ٢: ٥١٦.

(٣) البحار ٢٠: ٢٣٧، عن إكمال الدين ١: ١٩٨.

وتشتمل هذه الرواية على الجواب على تساؤل المستشرقين وكل المستشكلين على ما صنعه الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الغزوة، فمن الواضح جداً أن كعب بن أسد قد صدّق الرسول صلى الله عليه وآله في كلام ابن خراش، ولم يكن مجبوراً ولا ما يقتضي التقية ولم ينكر كلام ابن حواش(خراش)، بل قال: إنه قد قال ذلك ولو لا أن تعيرني النساء أني جبنت لآمنت بك، فهذا هو رئيس اليهود والمتنفذ فيهم، ألقى نفسه في التهلكة و عذاب النار من أجل أن لاتعيّره النساء، «**والعار خير من دخول النار**»، فماذا يجب العمل مع هؤلاء اليهود والحال هذه؟ اولئك الذين لم يسمعوا نصيحة علمائهم و أحبارهم، وإذا سمعوها لم يتمسكوا بها، وماذا يستحق أولئك الجاحدون حتى يدافع عنهم كتّاب اليهود .

وفي هذه الرواية عبرة ودرس لليهود اليوم، فليسمعوا إلى ما قاله إبن حواش (خراش) وصدّقه كعب بن أسد وليدخلوا في الإسلام.

وفي بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توجّه إلى قلعة بني قريظة كان راكباً على حمار[1]، ولعل الحكمة في ذلك هو أن الموجود في كلمات الأحبار وفي الأخبار الموجودة في كتبهم كما لاحظنا في هذا الخبر أن من علامات رسول آخر الزمان أنه _من شدة تواضعه_ يركب الحمار العاري، فأراد النبي بذلك إتمام الحجة على اليهود.

ما هو سبب الحكم بالقتل؟

الجواب على هذا السؤال في مجال المناقشة مع أعداء الإسلام والكتّاب المغرضين، قد يحل بعض الألغاز.

نحن نعلم أن الذنب إذا تكرر من المذنب وعوقب في كل مرة على ذنبه فإنه سيختلف الحال في المرة الثالثة أو الرابعة وحتى قد يحكم عليه بالقتل، لأنه بذلك الإصرار والتعنت يكون قد أثبت أنه بحالة نفسية خبيثة وله خصوصية ذاتية بحيث لا يمكن إصلاحه، وهذا ما يوجّه إعدامه ونفيه من الوجود.

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٩.

ونفس هذه الحالة كانت موجودة عند يهود بني قريظة، فإنهم وعلى مرِّ عدة سنوات عديدة شاهدوا ماذا صار إليه حال بني القينقاع وما هي نتيجة مخالفتهم، وشاهدوا مرة اخرى عاقبة بني النضير لما نقضوا العهد، وشاهدوا أيضاً إقبال جماعة من علماء اليهود ومن الأحبار والأساقفة على الإسلام، ولم يكن لهم شكوى من معاملة الرسول ﷺ، وقد أقروا برحمته ورأفته ووفائه بالعهد، وظهرت لهم صحة دعواه من خلال المعاجز الكثيرة، فهم اليوم وقد نقضوا عهدهم، وصاروا في الصف المخالف لأجل استئصال المسلمين وقمعهم، واتحدوا مع المشركين بعد كل ما شاهدوه وعاينوه، فليس ذلك إلا لشقائهم والتمادي في عنادهم وعدائهم للحق بحيث لا يمكن إصلاحهم في يوم من الأيام.

ونحن نعلم أن الإنخراط في صف المشركين المنكرين لنبوة موسى وغيره من الأنبياء يُعدّ جرماً لا يغتفر حتى في دين اليهود أنفسهم، بل هو في معنى الكفر بالله، وما جزاء الكافرين إلا القتل والنفي من الوجود، وفي هذا المورد تجلى عدم تقيد اليهود وعدم تدينهم وصار ملموساً خصوصاً من رؤسائهم عند أهل التحقيق.

فهل إن التودد لمن يكفر بالله الواحد ولمن يسجد للحجر و يسجد لأصنامه من أجل كسب رضاه لا يكون علامة على الكفر بالله وإنكاره القيامة.

فما تقول في حق اولئك الذين عرضوا آلاف النساء والأطفال والشيوخ للخطر، أليس في ذلك دليل على الخيانة والقسوة؟

ألا يوجد بين جماعة المحققين اليهود متأمل يتأمل في عمل اليهود هذا ويقف على كفرهم وإجرامهم.

يستفاد من كتب اليهود أنفسهم أن في شريعة اليهود أنه متى تغلَّب اليهود على قوم أو دولة يجب قتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم وغنيمة أموالهم[1]،

---

(١) العنصرية اليهودية٢: ٤٥٩-التثنية، الإصحاح:٢٠ فقرة١٠، ١٤، ١٢:« حين تقترب من مدينة لكي تحاربها... ولم تسالك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها لنفسك».

فهذا هو حكمهم وقد أُخذوا به وهل يكون حكمهم مع ذلك غير القتل، بالإضافة إلى أن الموجود في العهد الأول الذي جُدد ثلاث مرات أنهم متى نقضوا العهد فدمهم هدر.

ولم يبلغ الحال في بني قينقاع وبني النضير، من ناحية تعاونهم مع المشركين و السعي في القضاء على الإسلام إلى هذا الحد، ولم تبلغ الأمور التي توجب الاعتبار إلى هذه المرتبة، ولم تتم عليهم الحجة بشكل تام، ولم يرفضوا تحكيم الرسول صلى الله عليه وآله فيهم كما رفضه بنو قريظة، ولم تتعرض المدينة والمسلمون للخطر مثل ما تعرضت له من جهة بني قريظة، والنتيجة أنه لم يبلغ جرمهم إلى ذلك الحد، ولذلك كان حال بني قريظة يختلف مع حال الطائفتين السابقتين اختلافاً كبيراً، وإذا ما قيس عملهم إلى عمل سائر إخوانهم فهناك فرق من ناحية اتصافه بالقسوة والشقاء الأشد.

وأما حيي بن أخطب رئيس بني النضير فقد شكل مع أصحابه القرظيين حزباً انطبق عليه عنوان المحارب، فلولا لطف الله سبحانه والإمداد الإلهي لكانت جميع الدماء التي تسيل على الأرض في ذمة هذا الحزب، وكان هو البادئ بالحرب في هذه المعركة، لأنهم هم الذين حرضوا قريش على محاربة الرسول، فاليهود في هذه المرة كانوا تهديداً جدياً للمسلمين وخطراً عظيماً أمامهم، ولابد من قتلهم، وهم أنفسهم يعلمون ما يستحقونه من العقوبة، وأنها بمقتضى العدل والعدالة، ولاحظنا من كلام الرسول صلى الله عليه وآله أن ذلك هو حكم الله، ومعه مهما كانت عدّتهم فهذه هي عقوبتهم يجازون بها، فكيف بهم إذا كانوا ستمائة نفر أو أربعمائة على اختلاف الرواية.

وكما قلنا فإن دأب الرسول صلى الله عليه وآله في الحرب هو الإبتداء بالنصيحة والإنذار كي تتم الحجة بكامل معناها، ولذا فإن أمير المؤمنين ظل يدعوهم عشرين يوماً – أي فترة المحاصرة– إلى الإسلام، ويرغبهم في التوبة، وهي فرصة مناسبة للتخلص من الموت، لم يغتنمها اليهود.

حكمية سعد

لماذا لم يرتض اليهود حكمية رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل كان حكمه بقتلهم واضحاً لديهم بحيث يحتمله كل يهودي وغير يهودي، وكان أبو لبابة عالماً به، لما أشار إلى عنقه وأعلم اليهود بذلك لما قدم عليهم؟ لماذا كانت هذه الطائفة تعتمد على سعد أكثر من غيره، ألم يخطئ اليهود في هذا الانتخاب؟ ألم يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، والأنبياء أحق بالرحمة من غيرهم، ماذا يستحق من يقطع أمله من رحمة النبي صلى الله عليه وآله ويؤمّل غيره؟ أليست هذه مرتبة من الكفر بالله؟ يجب تحري الجواب عن ذلك في سلوك سعد وتعاطفه مع بني قريظة قبل تلك الواقعة.

والسؤال الآخر عن قبول النبي حكمية سعد، ولعل الجواب هو أن النبي صلى الله عليه وآله فوّض لليهود اختيار الحكم وقال لهم اختاروا واحداً من الأصحاب فإني ارتضي من تختارون، ومعه لا مجال للاستنكاف، ولكن انتخاب سعد كان يحظى بالأهمية، وذلك بحسب رضا الأوس، الذين يشكلون طائفة كبيرة من الأنصار ويعدّون ساعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان بين الأوس والخزرج رقابة شديدة تعلم من مطالعة تاريخ المدينة، ومن ناحية فإن بني قينقاع بعد ما نقضوا العهد شفع لهم حلفاؤهم الخزرج عند الرسول صلى الله عليه وآله فلم يُقتلوا وأُجلوا من المدينة وسلموا بأنفسهم، ولكن بني قريظة كانوا حلفاء الأوس وصاروا في معرض القتل مثل بني قينقاع فالمنتظر شفاعة الأوس لهم، لأن قتلهم يعد ضربة للأوس، ولذلك طلبوا من الرسول أن يعفيهم، ورضي الرسول صلى الله عليه وآله بحكمية سعد كي تُفصل القضية بين الأوس أنفسهم، فطلبوا من سعد بإصرار أن يعاملهم بالرفق والمداراة، ولكنه كان صلباً لا تأخذه في الله لومة لائم، وحكم بالحق فكان من نصيبه تحسين الله ورسوله[1].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عباد الله، هذا سعد بن معاذ من خيار عباد الله، آثر رضا الله على سخط قراباته وصهاره من اليهود، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وغضب لمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ولعليّ ولي الله ووصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) سيرة إبن إسحاق: ٤١٤، سيرة إبن هشام٣: ١٦٣، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥٢٥ في الهامش.

وهناك روايات كثيرة تحكي فضائل سعد وتعدّه من المدافعين عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، ولذلك تقصى الحق وحكم به[١].

وقيل: إن سعداً نقل إلى المسجد بعدما جاؤا به إلى بني قريظة بصعوبة، ففتح جرح رجله وانبعث منه الدم، وفارق الحياة في اليوم الثاني، وقيل إنه ظل حياً إلى أُسبوعين[٢].

ولما توفي سعد متأثراً بجرحه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في عزائه: يرحمك الله يا سعد فلقد كنت شجاً في حلوق الكافرين لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضة الإسلام[٣].

فما ذلك العجل؟ هل ستكرر قصة بني اسرائيل في هذه الأمة؟ هل إن الأمة الإسلامة ستخالف الرسول صلى الله عليه وآله وتسلك السبيل الذي نهاهم عن سلوكه، وهل يتركون ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل سينحون هارون الأمة ويعكفون على العجل، ألم يكن بين الأصحاب مثل سعد بن معاذ يري المهاجرين والأنصار الحق مرة أُخرى؟

نعم كم في هذا الكلام من المرارة والكدرو كم هو مؤسف ومحزن،بل يكمن فيه عالم من الغم والحسرة، فمع كل تلك الرأفة وتحمل تلك الصعاب يتمنى

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٥٣٦ – ٥٣٧، وهوامشها، الرسول واليهود: ١٠٧٩، ابن إسحاق: ٤٢٢، وفي بحارالأنوار٢٠: ٢١٣، عن مجمع البيان ٨: ٣٥١ وعن جابر قال جاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء و تحرك له العرش، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا سعد بن معاذ قد قبض. وفي بحارالأنوار : ٢٠ : ٢٣٥ وج : ٣٧ : ٥٨ ثم قال رسول الله لسعد: أنت من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، فلما فرغ من آخرهم إنفجر كلمه و مات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ولي من أولياء الله حقا، إهتز عرش الرحمن لموته، و لمنديله في الجنة أفضل من الدنيا و ما فيها، إلى سائر ما يكرم به فيها حياه الله ما حياه .

(٢) غزوه الخندق للدكتورشوقي: ١٥١.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٤٨١.

الرسول ﷺ أن يبقى سعد حتى يقود المهاجرين والأنصار في سبيل عبادة الله سبحانه لا عبادة العجل ! [١].

عدد رجال بني قريظة

طبقاً للروايات الواصلة والمنقولة بعدة طرق وبعض أخبار المورخين أن عدد مقاتلي بني قريظة يبلغ سبعمائة مقاتل، إلى سبعمائة وخمسين، وغايته تسعمائة مقاتل، وفي رواية البحار أنهم تسعمائة وخمسون مقاتل[٢].

وفي بعض أخبار المؤرخين أنهم أربعمائة مقاتل، ومع التشكيك في صحة هذه الروايات والأخبار فيجب الجزم بأن عددهم لا يقل عن أربعمائة رجل، ونحن نعلم أن هذه الطائفة سكنوا مئات السنين قريباً من يثرب، وقد توالدوا وتناسلوا في ذلك الموضع فكيف يكون عددهم أقل من ذلك[٣]، فلا يصح المروي في كتاب البحار من أنهم مائة رجل على الأقوى[٤].

---

(١) إن مراد النبي ﷺ من العجل هو أبو عامر الراهب الذي أراد المنافقون أن يرئسوه، وبنوا مسجداً يعرف بمسجد ضرار. أقول:ولكن هذا في الحقيقة مصداق ما قاله الرسول ﷺ ستتبعون سنة بني اسرائيل، ولذا فإن عبادة العجل تبقى في كل زمان بما يناسب ذلك الزمان، ولا شك أن الذين استولوا على مقعد الرسول ﷺ ظلما بمنزلة العجل في بني اسرائيل، وأتباعهم هم بمثابة عبدة العجل.(المستفاد من تفسيرالمنسوب الى الإمام العسكري: ٤٨٠- ٤٨٣) .

(٢) سيرة ابن إسحاق: ٤٢٢، بحار الأنوار ٢٠: ٢١٣.

(٣) يهود حجاز: ١٨٦، وفي بحار الأنوار ٢٠: ٢٣٨.

(٤) لا حظنا خمس نسخ خطية قديمة من كتاب تفسير القمي والعدد المكتوب سبعمائة رجل (المكتبة الرضوية ٧٥١٢، ١٢٢٩، ١٢٣٠) ومكتبة قمر بني هاشم دامغان ونسخة احياء التراث ٢٩٢٣، ولكن في نسخة ملك (رقم ١٠٠٧) هي مصدر المصحح لجزء ١٩ من البحار جاء فيها مائة رجل ولكن على ما قيل:« إن إحتمال حذف الجزء أقوى من إحتمال الإضافة »ولعل عدد المائة تصحيف، والصحيح سبع مائة ، ومهما يكن من ذلك فليس بمقدور هذه الرواية أن توازي تلك الروايات المتعددة التي تذكر سبعمائة أوأكثر.

وهناك بعض المحققين المسلمين وخصوصاً أولئك الذين قاموا بتحليل الوقائع ومن أجل دفع تهمة القسوة والعنف عن الإسلام والرسول ومن أجل أن لا تؤخذ نظرة عن خشونة الدين الإسلامي صاروا في صدد انكار هذه الواقعة[١]، أو التخفيف من حدّتها، ولم يقبلوها بتلك الحدة والشدة المنقولة في كتب الحديث وكتب التاريخ ولذا فإن البعض صار إلى أن عدد المقتولين لا يتجاوز المائة والعشرين، وحتى قيل أنه لا يتجاوز أربعين رجلاً[٢]. ولكن ذلك غير صحيح، فإن الطائفة التي اتحدت وأجمعت على مخالفة الرسول صلى الله عليه وآله ولم يرَ منهم أي انعطاف في مواقفهم، ولا يُريدون الصلح، ولم يفوا بالعهد الذي وقّعوا عليه وأمضوه بأنفسهم، لا جزاءَ لهم إلا القتل، وهل يكون قتلهم داخلاً في القسوة أو يكون داخلاً في دائرة اجراء العدالة فلماذا ننكر تلك الوقائع من أجل تجنب انتقاص المنتقصين من الإسلام من الذين لا يسمحون لأنفسهم بذكر فضيلة واحدة للإسلام[٣]. ومع قطع النظر عن ذلك فإذا كان رجال بني قريظة ١٢٠ رجلاً فكيف

---

(١) أنكربعض من العلماء المحققين شدة هذا الأمروكذا أنكر صاحب كتاب ليال يهودية قتل رجال هذه الطائفة ورأى أن هذا الخبر وقصة إنذار أبي لبابة من وضع بني أمية، ويعتقد أن النبي صلى الله عليه وآله لم يغيّر من طريقته بالنسبة لبني قريظة، ولا من معهوده قتل الأسرى، ولم يأمر بقتلهم سوى عدة أشخاص من رؤساء اليهود، فقد أمر بإجراء الحد عليهم، (ليال يهودية: ١٤٠- ١٥٠).

ويمكن الرد عليه على ما قلنا في المتن : بأن رجال اليهود لم يكونوا أسرى، وإنما نزلوا على حكم سعد وعرّضوا بذلك أنفسهم للخطر، ومع حكم سعد عليهم بالقتل، فلم يتوجه إشكال على الرسول صلى الله عليه وآله، وإنما قتلوا بحكم من رضوا بحكمه على أنفسهم، ومع ملاحظة الرواية الواردة في تفسيرقوله تعالى: ﴿لو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم...﴾ النازل في بني النضير، بان قتلوا لولا الحكم بإجلائهم. و اما في أمر بني قريظة لم يحكم بإجلائهم، بل أخبر القرآن نفسه بقتل فريق منهم، فليس من المستبعد بعد ملاحظة الآيات من سورة الحشر والأحزاب تغيير الطريقة وأنه مستند بالله تعالى لا بالنبي صلى الله عليه وآله.

(٢) يهود حجاز: ١٩٠.

(٣) البحار ٢٠: ٢٦٢ عن إرشاد المفيد: ٤٨.

يجترؤن على مواجهة أصحاب النبي ﷺ وذلك الجيش العظيم الذي عاد للتو من معركة الأحزاب، وكما يأتي السؤال عن طلب قريش منهم العون وإصرارهم على نقضهم العهد والانضمام اليهم وهم بهذه القلة؟ إلى حد أن قريش اشترطت مشاركتهم في الحرب، فماذا يستطيع أن يفعل مائة رجل عندما يبعث الرسول خمسمائة مقاتل للتصدي لغارتهم وإن انضم إليهم بنو غطفان[١].

وإذا سلمنا أن المقتولين من بين قريظة هم بعض رجالهم وبقي الباقي في الأسر والنتيجة أن القتلى قليلون، فإن اشكال القسوة والخشونة لا يرتفع عن الإسلام؛ لأن الأسر لا يقل عن القتل. ومن ناحية أخرى كيف تم الاختيار وعلى أي أساس وأي ميزان؟ ولماذا لم ينقل إلينا ؟وهل يعرف الرجال الذين أسروا أو عفي عنهم غير الإثنين أو الثلاثة الذين عفي عنهم، وأن الآية الشريفة: ﴿**وفريقاً تأسرون**﴾، لعل تشير إلى أسر النساء والأطفال، ثم سبيهم وإن ورد في الحديث: قتل منهم أربعمائة وخمسين رجلاً وسبي منهم سبعمائة وخمسين[٢]، وإن كان ظاهر العبارة الرجال ولكن لابدّ أن يكون أكثرهم الصبيان غير البالغين، واستظهر السيد العاملي «بأن المستفاد من النصوص أن بني قريظة لم يقتلوا كلهم، بل قتل منهم خصوص من حزّب على النبي والمسلمين ».وهذا لا ينافي ما قلنا والنتيجة أن أقل عددٍ يمكن قبوله للمقتولين هو: أربعمائة رجل[٣].

---

(١) جاء في كتاب يهود حجاز: ١٦٠ نقلاًعن الواقدي أن الرسول ﷺ جعل خمس مائة مقاتل على الجبهة الجنوبية تحسباً لهجوم بني قريظة وغطفان، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن نسبة المسلمين إلى جيش الكفار هي مائة مسلم مقابل مائتين من الكفار إلى ذلك اليوم، يمكن تخمين وجود ألف مقاتل في الجبهة الجنوبية يشكلون خطراً على المدينة، ونصفهم من بني قريظة، ومعه يكون عدتهم ٤٠٠ نفراً على أقل التقادير.

(٢) بحار الأنوار٢٠: ٢٥٩.

(٣) الصحيح من السيرة ١١: ١٢. إقول : وصلت عدة أخبار تشير إلى أن عدد بني قريظة سبعمائة رجل، وفي رواية في بحار الأنوار ٩٠: ٦٩ يعمل مقايسة بين بني النضير، وبين بني قريظة، وذكر فيها أن عدد بني قريظة مائة رجل هذا قابل للتامل ولعل خطأ قدوقع لأن عدد سبعمائة بالنسبة إلى الألف أكثر

هذا وقد عفي عن بعض رجال اليهود، أحدهم شاب باسم رفاعة بن سموأل كان قد التجأ إلى امرأة مسلمة باسم أم المنذر سلمى بنت قيس، فطلبت من الرسول أن يعفو عنه، فوهبها رسول الله إياه، وهو مما يعكس مقام المرأة عند الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى جميع المسلمين أن يقتدوا بهذا الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله.

والآخر الزبير بن باطا من عظماء بني قريظة و قد ترأس معركة بعاث في الجاهلية وقد رفق في تلك المعركة بأحد الخزرج باسم ثابت بن قيس، وأطلقه من الأسر، واليوم هو أسيرالمسلمين فطلب ثابت رداً على إحسانه السابق من الرسول صلى الله عليه وآله أن يعفو عنه، فعفى الرسول صلى الله عليه وآله عنه وأعاد له امرأته وأولاده وماله، ولكن الزبير بن باطا قال: لا خير في الحياة بعد كعب بن أسد وحيي بن أخطب، فاقتلوني وأريحوني، فقُتل[1].

وما معاملة الرسول صلى الله عليه وآله تلك مع الزبير اليهودي وأهله وعياله وأمواله إلا آية على كرامة الرسول واحترامه لطلب واحد من المسلمين باسم قيس، مع أن زبير لم يثمّن تلك الفرصة وطلب أن يُقتل، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عفا عن إمرأة الزبير وأولاده من الأسر وترك أمواله _ التي وهبها له_ لأولاده[2].

مناسبة من المائة إلى الألف، فهذا تؤيده الرواية التالية: بحارالأنوار ج ٢٠ص ١٦٧ عن تفسير القمي: أنه كان بالمدينة بطنان من اليهود من بني هارون و هم النضير و قريظة و كانت قريظة سبعمائة و النضير ألفا و كانت النضير أكثر مالا و أحسن حالا من قريظة و كانوا حلفاء لعبد الله بن أبي..... الحديث.

واما ما يجب التأمل في هذه الروايات، الاول: الاختلاف في عدد المقاتلين من بني قريظه، والثاني: اختلاف تحالف الطوائف الثلاث مع الأوس والخزرج والثالث:عدم إنطباق تاريخ الوقائع وما ورد حول نزول الآيات المطروحة فيها، ثم أنظر:موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٤٤٧، التبيان للشيخ الطوسي٣:٥٢٥ . ولعل هنا قد وقع إختلاط بين الحوادث.

(١) البحار ٢٠: ٢٧٧، ٢١٠، العلاقات: ٣٤٥.

(٢) البحار ٣٢: ٣٧، وج ٢٠: ٢١٠.

وهناك بعض اليهود الذين أسلموا قبل الأسر ونجوا بذلك من القتل ومنهم ثعلبة بن سعد، وأسيد بن سعية وعمهما أسد بن عبيد.

وقيل: إن رجلاً من اليهود اسمه عمرو بن سعدي نصح قومه وقال: إن محمداً رسولُ الله حقاً ولاتضادونه، إما أن تدفعوا له الجزية أو تسلموا، ولكن أقرانه لم يسمعوا إلى كلامه، فخرج من القلعة بمفرده والتجأ إلى المسجد وأسلم، ثم لم يعلم أين حلَّ بن الدهر، ولعله هرب ولاذ بالفرار، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه: « إنه كان يأمر بالوفاء وينهى عن الغدر فلذلك نجا » ويمكن التحدس من كلمة «نجا» أنه اتخذ إسلامه مطية للخلاص من المخمصة والفرار من المعركة [1].

هذا وقد تم أسر جميع النساء إلا امرأة واحدة كانت قد قتلت رجلاً مسلماً اسمه خلّاد، وذلك بإلقاء حجر كبير من أعلى البرج على رأسه فأصابه وقتله، فطلبها رسول الله لتقتل، ونقل عن عائشة أنها قالت: إنها كانت جالسة إلى جنبي وهي تضحك وتمزح بحيث أثارت تعجبي، كيف يطلب أحد الموت وهو بهذه المعنوية العالية.

ويمكننا أن نقول لكل مَن يعجب من هذا التجلد وروح التعصب عند اليهود، بأن الإنسان قد يجعله الحقد و الغضب وبغض الحق ثابتاً في طريق الباطل و قد يبدي في هذا السبيل الشجاعة والشهامة الفائقة[2].

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وآله بالرفق بالإماء، والاجتناب عنهن لمدة شهر، ومن الحوامل إلى زمان وضع الحمل، وهو يحكي عن أهمية الأمور الأخلاقية والعائلية عند النبي صلى الله عليه وآله.

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وآله بتقسيم النساء والأطفال بين المسلمين ونهى عن فصل الأولاد عن أمهاتهم، وأرسل مجموعة منهم إلى نجد ليستعين بأثمانهم على شراء السلاح والخيل.

---

(١) البحار ٢٠: ٢٧٦.

(٢) البحار ٢٠: ٢١٠، العلاقات: ٣٤٤.

وسمح الرسول صلى الله عليه وآله لبعض المسلمين ويهود المدينة بشراء بعض تلك الجواري يحتفظون بهن في المدينة ومن جملتهم أبي شحم اليهودي فإنه دفع مائة وخمسين ديناراً واشترى جاريتين مع كل واحدة ثلاثة أولاد. ولذا فإن هذه المعاملة مع اليهود الأسراء كانت جارية حتى من نفس اليهود المتمكنين ولا يلغي كونها أمة وليس في ذلك أي استبعاد.

وكان اليهود الأسرى مطلقي العنان في مجال ممارسة طقوسهم الدينية ولا منع من ناحية الرسول في خروجهم من المدينة والسفر إلى مواضع أُخرى[1].

وما معاملة النبي الرحيمة مع الأسراء، والتوصية برعاية أحوالهم وحتى العفو عن بعضهم إلا لهوَ علامة على رحابة صدر الرسول و رفقه بمن وسم بسمة الأسر وبالنسبة الى الأسرى، ورعاية حال المسلمين الذين ضموهم إليهم[2]، فإن منطق الإسلام هو المنطق الإنساني، منطق العدالة والإحسان، الذي يظهر في كل مكان، ولا يمنعه عداء العدو، والمعروف عند جميع الأمم أن النساء والأطفال إذا لم يشاركوا في الحرب بشكل مباشر لا يعدون من المحاربين ولا من ذوي التقصير ولكن الرجال بأعمالهم يعرضون أنفسهم للخطر ولذا فإن النساء يؤخذن أسارى لأن رجالهم قد قتلوا وهن بحاجة إلى من يقوم بأمورهن، والإسلام يؤكد على ذلك وعلى الرفق بهن بأكمل وجه.

واختار الرسول صلى الله عليه وآله لنفسه من بين الأسرى ريحانة، وهي بنت زيد بن عمرو بن خناقة بن شمعون بن زيد من طائفة بني النضير، اختارها عند ما كانت على اليهودية كدليل على المعايشة السلمية بين اليهود والمسلمين، وبذلك عكس النبي صلى الله عليه وآله أن البشر باستطاعته أن يتآلف إذا لم يقطعوا روابطهم العاطفية والفكرية ولا يحصل الابتعاد والوحشة فليس هناك توجيه آخر للتنافر، هذا وقد كانت قبل الأسر في ذمة رجل قرظي ويهودي باسم الحكم وقد قتل في هذه الغزوة، ولما صارت في يد رسول الله صلى الله عليه وآله أسلمت وأراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يعتقها

---

(١) العلاقات: ٣٤٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٥٣١.

ثم يعقد عليها، ولكنها فضلت البقاء في يده[١]. وما عمل الرسول صلى الله عليه وآله هذا إلا علامة على حسن ظنه بتلك المرأة التي كانت من بني إسرائيل ومن أحفاد النبي هارون، وأنها تستحق الاحترام والكرامة.

غنائم بني قريظة

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يتولى عبد الله بن سلام ديار بني قريظة وأموالهم، حتى يجمع الغنائم ويشرف عليها، فنفّذ ذلك وجمع الغنائم ثم أخرج منها الخمس وهي أول غنيمة تخمّس[٢]، ثم قسم الباقي بين الجنود، وقيل إن عدد الجنود في هذه الغزوة كان ثلاثة آلاف مقاتل، عدد من شارك في معركة الأحزاب[٣]، وفي خبر أنهم كانوا ألف وأربعمائة مقاتل وفي حديث أنهم سبعمائة مقاتل عدد من شارك في حفر الخندق، وهي المروية عن الأئمة وفي قصة جابر، ولعل خبر اليعقوبي مأخوذ من هذه الرواية.

و ذكروا في تقسيم الغنائم أنهم أعطوا الراكب ثلاثة أسهم سهمان لمشاركة الفرس في ميدان القتال، وسهم للراجل، ولكن النبي الذي اشترك بثلاثة أفراس أخذ سهماً واحداً، وتعلق سهم بخلاد الذي أُلقي على رأسه حجر ومات ثم أعطي لأهله، وسهم لعائلة أبي سنان بن محصن بن حرثان، لأنه مات في أثناء هذه الغزوة وأُعطيت مساكن بني قريظة لفقراء المهاجرين يسكنونها.

واشترك في هذه المعركة أربعة نسوة منهن صفية بنت عبد المطلب، وليس للنساء من غنائم الحرب سهم، ولكن النبي صلى الله عليه وآله لا يدع أن يعطيهن شيئاً منها.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموضع، هو سبب التفرقة بين غنائم بني النضير وغنائم بني قريظة مع أن منازل بني النضير قد حوصرت من قبل جيش المسلمين ١٥ يوماً إلى ٢٠ يوماً وقد رموا المسلمين بالسهام من داخل القلعة،

---

(١) البحار ٢٠: ٢٨٧.

(٢) وقد تقدم الكلام عن أول غنيمة دفع خمسها.

(٣) العلاقات: ٣٤٧.

وأرادوا اغتيال الرسول صلى الله عليه وآله وفي غزوة بني قريظة حاصروا القلاع لمدة ٢٠ يوماً، وكانوا يرمون المسلمين بالسهام بشكل متفرق، فما هو السبب في جعل غنائم بني النضيرمن الفيء المختص بالرسول، بينما غنائم بني قريظة صارت من الأنفال وهي للمجاهدين؟ من الممكن ان نأخذ الجواب من غضون البحث بأن بني النضير سلَّموا انفسهم بحكم رسول الله ورحلوا من مساكنهم ولكن بني قريظه لم يسلِّموا بحكم النبي بل بحكم السعد وقد قضا عليهم بأن اموالهم تقسم وذراريهم تسبى ومساكنهم للمهاجرين فهذا سبب تقسيم غنائم بني قريظه بين المقاتلين .

و مهما يكن من ذلك فإن التصدي لبني قريظة بعد نقضهم العهد المعهود بالإضافة إلى أنه عقوبة لجماعة المخطئين وتطهير لأطراف المدينة من المناوئين، فإن غنيمة أموالهم سدت الجهود التي بذلها جند الإسلام في الخندق بشكل مطلوب، لأن معركة الخندق كانت شاقة تحمل فيها المسلمون المصاعب والجوع والقحط وصار أيامها العيش في المدينة صعباً خصوصاً مع امتناع اليهود من التعاون مع المسلمين، فلذلك كانت غنيمة بني قريظة في هذه الظروف مفيدة جداً.

لماذابادر النبي بالتوجه إلى بني قريظة بعد معركة الأحزاب؟

كما ذكرنا كراراً فإن الرسول صلى الله عليه وآله يتّبع الوحي الإلهي، وقد جاءه جبرئيل بهذه المهمة من قِبل الله سبحانه، وكل أفعال الله سبحانه على أساس الحكمة، ولعل واحدة من تلك الحِكم عدم إمهال اليهود وعدم تركهم حتى يجمعوا قواهم وتلتحق بهم قوى جديدة، فإنهم يعلمون جيداً بأن جيش المسلمين سيظفر بهم بعد نقضهم العهد ولا أقل من تلقيهم المصير الذي تلقاه بنو النضيرولكن ليس بتلك السرعة، إذ ليس من المتوقع محاصرة حصونهم في عصر اليوم الذي انتهت فيه معركة الأحزاب، و بقيادة أمير المؤمنين عليه السلام الذي تجلت شجاعته بقتل عمرو بن عبد ود، فهذا ما يدعو إلى تصور الحال لو لم يكن القائد هو عليٌّ، فلعل اليهود سيصمدون أمامه ويواجهونه بجدية لأنهم يحتملون في هذا الحال النصر ولا يكون مصيرهم أكثر من ذلك.

لاحظنا أن علياً عليه السلام لما نادى: يا كتيبة الإيمان، خاف اليهود وقالوا: جاء قاتل عمرو، وفوضوا أمرهم إلى سعد، فهم يعرفون علياً حقاً، و لذلك أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله الراية و وكّل به هذه المهمة[1].

ولو أن قريظة أُمهلوا لما كان من المستبعد انضمام أهل خيبر وباقي الطوائف اليهودية إليهم، ويحصل بينهم اتحاد، وعلى فرض عدم تفكيرهم حينها بالقتال والنصر لفكروا بالفرار والنجاة بأنفسهم، فإن ظروف بني قريظة كانت تقضي بعدم بقائهم في حصونهم، وتحتم عليهم الذهاب إلى خيبر أو الفرار إلى الصحاري، لأنهم يعلمون أنهم ارتكبوا جرماً كبيراً.

فكان أمر اليهود بمثابة من الأهمية وكان اقتناصهم والقاء القبض عليهم أمراً حياتياً جداً بحيث إن الله سبحانه لم يمهل المسلمين أن يصلُّوا العصر وأمرهم بمحاصرة القلعة في أسرع وقت ممكن، وصار له أهمية بالغة عند المسلمين بعد ما أمر الله به.

ومنه يعلم أن دين الله سبحانه كان مهدداً من ناحية هذه الطائفة اليهودية، فإذا تأخر الرسول في المدينة لفترة قليلة، ودار الحديث في تلك المدة حول مصير بني قريظة، فمن الممكن إيصال الجواسيس والعيون ذلك الخبر إلى أسماع بني قريظة، فيطلعون على ما أضمر لهم الرسول صلى الله عليه وآله.

والشيء الآخر الذي يبرِّر فورية هذه الغزوة هو الملل والصدمات الروحية التي لاقاها جيش المسلمين على أثر مكثه لمدة شهر خلف الخندق، واحتمال الجوع و المصاعب، فإذا دخلوا المدينة وصاروا إلى عوائلهم وأطفالهم، لم يكن من السهل انهاضهم وتجييشهم مرة أُخرى حتى أنه قد يتمرد البعض في هذا الحال، فكلام جبرئيل وقوله للرسول صلى الله عليه وآله إنك وضعت السلاح ولم نضع السلاح بعد، يعكس بوضوح عدم مشروعية إمهال اليهود وإعطاءهم الفرصة، فليس للمسلمين أن يفكروا في انتهاء الحرب ما لم يتعين مصير بني قريظة.

---

(١) كما جاء في الحديث أنه كان عن يمين عليّ يوم قريظة جبرئيل وعن شماله ميكائيل، البحار٢٦: ٧١ فكيف يمكن مقايسته مع غيره.

نظرة المستشرقين حول هذه الواقعة

بيَّنا سابقاً آراء المستشرقين حول الحوادث التي وقعت للطوائف الثلاث اليهودية، وأجبنا على تساؤلاتهم ورددنا اعتراضاتهم واشكالاتهم خلال المباحث والتحليلات المارة، ونلقي النظرة هنا على تعليق ولفنسون على ما حدث لبني قريظة، فهو يقول: إن ما أصاب اليهود كان نتيجة لمكر الأوس والخزرج، فإنهم كانوا من اليوم الأول متعطشين لدماء اليهود، وقد سنحت الفرصة لهم بعدما هاجر النبي ﷺ كي يصلوا إلى ما أرادوا[1].

ويمكن الإجابة على هذا الكلام بأن هذا مجرد خيال محض، وإذا صح هذا الكلام فيجب إلقاء اللائمة على منافقي الأوس والخزرج لا جميع القبيلة، فإن المنافقين كما سببوا أضراراً كبيرة للمسلمين، صاروا سبباً لتضرر اليهود، فعمدوا بمكرهم إلى إخراج اليهود أو صاروا سبباً في قتلهم، وجلسوا ينظرون إلى ما يصيبهم ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

ويجب أن نقول لولفنسون: إن اليهود كانوا حلفاء الأوس والخزرج قبل الإسلام، وقد تخالطوا وحصل بينهم ارتباط وثيق، وبعدما جاء الإسلام، تمثلت تلك الروابط بالعهد والميثاق الذي عقده اليهود مع الرسول ﷺ، فصار استقرار اليهود مرهوناً برعاية ذلك الميثاق، فلولا أنهم نقضوا العهد والميثاق لما تعرض لهم الرسول ﷺ، ولم يكن شيء يتهددهم من ناحية الأوس والخزرج، لأنهم دخلوا في ذمة الرسول ﷺ وقبل ذلك هم جيرانه وهذا مستفاد من روايات هذا الباب.

ومن ناحية أُخرى فإن القواعد الإسلامية والضوابط الشرعية لاتسمح باستمرار الروابط الحميمة والإعتماد المتقابل وما يعبر عنه القرآن بالبطانة التي كانت في السابق بين اليهود والعرب في زمان الجاهلية، فإن الإلتزام بالدين الجديد

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٦٧، العلاقات: ٣٤٨.

(٢) الحشر: ١٦.

وتغير عقائد الأوس والخزرج أوجد فجوة بينهم لا ينتظر معها بقاء الصميمية في التعامل معهم كما كان في الجاهلية، فلم يكن الإصطفاف في وجه البعض ناشئاً من أهداف شخصية.

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام الذي يساوي بين اتباعه لم يدع أي منزلة للأوس بعنوان الأوس ولا للخزرج بعنوان الخزرج، فإن عامة الطوائف التي دخلت في الإسلام صارت تفقد كيانها المستقل وتنصهر في بوتقة الإسلام.

وينبغي القول بأن ما حدث في الساحة العملية خلاف ما ادعاه ولفنسون، يعني أن الأوس كانوا وراء تخفيف عقاب بني قريظة، وتوسطوا لهم عند الرسول وكان في توقعهم أن يعاملهم الرسول كما عامل بني النضير و قد تم اختيار سعد على أساس ذلك.

ويجب أن نذكر هنا أن المسلمين كانوا قد قاموا بإنذار بني قريظة طول مدة الحصار وكانوا يدعونهم إلى الإسلام، ولكنه لم يثمر ذلك سوى الإعراض والتعنت واللجاج، مع أن مدة الحصار كانت عشرين يوماً، وكان بإمكانهم أن يسلموا ويخلصوا أنفسهم، ولكنهم أبوا.

وفي بعض الأخبار أنه كان يؤتى بكل أسير إلى الخندق ويعرض عليه الإسلام أولاً فإذا أسلم تركوه، ولكن المؤسف أنه لم ينقل إسلام واحد منهم في تلك الحال.

فإذا لم يرحم اليهود أنفسهم ولم يبدو استعداداً للدخول في الإسلام وتخليص أنفسهم فكيف بإمكان الأوس الذين دخلوا في الإسلام رغبة أن يدافعوا عن اليهود أكثر من ذلك. والمستشرقون الذين يرون أن تعامل المسلمين معهم كان دليل القسوة، لم يلحظوا العهد الموقع من جميع جوانبه الاجتماعية والدينية وعامة ضوابطه، ولم يأخذوا لجاجة اليهود وتكبرهم بنظر الاعتبار، ولما كان ولفنسون وعامة اليهود يرون لأنفسهم الفضل على سائر البشر والكل مدين لهم صاروا يحكمون بتلك الأحكام ولا يمكن إقناعهم في وجه من الوجوه إلا أن نختار دينهم وعقائدهم.

لماذا لم يلق هذا المستشرق اللائمة على رؤساء اليهود الذين لم يدركوا خطورة الموقف أو لأنهم لم يتمكنوا من التغلب على أنانيتهم وغرورهم، او التجؤا إلى الطريقة التي يعتمدونها في الغالب وهي التحايل والمكر فيدخلون في الإسلام، ونجوا انفسهم، أو يدفعون الجزية بكل بساطة، ولكن رؤسائهم دفع بالكثير إلى المجزرة، وتسبب في أسر النساء والأطفال، ولعل أهم إشكال المستشرقين هو مقتل رجال بني قريظة، ونحن نسألهم أنه لو كان الأمر بالعكس وكان اليهود قد تغلبوا على المدينة هل كانوا يتركون فيها رجلاً أو امرأةً لا يقتلونه، فإذا رأيتم سلامة نساء اليهود و أطفالهم في هذه الغزوة فلأجل الرحمة الإسلامية، وإلا فبمقتضى نفس أحكام التلمود وسيرة اليهود يجب أن يقتلوا.

ولا شك أن تاريخ البشرية في السابق والحاضر قد شهد وقائع دموية مؤلمة من قبل اليهود وقساوتهم ولعل الطائفة الوحيدة التي لا يحق لها أن تدعي الرحمة والرأفة بالآخرين هم اليهود، وإذا رأيناهم قد عاشوا في برهة من الزمان بهدوء واستقرار فالسبب في ذلك يعود إلى كونهم أقلية أو تحت وطأة الأسر، أي لابد من عدم اقتدارهم، ومتى ما اقتدروا وحكموا استعبدوا الآخرين وعاملوهم معاملة الغلمان، أو يهريقون دماءهم لأجل التشفي وإطفاء الغليل[1].

---

(١) العلاقات : ٣٤٩: ومن الغريب أن اليهود يستنكرون ما حصل لهم وينسون أوامر الههم يهوه بإبادة غيرهم وتقتيل النساء والرجال، فقد زعمت ان الرب أمر موسى بمهاجمة المديانيين فهاجموهم وقتلوا كل ذكر فيهم وسبوا نسائهم واطفالهم ونهبوا مواشيهم واملاكهم واحرقوا مدنهم وحصونهم بالنار .وعندما دخل يشوع وجنده اريحا قتلوا الرجال والنساءوالاطفال والشيوخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف والمذابح التي ارتكبها اليهود في التاريخ ليس لها حصر.(سفر العدد : ٣١: ١-١٢و يشوع ٦: ٢١و٢٢)" اقول:نحن لا نعتمد على ما ورد في العهد القديم في هذا المجال ولذلك لا نصدق هذه الاقوال .فإن يوشع بن نون كان وصي موسى وصار نبياً من الانبياء العظام وكان معصوما من الزلل والخطأ .وأضاف المؤلف:وأما من هؤلاء اليهود الذين في عصرنا الحاضر :فمجازر دير ياسين وكفر قاسم وقبية ونحالين وغيرها خير شاهد للعالمين ان الشعب

واكبر دليل على ذلك هو ما يحدث في هذا الزمان اعني القرن الواحد والعشرين في فلسطين[١].

تأثير غزوة بني قريظة على إقتصاد المدينة

مع اضمحلال بني قريظة اطمأنت المدينة من ناحية الجنوب الشرقي، من جميع الجهات وكما علمنا سابقاً فإن أكثر اليهود يشتغلون بالزراعة والبستنة والصناعة والتجارة، ومع تصفية رجال بني قريظة وإجلاء بني النضير وبني قينقاع لا شك أن أوضاع المدينة الاقتصادية ستشهد تحولاً وتغييرات، ومنها انخفاض مستوى الانتاج، وستقع الأراضي الزراعية والبساتين بيد من لا يحسن إدارتها بالشكل المطلوب وستفقد انتاجيتها المطلوبة، كما ستتأثر الروابط التجارية خصوصاً مع خارج جزيرة العرب، ولكن لما كان هذا التحول حصل تدريجاً وعبرسنين متوالية فقد أتاح للمدينة الفرصة أن تحفظ التوازن خصوصاً مع تصدي المسلمين المفعمين بالتعاليم الإسلامية والثقافة الخاصة لملء ذلك الفراغ واستطاعوا أن يستفيدوا من الأرض والماء أحسن الاستفادة، ومع زوال النظام الاقتصادي اليهودي الحاكم من سوق المسلمين، و حلَّ محل الربا والمعاملات

اليهودي متعطش لدماء الابرياء اكثر من اي شعب آخر لا لذنب ارتكبته هذه الشعوب التي آوتهم وقدمت لهم المساعدة على العيش، اللهم الا شعور النقص الذي يعاني منه اليهود" ولا نغفل من العناد الذاتي الذي يسيطر على قلوبهم حتى قيل لما غلب اسرائيل على العرب في الحرب قالوا هذا عوضا عن فتح خيبر في صدر الاسلام .

(١) في هذه الظروف التي طرأت على المسلمين قال رسول الله ﷺ: نحن نذهب بعد اليوم إلى قتالهم ولا يأتون لقتالنا، والحوادث المتعاقبة تحكي صدق ذلك المقال، وقد عبر عن هذا رسول الله ﷺ بقوله بعد هزيمة الأحزاب، :الآن نغزوهم ولا يغزونا ونحن نسير إليهم، وجاء هذا القول ملاكا لما تبع من الأحداث.

الربوية نظام القرض الحسن والإنفاق والسماح والخمس والزكاة، وكان المسلمون يلمسون لزوم حصول الاكتفاء الذاتي، وإذا كانت الحروب والمعارك قد شغلتهم إلى اليوم ولم يكن لهم الفرصة الكافية لتمشية الأمور الاقتصادية وزيادة الانتاج، فعليهم اليوم المبادرة إلى ذلك، خصوصاً وأن الأمان الذي حصل بعد الغلبة على اليهود اتاح لهم الفرصة لأن يجدوا أنفسهم وأن يستقلوا في اتخاذ التصميمات واختيار الفكرة الصائبة من أجل بناء المجتمع المدني ومضاعفة الجهود، ولما كان جميع ذلك برعاية الوحي الإلهي وتعاليم النبيﷺ صار المجتمع يتطور بسرعة

ولعل أحد مظاهر الاستقلال هو أمر الرسول ﷺ زيد بن ثابت بتعلّم اللغة العبرية والسريانية حتى يقوم بمهام الرسول ﷺ بدلاً من اليهود، فتعلّم ذلك خلال أُسبوعين واستطاع أن يتسلط على القراءة والكتابة بذلك اللسان، وقد يكون له أوليات من السابق.

وتصدى المسلمون الشائقون والمجاهدون الذين يضمرون شعلة من الطاقة والحيوية، مع أنهم يرون أن السعي لرفع احتياجات المسلمين تصب في قالب العبودية و الطاعة، فقاموا بتشمير السواعد والتحزّم ومزاولة الأعمال بجدية بحيث استطاعوا أن يستنقذوا الوضع الراهن مع أن اليهود الذين قتلوا أو تم اجلاؤهم يشكلون نصف سكان المنطقة، ولم يترك المسلمون معيشتهم تتعرض للخطر[1].

درس في التوبة والإخلاص

نزلت آية تذم تعاون المسلمين مع الأعداء ولو بالمقدار الذي أشار به أبو لبابة لليهود من أن مصيرهم القتل، وعدّت مثل هذا العمل خيانة يجب التحذر منها، واشتمال كلام رسول الله ﷺ على إمكان قبول توبته يدل على أنه ارتكب ذنباً، فكيف حال المسلمين هذه الأيام وهم يتعاونون مع اليهود المعاندين أعداء الإسلام بأنحاء مختلفة، ومن جملتهم اسرائيل.

---

(١) ينظر كتاب جهاد الرسول المصطفى ﷺ من هذه الموسوعة ١: ١٣٢-٣٢٦.

والدرس الآخر هو انفتاح طريق التوبة والإنابة وطريق إصلاح النفس وتلافي ما مر في كل الأحوال، وما لم ينزل البلاء وتحل العقوبة، فإن باب التوبة مفتوحة.

ولازال الالتجاء إلى المسجد وتقييد النفس بعمود المسجد لأجل التضرع إلى الله مع عدم إنكار الرسول ﷺ ذلك العمل ولم ينه عنه يمكن أن يكون درساً للمسلمين لكي يذهبوا إلى المواضع المقدسة أو عند المقربين من الله سبحانه و يلتجئون إلى الله بتلك الكيفية، ولا يعد ذلك من الشرك[1].

(١) إذا كان أبو لبابة حياً في هذا الزمان ويلتجئ إلى إسطوانة المسجد للتوبة ويربط نفسه بها، كنت ترى سدنة المسجد والقوى النظامية فيه سيقتلونه أو يجرحونه، لأنهم يعدون ذلك من الشرك، ولكن الرسول ﷺ لم يستنكر عمله ولم ير فيه بأساً ولم يعاقبه على هذا العمل، نعم إن البعض ينكر هذه القصة من أساسها ويراها من الموضوعات كما جاء في كتاب« ليال يهودية » .

الكلام الثالث

إقدامات الرسول قبل غزوة خيبر

كان يهود خيبر أقوى من غيرهم من يهود الحجاز واتحادهم أقوى من اتحاد الآخرين ولم يسبق بينهم وبين عرب المنطقة منازعة أو حرب، ولم يعقدوا حلفاً مع قبيلتي الأوس والخزرج[١]، وقيل إن جنودهم من أشجع الجنود وعُدّتهم أكثر من عُدد سائر طوائف اليهود وعددهم أكثر من غيرهم ويقرب من خمسة آلاف نفر، وكانت مساكنهم في موضع أفضل من غيرهم والماء عندهم وفير فكانت بساتينهم ومزارعهم ونخيلاتهم أكثر، وبعد ترحيل بني قيقناع وبني النضير فإن أفضل ملجأ يلتجئ إليه المجليون والمهاجرون هو خيبر، فاجتمع رؤساء الطوائف اليهودية المختلفة فيها وخصوصاً بنو النضير فإنهم اجتمعوا هناك[٢].

وبعد معركة بني قريظة وقد اجتمع سلام بن مشكم عظيم اليهود مع سائر العظماء من بني النضير والأحبار اليهود في خيبر يتبادلون الآراء حول مواجهة الإسلام والنبي صلى الله عليه وآله مع ما أصابهم من الدهشة والاضطراب مما حل ببني قريظة والنضير وهم يلقون اللائمة على حيي بن أخطب، وأخذوا بالتفكير في التآمر على الرسول ويتحرون الطرق المناسبة لذلك[٣].

قال سلام بن مشكم: يجب أن نستمر في المواجهة ولاننزل عند مطالب الرسول، ولكن لم يوافقه جميع رؤساء خيبر بالرأي، وكان بينهم رجال دين يعلمون

---

(١) الرسول واليهود: ١١٠٠، ١١٠١.

(٢) وهذا يدل على توافق حُيي وكعب في الطريقة والرأي، وهو ذنب يكفي في الحكم بكفرهم، ويجب الإمعان في سبب إذن الرسول صلى الله عليه وآله لأبي الحقيق و رؤساء النضريين أن يسكنوا خيبر، هل هو إمتحان آخر لهم أو توفير وسيلة لإلقائهم في التهلكة.

(٣) مغازي الواقدي ٢: ٥٣٠، العلاقات: ٣٥٣.

صدق النبي، وأنه لا جدوى في مناهضته، فكانوا يخالفون كل نوع من المبارزة، ولكن كما سيأتي لم يواكبهم عامة اليهود واضطر باقي الرؤساء من أجل حفظ رئاساتهم من مواكبة العامة وتركوا ما علموا به واطلعوا عليه[١].

فصار أهالي خيبر يفضلون خوض المعركة في هذه المرحلة بصحبة سائر اليهود من دون مشاركة العرب، لأن قريش وغطفان غدروا بهم في معركة الخندق واعطوا امتحانهم، مع أنهم يعلمون بعدم تحقيقهم بمفردهم شيئاً، فاضطروا لأن يطلبوا العون من طوائف العرب الأخرى[٢].

وفي مقابل ذلك صار رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث السرايا إلى المناطق التي يسكنها العرب ليحيل دون تعاونهم مع اليهود يستميلهم إلى جانبه، أو يحذرهم من العواقب السيئة التي تترتب على تعاونهم مع أعداء الإسلام، كما قام بإرسال سرايا أخرى إلى المناطق التي يسكنها اليهود لمراقبة تحركاتهم.

وهذا القسم الثاني يرتبط بموضوع بحثنا فيجب تسليط الضوء عليه أكثر، ولذا نتعرض له أولاً ثم نلقي نظرة على السرايا المبعوثة إلى الطوائف العربية بشكل سريع عابر.

لم يتأطر قدرة النبي صلى الله عليه وآله ونفوذه بإطار المدينة في هذه المرحلة، وصار بوسعه أن ينشر سلطته على خارج المدينة وصار بإمكانه أن ينشر دعوته في المناطق النائية، وكانت مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله تصب في هذا الجانب، ولذا فإن السنة السادسة للهجرة والسنة السابعه بلغ الأمر فيها الذروة.

وفي هذه الظروف تصدى الرسول صلى الله عليه وآله لتضعيف القوى اليهودية من الداخل، وأخذ ببعث السرايا لقمع الرؤس المحركة لليهود ممن له الصدارة عسى أن ينتبه أتباعهم ومواليهم ويستيقظوا من نومتهم أو يحفظوا عهودهم، أو يقبلوا على الإسلام، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يرى إعراضهم ويتأسف من متابعة اليهود أهواءهم وأهواء رؤسائهم المتغطرسين الذين باعوا دينهم،

---

(١) تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٧٥.

(٢) يهود حجاز: ٢٥٨.

والقرآن يعكس تأسف النبي وحزنه عليهم فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

سرية أبي رافع

أصبح المسلمون بعد غزوات اليهود الثلاث في حالة من الاقتدار بحيث صار بإمكانهم التعرف على الرؤس اليهودية المحركة وقمعها، فبعنوان المثال صار الخزرج يودون القيام بعمل عظيم كما فعل الأوس مع كعب بن أشرف الذي أغتالوه، فكان هناك تاجر يهودي وهو رئيس خيبر ومن الأشخاص الذين ذهبوا مع حيي بن أخطب إلى مكة وحرضوا قريش والأحزاب، وكان بعدها يحرض قريش وغطفان بعد معركة الأحزاب مرة أخرى ويرغبهم في الحرب مع الرسول[2].

وكان آخر تحركاته في خيبر حيث كان يسعى لتجميع القوى من أجل مواجهة الرسول صلى الله عليه وآله عسكرياً، ولما تمادى في هذا السبيل واتسعت رقعة تحركاته وإفساده تسأم منه النبي صلى الله عليه وآله وأبدى انزجاره من أفعاله، فاغتنم جماعة من الخزرج الفرصة وصاروا في صدد قتله.

فأعدوا لذلك سرية تتألف من عبد الله بن عتيك مع أربعة أشخاص من الخزرج، وينقل أصحاب السير أن الرسول صلى الله عليه وآله أذن لهم ووصاهم بشكل مؤكد

---

(١) المائدة: ٤٢.

(٢) العلاقات: ٣٥٤، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥٤٠عن المغازي١: ٣٩١، تاريخ اليهود في بلاد العرب: ١٧٥.

بعدم التعرّض للنساء والأطفال وعدم إيصال الأذى إليهم[١].

وقيل إن مرضعة أم عبد الله كانت امرأة يهودية فكان لها اتصال واسع باليهود، فاستطاع عبد الله وبإرشاد هذه المرأة من دخول حصن أبي رافع وتمكن من قتل أبي رافع في سريره من دون أن يوصل أذى إلى من كان إلى جنبه من امرأته وأولاده[٢]، وبهذا الحدث غلب على أهل خيبر الرعب والوحشة بشكل عجيب.

ثم صارت رئاسة خيبر إلى أسير بن رازم، فتابع أسير سيرة أبي رافع وأخذ يستشير القبائل المحيطة، وكان ابن رازم قد سار قبلها إلى غطفان وكان له مذاكرات معهم، من أجل أن يعدوا العدة لحرب المسلمين[٣].

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل عبد الله بن رواحة إلى خيبر للاستطلاع، والتعرف على عددهم وقواهم، فتمكن من استطلاع ثلاث قلاع من قلاعهم[٤].

وعلى أثر ذلك التدارك بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية أخرى بقيادة عبد الله هذا مع ثلاثين شخصاً لدعوة أسير بن رازم إلى المدينة، فذهب ابن رواحة إلى خيبر ليلتقي مع أسير ويقرأ عليه رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان الرسول صلى الله عليه وآله يريد أن يجعله على شطر من خيبر ويشترط عليه شروطاً، فاستطاع عبد الله أن يلاقي رازم ويبلغه كلام الرسول صلى الله عليه وآله، فقبل رازم الدعوة وجاء مع ثلاثين من جنوده إلى ملاقاة الرسول، ولكنه ندم في الطريق، فحاول قتل مبعوث الرسول وأصحابه، ولكن ابن رواحة لم يمهله وقتله مع جميع أصحابه إلا واحداً تمكن من الفرار وإخبار أهل خيبر بالخبر[٥].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ١٩٢.

(٢) المغازي للواقدي ١: ٣٩١.

(٣) المغازي للواقدي ١: ٣٩١.

(٤) يهود حجاز: ٢١٣.

(٥) العلاقات: ٣٥٦، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٥٩٦ طبعاً تحتاج سرية رواحة وأسبابها إلى مزيد من التحقيق.

وقيل: إن هذه السرايا لمجرد إيجاد الرعب في قلوب اليهود حتى لا يجرؤا على التدبير للمسلمين، ولكنني لا أظن أن الرسول ﷺ كان يريد ذلك، أو كان يريد إزاحة العناصر الرئيسة عن طريقه بالغدر والحيلة، بل إن وظيفته هي إبلاغ رسالات الله ودينه القيم، وما لم يلقِ على الناس الحجة ويبلغهم ما أرسل به لا يأتي دور المراحل اللاحقة، وما لم يتيقن الرسول ﷺ باستحقاق الشخص للقتل لا يقدم على قتله، فان من الطبيعي أن يقع الرعب في قلوب الأتباع إذا قتل رئيسهم، ولكن أعمال السياسيين لا طريق لها إلى عمل الأنبياء ودىدنهم، وكل ما كان منهم فهو حقيقة وصدق وحكمة.

توضيح ذلك: إن عبد الله بن رواحة ذهب في المرة الأولى للاستطلاع وإتيان الرسول ﷺ بالأخبار، وكانت الأخبار حاملة لأمور رأى معها الرسول ﷺ ضرورة التخلص من شر أسير، فواجهه في المرة الأولى بالسلم بأن أرسل إليه بلاغاً مع عبد الله بن رواحة مفاده أنه إذا سلّم الأمور إلى الحكومة الإسلامية فسيجعل من قبل الرسول رئيساً على خيبر، وليس في هذا الاقتراح أية خدعة، والقرآن ينفي استعمال نبي من الأنبياء للخدعة والخيانه ولا يمكن ذلك حتى بطرف العين، اي لا يمكنه أن يفهم الآخرين شيئاً بتلك الطريقة[1]، وإنما يتهم الرسول بالخيانة من لا يعتقد بنبوته .

فإذا كان أسير قد جاء إلى المدينة ورضي باقتراح النبي لاستقرت جميع المناطق الشمالية إلى حدود الشام، لأنها ستكون تحت رعاية الرسول ﷺ وكان أسير هو أول مندوب من قبل النبي ﷺ من بني اسرائيل، يكون قد جعل حاكماً على خيبر، ولزاده ذلك شرفاً واقتداراً إضافة إلى رئاسته السابقة، وهل هناك رفق ورحمة أكثر من هذه، مع كل الخيانات السابقة والفساد الذي صدر من اليهود، بينما نجد الرسول ﷺ يريد أن ينصب الرجل الذي كان يستعد ويجمع القوى لمحاربة الدولة الإسلامية، ويوليه على منطقة مهمة وحساسة، ولكن اليهود كفروا.

---

(١) ﴿ وما كان لنبي أن يغل﴾ آل عمران: ١٦١.

ونجد أن أسير يندم عندما كان في طريقه إلى المدينة ويغافل ابن رواحة فيقبض على قبضة سيفه ليجرده من السلاح، ولما كرر ذلك مرتين مريداً قتل مبعوثي النبي صلى الله عليه وآله تصدى له عبد الله وأصحابه وقتله هو وأصحابه فليس ذلك من الغدر وليس هناك خطة لقتله لا من ناحية الرسول صلى الله عليه وآله ولا من ناحية ابن رواحة[١].

والمظنون أن يهود خيبر كانوا يطلبون الهدنة والسلام والأمان، ولذلك استجاب أسير لطلب ابن رواحة باشتياق، أو لأنه لم يكن على استعداد لخوض الحرب مع الرسول صلى الله عليه وآله وهو يتحيّن الفرصة المناسبة، فرأى أن الصلاح في ظل التعايش السلمي مع المسلمين إلى أن يتقوى، هذا والمنقول عنه أنه قال: تعبنا من الحرب[٢]، ولكنني في شك من ناحية أصل هذا القول ولا شك أن ملاحظة عامة الأخبار الواصلة عن تحركات الطوائف الثلاث اعني بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ودراستها يوصلك إلى نتيجة، وهي أن اليهود لا همَّ لهم سوى قتل الرسول صلى الله عليه وآله و المقربين من أصحابه، وليسوا وراء الصلح في واقع الحال، وإذا طلبوا الهدنة فليس ذلك إلاّ للمكر والخديعة أو الضغط على الطرف الآخر، وما كان تسللهم في أول الهجرة إلا لينظروا ما يؤول إليه أمر الرسول صلى الله عليه وآله وقومه، وكل

---

(١) موسوعة التاريخ ٢: ٥٩٦ عن الواقدي ٢: ٥٦٦.

(٢) العلاقات: ٣٥٧ :وفي تصوري ان يهود خيبر هو ميلهم الى السلام وابتعادهم عن الحوادث التي كان يثيرها زعماء بني النضير وذلك انهم كانوا في وضع مستقل في بلاد الحجاز يستثمرون مزارعهم دون ان يكدر صفوهم احد حتى قدم عليهم زعماء بني النضير واخذوا يحرضونهم على حرب محمد .وقد اثبتت الحوادث بين المسلمين واليهود في المدينة عقم الاعتماد على العرب في محاربة المسلمين لهذا وجد يهود خيبر ان سعيهم للحرب انما هو مجازفة بثرواتهم الطائلة، فمالوا الى الصلح لاحدى الغايتين التاليتين الاولى :تجنب الحرب مع المسلمين وبذلك يضمنون استمرارهم في معيشتهم دون ان يخسروا شيئا .

الثانيه :ربما ان يهود خيبر قد ملوا الحرب التي طالت بين المسلمين واليهود، ورأوا ان المسلمين بحاجة الى السلام، سيما وان هذا السلام اصبح في نظرهم ممكنا بعد هزيمة قريش ويهود المدينة .

من يذهب إلى أن اليهود طلبوا الهدنة والصلح بعد غزوة الخندق وبني قريظة فهو يدعي جزافاً ومجرد خيال.

فكان أبو رافع في صدد التآمر والتشاور مع بني غطفان واليهود في تلك المناطق، وقد كفى الله شرّه، وتابع أعماله خليفته أسير بن رازم، وأبرز مكره وخيانته، فكيف يمكن القول بأنه كان طالباً للصلح والسلام، حتى قُتل هو الآخر، ولم يقعد اليهود بعدها أبداً، بل عمدوا إلى ما أدى إلى وقوع معركة خيبر.

وبعد انكسار يهود خيبر في الحقيقة انكسر ظهر اليهود، وزال محورهم، عندها لجؤا إلى السلم، ولكن ليس جميعهم بل بعضهم، ولذا نجد أن وادي القرى يدخل في معركة بعدما صالح أهل فدك. وبذلك لم يكن الرسول أمام حزب متحد ومنسجم حتى يتخذ قراراً واحداً في حقهم، وفي كل تلك الأحوال كان للنبي خصوصية واحدة، وهي عدم تركه خصلة الرحمة والشفقة النبوية ولا يمكن انكار ذلك. ولم يكن مؤرخو الصدر الأول بصدد تجميع خباثات اليهود ولجاجتهم وعنادهم الذي ظهر في أقوالهم وأفعالهم في المواقف والظروف المختلفة ونقلها وتدوينها للأجيال القادمة حتى يقفوا على الأسباب التي دعت بنبي الرحمة إلى اتخاذ تلك التصميمات[1]، وإن كان الواضح لدينا أن ما عمله النبي صلى الله عليه وآله مع اليهود هو أقل عقوبة ممكنة، ولو أراد أن يتبع طريقة الطواغيت:﴿ **إذا بطشتم بطشتم جبارين** .الآية ﴾ ويسفك دماء هؤلاء الأعداء الألداء فيسيل بالدم أبطح كان يمكنه ذلك، ولكان لحن المستشرقين بشكل آخر مثل تبجيلهم لأعمال كل الملوك والسياسيين .[اي يرون ذلك مطابقا لما تقتضي السياسة والحكومة]

و لاتزال أخبار المستشرقين عن أعمال الرسول مصحوبة بافتراء الغدر و إيجاد الرهبة من أجل التمكن من تشويه سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وطرح السؤال عن تناقض قوله مع فعله لأنه نهى عن الغدر .

---

(١) إن السياسة التي اعتمدها بنو أمية أدت إلى خفاء الحقائق حتى مثل خباثات اليهود وتعاملهم مع الرسول وهو بحاجة إلى دراسة متكاملة.

نعم فإن الإسلام قد نهى عن الغدر، ولم يغدر الرسول صلى الله عليه وآله في الساحة العملية أبداً، والمعروف أن الحال في الحرب يختلف لأن أكثر الحرب خدعة، فالغدر هو عمل بني النضير لما جاءهم النبي صلى الله عليه وآله فرحبوا به في الظاهر وهم يفكرون في قتله في الباطن ثم دبروا لذلك على رغم أنهم وقّعوا معه عهداً وميثاقاً والنبي صلى الله عليه وآله قد اعتمد عليهم ودخل دورهم وديارهم، وحل ضيفاً عليهم.

وأما أهل خيبر فقد كانوا في حرب مع الرسول صلى الله عليه وآله ولم يكن بينهم عهد ولا هدنة، والأوضاع تنذر بالخطر ولا يستبعد شروع الحرب في أي لحظة، فالحال فيها تختلف، ولذلك فإن قتل أبي الحقيق في عقر داره يعد جزءاً من الحرب، لأنه لم يدخل في أمان الدولة الإسلامية وكان عداؤه ثابتاً من السابق، وقد أثبت محاربته بسفره إلى مكة وتحالفه مع قريش في معركة الأحزاب، فاستحق بذلك القتل.

وقد لاحظنا في السابق أن حُيي بن أخطب كان رجلاً واحداً ولكنه ألقى قبيلة بني النضير وقبيلة بني قريظة في المهلكة، ولو كان حيي قد قتل قبل ذلك كما قتل كعب بن الأشرف لكان مصير آلاف اليهود غير ما صاروا إليه، والحال أن ابن أبي الحقيق مثل كعب، فإنه كان يريد أن يجهز جيشاً ويعملها مثل معركة الأحزاب فيسوق اليهود إلى المجزرة كما أنه صار سبباً لهلاك بني قريظة في معركة الأحزاب.

وأما قصة أسير بن رازم فلم يكن فيها أي غدر كما بينا. فإن هذين الرئيسين اللذين تواليا على خيبر لفترة قليلة قد تحركاً تحركاً مؤثراً ضد الإسلام والمسلمين وكانا في صدد تأزيم الموقف، فاستحقوا بذلك القتل، وكان قتلهما قد أتاح الفرصة في الواقع بالنسبة إلى أهل خيبر وحتى يهود فدك ووادي القرى لاستئناف الحياة والعيش[1].

سرية فدك

وكان الإقدام الآخر للرسول صلى الله عليه وآله هو بعث سرية بقيادة الإمام علي عليه السلام إلى فدك، فقد نقل الواقدي أن طائفة من بني سعد كانوا يسكنون في قرية من قرى

---

(١) العلاقات: ٣٥٧، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥٩٥.

فدك، وهم يريدون اللحاق بيهود خيبر، فتوجه إليهم علي عليه السلام بأمر رسول الله مع مائة مقاتل فكانوا يكمنون في النهار ويمشون في الليل حتى وصلوا إلى موضع باسم مهج فرأوا رجلاً هناك فسألوه عن خبر القوم فأبدى عدم اطلاعه في أول الأمر، ولما هددوه قال: أنا عين القوم، أرسلوني إلى خيبر حتى يجعلوا لنا سهماً من ثمارها مثل باقي الطوائف ويكونون معهم في حربهم مع المسلمين فسألوه عن موضعهم، فأرشدهم إلى طريق ملتوٍ وناءٍ، حتى ظنوا به، وكان قد ارشدهم إلى مراعيهم وشائهم ولم يرشدهم إلى محل اختباء قومه، فجمع أمير المؤمنين جميع الشاء والدواب وباقي الغنائم، ولكن راعي الغنم استطاع أن يهرب ويبلغ قومه الخبر، فمكث المسلمون ثلاثة أيام لم يجدوا أحداً ثم رجعوا عائدين، وقيل إن عدد اليهود مائتي رجل بقيادة رجل باسم " وبر بن عُليم" كانوا مستعدين للغارة على المسلمين[1].

ويعلم من هذا الخبر وجود مثل ذلك التدارك ضد الرسول في جميع تلك الأطراف، والكل يدور بمحورية خيبر، وفيها تحاك المؤامرة فكان من اللازم الحيلولة دون اجتماع الكلمة واتحاد تلك المجاميع، واتخاذ التدابير اللازمة.

ولكن هنا سؤال يطرح نفسه، وهو أن الرسول صلى الله عليه وآله من أين علم باجتماع مجموعة تتألف من مائتي مقاتل يستعدون للقيام بهجوم أو غارة؟ فإن هذه أمور توقفنا على نفوذ أصحاب النبي في عامة المنطقة ولهم معلومات كافية يزودون المسلمين بها، وليس من المستبعد أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد بعث اليهم من يدعوهم إلى الإسلام، فأبوا ذلك واعلنوا الحرب، أو جاءه بعض العابرين أو بعض المسافرين القادمين من الشام بالخبر. والنقطة الأخرى هي وقوع فدك على طريق خيبر، والاعداء في هذا الطريق كثيرون، ولذلك نجد أن سرية المسلمين كانت تكمن في النهار وتسير في الليل، وهذا يعني أن القائد لو كان غير الإمام علي عليه السلام لما عادت هذه السرية بسلام، وذلك لأجل أن اليهود الممتلئين حقداً على الإسلام بعد تلقي الضربات القاصمة، لا يدعون فريسة كهذه المجموعة

---

(١) العلاقات: ٣٥٩، موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥٧٣، يهود حجاز: ٢١٣.

المتألفة من مائة مقاتل تفلت من أيديهم، ولكن بصيرة الإمام علي عليه السلام في الأمور الحربية ودرايته ونبوغه وشجاعته جعلته يعيد هذه السرية بسلام، ولم يرجع خالي اليدين، لأنه لما رأى استعدادهم للحرب والنزال، ساق أموالهم وهي عبارة عن خمسمائة بعير وألفي رأس غنم وأتى بها المدينة حتى تقسم بعد تخميسها[١].

وتذكر المصادر التاريخية إرسال مجموعة يرأسها عكاشة إلى منطقة غمر شمال المدينة، وقبل وصول المسلمين إليها تركها أهلها ولجؤا إلى الأطراف، فعاد المسلمون بدون قتال[٢].

وسرّح رسول الله صلى الله عليه وآله مجموعة على رأسها زيد بن حارثة إلى حسما (حسمى)، وفيها قوم من قبيلة جذام كانوا قد قطعوا الطريق على دحية الكلبي حين عودته من الشام وأخذوا أمواله التجارية فاستطاع زيد أن يعيد الأموال ويشتت العدو، ويرى البعض أن هذه السرية كانت في السنة السابعة، وتقع غمر

---

(١) موسوعة التاريخ ٢: ٥٧٣ :سرية الإمام علي عليه السلام إلى أهل فدك من جملة وقائع السنة السادسة، روى الواقدي أن بني سعد كانوا بفدك وهي قرية بينها وبين المدينة ست ليال قريبة من الخيبر وقد بلغ رسول الله ان لهم جمعاً لإمداد يهود خيبر فبعث اليهم علياً في مائة رجل في شعبان سنة ست .فسار الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الهمج، فاصابوا رجلا منهم فاخذوه، فقال علي عليه السلام هل لك علم بما ورائك من جمع بني سعد .قال لا علم لى به فشدوا عليه، فاقرَّ انه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهود خيبر نصرهم على ان يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم فقالوا له فاين القوم؟ قال :تركتهم وقد تجمّع منهم مئتا رجل ورأسهم «وَبَر بن عليم» .قالوا: فسر بنا حتى تدلنا قال: على ان تومّنوني قالوا ان دللتنا عليهم وعلى سرحهم آمنّاك والا فلا أمان لك . فخرج بهم واوفي بهم على فدافد وآكام حتى ساء ظنهم به، ثم افضى بهم الى سهول فاذا شياه كثيره ونعم فقال هذه شياههم ونعمهم فارسلوني قالوا لا حتى نامن الطلب ثم اغاروا ونعموا النعم والشياه وهرب راعيها فانذر اهله وحذرهم فتفرقوا وهربوا وانتهى المسلمون الى محلتهم فلم يروا أحدا فأرسلوا الرجل فمكث عليّ ثلاثا ثم عزل خمس الغنائم وصفى للنبي صلى الله عليه وآله لقوحا وقسم سائر الغنائم خمسمائة بعير والفي شاة . (المغازي٢:٥٦٢).

(٢) يهود حجاز: ٢١٢.

وحسما إلى الشمال من المدينة على طريق الشام، ويحتمل أن يكون هؤلاء من اليهود أو حلفائهم[١].

وقد تم إرسال سريتين إلى وادي القرى بقيادة زيد لقمع بعض الطوائف القليلة اليهودية[٢]

وكانت سرية زيد الخامسة إلى بني بدر لأجل تعرضهم لقافلة المسلمين في طريق الشام على مقربة من خيبر، والأقوى أنهم من اليهود، وقتل فيها جماعة منهم عبد الله بن مسعدة، وابن أخيه قيس بن النعمان بن مسعدة.

الإنتصار على الأعراب

لقد كان الأعراب حول المدينة أضعف من غيرهم من الناحية الإقتصادية والسياسية، وكانوا في الحقيقة أداة بيد المقتدرين، مرةً تستعين بهم قريش في حربها، ومرة يستعين بهم اليهود في مقابل معونة مالية أو غذائية، ولما كانوا على الشرك و مناهضين للإسلام، شاركوا في الحروب ضد الإسلام والمسلمين، ومن تلك الطوائف غطفان، فقد كان اليهود بصدد الإستعانة بهم للتعرض على المسلمين[٣].

ومن أهم الحوادث التي وقعت قبل غزوة خيبر، هو هجوم رئيس غطفان عيينة بن حصن وجيشه على المدينة، فخرج إليهم الرسول صلى الله عليه وآله بجماعة وسار نحو الشمال فالتقى بهم في غابة ونشب بينهما القتال حتى اضطروا للفرار ولاحقهم إلى ذي قرة[٤].

وإن كان زمان هذه الغزوة غير معلوم بالدقة ولكنه قبيل غزوة خيبر، ويمكن عدّها من أسباب الغزوة لأنها نتجت من توافق اليهود مع غطفان ضد المسلمين.

---

(١) العلاقات : ٣٥٨.

(٢) يهود حجاز: ٢١٣.

(٣) أورد في كتاب يهود حجاز موارد عديدة تعاطف فيها غطفان مع اليهود.

(٤) العلاقات: ٣٥٨.

وفي هذه الفترة وقعت غزوتان مع الأعراب كان القائد فيها الإمام علي عليه السلام إحداهما غزوة ذات السلاسل والأخرى غزوة بني المصطلق[1]، أسر في هذه الأخيرة جويرية بنت الحارث رئيس بني المصطلق، فجاء أبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله فوهبها له النبي صلى الله عليه وآله وأطلق سراحها حتى تلحق بأهلها، ولكن جويرية رفضت الرجوع مع أبيها وفضلت البقاء عند الرسول، فتزوجها النبي صلى الله عليه وآله ولأجلها أعيدت غنائم تلك المعركة إلى أصحابها[2].

وفي جميع تلك الغزوات كان يحدث ما يعطي الرسول صلى الله عليه وآله الفرصة لبيان مقام الإمام علي عليه السلام ولم يترك الرسول صلى الله عليه وآله أن يبين أنه خليفته من بعده، ولكن لست في صدد بيان تفاصيل تلك الغزوات ولا يسعنا الخروج من إطار البحث، وإنما أشرنا إليها، لبيان المصاعب والعراقيل التي وضعها الأعراب واليهود في طريق الرسول، وأنهم لم يسمحوا للرسول صلى الله عليه وآله أن يستريح لحظة واحدة فارغاً من الحروب.

وفي الوقت الذي عاد فيه جيش المسلمين من غزوة بني المصطلق هبت عاصفة شديدة أرعبت الجيش، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تخافوا فإن هذه العاصفة لأجل موت واحد من المنافقين وأحد رؤساء الكفار، فلما وصلوا إلى المدينة علموا بموت رفاعة بن زيد أحد كبار يهود بني قينقاع في مكة.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي٢: ٥٧٤، ٥٧٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٥٨١، عن إعلام الورى: ١٠٣.

بيعة الرضوان وصلح الحديبية

من سنن الأنبياء المعروفة أنهم إذا شاهدوا من قومهم جهالة أو تولدت عندهم فكرة جاهلية من جديد تؤدي إلى تزلزل عقائدهم، ومن أجل الحيلولة دون ارتدادهم وعدم وفائهم يقدمون على تجديد البيعة.

فبينما يخرج النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه مجردين من السلاح لأداء مناسك العمرة وجاؤا إلى قريب مكة المعظمة، كان مشركو قريش مثل خالد بن الوليد و... على رأس جيش في كمينهم مثل الذئاب الضارية، ومعهم أعداد كبيرة من الخيل والسلاح، فأخذوا يقعقعون ويخيفون المسلمين، فخالج أفكارهم أنواع الفروض والاحتمالات، والمسلمون وإن كانوا قد ندبوا لأداء العمرة ولكنهم لا يعلمون عاقبة الحال مع قريش.

وفي المقابل لم تعلم قريش بالذي جاء بالنبي صلى الله عليه وآله كل تلك المسافة، عندها نجد النبي صلى الله عليه وآله ومن أجل حفظ معنوياتهم واستقبالهم لكل ما يضمره لهم الوقت، يدعو المسلمين إلى تجديد البيعة، ويعلن أن هذه البيعة هي البيعة مع الله، وصرح بأن الموفي بها يضمن رضا الله، ويبلغ إلى رضوانه، ولذلك سميت هذه البيعة بيعة الرضوان، كما أوعد الرسول الموفين بالجنة[1].

وفي هذا الوقت سأل الأصحاب الرسول عمن سيخلفه على المسلمين بعده، فقال: خاصف النعل، وكان علي عليه السلام في بعض الأطراف يصلح نعل النبي صلى الله عليه وآله، وبذلك يكون النبي صلى الله عليه وآله قد عرّف وصيه وخليفته.

وفي هذا السفر ظهرت معاجز عديدة على يد النبي صلى الله عليه وآله وحدثت أمور كشفت نفاق عدد كبير من الأصحاب نترك التعرض لها[2].

---

(١) سيرة إبن إسحاق: ٤٦٠، سيرة ابن هشام ٣: ٢٢٠.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٦٢٢، ٦٢٤.

صلح الحديبية

لما سار الرسول والمسلمون نحو مكة لأداء العمرة، جاءت قريش لصدهم، وأرادت أن تكتشف هدف النبي ﷺ من سفره ذلك، فأرسلت من يأتيهم بالأخبار، فجاء ورجع أكثر من ثلاثة رسل، وهم يرون أن هذا العمل نوع من التهوّر بحيث لا يمكن استيعابه، كيف يفعل المسلمون ذلك، وكيف يقتربون بأرجلهم إلى دار عدوهم؟! ولكن مكة هي حرم الله الآمن وقد وعدها الله نبيه، فقال الرسول ﷺ لبديل بن ورقاء قاصد قريش: إنّا لم نأت لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا ماددناهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره[1].

ويكمن في هذا الكلام المشرق سلم وتهديد، وقد صدر من منطق القوة. فطال الكلام يومها بين النبي والمشركين وتكرر الأخذ والرد، والكل يدور حول محور واحد، وهو أن قريش قد فشلت امام النبي ﷺ في معركة الأحزاب، وبعد دخوله ﷺ بأصحابه بلادهم بغير قتال فشلاً آخر واستهانة، فمنعوا المسلمين من دخول مكة، لأن قريش كانت تستثقل دخول المسلمين الى مكة من دون أي مضايقة أو تهديد، وإقامة مراسم العمرة ثم رجوعهم إلى بلدهم سالمين، وتراه انكساراً وهزيمة.

الآية الشريفة تتكلم عن صلح الطرفين: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** ﴾[2]، وفي آخر المطاف تم عقد صلح لمدة عشر سنوات ووقعوا عليه، وتوافقوا على ما يلي:

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٢١، غزوة الحديبية للدكتور شوقي: ٦٦، عن الطبقات الكبرى ٢: ٩٦.

(٢) الفتح: ٢٢، ٢٤.

١- لا يدخل الرسول ﷺ مكة في ذلك العام و يترك أداء العمرة و يحج في السنة القادمة بعدما تتهيأ مكة لاستقباله وتزيل كل العوائق.

٢- كل مسلم يهاجر من مكة إلى المدينة يردّ إلى مكة، وكل من يهاجر من المدينة إلى مكة لا يرد.

٣- وهناك شروط أخرى أخذ فيها مصالح الجانبين[١].

وتصوّر البعض أن الرسول ﷺ قد قدَّم تنازلات في هذا الصلح ورجع إلى المدينة منكسراً ولكن الأمر ليس كذلك، لإن قريش غلّت بذلك عن التعدي على المسلمين جراء هذا الصلح إلى الأبد، و صار سبباً لدخول الناس في الإسلام أفواجاً والأهم من ذلك أن قريش صارت ملزمة بالوفاء بعهد، و مع عدم الوفاء به يمنح الرسول الفرصة لمؤاخذتهم.

ولعل أحد الأدلة على تحلي الرسول ﷺ بروح الصلح والتعايش السلمي هو صلح الحديبية؛ فإن قول الرسول ﷺ «فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره» لم يكن عبثاً ومجرد إدعاء، بل كان قادراً على تنفيذ ما يقوله، وعلى الرغم من هيمنته وقدرته لم ينقض عهده، ولأجل أن يبرهن لهم وقوفه على عهده أعاد أبا جندل بن سهيل بن عمرو الذي كان قد أسلم وهو في أسر قريش وكان يصر على الخروج من مكة إلى المدينة ومع أنه كان أسيراً ورجلاه موثوقتان بالحديد استطاع أن يصل إلى الحديبية حتى يذهب مع النبي ﷺ إلى المدينة ويتخلص من ظلمهم، ولكن النبي ﷺ أعاده إلى مكة تحت حماية مكرز بن حفص، وقال له: أريد أن أفي لهم وأؤدي ما اشترطوا، وسيجعل الله لك فرجاً عاجلاً[٢].

فالمتعين على المستشرقين أن يأخذوا مثل هذه الكمالات الأخلاقية بنظر الاعتبار، ولا نطيل الكلام حول هذا الصلح ونشير فقط إلى أن هذا الصلح من أهم ما حدث في السنة السادسة للهجرة، فكان لتوقيع هذه المعاهدة مع قريش

---

(١) سيرة إبن إسحاق ٤٦٢.العلاقات ٣٦٠ موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٦٢٧-٦٢٩ .

(٢)موسوعة التاريخ الإسلامي٢:٦٣١.

الأثر البالغ لحصول الاستقرار واستعداد المسلمين لتحقيق سائر الأهداف، والتي منها حرمان اليهود من كل أنواع الدعم القرشي ودعم عامة المتواجدين جنوب المدينة وكانت مدة العهد طويلة عشر سنوات يجب أن ييئس منها اليهود من وجود المساعد والناصر بشكل تام، وثانياً: فإن الظروف صارت بحيث لا تتمكن قريش من نقض العهد بسرعة، ولا يمكنها مساعدة اليهود وإسعافهم، ثالثاً: تضاعفت الرغبة عند العرب بشكل ملحوظ للدخول في الإسلام، لأن الصلح يعني الاستقرار والأمن الذي يطلبه الجميع فلا يمنعهم الخوف وما تتركه الحروب من الويلات عن قبول الإسلام، ولذلك فإن المشركين الذين طالما حاربوا النبي وعادوه وناهضوه، أخذوا يستأنفون النظرة إلى الإسلام والمسلمين، الأمر الذي جعل المستقبل بصالح المسلمين، ولذلك تضاعف عدد المقاتلين المسلمين بعد ما كان في معركة الأحزاب ثلاثة آلاف مقاتل حتى بلغ بعد سنتين من ذلك عشرة آلاف مقاتل، وتهيأت معها الظروف لنشر الإسلام وشمول الدعوة وإبلاغ الرسالة وكان ذلك بشكل ارسال الكتب أو اقتراح الصلح ويتم اجراؤه ضمن منشور الصلح، وأصبحت الظروف مهيئة لهداية أهل خيبر، لأنهم ظلوا بمفردهم بلا معين ولا نصير من قريش وحلفائهم، فإذا لم يقبل أهل خيبر اقتراح الرسول صلى الله عليه وآله أو وعظه وإرشاده تمكن المسلمون من خوض الحرب معهم في جبهة واحدة، ولذا قيل إن ثمرة صلح الحديبية هو فتح خيبر، وسنتابع في هذا البحث عملين احتياطيين للرسول، ثم نعطف الكلام على حقيقة معركة خيبر.

إقتراح الصلح مع غطفان

لم تنحل معضلة غطفان بعد، ولأنهم من حلفاء اليهود الأقدمين، وعلى الرغم من أنهم كانوا في جانب العدو في معركة الأحزاب، وآل أمرهم إلى الانكسار، ولكن ظلوا يحتفظون بروابطهم مع اليهود، وكان سعي اليهود عطف نظر غطفان عليهم وإبقائهم في جانبهم، ولذلك تداركوا عدة أمور ولكنها لم تفلح.

فإن تحالف اليهود مع غطفان وتحريضهم على دخول المعركة مع الرسول من جديد يُعد عملاً معادياً للإسلام، فلم يأت أيام على صلح الحديبية ويأس اليهود من السفر إلى مكة وتحريض قريش، اضطروا للتعاطف مع غطفان ليحصل بينهم اتحاد بالإضافة إلى سائر الطوائف اليهودية ويشن الجميع هجوماً كاسحاً على المدينة.

ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وكأنه يعرف روحية غطفان وأنها لا تنظر إليه بنظرة العدو كالسابق، فوجد الأمل في مصالحتها ووعظهم وايقاظهم على المدى البعيد وترغيبهم في الإسلام.

فقد جاء في موسوعة التاريخ في أخبار خيبر أن اقتراح الصلح مع غطفان كان من جانب الرسول[1]. ويرى ولفنسون أن الرسول صلى الله عليه وآله إنما اقترح على غطفان الصلح حتى لا يتعاونوا مع أهل خيبر.

ولم يعلم زمان هذا المقترح، فإذا كان قبل غزوة خيبر فهو يعني عدم استقبال غطفان لهذا المقترح، لأنها لو كانت استقبلته ورضيت بالصلح فلا تشارك في معركة خيبر، ومهما يكن من ذلك فإن صلح الرسول ليس سياسة ولا مكراً بل لا يصح تصوّر ذلك في حقه، وإنما تصب جميع تحركاته في سبيل الإرشاد والهداية، وهو المتصور في قضية غطفان، وإني اعتقد أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يتجنب قتل العرب مهما أمكن، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ولم يبشروا بظهور النبي صلى الله عليه وآله ولم يؤخذ عليهم الميثاق بنصرته، وقد يتوقف علمهم بمقام النبي ولزوم طاعته على مرور زمان، فلابد من إعطائهم الفرصة الكافية، ولكن أهل الكتاب قد تمت عليهم الحجة لأنهم كانوا قد سمعوا الكثير حول أوصاف النبي ولزوم متابعته وفضله وكراماته من كبارهم و زعمائهم الدينيين، وكانوا يجدون ذلك في كتبهم ويقرؤنه كل حين وصاروا ينتظرون ظهوره ويترقبونه على الدوام، بعد ما أخذ عليهم الميثاق بمقتضى دينهم بتصديق نبي آخر الزمان ونصرته. ومن الواضح فإن حساب العالم بمعزل عن حساب الجاهل.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٦٧٠.

ولذا نجد أن النبي صلى الله عليه وآله أبعد غطفان عن ساحة المعركة بطريقة ظريفة وقطع امدادهم لليهود من دون إراقة دماء، ثم لم يُقدِموا بعدها على حرب الرسول صلى الله عليه وآله.

إرسال الكتب إلى الأطراف والرّسالة إلى خيبر

أحد إقدامات الرسول صلى الله عليه وآله قبل غزوة خيبر هو كتابة الكتب إلى الحكومات ورؤساء الطوائف والقبائل يدعوهم للدخول في الإسلام، ليتم الإبلاغ وتتوفر شروط العهد والمعاهدة.

ففي هذه المرحلة فإن إرسال الكتب إلى النجاشي وقيصر الروم وغسان وكسرى عظيم الفرس، والمقوقس عظيم الاسكندرية، وهوذة بن علي ملك اليمامة، مما يلفت الأنظار ولكن نترك التعرض لمضامين تلك الرسائل، ونشير إلى أن كتابة هذه الكتب هي علامة على محاولة بسط الحكومة الإسلامية إلى الاطراف كما تحكي عن حصول نوع من الثبات في المدينة واستحكام مركزيتها بحيث لا يدع لأعدائها طريقاً للمقاومة ولا يسعهم سوى التسليم[1].

---

(١) الطبري٢: ٦٥٢، موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٦٥٠ـ ٦٦٠، الرسول واليهود: ١١٠٥.:أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله شجاع بن وهب الأسدي القرشي الى الحارث بن ابي شمر الغساني من غساسنة الشام عاملا للروم. و دحية بن خيفة الكلبي الأنصاري إلى قيصر الروم وكان بالشام. وحاطب بن أبي بلتعة القرشي إلى المقوقس في الإسكندرية عاملا للروم .وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في الحبشة عاملا للروم. وبعث سليط بن عمرو العاري إلى هوذة بن علي الحنفي في اليمامة، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى في المدائن

واما في الرسالة الأولى للنجاشي :« بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى النجاشي الأصحم، ملك الحبشة، سلم أنت، فاني أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المومن المهيمن، وأشهد أن عيسي بن مريم روح الله وكلمته، القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه .وإني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتّبعني و(توقن) بالذي جاءني، فاني رسول الله وإني ادعوك وجنودك الى الله فقد بلّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى

وفي الرسالة الثانية اليه . خطب رسول الله فيها ام حبيبة بنت أبي سفيان، (موسوعة التاريخ٢: ٦٥٥)

ونحن نعلم أن المرحلة الأولى لجهاد الرسول ﷺ هو إقامة البراهين والمجادلة بالتي هي أحسن، ولذلك نقول عند السلام على الرسول: أشهد أنك قد نصحت لأمتك وجاهدت في سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة.

وطبقاً لما جاءت به الأخبار فإن الرسول ﷺ بعث عدة كتب إلى أهل خيبر، يذكر في واحدة منها الآيات من آخر سورة الفتح ثم يدعوهم إلى الإسلام، فيكون املاء هذه الرسالة بعد نزول سورة الفتح على أقوى الاحتمالات، والرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم .من محمد رسول الله صاحب موسى واخيه المصدق لما جاء به، ألا، ان الله قال لكم يا معشراهل التوراة ـ وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم : محمّد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفاررحماء بينهم تراهم ركّعا سجّدا يبتغون

وجواب النجاشي لهذه الرسالة :«"بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبيّ الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا اله الا هو الذي هداني الى الإسلام .....فاشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت إبن عمك وأسلمت على يده رب العالمين.» وفي جواب الرسالة الثانية كتب النجاشي الى النبي ﷺ :بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته اما بعد فإني قد زوجتك امراة من قومك وعلى دينك وهي السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان .وأهديك هدية جامعة قميصا وسراويل وعطافا وخفين وساذجين و السلام عليك ورحمة الله وبركاته".(الوثائق :٢٣-٢٨)

فالرسالة التي إلى كسرى في المدائن، قيل حفظ إلى هذا اليوم وفق ما ذكرته صحيفة الهلال رقم ٢١٩٠٤ في كنيسة تم العثور عليها قبل قرن تقريباً (مكاتيب الرسول٢: ٣٢٦).وما قيل في تمزيقه بيد هرمز يحتاج إلى تحقيق شامل(اليمن في صدر الإسلام :١٢٠)وأنكر البعض ذلك، فما قاله الأستاد الدكتور يادگاري في كتابه « سياست اسلامي راستين وفرهنگ وادب آن: ٥٩-٦٣» لاينافي تمزيقه طولاً لمرة واحدة .(الوثائق :٥٤)

والمقوقس في جواب رسالة رسول الله ﷺ قد أهدى له جاريتين مع ثياب ودابة إحداهما باسم مارية وهي أم ابراهيم، والأخرى بإسم سيرين. والكلام في أم إبراهيم ومن أهداها وفي أي تاريخ فهو بحاجة إلى التحقيق، الوثائق : ٥٢و٥٣- موسوعة التاريخ الإسلامي ٢: ٦٦٥، .

فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما واني انشدكم بالله وبما انزل عليكم وانشدكم بالذي اطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى، وانشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله الاّ أخبرتموني :هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغي فأدعوكم الى الله ونبيه[1].

ولا شك أن كل منصف يلاحظ هذه الرسالة يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن في صدد فتح البلدان وتوسعة الحدود الجغرافية، ولا يريد الترؤس وبسط السيطرة، وإنما هي دعوة مستدلة ومقنعة، غير أن هذه الرسالة لم يرد عليها أهل خيبر.

ونقل البيهقي عن ابن عباس رسالة أخرى من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل خيبر، لعلها هي رسالة ثانية أو ملخص تلك الرسالة ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله اخي موسى وصاحبه، بعثه الله بما بعثه به إني أنشدكم بالله وما أنزل على موسى يوم طور سينا وفلق البحر لكم فأنجاكم وأهلك عدوكم، وأطعمكم المن والسلوى وظلل عليكم الغمام، هل تجدون في كتابكم :أني رسول الله اليكم والى الناس كافة ؟ فان كان ذلك كذلك فاتقوالله وأسلموا وإن لم يكن عندكم فلا تباعة عليكم...[2]، وظلت هذه الأخرى بغير جواب.

وتحدَّثَ في كتاب موسوعة التاريخ عن رسالة ثالثة نصها:

من محمد بن عبد الله(الأمي)رسول الله إلى يهود خيبر أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[3].

---

(١) الفتح: ٢٩، مكاتيب الرسول١: ١٧٤، الوثائق: ١٨، موسوعة التاريخ الإسلامي٣: ١٠، سيرة ابن هشام ٢: ١٤٤.

(٢) سيرة إبن هشام ٢: ١٤٤.

(٣) مكاتيب الرسول ١: ١٧٢موسوعة التاريخ الإسلامي٣: ١١، ورد في كتاب الإختصاص المنسوب الى الشيخ المفيد: ٤٢-٥١، مرفوعا الى إبن عباس ان جبرئيل أمره أن يكتب الى أهل الكتاب يعني

وقد بينا سابقاً أن هذه الرسالة ارسلت في أوائل الهجرة على أقوى الاحتمالات، وإنما كتبت لتبليغ الرسالة فقط، ومن ناحية فإن فيها التهديد بالحرب، وهو يعني كتابتها في زمان الغزوة[١].

ولا شك أن نصوص هذه الرسائل مهمة جداً، وتعطي معنى الحرية وتحمل المعاني البناءة، يتكلم الرسول صلى الله عليه وآله فيها بما يقبلونه ويستسيغونه ويترك لهم الاختيار، ومع ذلك يقرع أسماعهم بأن حكومة الله لا منازع لها، كما كان يعلن ذلك موسى الكليم، ونجد أن الرسول يعرّفهم نفسه وأنه صاحب موسى وأخوه ليعرب عن عدم وجود الفرق بينه وبينه ولا بين دينه ودينه، ولا نزاع بينهما، وإنما وقع النزاع بين إبلاغ الرسالة الإلهية وبين حب النفس والأنانية التي عند اليهود، الذين يلصقون أنفسهم بالنبي موسى عليه السلام بغير حق ولم يفوا بعهده ولم يلتزموا بكتابه.

اليهود والنصارى كتاباً وأملى جبرئيل على النبي كتابه وكاتبه يومئذ سعد بن أبي وقاص فكتب إلى يهود خيبر بهذا الكتاب ووجّهه اليهم فلما وصل الكتاب اليهم أتوا به رئيسا لهم يقال له عبدالله بن سلام .(اقول :وعلى رواية أن هذه الرسالة كتبت عندما دخل الرسول صلى الله عليه وآله المدينة المنورة او بعدها بقليل وجاء عبدالله بن سلام مع مسائل للالتقاء بالرسول جوابا لتلك الرسالة وأسلم . أو نلتزم بان إسلام عبدالله كان مقارنا بغزوة خيبر، او نقول لعل الرسالة كانت الى إبن صوريا رئيس خيبر وقد وقع التصحيف من النساخ ومن الممكن أن يكون هذه هي من مقطع الرسالة السابقة نقلها ابن عباس ناقصة، ومهما يكن من ذلك يمكن الجمع بين الرسائل لان لسانها واحد ومضمونها واحد ولا يوجد دليل على دفع ذلك..

(١) والعجيب أن النبي موسى عليه السلام لما أراد أن يسلي بني اسرائيل على ما أصابهم من أذى فرعون استعمل هذه العبارة وبشرهم بها، والقرآن ينقل نفس ذلك الكلام ﴿**إذ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾ الأعراف: ١٢.

الكلام الرابع

غزوة خيبر

دوافع الرسول والردّ على المستشرقين

لماإنتخب سلام بن مشكم رئيساً على خيبر، أعرب عن أمورتحكي عن إستمرار الجدال مع المسلمين إلى أن لا يبقى منهم أحد.

هذا بالإضافة إلى ما صدر منه من العداوات السابقة في مجال التمهيد لمعركة الأحزاب والتحركات الأخرى التي كان يتزعمها في خيبر كالمناورة على غطفان وتحريضهم وتهيئة المقدمات للهجوم مرة أخرى على المدينة، فجعل من خيبر مركزاً للتآمر على الإسلام والمسلمين. هذا وقد علم الرسول صلى الله عليه وآله بواسطة القرائن والشواهد المتعددة أن خيبر قد نشرت لواء العداء وقد صممت على تبييت المسلمين ومحو الإسلام من وجه العالم، فكان من الضروري دفع عاديتها وسحب البساط من تحت أرجلها.

ولعل جميع تلك الحوادث هي عامل واحد من عوامل الغزوة، والعامل الأساسي يستفاد من قول الرسول صلى الله عليه وآله «**الآن نغزوهم ولا يغزونا**».

ومع انتصار الرسول صلى الله عليه وآله في معركة الأحزاب وتغلبه على بني قريظة وبعد عقد صلح الحديبية وجد الرسول الفرصة للتعرض لهم، ولعل التعبير الأصح أنه تلقى مهمة بدعوة الناس إلى الإسلام باللسان وإقامة البرهان، وإلا فبالسيف القاطع ما بلغ، فكان في المرحلة الأولى يبعث من يبلغ كلامه ورسالته ويعرض عليهم الإسلام، فإذا رفضوا ذلك يعرض عليهم التحالف والسلم وعقد المعاهدة أو إعطاء الجزية[1].

وبزعمي فإن معركة خيبر تعد معركة ابتدائية، وإن برزت العداوات والجنايات من أهلها، ولكنهم لم يدخلوا حلبة الصراع و لم ينزلوا في ميدان القتال

---

(١) ومن نماذجها سرية إبن رواحة والرسل الذين أرسلهم إلى أهل خيبر لإبلاغ رسالته.

مثل قريش بحيث يطلق عليه عنوان الدفاع والتقابل، وليسوا مثل بني النضير وبني قينقاع من سكان المدينة وأطرافها حتى يصدق عليهم عنوان الطغاة ولم يبرموا مع الرسول عهداً كما أبرمته هاتان الفئتان، وبذلك اختلفت ماهية هذه الحرب مع الغزوات السابقة من عدة جهات، وأساساً فإن طابع الرسالة قد تغير من يومها فصاعداً، والدليل على ذلك هو قول النبي بكل إيجاز وإختصار: «الآن نعزوهم ولا يغزونا ونحن نسير إليهم».

فإذا علمنا أن حروب النبي صلى الله عليه وآله من الآن فصاعداً ليست في إطار الدفاع، بل لنشر الدعوة والرسالة العالمية، فاننا ندرك أنه قد حان الوقت لتحقق كلام الوحي المتمثل في القرآن :﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ** ﴾[1]. وتبيين التحركات والإقدامات غيرالمألوفة من قبل الرسول في السابق.

ويجب أن نلفت الأنظار إلى أن الناس في الأرجاء كان بإمكانهم أن يدخلوا تحت مظلة العدل والإحسان المتمثلة بالحكومة الإسلامية والاستفادة من التعاليم الإلهية والحِكم القرآنية، ونيل السعادة في الدنيا والآخرة، بعد ما ظل الرسول صلى الله عليه وآله دائباً في رفع موانع نشر الدعوة الأساسية والبدائية مادام في قيد الحياة، وكذلك إجراء الأحكام الإلهية، وهو يتبع في جميع ذلك الوحي ويعمل على وفق ما نزل به.

صحيح أن خيبر بنواياها وتحركاتها أصبحت تهديداً للمدينة والمسلمين، فإنه لا يعني أن إقدام الرسول صلى الله عليه وآله كان دفاعياً فقط وإلا لكان ينتظر نزول أهل خيبر في الساحة مثل قريش واصطفافهم أمامه، ثم يتصدى لهم بعد ذلك ويحاربهم، وبذلك لا نجدنا مضطرين لتوجيه دفاعية جميع حروب النبي وجهاده عند ردٍّ إدعاء البعض بأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يهدف إلى الإحتلال والتوسعة الجغرافية[2].

---

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) غزوة خيبر لشوقي: ٧ يقول كارل بروكلمان : "حاول النبي ان يعوض عن فشله الظاهري في الحديبية فقاد المسلمين على المستعمرة اليهودية الغنية في خيبر.... ".ويقول يوليوس فلهاوزن في معرض حديثه عن اليهود :"حاول محمّد ان يظهرهم بمظهر المعتدين الناكثين للعهد " وقال: " إن إجلاء اليهود عن الحجاز باستعمال وسايل غير مقدسه...".

الحكومة الإسلامية

هنالك نقطة مهمة جداً يجب الالتفات إليها، وهي المجوز لبسط حكومة الأنبياء نفوذهم وسيطرتهم على الدول والمناطق الأخرى وحتى بعث الكتب والرسائل إلى سائر الأمم والطوائف ما هو إلا شيء واحد يتمثل في مقام النبوة والرسالة الإلهية، وإلا فمن نظر الأديان وخصوصاً الإسلام لا يحق لأي حكومة ولا قدرة أن تبسط نفوذها اعتماداً على القهر والقوة التي تمتلكها ولا يحق لأحد التعرض لديار الآخرين مهما كان السبب، ولا يحق لأحد أن يطمع في أموال الآخرين أو يدعوهم إلى نفسه أو يخضعهم لقدرته، فإن كل ذلك مذموم في الإسلام إلى أقصى الحدود، فكيف يحق للرسول صلى الله عليه وآله أن يفعل مثل ذلك كراراً وهو القائل: « شَرُّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُكْرَمُونَ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ »[1].

ولكن لما كان الملك﴿ لله الواحد القهّار﴾ و﴿لله مُلك السّموات والأرض﴾[2] وكان الرسول صلى الله عليه وآله هو خليفته والموكل بهذا المقام وله هذه المنزلة في الأرض، يمكنه بأمر الله سبحانه أن يخضع الآخرين لحكومة الله، ويسيطر على ديارهم حتى يقبلوا هذه الحكومة، وفي أقل الأحوال يصرف رؤسائهم عن ممانعة نشر التوحيد، فقد جاء في الكتاب الذي بعثه الرسول صلى الله عليه وآله إلى هرقل عظيم الروم: «فان توليت فعليك إثم الأريسيين»[3]. وهذا يعني أنه لا يحق لأي قدرة أن تمتنع من أجابة دعوة النبي صلى الله عليه وآله أو يمنع أهل مملكته من قبول الدعوة، فإن ذلك من أكبر الذنوب وأعظمها، وهو ذنب لا يغتفر، وما هذا المقام إلا للأنبياء وأوصيائهم ولا يحق لأحد أو أية قدرة أن تدعي ذلك المقام، أو يتكلف حمل هذه المسؤولية، ولا يكون شيء من ذلك إلا بإذن الله ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[4].

---

(١) الكافي٢:٣٢٦.

(٢) الشورى:٤٩.

(٣) الوثائق: ٢٩.

(٤) الأحزاب :٣٦.

فإن هذه الآية تبين أن المتصدي للدعوة هو السراج المنير ومصباح الهدى، الذي يدعو بالعلم اللدني والتعاليم الإلهية، الإنسان الذي فطر على التوحيد إلى الله سبحانه، لأن ملاك الدعوة هو الولاية لا القوة، ومعه لا يفرق أن يكون المنذَر فرد واحد أو جماعة، حكومة قبلية أو دولة أو امبراطوية، عابد صنم أو أهل كتاب، فهذا أصل مسلّم، يجري في مثل خيبر وزحف النبي صلى الله عليه وآله بجيشه عليها، وكانت دعوته و رسائله السابقة مبنية على هذا الأساس، ومن البديهي فإن ذلك لا يكون ظلماً فقط بل هو كمال الرحمة واللطف.

وأما أهل خيبر فلم يقبلوا الإسلام ولم يسكتوا ولم يتركوا الناس وحالهم ولم يدعوا اليهود يدخلون في الإسلام، ولا هم رضخوا لسيطرة الرسول، ولذلك كان من الواجب التعرض لهم بعض الشيء حتى يرضوا بالصلح ويعقدوا معاهدة سلام مع النبي صلى الله عليه وآله.

حقيقة هذه الحرب و ردُ كلام المستشرقين إيضا

دفع رسول الله صلى الله عليه وآله الراية إلى علي عليه السلام، ولما تسلمها عنه قال عليه السلام: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال رسول الله: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم[1].

فكانت مهمة علي الأولى هي دعوة أهالي خيبر إلى الله الواحد، فإن لم يقبلوا الدعوة يحاربهم كمهمة ثانية، ومن ذلك يظهر مقام أمير المؤمنين عليه السلام[2].

ولعل هذا الكلام دليل على ماهية جهاد الرسول وغزواته وحروبه مع غير المسلمين، فإن عامتها لأجل هدايتهم وإرشادهم، وليس لأجل الأرض ولا الحقد ولا الغنائم، ولا هو طغيان ناجم عن القدرة وحب التعدي، ليس شيء من ذلك،

---

(١) غزوة خيبر لشوقي: ٥٩، العنصرية اليهودية ٢: ٤٨٥، عن صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) العلاقات: ٣٦٧.

بل أراد أن يهدي الناس إلى عبادة الله الواحد، واليهود الذي يرون أنفسهم أصحاب كتاب فليس لهم الاعتراض على الموحدين ولومهم على نشر التوحيد في الأرض، فإن الدين الإسلامي يقدم أولاً البيان ولا يلتجئ إلى السيف إلا إذا امتنع المخالف من قبول الحق والبيان الصادق، ويتم إجراء ذلك الحكم على يد الرسول أو من يأمره فقط، ولا يحق لأحد غيرهما ذلك ولا ولاية لغيرهما على البشر.

نحن نسأل اليهود عن توجيه موسى الكليم الجيش إلى فلسطين لإخراج العمالقة منها، هل يحق له ذلك وبأي حق يقدم على ذلك العمل؟ فما يكون جوابهم؟

هل كان موسى يدعي باطلاً أو كان طاغياً، ألم يوح الله إلى موسى أن يجند بني اسرائيل لاستحلال بلاد العمالقة.

أليس بنو اسرائيل إذا لم يكونوا يجيبوه إلى ذلك كانوا قد إرتكبوا ذنباً عظيماً ؟ ألم يبتلهم الله سبحانه بالتيه عقاباً على ذلك، ألم تحال المهمّة بعد موسى عليه السلام إلى النبي يوشع، ألم يقدم على ذلك القتال ويخلي المدينة من وجود المخطئين والمشركين.

فإن الكتاب المقدس (كتب الأنبياء والملوك) مليئة من قصص حروب أنبياء بني اسرائيل؟هل إن جميع تلك الحروب دفاعية، كلا ثم كلا فإن البعض منها كان ابتدائياً لنشر كلمة التوحيد وبسط دين الله، هل كان اولئك الأنبياء الإلهيون والصلحاء المطهرون في عداد نابلئون ؟ كلا ثم كلا.

فهذا حق الله ورسوله وله أن يتدخل في أمر إصلاح الأرض وأهلها ولا يحق لأحد الاعتراض على ذلك ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1].

فإذا كان مثل مارجيلوت لا يقبل أن محمداً صلى الله عليه وآله هو رسول رب العالمين، هل أنه لم يقرأ حتى ورقة واحدة عن حياته؟ فلو كان قد قرأ ذلك المقدار عن حياة الرسول لم يتجرأ على مقايسته مع الجبارين في هذا العالم، فإن مارجيلوت يجهل ما

---

(١) الأنبياء :٢٣.

جرى وغفل عن مراحل تطور الدعوة حتى يعلم لماذا فعل رسول الله ذلك[١]، فقد شرعت دعوة الرسول في السر، ثم صارت علنية على نطاق ضيق، ثم أخذت

---

(١) غـزوة خيبر للدكتور شوقي: ٨، ويقول مارجيلوت::"عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينـة علـى التلصص والسلب والنهب، ولكن نهب أهل مكة قد يبرر طرده من بلده، ومسقط راسـه وضـياع أملاكـه، وكذلك بالنسبة الى القبائل اليهودية في المدينة فقد كان هناك على أية حال سـبب ما ـ حقيقيا كان او مصطنعا ـ يدعوا الى إنتقام منهم، الا ان خيبر التي تبعد عن المدينة هذا الـبعد كلـه، لم يـرتكب أهلـها في حقـه، ولا في حـق اتـباعه خطا يعتبر تعديا منهم جميعا، لان قتل أحـدهم رسول الله محمد لا يصح ان يكون سببا يتذرع به للانتقام ".ثم ينتهي مرجيلوت من ذلك كلـه الى ان المـسلمين انمـا غزوا خيبر للحصول على ما فيها من الغنائم .ويقول : "انما غير رسول الله سياسته مع اليهود ومع المشركين، وهذا يبين لنا التطور العظيم الذي طرأ على سياسة الرسول منذ الأيام الأولى في المدينة عندما اعلن مساواة اليهود بالمسلمين، أما الآن فان مجرد القول بان جماعة مـا ـ مـشركة أو يهودية أو غير مسلمة ـ يعتبر كافيا لشن الغارة عليها، هذا يفسر لنا تلك الشهوة الـتي سـيطرت علـى نفـس محمـد، والـتي دفعـته الى شن غارات متتابعة كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبله ونابليون من بعده ". ثم يقول مرجيلوت : ان إستيلاء محمد على خيبر يبين لنا الى اي حـد أصـبح الاسلام خطرا يهدد العالم... (غزوة خيبر شوقي ص١٠ الى ٢٤)وأضاف صاحب العلاقـات في هـذاالمجال :والذي أراه أن هذاالقول يدل على جهله بمراحل تطور الدعوة الاسلامية، فقد بدأت الدعوة في السر، ثم أعلنت في نطاق ضيق، ثم توسعت ومع توسع نطاق الدعوة كانت تتـنوع وسـائل نـشرها ولم يكـن الـسلب والـنهب والتلـصلص كما يقول مارجيلوت وغيره من المستـشرقين هـدفا من أهداف الرسول ﷺ فعندما كان المسلمون يتجهزون في المدينة لغزو خيبر جـاءت الاعـراب للرسـول طالـبين الـيه ان يشركهم في الغزو، فعرف الرسول ما في نفوسهم من حب المغنم فقال مخاطبا المشركين [المنافقين صح]والمسلمين على السواء "لا تخرجوا إلا راغبين في الجهـاد، فأمـا الغنـيمة فـلا !وبعـث مناديا فنادى :"لا يخرجن منها إلا راغب في الجهاد فأما الغنيمة فلا"....وقد تجلى التسامح الاسلامي في حرب خيبر حيث نهى الرسول ﷺعن إغتصاب اي شي من اليهود دون ثمنه . وقد وقعت بايدي المسلمين وهم يفتحون حصون خيبر، صحائف من التوراة طلـب الـيهود الى الرسـول ان يعيدها اليهم فاعادها اليهم دون ان يلحق المسلمون بها اي تلف .

تتوسع ويتنوع وسائل نشرها حتى صار الدفاع عنها بحاجة إلى حمل السلاح وخوض المعارك الدامية، ثم إنها راحت لتكون عالمية، ولابد من ذلك ولأجل أن يعلم مارجيلوت وأمثاله عدم تعلق الأنبياء بحطام الدنيا لأنه لاقيمة له عندهم، ويمنع من التقرب إلى المعبود.

أودُّ أن ألفت نظر القارئ إلى هذا الخبر الذي ينقله أكثر المؤرخين: حينما دعا الرسول ﷺ أهل المدينة إلى غزوة خيبر علم من حال بعض المنافقين أنهم طلبوا الإذن في الخروج طمعاً في الغنائم فقال: «لا تخرجوا إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا» وبعث منادياً فنادى: لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد فأما الغنيمة فلا.

ولا ينال الشهادة ذاك المقام الشامخ الذي يحظى به المؤمنون إلا أن يكون الخروج لوجه الله لا لأجل الطمع في حطام الدنيا، فهل من المناسب أن يدعي أحد والحال هذه أن الرسول ﷺ غزا خيبر من أجل الغنائم، وكأن النبي ﷺ يعلم بهذا الإتهام والشك الذي سيكون في قلوب المعاندين فنهى عن الخروج للغنيمة وقال ذلك الكلام المشرق.

فإذا كان الرسول ﷺ قاصداً للإحتلال وبسط السلطة لم يهتم بمعتقد الجنود وأهدافهم من الخروج معه للحرب، بل يستعين حتى بالمشركين واليهود ويواعدهم بالغنائم الكثيرة والاجورالعالية ويغزو بهم الروم والفرس، ويفتح بلدانهم الواسعة ولا يهتم بمثل خيبر وغيرها، فإن الرسول ﷺ إنما أراد نشر

يعلق ولفنسون على الحادثة السابقة الذكر فيقول :"ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي بالبنان ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة ويذكرون بإزاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلبوا على أورشليم وفتحوها سنه ٧٠ م.اذ أحرقواالكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم وما فعله المتعصبون من النصارى في حروب إضطهاد اليهود في الأندلس، حيث أحرقوا أيضا صحف التوراة.هذا هوالبون الشاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين رسول الإسلام ﷺ.(العلاقات :٣٦٧و ٣٦٨) . (تاريخ اليهود في بلاد العرب :١٧٠).

الدين وترويجه وكان يرى أن خيبر عقبة في طريقه، فأراد إزالة تلك العقبة فسرح إليها المقاتلين، وهذا يعني أن حقد رؤساء اليهود وعداءهم كان بمرتبة من الشدة، وكانت أعمالهم هدامة ومخربة بحيث لايتمكن الرسول صلى الله عليه وآله من نشر دعوته ماداموا موجودين، ولذلك زحف عليها بجنوده، ولكن يجب أن لا ننسى أن معركة خيبر كانت شديدة وصعبة بحيث لو لا المدد الإلهي لم يضمن رجوع المسلمين من تلك المعركة بسلام.

ونقلوا عن يهود فدك العارفين بحال إخوانهم في خيبر بشكل كامل أنهم قالوا: الرسول مشغول بحرب خيبرولا يخرج منها بسلام، فإن لخيبر حصون منيعة، وقد استعد فيها عامر وياسر وحارث وسيد من قبائل مرحب مع عشرة آلاف من المقاتلين في قلعة نطاة فكيف يتغلب عليها محمّد.

فلولا أن الهجوم على خيبر بأمر من الله سبحانه لا يسمح العقل بالخروج مع ألف وأربعمائة مقاتل أو ألف وستمائة وغايته ثلاثة آلاف مقاتل يقطعون ٣٠ ميلاً خطيرة يسكن في أطرافها المشركون واليهود، والذهاب إلى قتال عشرة آلاف مقاتل وهم في حصونهم قد تسلحوا في مواضعهم العالية المشرفة على جيش المسلمين[١].

يجب أن نعلم أن مسألة خيبر أكثر من كونها حرب الإسلام مع اليهود، بل هي حرب الإسلام مع الكفر، فقد نقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينادي قولوا: لا إله إلا الله تحفظوا دماءكم، ولكن اليهود يأبون ذلك ولا يسمحوا لأنفسهم التلفظ بهذه الكلمة، ما هو معنى هذا العمل؟ هل يحق لنا أن نقول إنهم مشركون، أو كانوا يعتقدون بابنٍ لله؟ أو أن إلههم يهوه إله اليهود غير الله سبحانه فلم يبدوا استعدادهم أن يقولوا: لا إله إلا الله ثناءاً عليه.

لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله مصراً على إراقة دماء اليهود ولا استحلال دورهم أو يأخذ أموالهم، وإنما كان يصر على أن يقولوا لا إله إلا الله كي تحفظ دماءهم،

---

(١) غزوة خيبر لشوقي: ٣٨، العنصرية اليهودية ٢: ٤١٩.

ولكن اليهود كانوا ينادون إنا لا نترك عهد موسى والتوراة بيننا، فهل كان عهد موسى عليه السلام غير هذا الكلام المقدس... [١].

وحتى بعد شروع الحرب و عندما صار اليهود يلوذون بعضهم ببعض من الخوف، اقترح عليهم ذلك ولكنهم أبوا أن يجروا كلمة التوحيد على ألسنتهم، كل ذلك الكلام يعرض عنه المستشرقون المثرثرون ولا يسلطون عليه الأضواء، وهكذا يتفلتون من بيان الحقائق[٢].

نزول سورة الفتح والبشارة بفتح خيبر

نزلت سورة الفتح إبان صلح الحديبية على الرسول وحتى يقف المسلمون على أن نتيجة هذا السفرهو الفتح المبين والنصر المؤزر، قال رسول الله ﷺ:لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس [٣]، ثم قرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ..."

يجب أن نعلم أن هذه السورة نزلت عندما رجع المسلمون من صلح الحديبية فكانت مفتاحاً لفتح خيبر، تبشّربالفتح وتبين طريقة العمل والوظيفة المحولة، وكما أن فتح حصون بني قريظة كان بسبب معركة الأحزاب، كذلك فتح خيبر بسبب صلح الحديبية، وهو الآخر مقدمة لفتح مكة.

تتكلم هذه السورة عن نزول السكينة على المؤمنين، وهي المعادلة الإلهية الدائمة فكلما جاش الكفر وتحمّس وإستعمل القسوة ففي المقابل يجعل الله السكينة في قلوب المؤمنين ويرزقهم الصبر و يزداد في هدايتهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٢٤ فنادوهم :قولوا لا إله إلا الله تحرزون به دماءكم وأموالكم وحسابكم على الله، فنادت اليهود : إنا لا نترك عهد موسى والتوارة بيننا، عن المغازي ٢: ٦٥٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٢٣.

(٣) سورة الفتح : ١،صلح الحديبية، لشوقي : ١٠٥.

أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

وتكلمت أيضاً عن المنافقين وفضحت أسرارهم: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[2].

كما تخبر عن تجنيد المؤمنين دون المنافقين لغزوة خيبر: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3].

والله سبحانه بشر أصحاب النبي الذين بايعوا معه واستقاموا بأفضل موهبة وهو رضوانه ولقد أثابهم في الدنيا بفتح قريب :﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[4]، والفتح القريب في هذه السورة كما فسربيعة الرضوان وصلح الحديبية فسّر أيضاً بفتح خيبر[5] وكذا: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) الفتح :٤.

(٢) الفتح: ٤.

(٣) الفتح :١٥.

(٤) الفتح : ١٨.

(٥) البحار: ١٩: ١٦١و البداءة والنهاية: ٣: ١٨١و تنزيه الأنبياء: ١١٧، موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٦٤١.

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[١].

وكانت خيبر بحالة من المنعة والصلابة بحيث لم يحتمل المنافقون رجوع رسول الله وأمير المؤمنين من هذه المعركة سالمين، وقد صدقوا بهذا الحدس وفرحوابه :﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[٢] ولكن نتيجة ذلك السفر ما لا يتوقعه المنافقون والمشركون وقد أخذتهم الحمية بكفرهم وعدم إيمانهم بما كان الرسول يأمربه ويفعله وأما المؤمنون فإن الله سبحانه سينزل عليهم سكينته: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[٣] وجعل فتح خيروإن صعب عليهم مقدمة ومرحلة من مقصد نهائي وهو سلطنة الدين على أقطار الأرض :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٤]، وبهذا كان التغلب على خيبر من بشائر هذه السورة، وقد تمهّد الطريق لإنتشار الإسلام في جزيرة العرب بالإطاحة برؤساء خيبر، ثم فتح مكة ثم إلى الأطراف النائية، وستبقى هذه البشائر مستمرّة إلى زمان ظهور إبن الرسول الخاتم ﷺ ووصيّه، يعني الإمام المهدي، يتجلى حينها الفتح على أكمل الوجوه :

---

(١) الفتح : ١٩و٢٠.

(٢) الفتح: ١٢و١٣.

(٣) الفتح: ٢٦.

(٤) الفتح : ٢٨، قال أمير المؤمنين عليه السلام في خبر: أنا النبأ العظيم الذي أكمل الله تعالى به الدين يوم غدير خم و خيبر. (الفضائل لإبن شاذان: ٨٣).

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾.

ما هو الصّراط المستقيم؟

عندما يكون الخطاب للمؤمنين المهتدين، فما معنى هدايتهم والإخبار عنها، أليس المؤمنون هم الذين اهتدوا؟ يجب أن نطلب الجواب فيما تجلى في هذه المعركة، فالمراد من الصراط المستقيم في هذه الآية هو أمير المؤمنين عليه السلام، يعني أن الوقائع التي توالت في صلح الحديبية وغزوة خيبر تعكس للأمة إمامة الإمام علي عليه السلام وأحقيته، فكانت تتوالى التصريحات بإمامته وعلو قدره من النبي وظهرت بعض الآيات حتى يقف ا لمسلمون على مقامه الشامخ.

فقد تمّ تعريف علي عليه السلام بأنه خليفة النبي والقائم مقامه في سفر الحديبية.

وفي معركة خيبرقال الرسول صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله... [1].

وفي هذه الواقعة يصف أمير المؤمنين نفسه ويقول: والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكني أُيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضية وأنا من أحمد كالضوء من الضوء[2].

وجاء في خبر أخر: ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية بل بقوة ربانية[3]

وفي نفس هذا السفر قال رسول الله لعلي: لولا أن تقول فيك من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ على ملأ من المسلمين إلا أخذوا تراب رجليك وفضل طهورك ويستشفون به[4].

---

(١) البحار٢١: ١١.

(٢) المناقب ٢: ٢٨٩والبحار٤٠: ٣١٨.

(٣) البحار :٤ : ٣١٨.

(٤) كشف الغمة ٢: ٢٦٥. البحار٣٧: ٢٧٢وجاء في أرجح المطالب: ٤٤٨، عن إحقاق الحق ٧: ٢٩٥ عن علي عليه السلام قال :قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتحت خيبر:لولا ان تقول فيك من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّعلى ملأ من المسلمين إلا أخذوا تراب رجليك وفضل طهورك ويستشفون به، ولكن نصيبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك وأنت مني

وكذلك في طريق العودة من هذا السفر نزل جبرئيل وأخذ رسول الله معه إلى فدك وسلّمه مقاليد تلك البقعة وبيّن له المراد بذي القربى، وبذلك هدى الله المسلمين إلى ذلك الصراط المستقيم، وهناك موارد أخرى من هذا القبيل.

خيبر الخضراء

تعد خيبر أرضاً خضراء من أكثر مناطق الحجاز خضرة، وأهلها أكثر زراع المنطقة وفلاحيها سعياً، فكانوا قد أقاموا عدة سدود على النهر ليستفيدوا من مائه أتم الاستفادة، وكانت قلاعهم من أعلى القلاع وأحكمها، وكان يوضع فيها المحاصيل الزراعية والحبوب، وفيها محال لحفظ الأغنام وفي اعلاها منازلهم ومحل استراحتهم، وكمائنهم في حالة الخطر، وهي تقع على ثلاثين ميلاً (١٨٠ ك.م) من المدينة، وتتألف من ثلاث مناطق: نطاة وشق وكتيبة وقد بنوا في كل منطقة عدة قلاع، فكان في نطاة حصن ناعم وحصن صعب بن معاذ، وقلعة الزبير، وفي منطقة شق حصن أُبي وحصن نزار، وفي منطقة كتيبة حصن قموص ووطيح وسلالم وحصن بني أبي الحقيق، والظاهر وجود قلاع في كل حصن.

والذي يثير الدهشة عدم وصول خبر عن وجود منازعة ولا مواجهة بينهم وبين أهل يثرب قبل الإسلام، وهو دليل إستقلالهم ومنعتهم ومتانتهم، وكأن هؤلاء القوم لا شغل لهم سوى الكدّ والنتاج وجمع الأموال، ولذلك لم يكن لهم

بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي، أنت تؤدّي دَيني وتقاتل على سنتي، وأنت في الآخره أقرب الناس مني وإنك غداً على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين وأنت أول من يرِد عليّ الحوض وأنت أول من يدخل الجنة من أمتي، حربك حربي وسلمك سلمي وسرّك سرّي وعلانيتك علانيتي وسريرة صدرك سريرة صدري و أنت باب علمي وإن ولدك ولدي والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي وإن الله عزوجل أمر ني أن أبشرك :إنك وعترتك في الجنة وعدوك في النار ولايرد عليّ الحوض، مبغض لك ولا يغيب عنه محب لك. قال عليّ : فخررت له سبحانه ساجدا وحمدته على ما أنعم به عليّ من الإسلام وقراءة القرآن.

تدخل في المجريات السياسية للمنطقة، ولعل بُعد المسافة بين خيبر والمدينة سبّب صيانتها من بعض الوقائع التي وقعت في أوائل البعثة و الهجرة[١].

ولم تتحرك خيبرتحركاً جدياً في مقابل النبي إلابعد رحيل بني النضير إليها، عندها إشتدت تحركاتهم[٢].

---

(١) العلاقات: ٣٦١ كانت لخيبر مركزية دينية من الناحية الثقافية والأمور الدينية، ومع مجيئ حُيي بن أخطب إلى هذه المنطقة إنتقلت سيادة بني النضير إليها، وتبدلت خيبر إلى محور القدرة ومركز إتخاذ القرارات، وكان يهود بني النضير أشرف يهود المنطقة نسباً، لأنهم من نسل هارون، وكانوا يلقبون هم وبنو قريظة بالكهان، ولذلك يعتقد يهود خيبر بسيادتهم وزعامتهم الدينية.

(١) وكما تقدم فإن حيي بن أخطب قد برز عداؤه للنبي صلى الله عليه وآله عند ملاقاته للرسول في أول الهجرة، نقلت ذلك إبنته صفية بعد ما تزوجها الرسول صلى الله عليه وآله فإنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم القها قط مع ولد لهما الا اخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ونزل بقباء في بني عمروبن عوف غدا عليه أبي حيي بن اخطب وعمي ابو ياسر بن أخطب مغلسين .قالت فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهويني، قالت فهششت اليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت اليَ واحد منهما مع ما بهما من الغم .قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حُيي بن أخطب : أهوهو ؟ قال نعم والله، قال : فما في نفسك منه ؟ قال عداوته والله ما بقيت، (الرسول واليهود: ١١٥٠،).

إنه أظهر هذا المقدار من العداء فكانت نتيجته نزول ذلك البلاء على بني قريظة والنضير، فإنه وإن قتل في غزوة بني قريظة ولكن تواجده قبلها في خيبر أضرم نار العداء التي صارت تتأجج حيناً بعد حين، واستطاع كبار بني النضير بعده من الإمساك بزمام أمور خيبر وتطويعهم لمواجهة الرسول صلى الله عليه وآله وكذلك استغلال قدارتهم ومعداتهم الحربية في هذا السبيل، وكانت قيادة تلك المواجهة بيد هؤلاء الزعماء، ونجد سلام بن مشكم -الذي كان قبلها في قلعة بني النضير ينصح حيي بن أخطب- قد أصبح من رؤساء المواجهة، وصار يفكر بتجهيز جيش عظيم جرار وإرساله إلى الصحراء حتى يهجم على المدينة كما فعل الأحزاب ويعلنها حرباً شعواء، ولم يوافقه سائر عظماء خيبر في هذا الرأي، وصار التصميم النهائي هو البقاء في الحصون والدفاع عن كيانهم وعزتهم هذا وقد راسل الرسول صلى الله عليه وآله أهل خيبر ثلاث مرات عسى أن يتيقظوا وهو يرى من خيبر مع ذلك العداء سداً منيعاً أمام نشر الإسلام، وتظل سنداً للقبائل العربية المشركة شمال الجزيرة، ولابد من مواكبتهم الإسلام أويزالون من الطريق، ولذلك كاتبهم اولاً.

وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله تهيأ للهجوم والزحف على خيبر بالكتمان الشديد، وكان يريد أن لا يطلع المنافقون والجواسيس اليهود على تصميمه كي لا يصل الخبر إلى غطفان فترسل إليهم بالمدد، ومع ذلك فقد بلغ خبر استعداد المسلمين للهجوم الى غطفان واليهود معاً، وكانوا هم الآخرون يستعدون للهجوم على المدينة من قبل، وكانوا يعدون العدة والعدد ويصلحون القلاع ويجهزونها، وقد جاء عبد الله بن رواحة بذلك الخبر إلى الرسول صلى الله عليه وآله وقيل إن عبد الله بن أبي منافق المدينة كتب إلى أهل خيبر رسالة مضمونها: محمّد قادم إليكم فلا تتركوا الإحتياط وخبئوا أموالكم في الحصون، واخرجوا إلى حربه خارج الحصن ولا تخشوه فإن مقاتليكم كثيرون وأصحاب محمّد قليلون[١].

هذا وقد أذاع المنافقون في المدينة أخباراً كاذبة عن عظمة خيبر وأنها لا تقهر بحيث إن الدائنين اليهود صاروا يطالبون بالديون المؤجلة عندما أراد المسلمون التوجه إلى خيبر، لأنهم لا يرجون رجوعهم سالمين غانمين من تلك المعركة[٢].

تاريخ الغزوة

رغم الأهمية التي كانت تتحلى بها هذه الغزوة ونتائجها الباهرة لم يحصل اتفاق بين المؤرخين في زمان وقوعها والمشهور يذهب إلى وقوعها في شهر محرم في السنة السابعة للهجرة[٣].

شرعت في العشرة الأخيرة من المحرم واستمرت إلى أوائل شهر صفر[٤].

---

(١) اليهود والرسول : ١١٣٢، العلاقات: ٣٦٣.

(٢) العلاقات: ٣٦٣ قال :فلما تجهزنا لم يبق أحد من يهود المدينة له على أحد من المسلمين حق الا لزمه، وكان لأبي الشحم اليهودي عند عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي خمسة دراهم في شعير اخذه لأهله، فلزمه فقال :أجِّلني فاني أرجو ان أقدم عليك فأقضيك حقك ان شاءالله، ان الله عزوجل قد وعد نبيه خيبر أن يغنمه اياها وكان عبد الله بن ابي حدرد ممن شهد الحديبية، فقال ياابا الشحم انا نخرج الى ريف الحجاز في الطعام والاموال فقال ابو الشحم حسدا وبغيا :تحسب أن قتال خيبر مثل ما تلقونه من الأعراب ؟فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل .....(الواقدي).

(٣) سيرة ابن هشام٣: ٢٣٦، يهود حجاز: ٢٠٦.

(٤) الرسول واليهود: ١١٣٧.

والرأي الآخر أنها وقعت في صفر والرأي الثالث: ربيع الأول والرابع جمادي الأول، من السنة السابعة للهجرة على جميع الأقوال، وأثبت البعض السنة السادسة للهجرة، ولعل هذا الاختلاف ناجم من الإختلاف في مبدأ السنة القمرية، لأنها تتفاوت سنة على أساسهما.{السنة الأولى لم تحتسب}

ويبدو أن هذه الغزوة وقعت في أفضل ظرف سواء بحسب الظاهر فإنها جاءت على أثر تمهيدات عديدة توجهها لا تخفى على أصحاب النظر الصائب، فقد وقعت بعد ترحيل اليهود من أطراف المدينة واضمحلال بني قريظة وعقيب صلح الحديبية وفي الفصل المناسب من السنة، كان المقاتلون معها على أتم الاستعداد خصوصاً مع منع المنافقين من الاشتراك فيها.

توجه النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر في أوائل السنة السابعة للهجرة وجعل سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة موقتاً، وعقد الراية بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام وأرسله أمامه، واستعان في هذا السفر بمن يدله على الطريق، فسلك من طريق ثنية الوداع إلى زغابة، ومنها إلى نقمى حتى وصل المستناخ، وتحرك منه إلى عصر (إسم جبل) فصلّى الظهر في ذلك الطريق-وقد بني في ذلك الموضع مسجد بعد ذلك- ومنها إلى الصهباء فصلى فيها العصر، ثم طلب الطعام فجيء بتمر وسويق، وأكل الجميع طعامهم، وصلوا المغرب هناك، ثم توجهوا إلى طريق يقال له مرحب، ومن طريق عصر إلى رجيع بين غطفان وخيبر فأقاموا هناك[1].

والرسول يعلم جيداً أنه يذهب إلى حرب قوم يفوقون المسلمين عُدة وعدداً وتجهيزاً، ولذلك قال لأصحابه: لا تطلبوا من الله لقاء العدو واطلبوا العافية لأنكم لا تعلمون من تحاربون[2].

هذا وقد سار النبي صلى الله عليه وآله تمام ليلته وسار بين شق ونطاة حتى أشرف على حصون خيبر عندها طلب من أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء:

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ١٧٥.

(٢) غزوة خيبر لشوقي: ٥٥.

« اللهمّ ربّ السموات السّبع وما أظلت وربّ الأرضين السّبع وما أقلّت وربّ الرّياح وما ذرت فإنا نسئلك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، اقدموا باسم الله »[١].

وكان يقولها ﷺ لكل قرية دخلها.

وهذا يعلّمنا كيف نتوصل إلى شطر من مآربنا بالدعاء.

ثم سار قليلاً حتى وصل إلى موضع باسم منزلة فبات فيه ليلته إلى طلوع الشمس، ووجد المسلمون أعرابياً في الطريق وكان عيناً لليهود، فأخذوه وسدوا يديه ورجليه فأصابه الذعر، فباح لهم كل ما يعلمه عن حصون اليهودوكان في قيد المسلمين إلى انتهاء الحرب[٢].

وكان الرسول ﷺ يعلم أن غطفان جاءت لنصرة خيبرقبل ثلاثة أيام واستقروا في حصن نطاة، ولذلك أرسل سعدبن عبادة نحو عيينة بن حصن كي يترك المعركة على أن يعطيهم ثمرة خيبر لمدة سنة إذا فتحت، فأجابه: والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشيء وإنا لنعلم ما لك ولمن معك بما ههنا طاقة فقال له سعد: إن الرسول يقول إن الله وعده النصر(فتح خيبر)، فلم يلتفت عيينة إلى ذلك الكلام، فعاد سعد، ويستفاد من هذه الرواية صعوبة فتح خيبر بحسب الموازين الظاهرية، وكذا يتضح رفق الرسول وعطفه واهتمامه بسلامة غطفان، ولعل هذه الإشارة قد تؤثر في عيينة، وقد تكون السبب في الصلح الذي وقع بعد خيبر.

فوقعت الصيحة في جيش المسلمين أول الليل بالهجوم على حصن ناعم، ولكن في منتصف الليل صيح بغطفان أهليكم أهليكم بحيفاء صيح ثلاثة فلا تربة ولا مال، ولا يعلم مصدر ذلك النداء من الأرض أو السماء وكيف وصل إلى أسماع غطفان فتخيلوا أن جيش المسلمين قد تحرك نحو غطفان، فلما سمعوا ذلك النداء في وسط الليل خرجوا زرافات زرافات من القلعة وأسرعوا من أي الطرق كانت إلى ديارهم للدفاع عنها، فلما وصلوا إلى دورهم علموا أنها خديعة ليس

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٣٧. الرسول واليهود٣: ١١٥٦.

(٢) الرسول واليهود ٣: ١٢٠٦.

أكثر، ولما كان للمسلمين عيون في الرجيع لم يتمكن الغطفانيون من العودة لنصرة خيبر، وبذلك ازيحت تلك القوات وعدتها أربعة آلاف مقاتل من المعركة[١].

وتصور البعض أن غطفان قد كمنت للمسلمين في مواضعها، حتى إذا اقترب المسلمون من خيبر حملوا عليهم من الخلف، واليهود من الأمام حتى يجتاحوهم، وعلى هذا تكون غطفان قد كمنت خارج القلعة ولكن يظهر من الواقدي الناقل لكلام عيينة أن الغطفانيين كانوا داخل القلعة عندما هجم المسلمون على نطاة، لأنه قال: إنّا في حصن النطاة بعد هدأة إذ سمعنا صائحاً يصيح لا ندري من السماء أو من الأرض: أهليكم أهليكم بحيفاء صيح ثلاثة فلا تربة ولا مال[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٣٠. الرسول واليهود ٣: ١١٤٤.

(٢) الرسول واليهود٣: ١١٤٩ عن الواقدي ٢: ٦٥٢. ونشير هنا إلى أنه لما فتحت خيبر قدم عيينة بن حصين وقال لرسول الله اعطني مماغنمت من حلفائي، فاني امتنعت عنك وعن قتالك، قال له رسول الله : كذبت، ولكن الصياح الذي سمعت انقذك الى اهلك ولكن لك ذوالرقيبة .(اسم جبل بخيبر)، وقال عيينة وما ذوالرقيبة قال رسول الله :الجبل الذي رأيت في منامك إنك اخذته. فعاد عيينة خائبا وقال لليهود بعد تمام فتح خيبر : ما رايت كاليوم أمرا، والله ماكنت أرى أن أحدا يصيب بمحمّد غيركم، أهل الحصون والعدة والثروة، اعطيتم بايديكم وانتم في الحصون المنيعة وهذا الطعام الكثير مايوجد له آكل والماء الواتن !!! لما راى عيينة الحارث بن عوف، فقال له الحارث الم اقل لك انك توضع في غير شي، والله ليظهرن محمد على ما بين الشرق والغرب وان يهود كانوا يخبروننا بهذا، اشهد لسمعت أبارافع سلام بن أبي الحقيق يقول :أنا نحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون، انه لمرسل، ويهود لا تطاوعني على هذا، ولنا منه ذبحان، واحد بيثرب وآخر بخيبر وقال الحارث: قلت لسلام :بملك الارض ؟ قال: نعم والتوراة التي أنزلت على موسى، ومااحب ان تعلم يهود بقولي فيه، (ص٩٤ غزوة خيبر لشوقي من البداية والنهاية ٤:٢١٢) وفي(غزوة خيبر لشوقي ص٩٥)قال إبن لُقيم العبسي حين أفتتحت خيبر :

رُمِيت نطاةُ مِنَ الرَّسُول بفَيلَق ... شهباء ذاتِ مَناكب وَفقارِ

واستيقَنت بالذل لما شُيِّعت ... وَرِجالَ أسلَم وسطَها وغِفار

صبحَت بني عمرو بن زُرعة غدوةً ... والشِّقُّ أظلَمَ أهلُهُ بنهار

ويمكن الجمع بين الخبرين بأن أربعة آلاف مقاتل بحاجة إلى مكان واسع، فلابدَّ أن البعض كان خارج القلعة والبعض الآخر داخلها يأخذون أهبتهم للحرب.

ومع ذهاب غطفان حزن اليهود، واضطرب كنانة بن أبي الحقيق الذي كان في حصن الكتيبة اضطراباً شديداً عندما سمع بالخبر وأصابه الذعر وعلم بقرب هلاك اليهود[1].

فتح حصون نطاة

بخروج غطفان من قلاع خيبر، قسم الرسول ﷺ الرايات في الصباح بين - المقاتلين وأمرهم بالهجوم على حصن ناعم أول قلعة من نطاة وقال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بقوم فساء صباح المنذرين أقدموا بسم الله وكان صمود اليهود ومقاومتهم في هذا الحصن شديدة بحيث جرح من المسلمين في اليوم الأول خمسون شخصاً، لأن اليهود كانوا على مرتفع يرمون النبال، وكانت قلعة ناعم أصعب القلاع تحمل المسلمون لأجل فتحها المصاعب الشديدة والأتعاب المضنية، فاغتم الرسول ﷺ لذلك.

وكان يخرج شجعان اليهود من القلعة الواحد بعد الآخر ويطلبون البراز، وبعد استعراض قوتهم يعودون إلى القلعة، وقد جرح سعد بن عبادة في أحد هذه المبارزات، وذلك حينما جاء أبطال اليهود إلى الميدان، فخرج حارث أبو زينب أخو مرحب من الحصن وطلب البراز فخرج إلى برازه سعد بن عبادة فاستطاع أن

جرَّت بأبطحها الذيولَ فلم تَدَع ... إلاّ الدَّجَاجَ تصيحُ بالأسحارِ

وَلِكُلِّ حصنٍ شَاغِلٌ مِن خيلهم ... من عبد الأشهَلِ أو بني النجارِ

و مهاجرين قد أُعلِموا سيماهُم ... فوق المَغَافِرِ لَم يَنُو الِفرارِ

و لقد علمتُ لَيغلِبَنَّ مُحمَّد ... ولَيَثوين بهـا إلى أصفار

فَرَّت يَهُودُ عندَ ذلك في الوغى ... تحت العَجاجِ غمائِمَ الأبصار

(١) سيرة إبن هشام ٣: ٢٣٧، المغازي ٢: ٦٣٣، طبقات إبن سعد: ٩٠٦، تاريخ الطبري ٣: ٩.

يقهقره إلى قريب الحصن، وفي هذا الحال خرج أخوه أسير وتبارز مع سعد حتى قهره وهنا جرح سعد، فتألم الرسول صلى الله عليه وآله لذلك تألماً شديداً[١].

وكان الرسول صلى الله عليه وآله لاينفك من وعظ اليهود ويقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تحفظوا دماءكم، ولكنهم يأبون ذلك ويمتنعون من قول هذه الكلمة الطيبة، ويقولون: إنا لا نترك عهد موسى عليه السلام والتوراة بيننا[٢].

ونقل الواقدي أن الرسول صلى الله عليه وآله مكث سبعة أيام في رجيع، صباح كل يوم يهجم على خيبر ويرجع العصر، يهجم مرة من أسفل نطاة وفي اليوم الثاني من أعلاها.

وفي بعض الأيام (أي اليوم السادس) دخل مرحب وأصحابه إلى ميدان القتال وطلب البراز، وكان قد ثقب حجراً وصيَّره خوذة ووضعه على رأسه، ولبس الحديد فلم يجرأ أحد على مقابلته فطلب النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر وقال له خذ الراية وإذهب إلى ميدان القتال، فذهب إلى الميدان ولم يتمكن من أن يفعل شيئاً فخاف ورجع، ذكر الواقدي هذا الخبرولم يصرح باسم أبي بكر وإنما كنّى عنه وقال «رجل من المهاجرين» وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقطع النخيل المتواجدة في أطراف القلعة حتى لا يكمن لهم اليهود وراءها، وعندها جرح محمود بن مسلمة ألقى عليه مرحب حجراً حينما كان جالساً في ظل جدار القلعة من أعلاها، وتوفي على أثر ذلك الجرح[٣].

وفي اليوم الثاني طلب الرسول صلى الله عليه وآله عمر وأعطاه الراية وقال له اذهب إلى حرب مرحب، فذهب ولم يستطع فعل شيء وخاف ورجع، وقد كنّى عنه الواقدي ولم يصرح اسمه.

---

(١) المغازي للواقدي ٢: ٦٥٣.

(٢) جاء في المغازي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: إن الشيطان قال لليهود إن محمداً جاء لأجل الغنيمة ولذلك نادوا بأعلى أصواتكم: يا معشر اليهود قولوا لا إله إلا الله تحرزون بها دماءكم وأموالكم وحسابكم على الله (موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٢١).

(٣) البحار٢١:١١ موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٢٤، الواقدي٢: ٦٥٣... وفي سيرة ابن هشام ٣: ٢٤١، نقل تمام الرواية.وكذا سيرة ابن اسحاق: ٢٤١.

فتأثر النبي صلى الله عليه وآله وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يأخذها بحقها كرار غير فرار يفتح الله على يديه، وبشر الرسول محمد بن مسلمة بالنصر وقال: ابشر يا محمد بن مسلمة غداً إن شاء الله يقتل قاتل أخيك وتولي عادية اليهود، ومراده قتل مرحب وأخيه[١].

وصار الأصحاب ينتظرون من سيعطيه الراية ولمن ستكون هذه المفخرة فلما أصبح قال أدعوا لي علياً، فقالوا: يا رسول الله هو رمد ما يطرف، فقال: جيئوني به، ثم ذهب به إليه، فقال: إفتح عينيك ففتحها فتفل فيها، (قال علي: ما رمدت بعدها حتى الساعة)، ثم دفع إليه الراية وقال: خذ الراية وامض بها والنصر أمامك، والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي إنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمّر عليهم اسمه إيليا، فإذا لقيتهم فقل أنا علي فإنهم يخذلون إن شاء الله[٢].

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي ج٣ص٢٦والعنصرية اليهودية ٢: ٤٨٤. النص المنقول عن الواقدي من أن الرسول قال : لأعطين الراية غدا ...ثم قال بعدها ابشر يا إبن مسلمة غداً إن شاء الله يقتل قاتل أخيك وتولي عادية اليهود، ومراده قتل مرحب وأخيه..ورأى البعض ان هذه العبارة علامة على أن القاتل لمرحب هو محمد بن مسلمة ولكن في الواقع انه لا دلالة فيه على ذلك وانه مجرد إخبار عن قتل مرحب غدا، فلابد أن تحريفا قد وقع في خبر إبن هشام الذي ينقله عن إبن إسحاق بأن محمد بن مسلمة برز الى قتال مرحب وقتله (سيرة إبن إسحاق :٤٧٥ وسيرة إبن هشام ٣: ٢٤١)، والحال أن إبن إسحاق روى مبارزة اميرالمؤمنين وقلع باب خيبر في ص ٤٧٦وذلك لم يكن الا في قتل مرحب، كما أفاد الدكتور سعد المرصفي في الرسول واليهود وقد خلط إبن إسحاق وإيضا إبن هشام في سيرتيهما .

(٢) ابن هشام ٣: ٢٤١ عن ابن إسحاق، غزوة خيبر لشوقي: ٥٨، الرسول واليهود:١٢٠٢ وفي موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٢٧ في الهامش روى عن الإرشاد ١: ١٢٦، ١٢٧ قول رسول الله :" اللهم قه الحر والبرد وأعطاه الرأية وكانت رأية بيضاء وقال له خذ الراية وإمض بها فجبرئيل معك والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم .واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم ان الذي يدمرعليهم إسمه إيليا فاذا لقيتم فقل أنا عليّ فانهم يخذلون إن شاءالله». فجاء في الحديث إن أميرالمؤمنين عليه السلام لما قال لهم أنا علي بن ابيطالب قال حبر من أحبارالقوم غُلبتم وما أُنزل على موسى، فدخل قلوبهم من الرعب ما لم يمكنهم معه الإستيطان به . سيرة إبن هشام ٣:٢٤٢ وروي إبن إسحاق ٢: ٤٧٦ ايضا.

فأخذ أمير المؤمنين عليّ الراية وذهب هو وأصحابه إلى الميدان، ودعا له الرسول ولمن معه من أصحابه بالنصر. وكان مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً و حينا أضرب إذا الليوث اقبلت تعرب
إن حماي للحمى لا يقرب

فأجابه علي عليه السلام قائلاً:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة عبل الذراعين شديد قسورة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة

فتضاربا فأصاب سيف عليّ فرق مرحب وفصم مغفرته الحجرية وبلغ السيف عظم رأسه فسقط على الأرض، وعمت الفرحة جيش المسلمين[1].

وجاء ياسر أخو مرحب إلى الميدان وقُتل هو الآخر على يد عليّ، وجاء بعده أسير الأخ الآخر لمرحب وقُتل هو الآخر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هان أمر خيبر.

ولما رجع عليّ من الميدان، ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى إستقباله وقال: قد بلغني نبوءك المشكور وصنيعك المذكور، وقد رضي الله عنك ورضيت عنك، فبكى علي عليه السلام فقال: ما يبكيك يا علي؟ قال: فرحاً بأن الله ورسوله عني راضيان [2].

وإستمر القتال فخرج رجل من الحصن إسمه يوشع وطلب البراز، فبرز حباب بن منذر إليه وقتله، وجاء آخر إلى الميدان، إسمه زيال فبادر إلى قتاله عمارة بن عقبة الغفاري.

وأما سلام بن مشكم رئيس هذه القلعة فقد خلد في الفراش لأنه كان مريضاً، ولم يأت إلى الميدان، ولم تمر أيام حتى مات، وبموته وصلت النوبة إلى

---

(١) الرسول واليهود: ١٢٠٢ وأضاف أن إبن عبد البر قال إنه الصحيح وقال ابن الأثير: الصحيح الذي عليه اهل السير والحديث أن قاتل مرحب هوعلي عليه السلام وكذا في البخاري والنسائي والفضائل لأحمد. وقد تساهل الدكتور الشوقي هنا في «غزوة خيبر ص٦٢» وأراد أن يجمع بين الروايات ورجّح غير الصّحيح على الصّحيح وقال: قتله محمد بن مسلمه وعليّ حزّ رأسه، ثم إختصما في سلبه عند رسول الله صلى الله عليه وآله!!!.

(٢) إعلام الورى ١: ١٠٨، البحار ٢١: ٢٢.

الحارث، الأخ الآخر لمرحب[١].

وبعد قتل أبطال اليهود واعتزال غطفان الحرب، وموت سلام بن مشكم، شمل اليهود خوف عجيب، فالتجؤا إلى القلعة واغلقوا الباب على أنفسهم، وكلما دعاهم المسلمون إلى السلم لم يجيبوا، فهجم علي عليه السلام على القلعة فقلع باب القلعة ورفعها بيده، ونقلوا أنها كانت بيده كالدرع يحارب بها، وبذلك سقطت القلعة بيده، وقيل إنه وضع الباب على خندق كانوا قد حفروه امام القلعة، حتى يتمكن الجيش من العبور والنفوذ إلى داخل القلعة، وقد اشتهر فتح هذه القلعة على يد علي عليه السلام وكان له فخراً.

ونقل البعض أن يهودياً صار إلى النبي فقال: يا محمد تؤمنني على نفسي وأهلي ومالي وولدي حتى أدلّك على فتح القلعة، فقال له رسول الله: أنت آمن فما دلالتك؟ قال تأمر أن يحفر هذا الموضع فإنهم يصيرون إلى ماء أهل القلعة فيخرج ويبقون بلا ماء ويسلمون إليك القلعة طوعاً، فقال رسول الله: أو يحدث الله غير هذا وقد أمّناك[٢].

فأمّنه رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعمل بما أرشده إليه، بل طلب العون من الله، وتيسر له فتح ذلك الحصن، و جاء هذا الخبر في فتح حصن الزبير و يبعد وقوعه مرتين، و من الواضح فإن قطع الماء على أهل كل قلعة بإمكانه أن يرهقهم، ولكن هذا ما لايتفق اكثرمن مرة، ولعل نقل هذا الخبروتكراره لأجل صرف الأنظارعن دور الإمام عليّ عليه السلام.

ومع فتح هذه المنطقة التي هي أصعب قلاع اليهود وآمنها استراح بال المسلمين وغنموا الغنائم الكثيرة وأكثرها السلاح وقال البعض:إن سلام بن مشكم كان حياً و قُتل بعد دخول المسلمين في القلعة، قتله بعضهم، فترك اليهود مذعورين إلى منطقة شق ولم يمنعهم المسلمون من الفرار، وكأن الهدف الأول هوتشتيتهم وتفريقهم لا قتلهم.

---

(١) الرسول واليهود٣: ١٢١٣ عن المغازي الواقدي ٢: ٦٨.

(٢) البحار٢١: ٣٠، موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٣٥، غزوة خيبر لشوقي: ٥٦.

فتح حصن صعب بن معاذ

كان المسلمون قبل فتح هذا الحصن قد بلغ بهم الضنك مبلغاً شديداً فتوجه بعضهم إلى الرسول ﷺ وشكوا إليه حالهم وطلبوا ما يسدون به رمقهم ولم يجدوا عند رسول الله شيئاً يعطيهم إياه فقال مناجياً ربه : إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاماً وودكاً. فهجم المسلمون على قلعة ثانية وهو حصن صعب بن معاذ[1].

ومع تسخير قلعة ناعم أصاب اليهود ضرر عظيم و قد زعزع قتل مرحب وأخويه ياسر وأسير عزائمهم وأصابهم الذعر بحيث لا يمكنهم المقاومة، مع ذلك فقد طال تسخير القلعة ثلاثة أيام لأنه حصن منيع جداً وكانت الراية بيد حباب بن المنذر، وقد قاتل المسلمون اليهود لمدة يومين قتالاً عنيفاً فخرج في اليوم الثالث رجل طويل القامة من الحصن وكان معه عدد كثير، وأخذوا يرمون المسلمين بالنبل لمدة من دون توقف، فلاذ المسلمون برسول الله ﷺ وصاروا خلفه إلى أن انتهى الرمي، ثم شرع اليهود الهجوم فاستطاعوا أن يقهقروا جيش المسلمين، وظل حباب يصابرهم، وبعد ترغيب الرسول المسلمين بالجهاد تداركوا هجوماً آخر اضطرهم للتراجع إلى قرب الحصن، وقتل الكثير منهم، ولما عجزوا رجعوا داخل الحصن واغلقوا الباب، ولكنهم لم يتركوا أن صاروا يلقون الحجارة من فوق الحصن، وأستشهد في ذلك اليوم ثلاثة من المسلمين.

وكان بعض اليهود المتهورين يخرجون من الحصن مرة بعد أخرى ويشتبكون مع المسلمين، قتل على أثر ذلك جماعة، وكل من كان يقتل من اليهود تنقل جنازته إلى داخل القلعة بالفور، وبالتالي استطاع المسلمون أن يفتحوا القلعة في ذلك اليوم، وامتلأ الفضاء بأصوات التكبير من على القلعة وكان اليهود يفرون من كل ناحية، ويلتجئون إلى منطقة شق ولا يمنعهم المسلمون من الفرار ولم يأخذوا

---

(١) العلاقات: ٣٦٩.

عليهم الطريق، فوجد المسلمون من الأطعمة ما لم يظن من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك ونادى منادي رسول الله :« **كلوا واعلفوا ولا تحتملوا**»، وبذلك تمكن الرسول من إطعام جميع الجنود[١].

فتح حصن الزبير

بعد ذلك وصلت النوبة لحصن الزبير، وكانت المقاومة في هذا الحصن عنيفة بحيث استغرق فتحه كثيراً من الوقت، لأنه كان على قمة جبل عالية لا يمكن الوصول إليها حتى على الخيل، وقد دام الحصار ثلاثة أيام، فسلّم في هذا الحال يهودي اسمه عزال وطلب الأمان، ثم اقترح على المسلمين أن يقطعوا الماء عن القلعة حتى يسلموا أنفسهم بسرعة، وكان يعلم مسير الماء ومحل دخوله إلى القلعة، وينقل الواقدي أن الرسول صلى الله عليه وآله قطع عليهم الماء حتى يسلموا أنفسهم[٢]، ولكن قال الراوندي في الخرائج :إن الرسول صلى الله عليه وآله قال: يحدث الله غير هذا، حيث يستفاد منه أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يرتض قطع الماء، وكان كذلك فإن القلعة فتحت بسرعة وهي آخر قلعة من حصن نطاة وكان مقاتلو نطاة من أشجع المقاتلين وأصمدهم[٣].

---

(١) غزوة خيبر لشوقي : ٦٨.

(٢) وكذا في الرسول واليهود ٣: ١٢١٦.

(٣) بحارالأنوار ٢١ : ٣١ - الخرائج والجرائح١: ١٦٤ و لما فتح علي عليه السلام حصن خيبر الأعلى بقيت لهم قلعة فيها جميع أموالهم و مأكولهم و لم يكن عليها حرب بوجه من الوجوه نزل رسول الله محاصرا لمن فيها فصار إليه يهودي منهم فقال يا محمد تؤمنني على نفسي و أهلي و مالي و ولدي حتى أدلك على فتح القلعة فقال له النبي صلى الله عليه وآله أنت آمن فما دلالتك قال تأمر أن يحفر هذا الموضع فإنهم يصيرون إلى ماء أهل القلعة فيخرج و يبقون بلا ماء و يسلمون إليك القلعة طوعا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أو يحدث الله غير هذا و قد أمناك فلما كان من الغد ركب رسول الله بغلته و قال للمسلمين اتبعوني و سار نحو القلعة فأقبلت السهام و الحجارة نحوه و هي تمر عن يمنته و يسرته فلا تصيبه و لا أحدا من المسلمين شيء منها حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى باب القلعة فأشار بيده إلى حائطها فانخفض الحائط حتى صار من الأرض و قال للناس ادخلوا القلعة من رأس الحائط بغير كلفة.

فتح منطقة الشق _ وقلعة النزار

إنتقل مقرّ المسلمين من رجيع إلى منزلة، فكان أول حصن في منطقة الشق حصن أُبي، وقلعته الأولى باسم سمؤان (سمران)، فخرج رجل باسم عزول إلى البراز فأجابه حباب وقطع عرقوبه فقتل، وجاء يهودي آخر برز إلى حربه أبو دجانة فقتله وأخذ سلبه، ثم هجم أبو دجانة وأصحابه على القلعة وبعد معركة فتحوا القلعة، وكان فيها طعام ووسائل كثيرة، غنمها المسلمون[١].

ويبدو أن لكل حصن عدة قلاع، فوصلت النوبة إلى أصعب قلاع الحصن، يعني قلعة نزار فكانت السهام تأتي من أعلى القلعة كالمطر من غير انقطاع، تعسر الزحف عليها، ونقل الراوندي عن بعض من حضر قوله: أنه لما كان من الغد ركب الرسول بغلته وقال للمسلمين اتبعوني، وسار نحو القلعة، وأقبلت السهام والحجارة نحوه وهي تمر عن يمنته ويسرته فلا يصيبه ولا أحداً من المسلمين شيء منها حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى باب القلعة فأشار بيده إلى حائطها، فانخفض الحائط حتى بقدر الساق وقال للناس: ادخلوا القلعة من رأس الحائط بغير كلفة[٢]. وقال الواقدي إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض قبضة من التراب ورمى به إليهم فانهار جدار القلعة، واستطاع المسلمون أن يدخلوا القلعة بسهولة، ويفتحونها، ويأسرون من فيها من النساء والأطفال، وقالوا: إن صفية وإبنة عمها كانت في هذه القلعة وقد أسرتا، ويستفاد من رواية الإمام الباقر أن علياً عليه السلام كان هو الفاتح لهذه القلعة.

وجاء في كتاب الرسول واليهود: أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصب المنجنيق الذي حصل عليه في حصن لفتح هذه القلعة، ولم يذكر هذه المعجزة في فتحه[٣].

وبفتح قلعة نزار فرّ أهلها إلى قلاع وطيح وسلالم وكتيبة، واجتمع في كتيبة ألفا امرأة وطفل، ولم يتعرض الرسول لباقي قلاع منطقة شق بعد سقوط قلعة نزار وذهب إلى منطقة كتيبة.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٤٢، عن المغازي ٢: ٦٦٦.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٦٥.

(٣) الرسول واليهود ٣: ١٢٢٠.

فتح منطقة كُتيبة _ قلعة قموص

أهم قلاع كتيبة وأقواها قلعة قموص، وهو حصن أبي الحقيق رئيس خيبر، قال ولفنسون: الاسم الآخر لهذا الحصن هو حصن نزار بمعنى التاج، وقد تحصن فيه عامة النساء والأطفال، فاستعد أهلها للمنازلة، وقد شمل رئيسها كنانه بن أبي الحقيق خوفاً عجيباً بحيث لم يتمكن من الرمي بالسهم، ولذا منع الآخرين عن رمي السهام والالتجاء في القلعة ولا يظهروا أنفسهم، ولذلك طال حصار هذه القلعة أربعة عشر يوماً، فلما رأى رسول الله ذلك أراد أن يستخدم المنجنيق ليجبرهم على الخروج منها، ونقل بعض المؤرخين أن الرسول صلى الله عليه وآله قد استخدم المنجنيق بالفعل.

ولما رأى ذلك كنانة ارسل رجلاً باسم شماخ إلى رسول الله ليطلب الأمان، فما أن خرج شماخ من الحصن أخذه المسلمون وجاؤا به إلى رسول الله، فأبلغه رسالة كنانة، ورضي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما سقط هذا الحصن بأيدي المسلمين، بادر باقي اليهود في الحصون الأخرى إلى التسليم، لأنهم علموابعدم جدوى المقاومة و أنهم سيقتلون، فرضوا بالأسر ليحفظوا أنفسهم، وطلبوا من الرسول الصلح، وقد أُسرت صفية من هذه القلعة وإذا كان اسم هذه القلعة هو قلعة نزار فهو يعني تداخل أخبار هاتين القلعتين، ومهما يكن من ذلك فإنه يمكن الجمع بين القولين[1].

وطالت محاصرة خيبر ٢٦ يوماً[2]، وكانت نتيجتها فتح بعض هذه الحصون عنوة فكانت من الأنفال، وبعضها بغير قتال وإنما أخذوها صلحاً مثل وطيح وسلالم فهي فيء، ولعل الصلح المار قرينة على عدم فتح كتيبة عنوة.

---

(١) الرسول واليهود ٣: ١٢٢٢ والمستفاد من شعر حسان أن قلع أمير المؤمنين باب خيبر يعود إلى قلعة قموص، ولذا عد هجوم أمير المؤمنين عليها هو السبب في فتح خيبر.

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٦٥٣.

الفصل الثالث

تغيير اليهود طريقة تعاملهم مع الرسول ﷺ

أراد الرسول ﷺ من اليهود أن يؤمنوا، ويقبلوا الإسلام، أو العيش بالسلم في ظل الدولة الإسلامية وإلى جنب المسلمين.

اعيدوا إلى الأذهان اوائل الهجرة وانعقاد العهد والموادعة وحرية اليهود في معتقدهم والحياة الحرة في مواطنهم، فقد كانت فرصة ذهبية لليهود، ولكنهم لم يغتنموا تلك الفرصة، وقاموا بمعارضة الرسول ﷺ والوقوف الجاد بوجهه، إلى أن أقروا بالعجز عن الصمود أمامه، وصاروا على استعداد لإعطاء الجزية والعيش إلى جانب المسلمين وفي ظل الدولة الإسلامية، وبذلك ختمت حروب الرسول ﷺ مع اليهود والتي كانت أساساً لنزولهم عند أحد هذين الأمرين، ولو كان اليهود قد أسلموا لصلحت بذلك آخرتهم بالإضافة إلى صلاح دنياهم، ونحن في هذا الكلام بعد دراسة هذا التغيير في التعامل نريد الإشارة إلى العهود وكتب الصلح التي عقدها النبي ﷺ مع اليهود، وكذلك الإشارة إلى سلوك اليهود بعد فتح خيبر.

الكلام الأول

خضوع اليهود بعد الشوكة

تحليل أخلاق اليهود

إن تحليل أخلاق اليهود ونفسياتهم من أول الهجرة إلى آخر معركة مع الرسول يحكي عن وجود تعصب عرقي مصحوب بالجهل، وكذا وجود نزعة عنصرية ممزوجة بالخوف والتطلع لمستقبل مشرق مع نوع من الخمول والسفاهة، فلاهم يسكتون ويقرون ولا هم يستسلمون، وكلما ضاقت عليهم الحلقة زادت لجاجتهم، وإذا لاحظنا غزوة بني قينقاع وأردنا الحكم فيها، فقد كان بإمكان اليهود

حل تلك المشكلة بهدوء والنجاة، ولكنهم تعللوا في الاختيار إلى أن ختمت بهوانهم، ورغمت أُنوفهم وحملوا على ذلك.

وكانت عاقبة بني النضير أسوأ من الأولى وكان هذان المصيران درساً كافياً لبني قريظة ولكنهم لم يعتبروا بذلك وارتكبوا نفس الخطأ، ولم تمر سنة واحدة على واقعة بني قريظة إلا ونجد أن أهل خيبر الذين شاهدوا مصائر اليهود الثلاثة، يتحركون للهجوم على المدينة، وكأن هناك ما يخالج أنفسهم ولا يدعهم يستقرون، ولا يمكن عزو كل ذلك السفه إلى دينهم وديانتهم، لأن الديانة لاتتماشى مع أكل الربا والكذب والخيانة ونقض العهد، ولا يمكن عزوه إلى التعصب القومي لأننا رأينا خذلانهم لإخوانهم وتركهم وحدهم في المعركة حتى ضربت رقابهم جزاء على خيانتهم، ولا يمكن عزوه إلى الجهل المحض لأن بينهم الأحبار والعلماء يتشاورون معهم.

فهنا نماذج من المتضادات والمتناقضات تنعكس بين رجالهم ونسائهم وكان كعب بن أسد عالم اليهود ورئيسهم يرغب في دخوله وقومه في الإسلام وقد اقترح عليهم ذلك، ولكنهم رغم إطاعتهم الدائمة له، رفضوا هذا الرأي هذه المرة ولما كان لا يرغب في فقدان ما عليه من الرئاسة سايسهم، ولم يسلم هو الأخر، و استمر في الصراع مع الإسلام إلى أن قتل.

وأما حُيي بن أخطب فقد كان لجوجاً وعنوداً إلى حد أنه لما أرادوا قتله قال لرسول الله ﷺ: "لا ألومن نفسي في عداوتك ...."، ومدّ عنقه كي تضرب، وكانت المرأتان اللتان اشتراهما أبو شحم اليهود مع أطفالهما الثلاثة، تبكيان وتقولان لا نريد أن نترك اليهودية، وفي المقابل نجد امرأة تتهور وتقتل رجلاً مسلماً، وعندما أريد الإقتصاص منها وأخذوها للقتل نجدها تضحك وتمزح، وليس عليها آثار الخوف والإضطراب، و زبيربن باطا الذي كان عالماً وله من العمر مائة سنة وقد عفا عنه الرسول ووهب له امرأته وأولاده وأعيدت له أمواله يقول: أقتلوني لا أريد الحياة بعد حيي بن أخطب وكعب بن أسد، بينما نجد ثعلبة بن سيعة وأسَيد لما رأوا أنهم مشرفون على الهلكة نزلا من الحصن وسلما أنفسهما وأظهرا الإسلام فنجوا بأنفسهما، كل ذلك يحكي عن نوع من التناقض

المعلول للتشتت الفكري ويسوس محيط اليهود و رؤسائهم، ويمكن تلخيص ذلك في كلمة واحدة: وهي حينما يكتب الله على أُمة الهلاك يهيئ أسبابه بأي نحو كان.

معاهدة الصلح

طلب سكان القلاع الثلاث وطيح وسلالم وقموص من الرسول الصلح، و كنانة رئيس حصن كتيبة تصالح على هذه البنود الثلاثة:

١- تحقق دماء من في القلعة ويُترك لهم أبناؤُهم.

٢- يرفع اليهود أيديهم عن أراضيهم.

٣- تكون أرضهم وأموالهم من قبيل الذهب والفضة والثياب الفاخرة التي يملكونها وأسلحتهم عدا الثياب التي عليهم للمسلمين، من دون ان يكتموا شيئا.

فلما حصل هذا التوافق: طلب اليهود من الرسول صلى الله عليه وآله أن يبقيهم في مساكنهم ولهم نصف ثمرة خيبر مقابل رعاية الحقول وجمع الثمار والنصف الآخر للرسول يدفعونه إليه في كل عام، وبذلك تم صلح آخر وتنقل بعض الأخبار شرطاً آخر لانعلم مدى صحته، وهو متى شاء الرسول أن يخرجهم خرجوا من الدور والمزارع والبساتين من دون كلام، و يغادروا تلك المنطقة[1].

و قد أصاب المسلمون من الغنائم ما لم يصيبوا مثله في الغزوات الأخرى، كالأسلحة المختلفة وكميات كبيرة من الذهب والفضة، ومقادير كثيرة من الطعام

---

(١) سيرة إبن إسحاق: ٤٧٨ سيرة ابن هشام ٣: ٢٤٣، وذكر في كتاب العلاقات: ٣٧٢، أربعة بنود في صلح خيبر: ١-استسلام اليهود وإلقاء السلاح ٢- تسليم كل ما يملكونه من الأموال والسلاح والمتاع من دون أن يكتموا شيئاً، ٣- يحق لليهود البقاء في أراضيهم مقابل دفع نصف المحصول، ولرسول الله إخراجهم عنها متى رأى في ذلك الصلاح، ٤- تكون أنفسهم وأموالهم تحت حماية الرسول صلى الله عليه وآله وفي ذمته ويترك لهم نساؤهم وأطفالهم، ويمتنع المسلمون من إيصال الأذى إليهم .

وتلزم الإشارة إلى أن البند القائل «أنه متى شاء الرسول إخراجهم فليخرجوا »، ليس في مصادر الشيعة و أحاديث أهل البيت خالية منه، والأنسب القول بأني لم أعثر عليه، ولعل ذلك من وضع محدثي العامة أو محققيهم لتوجيه إخراج اليهود من خيبر على يد عمر بن الخطاب، فقد اضافوا ذلك البند، وحكمه حكم الحديث الموضوع القائل: « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » والذي ستأتي تفصيل ذلك في آخر الكتاب في بحث إخراج اليهود من جزيرة العرب.

وأنواع الأغذية، وثياب وأقمشة ملونة وحرير، وأهمها الأراضي العامرة والبساتين الخضراء المليئة بالثمر، والتي تغذي الدولة الإسلامية لمدة طويلة وترفع احتياجات المسلمين، وقالوا: في كتيبة وحدها أربعمائة ألف نخلة.

فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة على جمع الأموال وجماعة أخرى على جمع السلاح، وقيل: إن غنائم خيبر قسمت بين أهل الحديبية، شاركوا في غزوة خيبر أو لم يشاركوا، وكان عددهم ألف وأربعمائة شخصاً، حضر جميعهم إلا عبد الله بن جابر لم يحضر لأجل المرض، وأصابه سهم من الغنيمة.

كانت غنائم خيبر على قسمين: قسم منها ما أخذ بالقتال والقسم الآخر من غير قتال، ويدخل الأول في الأنفال والثاني في الفيء الخاص بالرسول صلى الله عليه وآله، و استعمل الرسول صلى الله عليه وآله بعض حقه في طريق إصلاح حال المسلمين والباقي لأهله[1].

وبعد إنعقاد معاهدة الصلح لم يقتل واحد من اليهود إلا رجلان خالفا الشرط وأخفيا أموالهما، أحدهما كنانة بن أبي الحقيق والآخر ثعلبة بن أبي الحقيق، وكانت القصة أن الرسول قرر في الصلح بأن ذمة الله ورسوله بريئة ممن كتم شيئا من متاعهم اذا سُئل عنه، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله كنانة وأخاه عن الحلي التي تملأ جلد بقرة، وكانوا يعيرونها أهل مكة ليلبسونها في أعراسهم، و هما كتما الحقيقة وقالوا إنها صرفت في المعركة، ولكن كنانة كان قد حفر لها ليلة فتح المسلمون قلعة نطاة وخبأها تحت الأرض.

لم يكترث كنانة من أن يخفي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله فأنكر وجود تلك الحلي والمجوهرات، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى علامة موضعها لبعض الأصحاب وأمره بإخراجها من تحت الأرض، وبذلك قتل كنانة وأخوه طبقاً لبنود الصلح، وقيل: إن أموالهما قسمت بين الفقراء[2].

---

(١) سيرةإبن إسحاق: ٤٨٨.

(٢) سيرة إبن إسحاق:٤٧٨، سيرة إبن هشام ٣: ٢٤٣. غزوة خيبر لشوقي :٧٢.

عطف الرسول على أهل خيبر

وكما لاحظنا في هذا الصلح، بقي أهل خيبر في أرضهم ولم يخرجوا من قطاعهم، وأعيد إليهم نساؤهم وأطفالهم، وتقرر أن يكون نصف محاصيل الحقول والبساتين لهم، وإذا قايسنا بين حكم النبي في غزوتي بني النضير وبني قريظة وبين حكمه في غزوة خيبر، سنجد أن حكم أهل خيبر أخف من غيرهم، ولو أن الرسول صلى الله عليه وآله أراد أن يعاملهم معاملة بني النضير لأخرجهم من خيبر ولم يسمح لهم بالبقاء في الجزيرة العربية، وإذا أراد أن يعاملهم معاملة بني قريظة لقتل رجالهم وأسر نساءهم وأطفالهم، مع أنهم وقفوا على حقيقة الرسول صلى الله عليه وآله أكثر من غيرهم وأن مخالفتهم اياه خاصة بعد مشاهدة عقوبة الطوائف الثلاث اليهودية تُعد جرماً لايغتفر؟

فيجب أن نعلم أن الأنبياء ليس لهم حس الإنتقام الناشئ من حب النفس، لأنهم صفوة الله سبحانه ولذلك بعد ما جلا الطوائف اليهودية الثلاث من المدينة أو تلاشوا، وانتهى أمر خيبر وخلعت اسلحتهم لأن شأفة الكفر قد قطعت وأئمة الكفر قد قتلت و مركزية خيبر قد انتهت بحيث لا يعود بوسعهم الوقوف بوجه الإسلام، لما شاهد اهلها اليه يتضرعون والى كرمه يأملون، فإن الرسول صلى الله عليه وآله رأى الصلاح في الرفق بهم، ولذلك عاملهم بعطف، ومن عليهم وأرءف بهم .وقيل رفق النبي بهم لمكان صفية زوجته، كما رفق ببني المصطلق لأجل جويرية

فقد أعيدت فيها جميع الغنائم إلى أصحابها، ومنه يعلم عدم إعتناء الرسول صلى الله عليه وآله بحطام الدنيا، ولا يعتني بكثرة الغنائم وقلتها والملاك هو القيَم الأخلاقية، فإن لها الصدارة، ومع زواج النبي صلى الله عليه وآله بصفية بنت حيي بن اخطب اليهودي حصلت بينه وبين أهل خيبر نسبة، ولابد من رعاية تلك العلاقة و المصاهرة، ففي رسالة كتبها الرسول صلى الله عليه وآله لأهل خيبر وأهل المقنا _ إن صح الخبر_أنه إنما لطف بهم لكرامة ابنة عمّهم صفية و لأجلها عفا عنهم[1].

---

(١) الوثائق: ٣٨ إن نصّ هذه الرسالة والتعاطف الموجود فيها مع اليهود يذكرنا بما نقل من حكم الملك خشايار شاه عندما عفى عن اليهود بعد ما أمر بقتل عامة اليهود الموجودين في دولته والمناطق الخاضعة لسيطرته ولكنه لما اختار من بين الإماء زوجة لتكون هي الملكة وكانت هي يهودية فالغى

والأمر المهم أنه لم ينقل بعدتلك المعاهدة وقوع معركة أخرى بين الرسول صلى الله عليه وآله وأهل خيبر على الأقوى وإن صرح القرآن المجيد بأن شرارتهم و عداوتهم تستمر ولم تكن سريرتهم تنقلب على وفق ما أراد الرسول صلى الله عليه وآله ولكن هذا الصلح بلا شك يسمح لبعضهم التأمل في أمر دينهم ولعله رغبهم في الإسلام أو ألجأهم بالسكوت وصرفهم عن مجابهة الرسول صلى الله عليه وآله[1].

ما يستفاد من آيات سورة التوبة والمائدة وسورة الجمعة(على الاقوى)التي نزلت بعد غزوة خيبر، استمرار عداء اليهود وفتنتهم وفسادهم وصدهم عن سبيل الله، وسنشير إليه في البحث القرآني الآتي في آخر الفصل.

ذلك الحكم الصادر بسبب طلبها ورجائها وأمر باكرامهم ومع الالتفات الى وجود هكذا كتائب عند اليهود (كتاب إستر ازكتابهاي قانوني ثاني : ١٧٠) ومن أجل تشويه النبي صلى الله عليه وآله وإظهاره بزي الملوك وعلى صورة الرجل الشهواني المحبّ للنساء _كما قالوا في حق داود النبي عليه السلام –وأنه لاجل إمرأة جميلة(صفية) تنازل من الحق بأسهل صورة وأغضى عن سوابق اليهود العادية و شدة عدائهم وحتى أكرمهم ومنحهم بعض الإمتيازات، فليس من المستبعد وضع تلك الوثيقة ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وآله ومع الإلتفات الى رسائل النبي إلى نصارى نجران و شكواه فيها من اليهود الى أبعد الحدود، أيضاً يستبعد منه صلى الله عليه وآله هكذا التعاطف بالنسبة اليهم. ويمكن الجواب بأن الرسول متخلق بـاخلاق الله وأهل العفو والرحمة ومن السهل أن يعفوعن جميع ذنوبهم ويشمل رحمته عليهم .لا لمكان أمرأة جميلة بل لكرامة نفسه و رعاية حق المصاهرة وأداءها، فليس هو أهل الشقاء والقسوة والإنتقام.

(١) وفي كتاب العلاقات: ٣٨٤ : كانت معارك خيبر نهاية الصراع المسلح بين المسلمين واليهود ولم يعد لليهود بعد هذه المعارك القدرة البشرية والإقتصادية والسياسية للقيام بحروب جديدة لأن غزوة خيبر انهت القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ليهود جزيرة العرب وقد ترتب على هذا ان هدات الخصومة الكلامية ووقف تيار المطاعن والمثالب التي كانت بين الطرفين، ويستشهد بعضهم على ذلك بان الرسول صلى الله عليه وآله لم ينزل عليه شي كثير من الايات القرآنيه التي تتضمن ذم اليهود والطعن فيهم بعد هذه الغزوه على خلاف ما كان من ذلك في الفتره التي كانت بين يوم بدروغزوة خيبر(تاريخ اليهود في بلاد العرب :١٧٥).

هنا نجد أن ولفنسون قد تكلم خلاف الواقع، لأن سورة الجمعة و التوبة والمائدة التي نزلت بعد ذلك قد تضمنت ذم اليهود وبيان ما ضيهم بشكل واسع.

ومما ظهر من مكارم النبي صلى الله عليه وآله في هذه المعركة هي إعادة صحف التوراة التي أخذها المسلمون بعدما جاء أهل الكتاب إلى النبي يلتمسون إرجاعها، فأمر النبي بإعادة جميع تلك الصفحات. وفيه دلالة على احترام الرسول صلى الله عليه وآله للنبي موسى بن عمران والكتاب السماوي وما تبقى من كلمات ذلك النبي صلى الله عليه وآله وقد حظي هذا العمل والتقدير باهتمام المستشرقين[1].

ظروف اليهود

دعانا الاختلاف الفاحش بين عدد مقاتلي المسلمين وعدد مقاتلي اليهود في هذه الغزوة إلى دراسة أسباب انتصار المسلمين رغم قلتهم، فقد علمنا أن عدد المقاتلين المسلمين أقل من ثلث مقاتلي اليهود، ونحن نعلم أن الإيمان والاتحاد ووحدة القيادة وإطاعتها هو العامل المؤثر في إرادة كل معركة، وقد كانت تلك العوامل متوفرة بحدها الأعلى عند المسلمين، فقد قاتل المسلمون بكل جديّة وباعتقاد راسخ، وما زال الرسول صلى الله عليه وآله يرغبهم في الجهاد في سبيل الله .

ومع ذلك فهناك ثلاثة أسباب أخرى ساهمت في انتصار المسلمين ترتبط ثلاثتها بضعف العدو ووجود بعض النقائص، واحدة منها عنصر المباغتة، فقد هجم المسلمون حين لم يكن يتوقع اليهود فيه الهجوم، فكان ذلك مفاجئة أدّت إلى استيلاء الخوف والرعب على اليهود، فلم يترك لهم الفرصة في توحيد صفوفهم والاصطفاف بالشكل المطلوب ولذلك قتل منهم ٩٣ رجلاً[2]. والسبب الآخر عدم اتحاد اليهود، بل كانت بينهم منازعات في طريقة الحرب والدفاع وكان هناك آراء مختلفة، علم ذلك من كلام اليهودي الذي سلّم نفسه للمسلمين وجاء يطلب الأمان، والسبب الثالث: تراجع حلفاء اليهود (أعني غطفان) فقد تركوا المعركة ولم يسعفوهم بشيء.

---

(١) غزوه خيبر شوقي : ٧٢ .

(٢) بحارالانوار ٣٢:٢١.

عبرة للمسلمين

مع قطع النظر عن جانب الحق والباطل في معركة اليهود والإسلام، فإن نتيجة هذه المواجهة من ناحية المعادلات الإجتماعية والسياسية والقاء نظرة على أوضاع اليهود ووقوفهم في الصف المخالف للرسول يعلمنا أن جيش المسلمين بفضل وجود قائد قوي ومطاع وبفضل اتحادهم وتعاطفهم وكذا شجاعتهم ونباهتهم إستطاع أن يستحل مناطق وسيعة من أرض الحجاز خلال سنوات قليلة، يعني خمس سنوات، ويخلعها من أيدي اليهود المالكين لها والمسيطرين عليها والآخذين بزمامها لأكثر من قرنين وهم يجولون ويصولون فيها بلا منازع ولا رقيب، والسبب الأول لذلك التقدير هو تشتت الطوائف اليهودية واختلاف آرائهم وتنازعهم فيما بينهم، بالإضافة إلى عدم وجود الثقة بالنفس، وتزعزع معنوياتهم التي طالما استطالوا بها على المسلمين.

وفي هذه الأيام صار المسلمون بنفس تلك الحالة التي كان عليها اليهود في ذلك الزمان من التشتت والفرقة، بينما اليهود الفعليون بالإضافة إلى أعداء الإسلام الآخرين يسعون للحصول على تلك الحالة التي كان عليها المسلمون في تلك الدورة من الاتحاد والصولة على الدول الإسلامية المتمزقة والمتشتتة بالآراء والعقائد والفاقدة للإرادة والقيادة الحكيمة والهيمنة الدافعة، وتحاول إبادتها واحدة بعد الأخرى، فإذا كان المسلمون عندما يعتدي معتد على دولة من دولهم يتركون خلافاتهم ويدافعون عنها ولا يسمحوا للأجانب والملاحدة والكفار أن يمدّوا أيديهم إلى الدول الإسلامية، لاحرزوا بذلك أمنهم، لأنهم إذا لم ينصروا إخوتهم فإن النوبة سرعان ما ستصل إليهم، ولا يجدون ناصراً من بين الدول الإسلامية، ويجب علينا أن نعلم أن أعداء الإسلام الألداء، لا ينتهي عداؤهم للدول الإسلامية، إلا أن تتحد تلك الدول فيما بينها وتتسبب في يأس الأعداء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾[1].

---

(١) الأنفال: ٦٠.

أهمية فتح خيبر

ولعل أهمية فتح خيبر تكمن في زوال مجموعة من أعداء الإسلام قد شكلوا عقبة في طريق تعاليه وانتشاره، وعلى القارئ المحترم أن يلتفت إلى أن الإقدام على هذه الحرب فيه نوع من المجازفة والمخاطرة بحيث إن المنافقين ظنوا أنها نهاية المسلمين ولم يحتملوا رجوع المسلمين منها، ولولا المدد الإلهي وشجاعة أمير المؤمنين لجزر المسلمون على أيدي اليهود، ولذلك فإن انتصار المسلمين في هذه المعركة يعد أمراً حياتياً للغاية.

و يشهد لذلك كلام أهل فدك في جواب رسالة الرسول صلى الله عليه وآله التي تقدمت،

ولو قطعنا النظر عن صحة عدد مقاتلي اليهود، فالأخبار تحكي عن عظمة حصون خيبر وكثرة عدد المتواجدين فيها واستعدادهم التام لخوض المعركة، فقد اجتمع في تلك القلاع من الأبطال المخضرمين والجنود الأبسال ما لا يحصى، وفيهم من قضى عمره في الحروب والبطولات[1]، بالإضافة إلى المعدّات الحربية الكثيرة والمتطورة إذا ما قيست إلى أسلحة المسلمين، مثل المدفع والمنجنيق والدروع والسيوف القاطعة، سقطت في نهاية المطاف في يد المسلمين، كل ذلك دليل على تطور اليهود وتفوقهم العسكري، بالإضافة إلى أنهم كانوا في حصون منيعة وعالية ومشرفة على المسلمين، فإن ذلك يعد امتيازاً وورقة رابحة في المعركة.

هذا وقد شرح أمير المؤمنين علي عليه السلام صاحب الراية، قتاله في تلك المعركة لبعض اليهود :وأما السادسة يا أخا اليهود : "فإنا وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة أصحابك خيبر على رجال من اليهود و فرسانها من قريش و غيرها فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح وهم في أمنع دار و أكثر عدد كل ينادي يدعو و يبادر إلى القتال فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه، حتى إذا

---

(١) ذكروا أنهم تنبؤا أن مرحب يقتل كل من يواجهه إلا رجل اسمه حيدر، ولذلك ذكر أمير المؤمنين عليه السلام حينما ارتجز هذا الإسم، وقيل إنه لما سمع مرحب ذلك تراجع أولاً وندم ولكنه لم يتحمل عار الهزيمة فأقدم على مبارزة ذلك الضرغام فقتل.(البحار ٢١: ٩).

احمرت الحدق و دعيت إلى النزال و أهمت كل امرئ نفسه و التفت بعض أصحابي إلى بعض وكل يقول يا أبا الحسن انهض، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم، فلم يبرز إليَّ منهم أحد إلا قتلته ولا يثبت لي فارس إلا طحنته ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسددا عليهم فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي، أقتل من يظهر فيها من رجالها و أسبي من أجد من نسائها، حتى افتتحتها وحدي ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده...." [1].

وما أعجب هذه الرواية فإنها تحكي عن قتال أمير المؤمنين لوحده، على خطرها وشدتها ولا أقل من تحقق ذلك عند فتح واحد من الحصون.

ومهما يكن من ذلك فإن انتصار المسلمين في خيبر كان مصيرياً، وكان مصير اليهود وبقاؤهم في الجزيرة مرهوناً بنتيجة هذه المعركة، هذا وقد نجا اليهود بسبب الصلح من خطر عظيم تهددهم، وإلا لتمَّ تطهير جميع الجزيرة العربية من لوث وجودهم في أقل فرصة.

ولكن صلح خيبر قد أبقى عليهم وأبقاهم في مواطنهم لكي يتعرفوا على الإسلام وأخلاق الرسول وفضائله، فتحصل عندهم الرغبة في الإسلام، ومن ثم الدخول فيه، وهو بحاجة إلى بحث مفصل.

وكذلك فإن مستقبل قريش ومواجهة أهالي مكة مع الإسلام مربوطة بهذه الغزوة، لأن جيش المسلمين متى ما أمن من ناحية الشمال أمكنه الإلتفات إلى قريش والتفرغ لها، وعلى الرغم من وجود معاهدة مع قريش ولكن لا يعقد عليها الأمل مع غطرسة قريش وأخلاقها، وسنرى أنهم سرعان ما نقضوا العهد، ولذلك كانت قريش تتابع نتائج هذه الغزوة، وكانوا بانتظار معرفة الغالب فيها، وقد استجاز الحجاج بن علاط السلمي-أحد تجار مكة الذين أسلموا- الرسول صلى الله عليه وآله في الذهاب إلى مكة ليجمع باقي أمواله ويخبرهم، ولما وصل إلى مكة أحاط به أهل مكة وسألوه عن معركة خيبر ، فأخبرهم كذباً بانتصار يهود خيبر و أنهم أسروا

---

(١) البحار ٢١: ٢٧.

محمداً وأنهم يريدون التوجه إلى مكة لقتل جميع قرابته، ففرحت بذلك قريش واحتفلوا لسماع ذلك الخبر، ولكن الحجاج بن علاط أخبر العباس عم النبي بحقيقة الأمر أعني انتصار المسلمين وانكسار اليهود، ولكن طلب منه أن لا يفشي ذلك الخبر إلى ثلاثة أيام، فجمع خلال هذه المدة أمواله وصفّى حساباته وخرج من مكة، فخرج العباس في اليوم الثالث مبتهجاً ولبس أفخر ثيابه وقال لقريش: علمتم كيف استقام أمر محمد، ثم بين لهم حقيقة الأمر، فتألمت قريش لذلك وقالوا: يالعباد الله إنفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن[1]، فكانت قريش تأمل أن يتغلب يهود خيبر لكثرة عددهم وقرب منزلهم من المدينة، ولكن ذهبت أحلامهم بخلع سلاح اليهود أدراج الرياح، وفقدوا الأمل بالكلية وبقيت قريش وحدها في الساحة، وعليها أن تستقطب القبائل العربية عسى أن تصل إلى ما تقصده.

الحلقات المفقودة

السؤال الذي يواجهه كل محقق أن أمير المؤمنين الذي كان الوجه البارز في هذه المعركة وهو قائد الجيش وصاحب اللواء وقد حاصر ما يقرب من عشر قلاع على الأقل لمدة عشرين يوماً وتقابل مع ألفي مقاتل على أقل التقادير وخاض أصناف المعارك، من الحرب الميدانية، والغارة، والكر والفر، كيف يكتفى عند الحديث عن منازلاتها، بذكر قتل مرحب على اختلافه، أو فتح قلعة نزار أو أسر صفية.

ومن هنا يتيقن الإنسان أن كثيراً من الحقائق قد ظلت في طي الكتمان وضاعت على أثر ذلك، وحتى أنها حذفت من المجامع الحديثية، لابد أن هناك أيدي متقصدة منعت من انتشار ذلك، وحالت دون وصول أخبار مواقفه الشجاعة ومقامه الشامخ في تلك المعركة. كيف نتصور أن خيبر التي كانت مركز رجال

---

(١) سيرة إبن إسحاق: ٤٨٥. سيرة إبن هشام ٣: ٢٤٩.

الدين والأحبار اليهود[١]، وكان علي عليه السلام منبع العلم والحكمة بالتوراة والإنجيل، ولم يبلغ إلينا آثار تلك المعركة ونتائجها على المستوى الثقافي والعلمي، هل

---

(١)- البحار ٣٦: ٢١٣ ،كتاب الروضة في فضائل الأئمة لشاذان بن جبرئيل :١٦٦، بالإسناد يرفعه إلى عبد الله بن أبي أوفى عن رسول الله ص أنه لما فتحت خيبر قالوا له إن بها حبرا قد مضى له من العمر مائة سنة و عنده علم التوراة فأحضر بين يديه و قال له اصدقني بصورة ذكري في التوراة و إلاضربت عنقك ،قال:فانهملت عيناه بالدموع وقال له :إن صدقتك قتلتني قومي و إن كذبتك قتلتني ،قال له قل وأنت في أمان الله و أماني،قال له الحبر أريد الخلوة بك قال له أريد أن تقول جهرا،قال: إن في سفرمن أسفار التوراة إسمك و نعتك و أتباعك و أنك تخرج من جبل فاران و ينادى بك باسمك على كل منبر فرأيت في علامتك بين كتفيك خاتما تختم به النبوة أي لا نبي بعدك و من ولدك أحد عشر سبطا يخرجون من إبن عمك و إسمه علي و يبلغ ملكك المشرق و المغرب و تفتح خيبر وتقلع بابها ثم تعبر الجيش على الكف و الزند، فإن كان فيك هذه الصفات آمنت بك و أسلمت على يدك ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الحبر أما الشامة فهي لي و أما العلامة فهي لناصري علي بن أبي طالب عليه السلام . قال فالتفت إليه الحبر و إلى علي و قال: أنت قاتل مرحب الأعظم، قال علي عليه السلام: بل الأحقر أنا جدلته بقوة الله و حوله و أنا معبر الجيش على زندي و كفي، فعند ذلك قال: مدّ يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك معجزة وأنه يخرج منك أحد عشر نقيبا، فإنهم كنقباء بني إسرائيل أبناء داود عليه السلام، فاكتب لي عهداً لقومي، فكتب له بذلك عهداً .يجب التحقيق في أخبار قتل مرحب على يد علي عليه السلام في كتب العامة وتلاحظ أسنادها: وروى الدقاق عن الصوفي عن عبيد الله بن موسى الحبال عن محمد بن الحسين الخشاب عن محمد بن محصن عن ابن ظبيان عن الصادق عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيف رحمه الله :و الله ما قلعت باب خيبر و رميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية و لا حركة غذائية، لكني أيّدت بقوّة ملكوتية و نفس بنور ربها مضيئة و أنا من أحمد كالضوء من الضوء و الله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بقيت، و من لم يبال متى حتفه عليه ساقط فجنانه في الملمات رابط، (نهج البلاغه)، (بحارالأنوار ٢١ : ٢٦ و٢٧) وفي الرواية : فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فقال :والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكا .

ضاعت جميع تلك الأخبار؟ و الذي يقوي تلك المخاوف وجود الاختلاف الشديد فيما نقل إلينا من النزر اليسير من أخبار جهاد أمير المؤمنين، وقد حرّفت بعض هذه الأخبار بنحو من الأنحاء، فكيف يحرّف خبر مبارزة علي عليه السلام لمرحب، وجعلها محاربة محمد بن مسلمة مع مرحب[1]، ولماذا لم يدخل المحققون في تفاصيل مطولة في نظائر هذا الاختلاف، ويمرون على ما يعكس شجاعة أمير المؤمنين وبطولته مرَّ الكرام. ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي : اعلم يا علي إنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمّر عليهم اسمه إيليا، فإذا لقيتهم فقل أنا علي، فلماذا يلقى هذا القطب الذي دارت عليه رحى هذه المعارك وكان هلاك اليهود على يديه كل ذلك الإعراض والهجر القاسي وكتمت بطولاته وأخفي جهاده، وكما ذكرنا في معركة الأحزاب، فإنهم قد ضعفوا من دوره ولم يسلطوا عليه الأضواء، ألم يئن لمحققي العامة أن يسلكوا جادة الإنصاف ويتركوا الظلم الذي ارتكبه اليهود والمحققون المسلمون يتعسفون منه، وهم يظلمون أمير المؤمنين بنفس الطريقة.

ألا يسأل أحد أين كان محمّد بن مسلمة و لِمَ لايُسمع بشجاعته وبطولته في شيء من المعارك؟، صحيح إنه كانت له روابط حميمة سابقة مع اليهود وله صلة برؤسائهم ويتكلم بلغتهم وكان يبلغهم رسائل الرسول صلى الله عليه وآله وكان يتردد بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وآله حتى إحتمل البعض أنه كان يهودياً، ولكن ليس له تلك الشجاعة والبطولة التي يقابل بها مرحب المعروف بأنه كان يجدّل الأبطال

وفي البحار: ٣٥: ٢٧٥و في كتاب الروضة: ٣٠عن الفضائل لابن شاذان: ١٥٢و١٥٩ بالإسناد يرفعه إلى عمر بن الخطاب أنه قال: أعطي علي بن أبي طالب خمس خصال لو كان لي واحدة لكان أحبّ إليّ من الدنيا و الآخرة، قالوا و ما هي يا عمر، قال: الأولى تزويجه بفاطمة عليها السلام، و فتح بابه إلى المسجد حين سدت أبوابنا و إنقضاض النجم في حجرته، و يوم خيبر، و قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأعطين الرأية غداً رجلاً يحب الله و رسوله ويحبه الله و رسوله، يفتح الله على يده، والله لقد كنت أرجوأن يكون لي ذلك (ناسخ ج١ص١٢٧م)

(١) مثل ما ورد في سيرة إبن إسحاق :٤٧٥وفي سيرة إبن هشام٣: ٢٤١.

أويقتلهم و قيل يعادل بالألف، فلو كان مسلمة بهذا الحدّ من الشجاعة لما صبر رسول الله حتى الغد او لأعطى الراية اليه مكان عليّ، هنا يتيقن كل محقق بوجود حلقات فارغة، وأمور مسكوت عنها يجب إفشاؤها.

ومن قبسات العدالة الإسلامية التي تجلت عندما فتحت خيبر وإنكسر اليهود وأصابهم الهوان فإن بعض المسلمين الطامعين تزيوا بزي الفاتحين وصاروا بصدد الاعتداء والتعدي، فصاروا يدخلون مزارع اليهود التي صولحوا عليها، فشكا اليهود ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وآله فطلب الرسول عبد الرحمن بن عوف وأمره بجمع الناس، فلما اجتمعوا وقف رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم وبعد ما حمد الله وأثنى عليه قال: ما بال اليهود شكوا أنكم أسرعتم في حظائرهم، ألا لا يحل أموال المعاهدين بغير حقها. فلم يأخذ المسلمون بعد ذلك من اليهود شيئاً بغير إذن[١].

والقصة الأخرى أنه جاء في غنائم خيبر أن رجلاً من أشجع توفي (رُمِي)، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إذهبوا فصلّوا عليه(يعني أنه لايريد الصلاة عليه) فتعجب الأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن صاحبكم غلّ في سبيل الله فوجدوا في متاعه خرزاً من خرز اليهود لا يسوى درهمين»[٢].

زواج الرسول صلى الله عليه وآله بصفية بنت حيي بن أخطب

علمنا أن صفية التي كانت قد التجأت إلى قلعة نزار وقعت في أسر المسلمين، وهي زوجة كنانة بن أبي الحقيق، وكانت قبله عند سلام بن مشكم، وكانت حديثة عهد بالعرس، فأُسرت، وصارت ملكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله فأقرها الرسول صلى الله عليه وآله على دينها، ولكنها اختارت الإسلام، فلما اسلمت أعتقها رسول الله ثم عقد عليها، وبذلك صارت زوجة الرسول ومن أمهات المؤمنين.

---

(١) المغازي٢: ٦٩١.، موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٥٥.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي٣: ٥١، ونادى مناديه :أدوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار وشنار ونار يوم القيامة. ومثله في سيرة ابن اسحاق :٤٨٩.

وكان علي عليه السلام قد أسرها هي وابنة عمها، وأودعهما عند عمار بن ياسر، وأوصاه بأن يوصلهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكأنه كان يعلم الأمر، فمرّ بهما عمار على القتلى، فلما وقع بصر صفية على القتلى من قرابتها فكادت أن تذهب روحها جزعاً، فقال له رسول الله : انزعت منك الرحمة يا عمار و رأى دحية الكلبي هذه المرأة فطلبها، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله أعطاه ابنة عمها وأبقاها لنفسه[1].

فما قاله بعض المؤلفين من أنها كانت في سهم دحية الكلبي ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله قد حرمه منها، عار من الصحة، ولعل هذا الكلام وأمثاله يجعل البعض يفكر أن الرسول صلى الله عليه وآله كان شهوانياً، وليس من المناسب أن ينسب مثل ذلك إلى الأنبياء، أو يظن فيهم ذلك، فإنه ذنب لا يغتفر.

هذه أقلام بعض العامة الذين لا يتورعون عن نسبة شيء إليه، والسبب في ذلك يرجع إلى عدم اعتقادهم بعصمة الرسول في كل الأمور، فيجد المستشرقون المتصيدون لنقاط الضعف ضالتهم في أمثال ذلك لينفثوا سمومهم، ويعثون فساداً ولا يتم الجواب عن تلك الإشكالات والإعتراضات بدون أخذ مقام النبوة بنظر الإعتبار، ومع ذلك يمكننا أن نضيف إلى ذلك أن ذلك كان متداولاً في حروب العرب والعجم وأنه إذا تغلب أحد الطرفين المتحاربين، يتزوج رئيس الجيش زوجة الحاكم المغلوب أو إبنته، ويجعلونه علامة على الغلبة والنصر الساحق، فكان من المناسب أن يتزوج الرسول صلى الله عليه وآله إحدى بنات اليهود لتتجلى غلبة المسلمين على اليهود وتخلد في الأذهان.

ولما كان حيي بن أخطب هو رئيس القبيلة وقد قتل في غزوة بني قريظة، فكانت ابنته هي الانتخاب المناسب لأن تكون زوجة قائد جيش الإسلام وخصوصاً وأن زوجها هو واحد من رؤساء اليهود وممن قتل في هذه المعركة.

ومع الالتفات إلى شخصية الرسول العظيمة، فكان زواجها منه شرفاً ومفخرة لها قد رفع بها من حضيض الهوان إلى أوج العزة والشرف.

والظريف أن بعض نساء الرسول صلى الله عليه وآله (حفصة وعائشة) كانتا تؤذيان صفية

---

(١) سيرة ابن اسحاق:٤٨٠- طالعنا في أحوال الرسول صلى الله عليه وآله أن ازواجه كانت معينة من قبل اي الأزل.

وتشتمانها وتقولان لها: يا بنت اليهودية، فشكتهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: قولي لهما :إن جدي هارون وعمي موسى بن عمران، فمن جدكما[١].

زينب أخت مرحب

عندما أراد رسول الله الرجوع من خيبر، جاءت زينب بنت الحارث اخت مرحب وزوجة سلام بن مشكم إلى الرسول في طريق عودته وأعلنت إسلامها، وقد أعدت لرسول الله صلى الله عليه وآله شاة مصلية، فأجابها الرسول ومن معه ومن جملتهم بشر بن براء، فبادر بشر فنهش قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما نهش رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره ذراع الشاة بأنه مسموم، فألقى اللقمة من فمه.

وعدت كتب السيرة هذه من معلجز الرسول، بعنوان «تكلم الذراع المسموم» فمات براء لوقته، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله اثر فيه السم على الرغم من أنه ألقى اللقمة من فمه، وبقى أثرها إلى أن فارق الدنيا، وقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله طلب تلك المرأة وسألها عما أخبره به الذراع، فاعترفت واعتذرت وقالت: بأني قلت في نفسي إن هذا قد قتل قومنا فإذا كان نبيا فإن الله سيطلعه على ذلك، وإن لم يكن نبياً وكان يريد الترؤس علينا، أرحت الناس منه، فقد علمت الآن أتك نبي وأنا أتوب، فعفا عنها الرسول صلى الله عليه وآله.

وقد جاء نظير هذا الجواب في موضع آخر، تقدم الكلام عنه في رجوع النبي من معركة بدر، ولذا حصل خلط بين هذين الخبرين لأجل التشابه بين الواقعتين.

وقال بعض المحققين: إن عمل أُخت مرحب كان بتحريك عظماء اليهود[٢].

---

(١) إمتاع الأسماع ١: ٣٢١، المغازي ١: ١٣٧، وج ٢: ٧٥.

(٢) سيرة ابن اسحاق: ٤٧٩و سيرة ابن هشام٣: ٢٤٤، المغازي ٢: ٣٣٧، وفي كتاب العنصرية اليهودية ٢: ٤٧٦: لقد كشف الدكتور منير العجلاني رئيس تحرير المجلة العربية السورية عن وثيقة ارمنية مخطوطة في دار الكتب الوطنية في باريس جاء فيها :يقال :ان الأمة اليهودية تحسد أمة النصاري ولما جاء محمّد وعظم أمره، إجتمع روساء اليهود وقالوا في أنفسهم :لنضمّه إلينا بان نزود بأحكام ديننا فينشروها بين الناس وبذلك نتغلب على النصارى وأناجيلهم، ولكن المسلمين الذين إنتصروا

وينكر بعض المحققين تسمم النبي في هذه الواقعة، ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وآله لم يأكل منه حتى يتسمم، ولكنه سقي السم في آخر عمره الشريف بيد امرأة أخرى ممن حوله، وبذلك فارق الدنيا مسموماً[1].

عودة جعفر بن أبي طالب من الحبشة

حدث أمر آخر إلى جانب فتح خيبر، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله زخماً وأهمية كبرى، لا بأس بالإشارة إليه، وهو وصول جعفر بن أبي طالب عليه السلام إلى المدينة، فلما أُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله برجوع جعفر من الحبشة فرح كثيراً وقال: «ما أدري بأيهما أسرّ بفتح خيبر أو بقدوم جفعر» واستقبله رسول الله وقبّل بين عينيه[2].

على أعدائهم وفتحوا الفتوحات العظيمة لم يكترثوا لليهود ولم يقيموا لهم وزنا، بل إضطروا أحيانا الى قتالهم فعاد روساءاليهود الى الإجتماع والتفكير في أسلوب يتخلصون به من محمّد ....فاختاروا من نسائهم فتاة جميلة وقالوا لها يجب عليك أن تدعي محمداً إلى وليمةٍ وتقتله، ففعلت المراة ما أمرها الروساء به، (البيهقي دلائل النبوة تعليق د/ عبد المعطي قلعجي ج٤ص٢٥٨ نقلا عن منير العجلاني) وجاء في إحياء الموتى المخطوط: وحول هذا الأمر يفاخرالشاعراليهودي الأندلسي يوسف بن شوئيل بن النغربلة بهذه الفعلة الشنيعة (سم الرسول) حيث يقول :

ونبيا من هاشم قد سممنا خر من أكله الذراع طريحا

(أنظر أبن سعيد المغرب في حلي المغرب ج٢ ص١١٥)

لقد أحس الرسول صلى الله عليه وآله بأثر ذلك السم في مرضه الذي توفي فيه قال:"ما زال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان إنقطاع أبهري من ذلك السم .

وفي كلام أمير المؤمنين ليهودي "بأن الله سلم أثر ذلك السم في جوفه صلى الله عليه وآله كما سلم النار لإبراهيم النبي عليه السلام ". ولاحظ كرامة الرسول عليه السلام العفو عن هذه المرأة زينب.

(١) هل أغتيل النبي محمّد، لنجاح الطائي: ١٥٢.

(٢) البحار ٢١: ٢٣ وروى الطبرسي عن أبان، عن زراره عن الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله قبل أن يسير إلى خيبر أرسل عمروبن أمية الضمري إلى النجاشي عظيم الحبشة وأمر عمروا أن يقدم عليه بجعفر و أصحابه .فجهز النجاشي جعفرا وأصحابه بجهاز حسن وأمر لهم بكسوة وحملهم في

ومن الواضح فإن أهل البصائر الذين لا يقيسون أفعال رسول الله صلى الله عليه وآله على أفعالهم، يجب أن يعلموا أن من كان حبه لله وبغضه لله في أكمل صورة أعني النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، لا يقاس على شيء، ومن ناحية فإن فتح خيبر بماله من الأهمية البالغة في مجال تعالي الإسلام وإقتدار المسلمين وقصم ظهر الكفار ويأس اليهود وقريش وسائر أعداء الإسلام، كم له من الفرحة، ويتضح من خلال ذلك مقدار فرحة النبي بملاقاة جعفر وسببها بحيث قايسها بفتح خيبر: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ هل إن الداعي إلى تلك الفرحة هو مجرد القرابة، أو سلامة جعفر بعد سفر بعيد الشقة؟ أو جهاده الذي سيكون في المستقبل.؟

وكما بيّنا سابقاً فإن أخبار المورخين حول الهجرة إلى الحبشة قليلة، وليس هناك أخبار دقيقة عن تحركات جعفر وأعماله وتبليغه في ذلك الوسط المسيحي، وجعفر هذا هو ابن أبي طالب وأخو أمير المؤمنين عليه السلام، ومن المدافعين المتحمسين عن النبي صلى الله عليه وآله وقد تغرب حيناً وهاجر مرتين فسمي صاحب الهجرتين، كانت الأولى إلى الحبشة استطاع بما يحفظه من آيات القرآن وبما أبداه من الشجاعة والشهامة الفائقة وبما يمتلكه من فصاحة اللسان وقوة البيان المعروفة لهذه الشجرة الطيبة والمزروعة في خلدها، أن يكسب ودّ النصارى ويظل بينهم فترة طويلة عزيزاً مرفوع الرأس، و بالتالي يعمل بين النصارى مثل ما عمله الرسول صلى الله عليه وآله بين اليهود وقريش، يعني تبليغ الإسلام والتعريف بالرسالة المحمدية، فكم كانت خدمات جعفر للإسلام في الحبشة، نحن لا نعلم ذلك ويعلمه الرسول.

و من ناحية أخرى منزلة جعفر العرفانية، فإن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد أن يتحفه بشيء ثمين، أتحفه بصلاة خاصة عُرفت بصلاة جعفر، ليبرهن على لياقته للرقي إلى أعلى الدرجات الإنسانية أعني درجة العبودية، وتتضح منزلته ومقامه

سفينتين، فلما فتح رسول الله خيبر، أتاه بشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة، فقال: ما أدري بأيهما أسرّ، بفتح خيبر أو بقدوم جعفر ! وعن سفياني : فقبّل ما بين عينيه .

الشامخ أكثر، إذا لاحظنا ما قاله رسول الله فيه بعد إستشهاده، قال: إن جعفر يطير بجناحين من الياقوت في الجنة، وهذا يعني تمكن جعفر من بلوغ أي مقام ومرتبة في الجنة، ويزيده شرفاً بالإضافة إلى جميع ذلك إستشهاد أولاده في واقعة كربلاء، وهم أفضل شهداء العالم، فلماذا لا يفرح الرسول ويبتهج بملاقاة جعفر كما فرح بفتح خيبر.

هذا وقد صحب جعفرثلاثون أُسقف مسيحي بأمرالنجاشي للتحقيق حول الإسلام و المبعوث به، فرجعوا إلى الحبشة وهم مسلمون[١].

فإذا كان فتح خيبر يعني الظفر على اليهود، فإن رجوع جعفر سالماً وموفقاً يعني الظفر على المسيحيين.

ردّ الشّمس

الحدث الآخر الذي زامن هذا السفر وقد نقلته مصادر العامة أيضاً ذلك الحدث الذي يلفت الأنظار حقاً وهو رجوع الشمس لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وهي من الآيات التي تُعرّف الصراط المستقيم للناس و تريهم مصداق قوله تعالى: ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾[٢].

وفي منصرف النبي من فتح خيبر وفي منزل الصهباء، روت أسماء بنت عميس : إن النبي صلى الله عليه وآله بعد صلاة العصر استلقى ورأسه في حجر عليّ عليه السلام وهو لم يصل العصر فاعترت النبي حالة الوحي فلم يوقظه عليٌّ ولم يضع رأسه من حجره ليصلي العصر حتى غربت الشمس، واستيقظ النبي وكان يعلم أن علياً لم يكن يصلي العصر، فقال له: أصليت يا علي ؟قال له: لا، فجعل النبي يدعوا: اللهم إنه «عليّا » كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس، قالت أسماء :فرأيتها طلعت بعد ما غربت حتى وقعت على الجبل والارض حتى ادى عليٌّ صلاته،

---

(١) سيرة ابن إسحاق: ٤٩٤.

(٢) الفتح :٢٠.

فغربت، فقال حسان بن ثابت في ذلك :إن علي بن ابيطالب ردَّت له الشمس من المغرب .....[١].

ولعل من الصعب جداً قبول مثل ذلك الخبربالنسبة لإنسان اليوم، المغمور بالعلوم الحديثة الحاكية عن وجود نظم دقيق في هذا العالم وثوابت لا تتغير، ويثير التساؤل، فليس هناك طريق لقبوله سوى الإعتماد على رواية الرواة الصادقين والأحاديث المعتبرة. ولا يكون مثل ذلك إلا لشخص معين وفي زمان معين، تذكر ذلك أحاديثنا، وتذكر آثار أهل الكتاب نظيره ليوشع وصي موسى الكليم عليه السلام فكما رجعت الشمس ليوشع مرتين[٢]، رجعت لأمير المؤمنين وصي النبي الخاتم عليه السلام مرتين أيضاً.

طوائف اليهود وصلح خيبر

يظهر من المصادر التاريخية أن النبي بالإضافة إلى عقد معاهدة صلح مع قلاع كتيبة الثلاث، كذلك أمضى معاهدات مع قبائل يهودية أخرى، والمتوقع أنه جدد تلك المعاهدات بعد ذلك الصلح الإبتدائي في السنين اللاحقة، وقد أعطى خيبر امتيازات أكثر، فقد أورد البلاذري نص كتاب النبي صلى الله عليه وآله حول طائفة حُنينة أو

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٦٤و٦٥. أقول: خبر ردّ الشمس لعلي بن ابيطالب :وقد حقق العلامة الاميني حول هذه الرواية في كتابه القيم «الغدير». ونقل هذا الخبر في المناقب للامام أميرالمؤمنين للحافظ محمد بن سليمان الكوفي القاضي من علماء القرن الثالث مجلد ٢ص٥١٦، و أيضا في تاريخ الدمشق ج٢ ص٢٨٣ تا ٣٠٦ وقد الّف إبن مردويه والحافظ الحسكاني حول هذا الخبر كتابين مستقلين، وقد ذكر عبدالرحمن خويلد في «كتاب المساجد»، أن هذه الحادثة قد وقع في المسجد الفضيح وقد اعتمد على شهرته، ولعله قد حدث للامام عليه السلام مرتين . وقد ورد في بصائر الدرجات تلك القضيتين ١: ٦٨ إيضاً .

(٢) العهد القديم، كتاب يشوع إبن نون، الاصحاح العاشر:١٢ و١٣: حينئذ كلّم يوشع الرب وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيّلون، فدامت الشمس ووقف القمر.وفي حِكَم يشوع بن سيرا حول يوشع النبي يقول :"ألم تتوقف الشمس بأمره عن الحركة وظلت يوماً أو يومين على ذلك الحال ؟ (كتابهائي از عهد عتيق، قانوني ثاني :٥٨٨).وفي باب ٣٨ من كتاب أشعيا من العهد القديم ص ٣٦٩ الترجمة

حبيبة وأهل مقنا وقد أمنهم الرسول، جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم .من محمد رسول الله الى بني(جنبة)حنينة والى اهل مَقنا، اما بعد(سلام انتم) فانه أنزل عليّ آيتكم راجعين الى قريتكم . فاذا جاءكم كتابي هذا فإنكم آمنون لكم ذمة الله وذمة رسوله، وانّ رسول الله (رسوله غافرلكم سيّئاتكم وكلّ ذنوبكم)، قد غفر لكم ذنوبكم وكل دم اتبعتم به، لا شريك لكم في قريتكم الا رسول الله او رسول رسول الله، وانه لا ظلم عليكم ولا عدوان .وان رسول الله ﷺ يجيركم مما يجير منه نفسه، فان لرسول الله برّكم ورقيقكم والكراع والحَلَقة الا ما عفا عنه رسولُ الله او رسولُ رسول الله، وإن عليكم بعد ذلك رُبع ما اخرجت نخيلكم وربع ما صادت عُروككم، و ربع ما اغتزل نساءكم وإنكم قد برئتم بعد ذلك (و رفعكم رسول الله)عن كل جزية وسخرة، فان سمعتم وأطعتم فإن على رسول الله أن يُكرم كريمكم ويعفو عن مُسيئكم [ومن ائتمر في بني حبيبة "حنينة "واهل مقنا من المسلمين خيرا فهو خير له]ومن أطلعهم بشرّ فهو شرٌّ له وأن ليس عليكم اميرٌ الا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله [وكتب عليُّ بن ابوطالب في سنة تسع][1].

وينقل شبيه هذا النص من طريق آخر غير البلاذري نقل من مكتوبٍ كتب باللغة العربية ولكن بالخط العبري دخل فيها اهل خيبر: "بسم الله الرحمن الرحيم،

هذا كتاب من محمّد رسول الله لحنينا و لاهل خيبر و المقنا و لذراريهم، ما دامت السماوات على الارض، سلام انتم انني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو .اما بعد : فانه انزل على الوحي انكم راجعون الى قراكم وسكنى دياركم، فارجعوا آمنين بامان الله وأمان رسوله ولكم ذمة الله وذمة رسوله على انفسكم ودينكم واموالكم ورقيقكم وكل ما ملكت ايمانكم .وليس عليكم اداء جزية ولا تجر لكم ناصية، ولا يطا ارضكم جيش ولا تحشدون ولا تحشرون ولا تعشرون ولا تظلمون ولا يجعل احد عليكم رسماً ولا تمنعون من لباس المشققات والملوّنات، ولا من ركوب الخيل ولباس اصناف السلاح. ومن قتلكم فقاتلوه ومن قتل في حربكم فلا يقاد به احد منكم ولا له دية، ومن قتل منكم احد المسلمين تعمدا فحكمه حكم المسلمين، ولا يفتري عليكم بالفحشاء ولا تنزلون منزلة اهل الذمة، وان استعنتم تعانون وان استرفدتم ترفدون، ولا تطالبون ببيضاء ولا صفراء ولا سمراء ولا كراع ولا حلقه ولا شدّ الكشتيز ولا

---

(١) فتوح البلدان: ٧١، ٧٢ وفي الوثائق: ص ٣٦و٣٧ بتفاوت يسير.

لباس المشهرات، ولا يقطع لكم شسع نعل ولا تمنعون دخول المساجد ولا تحجبون عن ولاة المسلمين ولا يولي عليكم وال الا منكم او من اهل بيت رسول الله، ويوسع لجنائزكم الا (الى) أن تصير الى موضع الحق اليقين. وتكرموا لكرامتكم ولكرامة صفية إبنة عمّكم .وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين ان تكرم كريمكم ويعفو عن مسيئكم .

ومن سافر منكم وهو في أمان الله وامان رسوله .ولا اكراه في الدين ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربع ما امر به رسول الله لاهل بيته تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون دينارا .ذلك بفضل مني عليكم وعلى اهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذاالكتاب .فمن أطلع لحُنينا واهل خيبر والمقنا بخير فهو اخير له ومن طلع لهم بشر فهو شرله . ومن قرء كتابي هذا أو قرئ عليه وغيّر او خالف شيئا بما فيه فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من الملائكة والناس اجمعين، وهو برئ من ذمتي وشفاعتي يوم القيامة وأنا خصمه، ومن خصمني فقد خصم الله ومن خصم الله فهو في النار ....وبئس المصير .

شهد الله الذي لا اله الا هو وكفى به شهيدا وملائكته و حملة عرشه ومن حضر من المسلمين . وكتب عليّ بن ابو طالب بخطه ورسول الله يملي عليه حرفا حرفا يوم الجمعة لثلاث ليال خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة .شهد عمار بن ياسر و سلمان الفارسي مولى رسول الله وأبو ذرالغفاري[1].

ويظهر من مقايسة نصي المعاهدة، وجود إرتباط بينهما ولكن تاريخ كتابة الأولى السنة التاسعة للهجرة، و الثانية في السنة الخامسة للهجرة، وكلاهما بخط علي بن ابو طالب عليه السلام، ولا يبعد منح الرسول صلى الله عليه وآله أهل مقنا أماناً قبل سنتين من فتح خيبر، ولذلك لم يذكر مشاركتهم في غزوة خيبر، ولعل ديارهم في أمان وقد مُدّد هذا العهد في السنة التاسعة[2]. ويحتمل عقد الرسول صلى الله عليه وآله بعض

---

(١) الوثائق :٣٦و٣٧.

(٢) العلاقات:٣٧٢- اشارت بعض المصادر التاريخية الى معاهدة كتبت بين الرسول وبين بعض طوائف اليهود بما فيهم يهود خيبر، وقد وصلت الينا وثيقة تاريخية في هذا الصدد من مصدرين فيهما

المعاهدات، بعد السنة السابعة مع أهالي خيبر وبعض الطوائف الأخرى، لوحظ فيها مكان صفية أم المؤمنين ولأجل منح اليهود امتيازات كثيرة في هذا العهد.

يرى البعض أنه موضوع وقد ذكروا لذلك قرائن وشواهد. يمكن القول بأن احدى القرائن هي أن المعاهدة الثانية كتبت في سنة خمس من الهجرة فكيف يلاحظ فيها شأن صفية والحال أنها لم تكن في سنة خمس زوجة رسول الله و المتيقن أنها دخلت تحت حبالة النبي بعد غزوة خيبر وهذا الاشكال لاينحل الاّبإصلاح تاريخ الوثيقة او القول بالوضع او التصرف فيها .

بعض الاختلاف والمصدر الأول الذي أورد المعاهدة هو البلاذري الذي أورد الوثيقة على صيغة أمان موجّه من الرسول ﷺ إلى حبيبة (الصواب حنينة)وأهل مقنا ....

ووردت المعاهدة من مصدر آخر غير البلاذري، حيث إكتشف نص معاهدة مكتوب بالخط العبراني واللغة العربية في مخطوطة عثر عليها في إحدى المقابر اليهودية في مدينة الفسطاط بمصر، وهي الآن في جامعة كمبريج .قد نشر لها هيرشفلد صورة شمسية في بعض مقالاته ونقلها الدكتور حميد الله إلى العربية وقابلها بما ورد بالمصادر الاسلامية ونثبتها هنا نقلا عنه .

الكلام الثاني

يهود فدك

فدك قرية قريبة من خيبر فيها ماء وفير ونخل كثير ويقال لها خويط أيضاً، قال الزجاجي: فدك اسم ولد حام وكان أول من سكنها[١]، واغلب سكانها من بني مرة، ويستفاد من الأخبار أن فدك مجموعة من القرى تشغل مساحة واسعة.

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله محيصة بن مسعود الأنصاري إلى أهل فدك ليدعوهم إلى الإسلام ويتعرف أخبارهم، وكان رئيسهم آنذاك يوشع بن نون اليهودي، فلما سمع بخبر صلح خيبر، أرسل جماعة إلى رسول الله كي يتصالح معه حول فدك، ولكن لم يُعلم زمان ذلك الصلح ولا زمان مجيء تلك الجماعة[٢].

ولا يعلم سوى أن فدك صالحت رسول الله على نصف المحصول، وبذلك أقرّهم رسول الله صلى الله عليه وآله على البقاء هم ونساؤهم وأولادهم في مساكنهم على أن يعملوا في الحقول والمزارع.

قال إبن إسحاق: وكان محيصة بن مسعود يتردد بين فدك والرسول.

وجاء في كتاب الناسخ: لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر بعث محيصة إلى أهل فدك ليكلمهم ويدعوهم إلى الإسلام، فردوا عليه، وقالوا إن قبائل مرحب: عامر وياسر وسيد مع عشرة آلاف مقاتل في قلعة نطاة، كيف يتغلب محمد عليهم، فلما مرت أيام ووصلهم خبر سقوط خيبر، صار أهالي فدك بصدد المهادنة، فجاء نون بن يوشع مع وفد إلى الرسول، فأراهم الرسول مفاتيح أبواب الحصون التي أتاه بها جبرئيل، فاضطروا إلى الصلح، فكتب علي عليه السلام كتاب الصلح[٣].

نقل الطبرسي في كتاب إعلام الورى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر عقد لواء، ثم قال: من يقوم إليه فيأخذه بحقه؟ وهو يريد

---

(١) ياقوت الحموي ٦: ٣٤٥، الطبقات لابن سعد ٢: ١١٩.

(٢) فتوح البلدان: ٤٢.

(٣) ناسخ التواريخ ١: ١٢٧.

أن يبعث به إلى حوائط فدك، فقام الزبير إليه فقال: أنا، فقال: أمط عنه، ثم قام إليه سعد، فقال: أمط عنه، ثم قال: يا علي قم إليه فخذه، فبعث به إلى فدك[١].

ومع الالتفات إلى هذين الخبرين يمكننا أن نستنبط أن محيصة كان يتردد بين خيبر والرسول قبل فتح خيبر، وإنما بعث الرسول صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم بعد فتح خيبر، وقد ختمت بالصلح من دون قتال، وبعث يوشع بن نون جماعة على أثر ذلك إلى الرسول ليكتبوا العهد.

وجاء في الرواية المذكورة، أن علياً عليه السلام كلّم أهل فدك وعرض عليهم الإسلام، فصالحوه على أن يحقن دماءهم فكانت حوائط فدك لرسول الله خاصاً خالصاً، فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه، فقال رسول الله: يا جبرئيل ومن قرباي وما حقها ؟ قال: فاطمة فأعطها حوائط فدك وما لله ولرسوله فيها، فدعا رسول الله فاطمة وكتب لها كتاباً، واشهد عليها شهوداً وذاك الذي جاءت به بعد موت أبيها إلى أبي بكر وقالت: هذا كتاب رسول الله لي ولإبنَيَّ.

ونقل في الخرائج ١: ١١٢، رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في غزاة، فلما انصرف راجعاً نزل في بعض الطريق، فبينما رسول الله يطعم والناس معه إذ أتاه جبرئيل، فقال: يا محمد قم فاركب، فقام النبي صلى الله عليه وآله فركب وجبرئيل معه، فطويت له الأرض كطي الثوب حتى انتهى إلى فدك، فلما سمع أهل فدك وقع الخيل ظنوا أن عدوهم قد جاءهم، فغلقوا أبواب المدينة ودفعوا المفاتيح إلى عجوز لهم في بيت لهم خارج من المدينة، ولحقوا برؤس الجبال، فأتى جبرئيل العجوز حتى أخذ المفاتيح، ثم فتح أبواب المدينة ودارالنبي صلى الله عليه وآله في بيوتها وقرارها، فقال جبرئيل، يا محمد، هذا ما خصك الله به واعطاكه دون الناس، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾[٢].

---

(١) البحار ٢١: ٢٣، إعلام الورى ١: ١٠٨و١٠٩.

(٢) سورة الحشر: ٩ والرواية في البحار ١٧ : ٣٧٨وفي مجمع النورين شيخ ابوالحسن مرندي:١١٧

وفي قوله ﴿ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ انه لم يعرف المسلمون ولم يطؤوها، ولكن الله أفاءها على رسوله، وطوف به جبرئيل في دورها وحيطانها، ودفع المفاتيح إليه، فجعلها رسول الله صلى الله عليه وآله في غلاف سيفه وهو معلق بالرحل ثم ركب، وطويت له الأرض كطي الثوب، ثم أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهم على مجالسهم ولم يتفرقوا ولم يبرحوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد انتهيت إلى فدك، وإني قد أفاءها الله عليّ، فغمز المنافقون بعضهم بعضاً، فقال رسول الله: هذه مفاتيح فدك، ثم اخرج من غلاف سيفه، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وآله وركب معه الناس، فلما دخل المدينة دخل على فاطمة عليها السلام فقال: يا بنية، إن الله قد أفاء على أبيك واختصه بها، فهي له خاصة دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء، وإنه كان لأُمك خديجة على أبيك مهر، وإن أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحلتكها لك ولولدك بعدك، قال: فدعا بأديم ودعا علي بن أبي طالب فقال: اكتب لفاطمة عليها السلام بفدك نحلة من رسول الله، فشهد على ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام ومولى لرسول الله وأُم أيمن، فقال رسول الله: إن أُم أيمن امرأة من أهل الجنة، وجاء أهل فدك إلى النبي، فقاطعهم على أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة[1].

وجاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما لي من كل ما أظلته السماء إلا فدك وقد نحلتها فاطمة.

ونحن نعلم أنّ سهماً من الخمس لرسول الله، وقد ورّثه لفاطمة عليها السلام.

والنتيجة أن فدك وخمس خيبر يكون لعلي وأولاده بعد فاطمة عليها السلام[2].

---

(١) الخرائج ١: ١٦٠، البحار٩٠: ٤٧، من المناسب أن نشير إلى نكتة ظريفة حول معنى كلمة الفيء الواردة في الآية، فإن الفيء هو الرجوع، وقد كانت الأرض لآدم وتحت يده لأنه خليفة الله في الأرض، ومن بعده للمصطفين من عباد الله وقد غصبها الظالمون إلى زمان الرسول صلى الله عليه وآله فأعيد بعضها بحد السيف والبعض الآخر من دون أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب، كما جاء في رسالة المحكم والمتشابه لسيد المرتضى من تفسير النعماني (جامع الاحاديث الشيعة ٨: ٦٠٨)

(٢) قال الدكتور شوقي: "ولما طلبت فاطمة وازواج النبي والعباس نصيبهم من ذلك وسألوا الصديق أن يسلمه اليهم، ذكر قول رسول الله :«لانورث، ما تركنا صدقة » وقال :« أنا أعول من كان يعول

ونقل في مجموعة الوثائق كتابين عن رسول الله يذكر فيهما أسامي من له سهم في خراج خيبر وقمحها ومقدار سهامهم[١]، وهو لا ينافي سهم الرسول من خمس خيبر، وهو مختص بالزهراء المرضية .

والذي يجدر بالإشارة أن فدك منطقة واسعة ومجموعة من القرى المختلفة والقبائل المختلفة، اختلف على أساسها الوقائع المنقولة بإسم فدك، وكل واحد يرتبط ببعض تلك القرى.

رسول الله، والله لقرابة رسول الله أحب الي أن أصل من قرابتي .» وصدق رضي الله عنه وأرضاه فإنه البار الراشد في ذلك التابع للحق!! . وطلب العباس وعليّ على لسان فاطمة، إذ قد فاتهم الميراث، أن ينظرا في هذه الصدقة وأن يصرفا ذلك في المصارف التي كان النبي يصرفها فيها، فأبي عليهم الصديق ذلك ورأى أن حقا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وألا يخرج من مسلكه ولا عن سننه، فتغضب فاطمة رضي الله عنها عليه في ذلك ووجدت في نفسها بعض المؤجدة، ولم يكن لها ذلك، والصدّيق من قد عرفت هي والمسلمون محلّه ومنزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وقيامه في نصرة النبي في حياته وبعد وفاته."(غزوة خيبر للدكتور شوقي: ٧٦، ٧٧). أنظروا كلام هذا الدكتور لتعلموا أن معرفة أهل بيت النبي نور يقذفه الله في قلب من يشاء، ولا يعلم شوقي أن أهل البيت أدرى بما في البيت وأنما يعرف القرآن من خوطب به، ومن يصدّق أن عمر بن الخطاب أعرف بأحكام دين محمد وسنته من فاطمة الزهراء عليها السلام ألا يعلم شوقي أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، ألا يعلم أن فاطمة قال النبي صلى الله عليه وآله فيها :«عالمة غير معلمة»، وهي مصداق آية التطهير وقد أذهب الله عنها الرجس وطهرها وصدقها وأيد عصمتها، فكل من كذبها وأغضبها فهو كذاب أشر.

(٢) الوثائق : ٢٠ و٢٢.

نظرة عابرة على أمر فدك

لما رأيت محققي العامة لم يتعرضوا في نظائر هذه البحوث إلى مسألة فدك إلا مجرد إشارة لا تتجاوز عدة سطور، رأيت من اللازم الوقوف عند هذه الواقعة بالإلتفات إلى الأحاديث والأخبار التاريخية وقفة قصيرة، ونترك التفاصيل للكتب المدونة بهذا الشأن.

مما لا شك فيه عند محققي الشيعة والسنة أن فدك لم يوجف عليها بخيل ولاركاب، وإنما أخذت صلحاً وهي من مختصات الرسول صلى الله عليه وآله.

وكذلك لا شك عند الفريقين أن رسول الله وهب هذا الملك الخاص لإبنته فاطمة الزهراء عليها السلام وأخرجها من ملكه وكتب لها كتاباً وأشهد عليه شهوداً من أهل الجنة عند الطرفين.

والأمرالثالث المتفق عليه عند الطرفين أن حوائط فدك كانت بيد فاطمة مدة حياة الرسول، يعني ثلاث سنين، وقد وكلت بها من يعمل عليها وكانت تستفيد من محصولها[1]. فهنا يأتي السؤال أن المِلك الذي أهداه الرسول في حياته وقد أشهد عليه وكُتب به كتاب ٌبإملاء النبي و خط علي وتم القبض و الإقباض، فصار الى غيره، فهل يبقى والحال هذه على ملك الرسول، أو يكون لمن أُهدي إليه؟

السؤال الآخر: لماذا أخذ أبوبكر هذا الملك وبإصرار عمر من يد فاطمة بنت رسول الله ؟

هل كانت فدك ميراثاً أو فيئاً ؟

هل إن حديث لا نورث صحيح ومعتبر؟

وهل ينطبق على محل البحث؟

ولا شك أن الجواب على تلك الأسئلة في غاية الوضوح، نحيلكم في ذلك إلى الكتب المفصلة ولكن كلام إبن أبي الحديد المعتزلي تحسن ملاحظته في هذا الشأن:

---

(١) كتاب فدك: ١٠٦.

سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم ثم قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة و زحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة وشهود[١].

فياللعجب ألا يعلم مدرس بغداد أن المدعي بفدك ليس هو الزهراء، بل هو أبوبكر لأنها كانت بيدها أكثر من سنتين وتتصرف بحاصلها، ولم يدّع أحد طوال تلك المدة لا أبو بكر ولا غيره، ولذلك فالواجب على أبي بكر أن يقيم البينة على أنها للمسلمين لا للزهراء سلام الله عليها ولكن نجد أن مدرس بغداد يثرثر ويجعل أبا بكر هو المنكر وأنه على تلك المرأة العظيمة أن تقيم الدليل ولا يتجرأ على بيان الحقيقة.

وكل مسلم يعلم أن البينة على المدعي وليست على المنكر، وابوبكر هنا مدعٍ والزهراء تنكر دعواه[٢]، ومع ذلك فإنها أتت بشهود معتبرين وأرتهم كتاب الرسول صلى الله عليه وآله، ولما كانت هي مصداق آية التطهير فكلامها حجة ولا حاجة للبينة،

---

(١) شرح ابن ابي الحديد ١٦: ٢٨٤

(٢) وسائل الشيعة ٢٧: ٢٩٣، باب وجوب الحكم بملكية صاحب اليد : علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن إبن أبي عمير عن عثمان بن عيسى وحماد بن عثمان جميعا عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث فدك أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر :أتحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين قال: لا، قال : فإن كان في يد المسلمين شئ يملكونه أدعيت أنا فيه، من تسأل البينة ؟ قال: إياك كنت أسأل البينة على ما تدعيه على المسلمين قال :فاذا كان في يدي شئ فأدعى فيه المسلمون تسألني البينة على ما في يدي وقد ملكته في حياة رسول الله وبعده ولم تسأل المومنين البيّنة على ما ادعوا عليّ كما سألتني البينة على ما أدعيتُ عليهم إلى أن قال: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنِ ادَّعَى وَ الْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ.الحديث

لأن الله شهد لها بالطهارة والصدق، ولذا رد بعض من جاء بعد أبي بكر فدكاً إلى أولاد فاطمة وكذبوا أبا بكر في الساحة العملية، ولذلك نلفت انظار الشباب الواعي من السنة إلى بطلان الاجتهاد في مقابل النص، فلا يسلموا لكل ما يقال لهم فيفقدوا عقلهم ودينهم وإيمانهم لتقليد الماضين الأعمى، وعليهم مطالعة هذا الحديث بكل دقة والتحقيق في أطرافه.

و جاء في كتاب فدك: أن فدك كانت بيد الزهراء ثلاث سنين، وكان فيها من يعمل لها وأن بساتينها هي منبت، وصافية، ودلال، وحيي، وبرصفة، وعوافة، ومشربة أُم إبراهيم.

أُعيدت فدك على يد عمر بن عبد العزيز إلى الإمام الباقر عليه السلام لمدة أربعين يوماً، ثم ردت ملكيتها وظلت في يده.

ثم استولى عليها يزيد بن عبد الملك.

ثم ردها السفاح واسترجعها المنصور.

ثم اعطاها المهدي واستعادها الهادي.

وأعطاها المأمون وأخذها غيره.

وردها الواثق وأخذها غيره.

وأعطاها المستنصر واستردها غيره.

وأرجعها المعتضد وأخذها غيره .

وبعد ذلك سلمها الخليفة الراضي[1].

سعة فدك

هذا البحث إشارة إلى استفادتي الشخصية من أحاديث أهل البيت عليهم السلام وهو بحاجة إلى تحقيق أكثر، وإلى فتح باب قد تنفتح منه أبواب أُخرى.

جاء في كتاب الكافي عن بعض الأصحاب(السياري) عن علي بن أسباط أنه لما ورد أبو الحسن موسى على المهدي رءاه يرد المظالم فقال يا امير المومنين ما بال مظلمتنا لا

---

(١)كتاب فدك : ١١٧.

تردّ؟ فقال له وما ذاك يا اباالحسن قال :ان الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه فدكاً وما والاها، لم يوجف عليه خيل ولا ركاب فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿ **وآت ذى القربى حقه** ﴾، فلم يدر رسول الله من هم فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل الى الله فأوحى الله اليه ان أدفع فدكا الى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة إن الله أمرني ان أدفع اليك فدكا، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك.

فلم يزل وكلاءها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ولي ابوبكر اخرج عنها وكلائها فاتته فسألته ان يردها عليها، فقال لها: إيتيني باسود او احمر يشهد لك بذلك، فجائت باميرالمومنين عليه السلام وام ايمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض فخرجت والكتاب معها فلقيها عمرفقال:ما هذا معك يا بنت محمد صلى الله عليه وآله قالت: كتاب كتبه لي ابن ابي قحافه قال: ارنيه فابت فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه، فقال لها :هذا لم يوجف عليه ابوك بخيل ولا ركاب فضعي الحبال في رقابنا.

فقال له المهدي : يا اباالحسن حدّها لي .فقال :حد منها جبل احد، وحدّ منها عرش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل. فقال له: كلٌّ هذا؟ قال:نعم يا امير المومنين، هذا كلُّه، ان هذا كله لم يوجف على اهله رسول الله صلى الله عليه وآله بخيل ولا ركاب . فقال : كثير وأنظر فيه[1].

وفي المناقب: هذا كله هذه الدنيا، فقال عليه السلام :هذا كله في أيدى اليهود بعد موت أبي هاله، فافاءه الله على رسوله بلا خيل ولا ركاب فأمر الله أن يدفعه إلى فاطمة[2].

وينقل عن الداعي الرازي عن أبي سعيد الخدري أن حدود فدك هو مصر، دومة الجندل، جبل أُحد، سيف البحر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله منحها عامتها لفاطمة[3].

---

(١) الكافي ١: ٥٤٣،

(٢) المناقب ٣: ٤٣٥ والبحار ٢٩: ٢٣١

(٣) تبصرة العوام للسيد المرتضى: ٩٥

وفي كتاب أخبار الخلفاء: أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر عليه السلام : خذ فدكاً حتى أردها اليك، فيابى حتى ألح عليه، فقال عليه السلام: لا آخذها إلا بحدودها فقال:وما حدها قال ان حددتها لم تردها .قال بحق جدك إلا جعلت، قال: .....عدن ....والسمرقند.. وافريقيه.....وسيف البحر مما يلي الخزر و أرمينية .

قال الرشيد فلم يبق لنا شي، فتحول الى مجلسي.! قال موسى عليه السلام :قد أعلمتك أنني ان حدّدتها لم تردّها، فعند ذلك عزم على قتله[1].

ولو عدلنا عن أسناد هذه الأحاديث ومتونها، فإن في ذهني سؤال عن أبي هالة المذكورفي رواية المناقب نقلا عن أخبار الخلفا :من هو أبوهالة ؟ هل إنها كنية رئيس من رؤساء اليهود ؟و كيف قُيدت فيها حدود فدك في زمن النبي بموت أبي هالة .

فالمستفاد من الحديث أن القصة قصة مصالحة طويلة وعريضة بين النبي صلى الله عليه وآله وأبي هالة الممثل لجميع اليهود من الجزيرة العربية، رئيس جميع اليهود الساكنين في هذه المناطق، وأنه ترك كل ذلك بيد الرسول صلى الله عليه وآله في مقابل بقاء اليهود في ديارهم والسماح لهم في البقاء في الدولة الإسلامية، ومن الواضح أن تلك المناطق لم يحرر جميعها إلى السنة العاشرة للهجرة، يعني زمن وفات النبي، فهذا يعني توسع رقعة فدك مع توسع حدود الدولة الإسلامية ولذلك فجميع ما كان في يد الرسول إلى ذلك الحين، وكل ما أُخذ بعده من دون أن يوجف عليه بخيل ولاركاب فهو للرسول وفقاً لما جاء في القرآن لانه فئ، وقد وهبه الله له خاصة، فصار ملكاً له لا لاجل نبوته وأن بإعتباره له الولاية فيه حتى يقال بانتقال ولايتها الى مَن بعده من الخلفاء او الحكّام، بل يكون لمن بعده من ورثته لانه مِلك النبي لا مِلك النبوة، وبهذا لا يصح القول بأن الامام موسى بن جعفر عليه السلام في تحديده بهذه الحدود أراد أن يُعلِم بأنه عليه السلام احق من غيره للخلافة على المسلمين فيكون فدك مثالا لهذا الشأن. فالمناطق التي حددها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، هي المناطق التي سكن بها اليهود و صارت بيد المسلمين في عهد هارون الرشيد، فهي متعلقة برسول الله

---

(١) عوالم العلوم ١١: ٤٣٢-٤٣٤.

اولاً ثم بمن هو اولى به من غيره و على هذا ففي كل زمان، كلما أُخذت أرضٌ بغير خيل و لا ركاب و صارت بيد المسلمين واستولى عليها حاكم مسلم، فهو ملك رسول الله خالصاً ولا يكون من الأنفال ولا من بيت المال، ويؤول أمره إلى ورثة النبي صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة، وفي هذه الدورة تكون لإمام العصر الحجة القائم ابن الإمام الحسن العسكري عليهما السلام.

فلا تتحدد فدك بمعناها العام بما تصالح عليه الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك الزمان، بل تبقى تتوسع على الدوام، لأن حق النبي صلى الله عليه وآله لا يسقط بموته، وهو حاضر وباق على (حقوقه) قوته على (في) جميع الأمم ودول العالم.

ولتوضيح ذلك: أوجه هذا السؤال، أنه بالالتفات إلى آية الخمس: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾** ﴾[1] ما هو حكم سهم رسول الله بعد وفاته، هل يسقط هذا السهم بموته، وهل يذهب إلى ذلك أحد من فقهاء الشيعة، فإذا لا يؤخذ وجود النبي صلى الله عليه وآله كواحد من أصحاب الحق بعد وفاته بعين الاعتبار فكيف يوجّه وجوب أخذ سهمه من الخمس من الغنائم وأمثالها؟ فلابد من القول بناء على ذلك أن حق النبي صلى الله عليه وآله باق على قوته، ولا زال حقه فيما لم يوجف عليه بخيل ولاركاب باق على حاله، ولابد من أخذه بنظر الاعتبار في كل الأحوال.

وإذا أردنا أن نذكر حديثاً كنموذج على ذلك، يستشعر منه أن النبي صلى الله عليه وآله عقد هكذا معاهدة مع أبي هالة، بحيث أنها تظل سارية المفعول بعد وفاته، وتظل تتوسع رقعة المتصالح عليها، فسنشير إلى كتاب الرسول الذي أرسله إلى نصارى نجران، فإنه شامل لجميع نصارى الشرق والغرب[2]، فإن الالتفات إلى أمثال هذه المعاهدات يقرب إلى الذهن أمر اليهود وأمر إمكان عقد معاهدة شاملة معهم.

---

(١) الأنفال:٤١

(٢) الوثائق: ٩١.

ولذلك ارجوا من المحققين القادرين على معرفة رجال اليهود في زمان النبي ﷺ وبالخصوص أبي هالة أن يعينوننا على فهم هذا الحديث ومن هو ابو هاله هنا، وأمد اليهم يد الاستعانة[1].

---

(١) بحث فدك

ذهب البعض إلى أن قصة فدك مجرد نموذج ومثال لبيان استحقاق أئمة الهدى الحكم على جميع الدول الإسلامية وأنهم الحكام الحقيقيون وليس هدفهم توسعة فدك، قد لا يحل الإشكال الموجود في الحديث وينقل فخر خوارزم من أعيان العامة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: يا علي إن الله زوجك فاطمة، وجعل مهرها جميع الأرض، فكل من يمشي على الأرض وهو يبغض فاطمة فقد سار غاصباً.(الطرائف لابن طاووس:٢٥)

وقد توسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد هارون والمأمون وشملت ايران وأفغانستان والسند وتركستان، والقفقاز وتركية والعراق وسورية وفلسطين والسعودية والسودان وتونس والجزائر واسبانيا.

وجاء في تفسير الإمام الحسن العسكري ع أن الله سبحانه أعطى آدم جميع الأرض وآخر من ورثها رسول الله ﷺ ولذلك سمي ما لم يوجف عليه بخيل ولاركاب فيئاً، يعني راجعاً.

بحار الأنوار ٢٢: ٢٩٨ [فروع الكافي: ١: ١٤٤] محمد بن يحيى. العدة عن ابن عيسى عن ابن أشيم عن صفوان و البزنطي قالا قال ما أخذ بالسيف فذلك إلى الإمام يقبله بالذي يرى كما صنع رسول الله بخيبر قبل سوادها و بياضها يعني أرضها و نخلها و الناس يقولون لا يصلح قبالة الأرض و النخل و قد قبل رسول الله ص خيبر و على المتقبلين سوى قبالة الأرض العشر و نصف العشر في حصصهم و قال إن أهل الطائف أسلموا و جعلوا عليهم العشر و نصف العشر و إن مكة دخلها رسول الله ص عنوة فكانوا أسراء في يده فأعتقهم و قال اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وفي الكافي٧: ٤٢، محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن أبي الحسن الثاني ع قال سألته عن الحيطان السبعة التي كانت ميراث رسول الله لفاطمة ع فقال لا إنما كانت وقفا فكان رسول الله ص يأخذ إليه منها ما ينفق على أضيافه و التابعة تلزمه فيها فلما قبض ص جاء العباس يخاصم فاطمة ع فيها فشهد علي ع و غيره أنها وقف على فاطمة ع وهي الدلال والعواف و الحسنى والصافية وما لأم إبراهيم والميثب و البرقة

بيان الميثب كمنبر بثاء مثلثة بعد الياء المثناة التحتانية قال أهل اللغة هي إحدى الصدقات النبوية و برقة بضم الباء و سكون الراء و قال الصدوق رحمه الله في الفقيه المسموع من ذكر أحد الحوائط الميثب و لكني سمعت السيد أبا عبد الله محمد بن الحسن الموسوي أدام الله توفيقه يذكر أنها تعرف عندهم بالميثم انتهى. و أقول ذكر السمهودي في تاريخ المدينة المسمى بالوفاء بأخبار دار المصطفى الميثب بالباء أيضا و قال هو من أودية العقيق و قال قال ابن شهاب كانت صدقات رسول الله ص أموالا لمخيريق اليهودي بالخاء المعجمة و القاف مصغرا و قال عبد العزيز بن عمران بلغني أنه كان من بقايا بني قينقاع. و نقل الذهبي عن الواقدي أنه كان حبرا عالما من بني النضير آمن بالنبي ص و لذا عده الذهبي من الصحابة لكن رأيت في أوقاف الحصاف قال الواقدي مخيريق لم يسلم و لكنه قاتل و هو يهودي فلما مات دفن في ناحية من مقبرة المسلمين و لم يصل عليه انتهى. و قال ابن شهاب أوصى بأمواله للنبي ص و شهد أحدا فقتل به .

قال و أسماء أموال مخيريق التي صارت للنبي ص الدلال و برقة و الأعواف و الصافية و الميثب و حسنا و مشربة أم إبراهيم فأما الصافية و برقة و الدلال و الميثب فمجاورات بأعلى الصورين من خلف قصر مروان بن الحكم و يسقيها مهزور و أما مشربة أم إبراهيم سميت بها لأن امّ إبراهيم بن النبي ص ولدت فيها و تعلقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة فتلك الخشبة اليوم معروفة و كان النبي ص أسكن مارية هناك و المشربة الغرفة فكان ذلك المكان سمي باسمها و أما حسنا و الأعواف فيسقيهما مهزور انتهى.و قال أبو غسان اختلف في الصدقات فقال بعض الناس هي من أموال بني قريظة و النضير.

و عن جعفر بن محمد عن أبيه ع قال كان الدلال لامرأة من بني النضير و كان لها سلمان الفارسي فكاتبته على أن يحييها لها ثم هو حر فأعلم بذلك النبي ص فخرج إليها فجلس على فقير ثم جعل يحمل إليه الودي فيضعه بيده فما عدت منها ودية أن أطلعت قال ثم أفاءها الله على رسوله ص .

قال أبو غسان الذي تظاهر عندنا أن الصدقات المذكورة من أموال بني النضير و يؤيده ما في سنن أبي داود أنه كانت نخل بني النضير لرسول الله ص خاصة أعطاه الله إياه فقال ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ الآية فأعطى أكثرها المهاجرين و بقي منها صدقة رسول الله ص التي في أيدي بني فاطمة الحوائط السبعة. ثم قال و أما الصدقات السبع فالصافية معروفة اليوم شرقي المدينة بجزع زهيرة و برقة معروفة اليوم أيضا في قبلة المدينة مما يلي المشرق و الدلال جزع معروف أيضا قبل الصافية و

يهود وادي القرى

لما فرغ الرسول صلى الله عليه وآله من أمر فدك، عطف نظره على وادي القرى، ولما علم أهل هذه القرية بتوجه النبي مع الجيش نحوهم، استعدوا للقتال واصطفوا له، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله أياماً حتى أخذها منهم عنوة، وغنم أثاثهم ومتاعهم وأخرج خمسه ولكن أبقى النخيل والمزارع في أيديهم كما فعل وصالحهم على ما صالح عليه أهل خيبر[١].

وكان اللواء في هذه المعركة بيد سعد بن عبادة، وفي رواية حباب بن المنذر، وقد عرض عليهم الرسول صلى الله عليه وآله الإسلام فأبوا، فاشتبكوا وقتل أحد عشر يهودياً على يد المسلمين حتى حان وقت صلاة الظهر، فلما صلى الرسول صلى الله عليه وآله عرض عليهم الإسلام مرة أخرى، فأبوا، فقاتلهم مرة أخرى حتى العصر وصار المساء، ولم يفتحها إلا في صباح اليوم الثاني وعاملهم معاملة أهل خيبر[٢].

الميثب غير معروف اليوم و الأعواف جزع معروف اليوم بالعالية و مشربة أم إبراهيم أيضا معروفة بالعالية و حسنا ضبطه المراغي بخطه بضم الحاء و سكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة و لا يعرف اليوم و لعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء و هو معروف اليوم قلت هو خطأ لأنه مخالف للضبط و لا تشرب من مهزور و الذي يظهر أن الحسنا هي الموضع المعروف اليوم بالحسينيار قرب جزع الدلال و هو يشرب من مهزور، و هذه الصدقات مما طلبته فاطمة ع من أبي بكر مع سهمه ص بخيبر و فدك، كما في الصحيح، فأبى أبو بكر عليها ذلك، ثم دفع عمر صدقته بالمدينة إلى علي و العباس، و أمسك خيبر و فدك، و قال هما صدقة رسول الله ص و كانتا لحقوقه التي تعروه، و كانت هذه الصدقة بيد علي منعها العباس فغلبه عليها، ثم كانت بيد الحسن ثم بيد الحسين ثم بيد عبد الله بن الحسن حتى ولي بنو العباس فقبضوها انتهى. و في القاموس الجزع بالكسر منعطف الوادي و وسطه أو منقطعه أو منحناه أو هو مكان بالوادي لا شجر فيه و ربما كان رملا و محلة القوم و المشرف من الأرض إلى جنبه طمأنينة و قال الفقير البئر التي تغرس فيها الفسيلة.

(١) فتوح البلدان: ٢٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي ٣: ٦٩ عن الكامل في التاريخ ٢: ١٥٠.

تيماء

ولما رأى يهود تيماء مصير خيبر وفدك ووادي القرى أو سمعوا به، صالحوا من أول الأمر ورضوا بأداء الجزية على أن يبقوا في ديارهم[١].

ونقل محمد حميد الله نص الأمان "**بسم الله الرحمن الرحيم هذا الكتاب من محمد رسول الله لبني عاديا إن لهم الذمة وعليهم الجزية، ولا عداء ولا جلاء، الليل مدّ، والنهار شدّ**.وكتب خالد بن سعيد[٢]..

وصالح رسول الله ﷺ بقية اليهود في مقنا وجربا وجنينا(حنينا) كما صالح أهل خيبر.

وفي رجوعه من تبوك صالح اهل دومة الجندل وإيله وتيماء و أذرح فقد أوردت المصادر التاريخية عهودا من الأمان والتسامح الي أهل الذمة بعامة بما فيهم اليهود، و ذكرت هذه المصادر ان الرسول كتب كتابا الى يحنة بن روبة وأهل إيله جاء فيه :

"**هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن روبة واهل إيلة، بسفنهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ولمن كان معه من أهل الشام واهل اليمن وأهل البحر، ومن احدث حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس، وأنه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه، ولا طريقا يريدونه من بر وبحر، هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله ﷺ ووضع رسول الله الجزية على اهل إيلة، ثلاثمائة دينار كل سنة، فكانوا ثلاثمائة رجل**[٣]

وكتب عليه السلام لأهل جربا وأذرج :"**إنهم آمنون بامان الله وأمان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب، ومائة أوقيه طيبة وان الله عليكم كفيل بالنصح والاحسان إلى المسلمين ومن لجا اليهم من المسلمين**" [٤].

---

(١) فتوح البلدان: ٤٨.

(٢) مجموعة الوثائق: ٢٢. مكتوب رقم ١٩

(٣) الوثائق : ٣٤ ، المغازي للواقدي ١: ١٠٣، مكاتيب الرسول ٣: ٩٧

(٤) الوثائق : ٣٥ ،البداية والنهاية، لإبن كثير ٥:٢١

كذلك كتب رسول الله لاهل نجران من نصارى ويهود ولاهل اليمن كتبا مماثلة يبين لهم فيها من حقوق وما عليهم من واجبات، ويتضح مما جاء في الكتاب ان الجزية فرضت على اهل الذمة مقابل حماية المسلمين لهم وحددت كتب الرسول مقدار هذه الجزية كما كفلت هذه الكتب لليهود حرية الدين والعمل وطلبت الى المسلمين مساعدتهم وحمايتهم وعدم الإضرار بهم . ويمكن ان يقال :ان رسول الله صلى الله عليه وآله قد اصدر امان المسلمين الى جميع ساكني الجزيرة العربية من اصحاب الديانات و غيرهم، واخذ على المسلمين معاملتهم بالحسنى ما داموا يحافظون على عهودهم ولا يوذون المسلمين . بهذه العهود والمواثيق فتح المسلمون عهدا جديدا من التسامح و العدالة ايذانا بولادة مجتمع جديد تحكمه قوانين الاسلام العادلة .

وبذلك فقد اليهود في جزيرة العرب استقلالهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وصاروا تحت نفوذ الدولة الإسلامية وبرعايتها ولهم حق العيش فيها مقابل دفع الجزية، لأنهم لم يسلموا ولم يقبلوا ذلك الدين الذي هو دين موسى وعيسى عليهما السلام.

وكان صلح خيبر قد بعث الأمل في قلوب اليهود الساكنين في المدينة وما حولها، من العرب وغيرهم، لأن النبي برهن في الساحة العملية على عدم قصده إلى استئصال اليهود وقطع شأفتهم وانهائهم، وإنما أراد اسكاتهم وايقاظهم من غمرتهم التي رفعوا فيها علم المخالفة والصد عن السبيل، وبذلهم العداء للنبي والمسلمين، هذا وقد عادت الغزوات السابقة بالضرر على اليهود. ولكن صلح خيبر أبقى عليهم وأبقاهم في الجزيرة العربية، وقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وآله تلك السياسة.

وحينما حضرت رسول الله الوفاة وعلى رغم ما قيل من أنه مات متأثراً بسم اليهودية، أخذ يوصي برعاية حق أهل الذمة وأهل الكتاب وأوصى بهم خيراً، ولم يرض بغصب درهم واحد من حقوقهم أو يترك عهدهم[1].

---

(١) اعلام الوري : ١٤١.أوصى رسول الله في وصيته «....ولكن إحفظوني في أهل بيتي واستوصوا بأهل

ولما نزلت آية الولاية جاء الرسول وجماعة من الأصحاب معه ابن سلام الى المسجد ليروا من أنفق في ركوعه، فلما علموا أنه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فرحوا بذلك، وقيل إنه لما نزلت هذه الآية رغب اليهود في الإسلام أكثر من السابق، لأنه علموا أن عليهم حاكماً من قبل الله سبحانه، بعد الرسول، يدبر أمورهم وأمور أولادهم .

أنا أتصور أن اليهود ما رغبوا في الإسلام لأن فيه الجهاد واذا أسلموا وجاهدوا

واستشهدوا، صارت عيالاتهم تحت ولاية رسول الله وأما بعده صارت أرملة ومبتورين بلا ولي يتولى أمورهم فلما رؤوا قد عيّن من قبل الله ولياً على المسلمين حتى يكون خليفة رسوله ويكفل الأرامل واليتامى، فرحوا وإطمئنوا ومالوا الى الاسلام .

ولكن مع الأسف نرى بعد وفاة الرسول وغصب الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام على يد من لا أهلية له لذلك، لم يمتثل أمر رسول الله في اهل الكتاب وغيرهم، ولعبوا عبث هؤلاء المدعين بالخلافة باليهود وبمصيرهم، وحكموا فيهم بما تهوى أنفسهم، خالفوا في ذلك سيرة رسول الله، ووضعوا جميع عهود الرسول تحت أقدامهم، فأخرجوا اليهود من مناطق من جزيرة العرب كانوا قد أُقروا فيها، لماذا؟ بينما أثنى كتّاب العامة على هذا العمل واطلقوا عنان القلم في التعريف به وعدّوه من الأعمال الإيجابية غافلين عن العواقب[1].

الذمّة خيراً وأطعموا المساكين وما ملكت أيمانكم ...»

(١) ابن اسحاق: ٤٩٢، ٤٩٣ العلاقات: ٣٩٣، الرسول واليهود ٣: ١٣٦٥.

الكلام الثالث

إخراج اليهود من جزيرة العرب

طبقاً للمؤشرات التاريخية فإن عمربن الخطاب قد أقدم بعد سنتين من زمان حكومته على إخراج اليهود من جزيرة العرب، ونحن نطرق هذا الموضوع على الرغم من خروجه عن إطار هذا الكتاب لأجل أن عمر استند في عمله هذا إلى كلام الرسول وشروط المعاهدة مع اليهود، فمن المناسب أن نحوم بشكل مختصر حول المعاهدة والأسباب التي دعت إلى اتخاذ ذلك القرار، ولعل أهمية هذا التحليل تنبع من تبجيل كتّاب العامة هذا العمل والإشادة به على أنه عمل حكيم مطابق لمراد الرسول صلى الله عليه وآله ووصاياه، وصاروا في صدد توجيهه وتقويته.

قال ابن اسحاق وسألت ابن شهاب الزهري :« كيف كان إعطاء رسول الله يهود خيبر نخلهم، حين أعطاهم النخل على خرجها، أبت ذلك لهم حين قبض أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك؟

فأخبرني إبن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وآله إفتتح خيبر عنوة بعد القتال، وكانت مما أفاء الله عزوجل على رسول الله، خمسها رسول الله، وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من اهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله فقال : إن شئتم دفعت اليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقركم ما أقركم الله، فقبلوا، فكانوا يعملونها، وكان رسول الله يبعث عبدالله بن رواحة، فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص، فلما توفى الله نبيه، أقرها ابوبكر بعد رسول الله بأيديهم، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله حتى توفي، ثم أقرها عمر صدراً من إمارته، ثم بلغ عمر أن رسول الله قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، ففحص عمر ذلك، حتى بلغه الثبت، فأرسل الى يهود، فقال: إن الله عزوجل قد اذن في جلاءكم، قد بلغني أن رسول الله قال :«لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»، فمن كان عنده عهد من رسول الله من اليهود، به أنفذه له ومن لم يكن عنده عهد من رسول

الله من اليهود، فليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله منهم »[١]. (أخرجه الطبري٣: ٢٠ اسناده صحيح)

ولاجل إتضاح الأمر نستعرض خبر آخر عن إبن إسحاق في هذا الشأن لتتهيأ الأرضية المناسبة للبحث عند القارئ، يبيّن ابنُ اسحاق السبب الأساس في إخراج عمر لليهود.

قال ابن اسحاق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبدالله بن عمر: **قال خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال فعدى عليّ تحت الليل وانا نائم على فراشي، ففدعت يداي من مرفقي، فلما أصبحت أستصرخ على صاحباي، فاتياني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت لا أدري، قال: فاصلحا من يدي، ثم قدما بي على عمر، فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن رسول الله كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبدالله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم، مع عدوهم على الأنصارى قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم . فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فاني مخرج يهود فأخرجهم..**[٢]،(أخرجه البخاري، ح ٢٣٣٨ اسناده صحيح).

فإن أول ما وضع عمر يده عليه هو موقتية عهد الرسول مع اليهود وأن النبي ترك استدامته وعدمها بيد المسلمين، ورأى عمر وصول الأمر إليه، ولذلك أبلغ يهود خيبربأنه لا يريد بقاءهم في جزيرة العرب بعد اليوم، فأراد خراجهم فاضطروا على أثر ذلك للخروج من ديارهم.

وأما صاحب كتاب «الرسول واليهود وجهاً لوجه» فقد نقل هنا رواية عن البخاري فيها رد فعل بعض اليهود و ردّ على عمر، قال: لما فدع أهل خيبر عبدالله بن عمر، قام عمر خطيباً فقال: إن رسول الله عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «نقركم ما أقركم الله » وإن عبدالله بن عمر خرج الى ماله هناك، فعدي عليه من

---

(١) سيرة ابن اسحاق : ٤٩١ و٤٩٢ وفي كتاب ملامح من تاريخ القديم ليهود العراق ص٢٣٠ المراد من الشامات التي اجلوا اليهود اليها هي منطقة الفرات الأوسط .

(٢) سيرة ابن اسحاق: ٤٩٢.

الليل، ففُدِعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدوّنا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم .

فلما أجمع عمرعلى ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال :يا أميرالمؤمنين، أتخرجنا وقد أقرنا محمّد وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا ؟

فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله : «كيف بك اذا أُخرجت من خيبر، تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة »، فقال: كان ذلك هزيلة من أبي القاسم ! فقال كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر، فأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك[1].

إذا تأملنا هذين الخبرين ندرك بوضوح مدى إستبداد عمر بالرأى و فعله من دون إكتراث بما اراد الرسول أو إرتضاه ولا طلباً لمرضاة الله جل جلاله . ولا يعود جوابه على إعتراض ابن أبى الحقيق مقنعا، بل شتمه وعاتبه .

واما ما أخبر عمر عن النبي بما سيجرى على إبن أبي الحقيق لا يفيد أحقية اقدامه وتعديله، بل ربما جرى عليه ظلماً وعدواناً والخبير يعلم أنه لايشم من الرواية سواه، ولم يتصور ابن ابي الحقيق أن ينقض عهد رسول الله غيره فلذا قال : هذا هزيلة من أبي القاسم، فهذا فعل عمر الذي إستبد في رأيه ولم يلاحظ عهود رسول الله ووصاياه . فإقدامه صار سبباً لإهانة الرسول والإستخفاف بفعله وعهده .

اما ما ورد في خبر ابن اسحاق بأن عمر ميّز بين من له عهد من رسول الله ومن لم يكن له عهد، فهذا غير واضح لنا، هل كان النبي عاهد مع كل فرد فرد بتفرده؟ او عاهد مع كل طائفة اومع اهل قلعة او اهل ديار، ومن المعلوم أنه قد سبق أن رسول الله عاهد مع اهل الكتيبة وأقرهم في ديارهم و كان إبن أبي الحقيق منهم، فإذن لماذا أجابه عمر بمثل ما أجابه والنتيجة أن عمل عمرفي الساحة العملية يكون على خلاف ما قرر ولم يلاحظ معاهدة رسول الله معهم.

---

(١) الرسول واليهود ٣: ١٣٦٥« عن البخاري: ٥٤

اما تحليل المسألة: فإن النص الأصلي لمصالحة الرسول مع أهل خيبر لم يصل الينا، ولكن نقلت مضامينه بشكل متفرق، فإذا نقل إبن إسحاق في خبره عن عمر أن أرض خيبر متروكة في يد اليهود ثم اضاف «نخرجهم إذا شئنا »، فهو لا يعني وجود هذا الكلام في نص المعاهدة، كى يثبت هذا القيد، فإن كلمة «شئنا» مجملة، وعلى فرض وجودها فالمراد هو إشاءة الرسول لا إشاءة غيره، ولم يشأ الرسول ذلك مادام حياً، وإذا قلنا اشاءة المسلمين فلا وجه لاتخاذ عمر وحده هذا القرار، ولم يقم أبوبكر بهذا العمل، فهو يرشد الى عدم وجود هذا الشرط في المعاهدة، وإنما أضيف بعد ذلك. والمؤيد لذلك عدم وجود هذاالقيد في واحدة من معاهدات النبي صلى الله عليه وآله ولذا كان من المناسب أن نلقي نظرة على شروط معاهدات الرسول ونقوم بتحليلها لنقف على طريقة كتابة تلك المعاهدات، فقد جاء في معاهدة أهل الداريين قيد «أبداً» [١]وفي معاهدته مع النصارى للسيد بن الحارث بن كعب ولأهل ملّته:« حتى تقوم الساعة» [٢]، وفي المعاهدة مع أهل حنينا وأهل مقنا «ما دامت السموات على الأرض» ونهى عن التغيير والتبديل، حيث نأخذ نتيجة من ذلك أن جميع معاهدات الرسول إما مؤبدة أو موقتة بوقت غير محدود مثل مادامت السّموات على الأرض أو مقيدة بما داموا على الوفاء. وليس في شيء منها التقييد بإشاءة المسلمين أو الصحابة من طرف واحد، ولو كان ذلك حقاً لأنيط بإشاءة نفس النبي، لأنه معصوم من الخطأ ولا يفسخ عهده ما لم يستحق الطرف المقابل فسخ العهد.

اما عمر بن الخطاب فقد إستند عمله هذا أولاً :إلى كلام يسنده إلى النبي بأنه : «أوصى بإخراج اليهود من الجزيرة»، وأنه «لا يجتمع في الجزيرة دينان » و ثانياً : على الإشاءة المدعاة وثالثا :الى شرارة اليهود المفروغ عنها عنده لما أصيب إبنه عبدالله.

---

(١) الوثائق: ٤٣ مكتوب رقم ٤٣.

(٢) الوثاق:٨٥- ٩٥. في مكتوبين ٩٦و٩٧

فالحديث الذي استدل به عمر هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بإخراج اليهود من جزيرة العرب، مخدوش لأنه بالإضافة إلى أنه من أحاديث العامة[١] وسنده ضعيف واختلف العامة أنفسهم في صحته، وهو يناقض عمل الرسول صلى الله عليه وآله.

وأما مصادر العامة فقد أخرج البخاري في باب إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجهاد والسير، ومسلم في كتاب الوصايا عن سفيان عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، أنه سمع ابن عباس يقول يوم الخميس، قال: اشتدّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وجعه، فقال ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده أبدا، فتنازعوا و لا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا ما له أ هجر استفهموه. فقال ذروني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعوني إليه. فأمرهم بثلاث، قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، و الثالثة إمّا أن سكت عنها و إمّا أن قالها فنسيتها، قال: قال سفيان هذا من قول سليمان[٢]. وفي باب جوائز الوفد. عن سليمان الأحول، عن ابن جبير، عن ابن عباس، أنّه قال: يوم الخميس و ما يوم الخميس ثم بكى حتّى خضب دمعه الحصباء، فقال اشتدّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله وجعه يوم الخميس، فقال ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا، فتنازعوا و لا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا هجر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقال دعوني فالذي أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه، و أوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، و أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، و نسيت الثالثة...[٣].

---

(١) مارأيت في المصادر الشيعية من هذا الحديث أثر سوى أن هناك رواية في الأمالي تبتني على هذا المعنى وهي بحاجة إلى التحقيق، الأمالي للشيخ الطوسي: حمويه بن علي بن حمويه عن محمد بن محمد بن بكر عن الفضل بن حباب الجمحي عن مكي عن محمد بن يسار عن وهب بن حزام عن أبيه عن يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن أم سلمة :أن رسول الله ص أوصى عند وفاته بخروج اليهود من جزيرة العرب فقال الله الله في القبط فإنكم ستظهرون عليهم و يكونون لكم عدة و أعوانا في سبيل الله.

(٢) البحار ٣٠: ٣٥١.

(٣) البحار ٣٠: ٥٣٢ يجب أن يسأل عمر أنه كيف أن الرسول لم يهدِ في مسألة إخراج اليهود من جزيرة العرب، ولكن لما أراد أن يتعرض لخلافة أهل البيت صار يهذي.

ولا شك أن هذا الحديث ينافي فعل نفس النبي وعهوده الكثيرة مع الطوائف اليهودية، كلٌ على حدة، ويناقضها، فإن في هذه الوصية _ إن صدر منه ﷺ _كلمة «المشرك» تكون بشكل عام ولم يحدد بأهل الكتاب ولا ينحصر هذا على اليهود و النبي لم يستثن منهم قوماً اوطائفة على التعيين و معنى كلمة جزيرة العرب واسع ولا يتوقف عند خيبر، فلذا لم يخرجوا يهود المدينة بهذا الأمر و لكن عمر أخرج يهود خيبر وأهل القرى من مساكنهم فقط.

ولو صحت هذه الوصية فلماذا لم يمتثل ذلك أبوبكر فقد كان قادراً على ذلك ولم يفعله، ولم يوص أمير المؤمنين علي عليه السلام بذلك ولم يقدم على شيء من ذلك مع أنه الوصي الحقيقي وهو طالما أرشد الخلفاء الثلاثة ويقول: أنا لكم وزير خير من أن أكون أميراً، ولم يؤيد عمل عمر هذا أبداً، بل ظل يحترم العهد مع أهل الكتاب ويوصي برعاية أحوالهم والطبري الإمامي من محدثي صدر الإسلام ومؤرخيه عدّ في كتاب الإمامة، عمل عمر هذا من البدعَة وقال بأن الحديث موضوع ومفترى[١].

وجاء في كتاب إعلام الورى وصية الرسول حين حضرته الوفاة بأهل الكتاب: أنه وصى بهم خيراً، وليس فيها دلالة على إخراجهم عن مواطنهم[٢].

بالإضافة إلى أننا أشرنا إلى أن الموجود في معاهدات النبي ﷺ هو التعقيب بـ«مادامت السموات والأرض» أو «أبداً»، فكيف يعقل أن النبي ﷺ حين تحضره الوفاة يقوم بنقض عهده مع الجماعات اليهودية في الجزيرة، من دون أن يصدر منهم ما يوجب النقض، ويأمر بإخراجهم من جزيرة العرب.

واذا لم يخرجهم أبو بكر، ولم يخرجهم عمر فور وصوله إلى دفة الحكم، هل يعقل توقيته بزمان الإعتداء على إبنه عبد الله؟ فإن هذه الأمور تسوق المحققين إلى التحقيق والتساؤل عن الداعي الحقيقي، وقبل التعرض لذلك أرغب في إيراد كلام آخر ينتسب الى النبي وتحليله ثم نعود إلى الكلام في أصل الواقعة.

---

(١) المسترشد في الإمامة للطبري: ٥٢٥.

(٢) إعلام الورى:١٤١.

إن عمر إفترى امراً آخر وهو أنه نقل عن النبي صلى الله عليه وآله : «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»، نترك التعرض لسند هذا الحديث وإعتباره مع خلوه من الاعتبار لفسق من شهد به عند الإمامية، ولكن مضمونه ومحتواه غير معقول جداً وبعيد عن واقع ذلك اليوم وهل يصدّق أحد أن الإسلام شمل جميع الجزيرة العربية ذلك اليوم ولم يبق فيها نصراني ولا مجوسي ولا صابئي و لا دهري ولاغيرهم؟ وهل إن تواجدهم يعني وجود دينٍ آخر في الجزيرة، وهل يمكن تصديق لزوم اجتماع دينين في صورة بقاء اليهود فقط؟ هل يمكن تصديق أن اليهود الذين إنكسروا في غزوة خيبر وصالحوا و بعضهم أعطوا الجزية عن يد و بعضهم أصطلحوا على نصف ثمارهم وقد دفعوا ما عليهم حتى في عهد أبي بكر وبرهنوا بذلك على وفائهم، واليوم وقد وصلت النوبة لعمر، صاروا سبباً لظهور دين بإسم اليهودية في جزيرة العرب حتى يجتمع مع الدين الإسلامي.

فمن الواضح أن هذا الحديث لا ينسجم مع واقع الجزيرة العربية، والحال أن تاريخ المدينة يحكي حضور أبناء الديانات المختلفة فيها.

ومن ناحية أخرى فهل كان الإسلام حكراً على الجزيرة العربية، وهل إن النبي بعث إلى العرب فقط، ألا يتوسع الدين في المستقبل ويسري إلى المناطق الأخرى، فما هي الخصوصية في جزيرة العرب حتى لا يجتمع فيها دينان، ألم تشمل الدولة الإسلامية يومذاك شطراً من خراسان وشطراً من الروم، فهل إن تواجد أبناء الديانات المختلفة في كل مجتمع، يعني حكومة تلك الديانات؟.

وأساساً فإن هذا الكلام غير مقبول عند العقلاء وليس من الحكمة، ولا يتلائم مع طبيعة الأحكام الاجتماعية والمدنية، ولا يعقل صدوره من مثل النبي الذي ملئ علماً وحكمة.

هل ذلك من العدل أن يعقد الرسول مع أبناء الديانات معاهدة صلح، ثم يتقرر بعدها وجود دين واحد فقط، فأين الآيات التي تتكلم عن الوفاء بالعهد؟ والآيات التي تسمح للمسلمين بالتعامل والإحسان إلى المسالمين من أهل الكتاب

مما عدا الكافرين والمحاربين[١]، فإذا لا يحق لهم البقاء في الدولة الإسلامية كيف تمكن معاشرتهم والإحسان إليهم.

هل يصح الالتزام بلغوية القيود المذكورة في العهود، مثل قوله في معاهده يهود عاديا: «لاعداء ولاجلاء»[٢] وفي معاهدة أخرى «ولا تحشرون ولا تعشرون» هل هذه القيود جاءت عبثاً فلابد أن الأمر غير ذلك.

وهناك أمر أساسي وعدنا ذكره وهو الأمر المهم الذي قابل للدقة، فإن النبي صلى الله عليه وآله قرر في معاهداته مع الطوائف اليهودية والنصرانية لكل طائفة شيئاً خاصاً مثل ما تعاهد مع اليهود فإنه لا يحق لأحد الترؤس عليهم إلا نفس رسول الله أو رجل من أهل بيته أو رجل منهم يعني من رؤساء اليهود.

وبعنوان المثال ما في الكتاب الذي كتبه إلى أهل مقنا: «ولا يولى عليكم والٍ إلا منكم أومن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله»[٣].

وجاء في كتاب آخر إلى أهل مقنا: «وأن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت الرسول».

والذي يبدو أن وجود هذه الشروط في المعاهدات مع اليهود عرقلت تسلط عمر على هذه المناطق التي يقطنها اليهود، فكان يحاول إزاحة طرف المعاهدة من الساحة لكي يتسنى له الحكم على هذه الديار ولا يدع مجالاً لاعتراض المعترض، ولا يبعد ضياع نصوص المعاهدات ضمن هذه الخطة المرموزة، ولذلك صمم بعد

---

(١) الممتحنة: ٨ ـ ٩ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ.

(٢) الوثائق: ٢٢.

(٣) الوثائق: ٣٨.

أبي بكر بواسطة وضع حديث لا يتلائم مع قول النبي وفعله ويجب طرحه على الجدار أن يجلي اليهود من مواطنهم.

فالمستفاد من خبر ابن اسحاق أن دافع عمر كان شخصياً، ولا مؤشر فيه لأن يكون إلهياً وحتى لو أن الرسول صلى الله عليه وآله قال «إذا شئنا» فلا يحق لعمر أيضاً أن يقدم على هذا العمل لدوافع شخصية وبمجرد التعرض لابنه فيقوم بقلع اليهود من ديارهم ودورهم ويتركهم في العراء، ويمزق عهد النبي صلى الله عليه وآله معهم.

ولذا فإن عمل كهذا يعد بدعة ونقضاً للعهد، وفسخ عهد رسول الله وإماثة حق اليهود، والنتيجة أنه لم يكن ترؤس عمر على اليهود في محله مع ملاحظة عهد النبي معهم ولا يحق له إخراجهم ونقض عهدهم . وتأتي نفس هذه الإشكالات في مسألة إخراج نصارى نجران، يجب التعرض لها في بحث الرسول والنصارى، وتصدى محققو العامة لتوجيه عمل عمر، تعرض لذلك في كتاب العلاقات[١]. ووجّهه في كتاب الرسول واليهود[٢]، وذكر في كتاب العنصرية اليهودية أن هذا البلاء الذي نزل على رأس اليهود كان بسببهم وجزاء عملهم، وقد أقدم عليه عمر لحكمة علمها[٣]، ينظر تفاصيل ذلك في مظانها.

---

(١) العلاقات: ٣٩٣ من الكتاب "التنبيه على ما وجب من إخراج اليهود من جزيرة العرب "للشيخ صارم الدين عبد القادربن أحمد ، وفي كتاب يهود بثوب الإسلام للنجاح الطائي ص١٥٥ -١٦٦ تعرض لذلك بشكل مختصر.

(٢) الرسول واليهود ٣: ١٣١٥.

(٣) العنصرية اليهودية٢: ٥١٣.

الكلام الرابع

أخلاق اليهود في القرآن آواخر الهجرة

نزلت بعد فتح خيبر سور متعددة على النبي الكريم ﷺ تعكس سلوك اليهود في آواخر الهجرة، فإذا أردنا الإطلاع على ذلك لابد من إمعان النظر في تلك السور، ولكن لما نريد الإختصار نتعرض قليلاً لآيات من سورة المائدة[1].

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ ﴾.

إن بيان حكم الطعام واللحوم من ضرورات مجتمع المدينة وغيرها من المدن الإسلامية، ومع مواجهة أهل الكتاب لهذا الدين يجب املاء الأحكام الجديدة من قبل الله سبحانه لتجدد الروابط بين المدن والدول في الأخذ والعطاء والتصدير والاستيراد وتنتظم على أساسها، ولا يلزم العسر والحرج على الأُمة الإسلامية.

وكذلك تبين هذه الآية أحكام الزواج مع أهل الكتاب كي تحصل الرغبة عند اليهود في اعتناق الإسلام من داخل العوائل، فهو أعمق وأدوم، ويرى بعض المحققين أن تحليل طعام أهل الكتاب للمؤمنين يعد نقطة إيجابية في روابط المسلمين واليهود، ولكن مع تأكيد القرآن على قطع روابط الصداقة والمنع من موالاتهم، لا يمكن عدّ هذا التحليل دليلاً على مطلوبية مولاتهم، فإن الله سبحانه وتعالى أراد فسح المجال لإستفادة المؤمنين من الظروف الخاصة، وهذا هو الجواب عن كثيرمن الأسئلة المشابهة.

---

(١) أنظر سور النساء والجمعة والتوبة والبينة والممتحنة والآيات التي أنزلت في شان اليهود وأفعالهم ونحن نبحث عنه أكثر في كتابنا "اليهود في القرآن"

فإن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة التي قيل إنها آخر سورة من سور القرآن الطوال، أراد أن يعيد إلى الأذهان قصة بني إسرائيل من جديد، وهو دليل على وجود مخاطبين كثيرين من أهل الكتاب.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ . إن منزلة أصحاب موسى من بني إسرائيل كانت إلى حد أن الله سبحانه قال لهم إني معكم. يعني ناصركم! وهو الكلام الذي قاله لموسى وهارون ولكن بشرطه وشروطه، إذا صليتم وآمنتم برسلي واحترمتموهم وأن تقرضوا الله قرضاً حسناً (الشامل للجهاد بالمال وبالنفس واللسان) فسادخلكم الجنة. ولكن لم يعرف بني إسرئيل قدر هذه المنزلة، وكذلك أصحاب النبي ﷺ فقد منحهم الله تلك المنزلة بتلك الشروط، لم يعرف قدرها الكثير منهم.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

فكل ما يخبرنا به القرآن هو نقض العهد وتحريف الكتب ويعقبه شمول لعنة الله لهم، وليس هذا مقصوراً على هؤلاء، بل هو حال كل كافر لا يشكر النعم، و يحذرهم الله ويقول لرسوله أيها الرسول إنك ستشهد خيانات اليهود المتكررة وهذا ما يثير الدهشة فإنه بعد قتل رؤساء اليهود وانعقاد معاهدات الصلح بين اليهود والمسلمين، فلماذا سيشهد الرسول هكذا أُمور.

ومع ذلك فإن الله سبحانه طالما _ أمر رسوله في هذا الحال بالغض والصفح وهو علامة على الإحسان إليهم وما يحفظ نفوس المسلمين، ولكن تبقى مرارته للرسول الذي كان جبلاً راسخاً ومحتملاً ومطيعاً لكل ما يؤمر.

هذا وقد برز من النصارى نظير هذا السلوك، وأنهم لم يراعوا ما أمر الله به ونسوا ما ذكّروا به، ولذلك اختلفوا ووقع بينهم النزاع.

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ ﴾ .

بعد بيان انحراف اليهود والنصارى وتفرقهم، يذكرهم بنعمة الرسالة الحقة، حتى لا يقول أحد إن عيسى كان على حق أو أن موسى كان على حق، ونستطيع البقاء على ديننا، فقد بين أولاً الانحراف والفرقة التي حصلت في هذين الدينين ثم أعلن عن رسالة خاتم الأنبياء، ويقول لأهل الكتاب من اليهود والنصارى:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾.

عدم مبالاة اليهود لأحكام التوراة

عن الباقر عليه السلام قال: ان امراة من خيبر في شرف منهم زنت وهي محصنة، فكرهوا رجمها، فارسلوا الى يهود المدينة يسألون النبي صلى الله عليه وآله طمعا ان يكون أتى برخصة ؟فسألوه .

فقال هل ترضون بقضائي ؟ قالوا نعم، فانزل الله عليه الرجم، فأبوه، فقال جبرئيل : سلهم عن إبن صوريا ثم إجعله بينك وبينهم . فقال: تعرفون شاباً ابيض أعور أمرد يسكن فد كا، يقال له «إبن صوريا» ؟ قالوا :نعم هو أعلم يهودي على ظهر الارض بما أنزل الله على موسى عليه السلام قال فأرسلوا إليه . فأرسلوا إليه فأتي .فقال له رسول الله : فاني أناشدك الله الذي لا اله الاهو، القوي، إله بني اسرائيل الذي أخرجكم من أرض مصر، وفلق لكم البحر، فانجاكم وأغرق آل فرعون، وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المنّ والسّلوى وأنزل عليكم كتابه،

فيه حلاله وحرامه، هل تجدون في كتابكم الذي جاء به موسى الرجم على من أحصن؟ قال عبدالله بن صوريا : نعم والذي ذكرتني، ولولا مخافتي من ربّ التوراة أن يهلكني إن كتمت، ما إعترفت لك به !. فأنزل الله فيه :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾. فقام إبن صوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال : هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه . فأعرض النبي عن ذلك، ثم سأل إبن صوريا سؤالات عن رسول الله وأسلم على يديه وشتمه اليهود [1].

ويعدّ هذا الخبر نموذجاً لعدم تقيد اليهود وبالخصوص رؤسائهم بدينهم وشريعتهم، الأمر الذي سبب حدوث بعض المشاكل مع المسلمين، بمعنى أنهم يلبسون الحق بالباطل براحة ويحيلون دون إسلام الآخرين، وينبغي أن نعلم بأن تدوين التلمود والمشنا ينبع من غطرسة الأحبار والربيين، حيث صاروا يفسرون أحكام التوراة بما يحلو لهم ويتأولونها ثم جمعت تلك الكلمات والتأويلات وصار ذلك الكتاب مزيجاً من الحق والباطل [2]:

﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾ .

---

(١) إختلفوا في إسلام إبن صوريا، فيراه البعض أنه كان في السنة الثامنة للهجرة لأنه قد جاء إسمه في غزوة بني النضير في قائمة اليهود، فيكون سلوكه نفاقاً، مع أن كتب التاريخ ذكرت إسم عبد الله إشتباهاً، بينما يذكر البعض أن إسمه كنانة بن صوريا.

(٢) للتعرف على التلمود والمشنا راجع« الإسلام واليهودية :٥٩٥- ٦٠٩».

نجد أن القرآن يدعو الناس إلى الإسلام بلسان ناعم ولين، ولا يقر اليهود على كيفية معرفتهم بالله ولا يرى أنهم أبناؤه ولا أحباؤه، بل إنه سيعذبهم بذنوبهم.

وإنما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله لإتمام الحجة، لأن موسى عليه السلام كان قد أخذ عليهم مثل هذا العهد.

ويعود القرآن إلى قصة موسى ليعكس جانب آخر من إنعامه على بني إسرائيل وإكرامهم ويذكّر على كفرهم بما أنعم الله عليهم.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

دائماً وأبداً هناك أشخاص في كل دورة يأخذون بالناس إلى طريق الحق ويهدونهم السبيل. ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يذكر الله سبحانه وتعالى قصة موسى لأجل أن يعتبر يهود العصر، فإن موسى عليه السلام يعبّر عن المتخلفين من قومه بالفساق، ولذلك فإن خلاف اليهود الفعلي لم يكن طارئاً، فإنهم لم يقدّروا حتى نبيَّهم ولم يحترموه، وكانوا يميلون إلى التنعم والراحة بحيث لم يوافقوا على الخروج إلى الجهاد في سبيل الله ولم يتحزموا له، وكانوا يمتنعون من التضحية إلا القليل منهم، ولذلك تاهوا في الصحراء، نترك التعرض لذلك.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

وفي الآيات بعدما تذكر قصة آدم وإبنَيه، عسى أن الله سبحانه ينقلها على لسان موسى إلى قومه، وعلى كل حال هو تمهيد لبيان حكم من الأحكام الإلهية في

التوراة ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾.

ثم خاطب رسوله فيقول: أيها الرسول لا يحزنك اليهود الذين إختاروا الكفر وسارعوا إليه. نعم فإن هذا الحزن هو حقيقة ينبع من صميم قلب النبي ﷺ وهل يمكن تصور أن نبياً بهذه الشفقة والرحمة مبعوث إلى جميع العالم يلاقي من الأذى فيضطر إلى فعل ما فعله مع اليهود.

ثم يؤكد الله سبحانه على عدم التألم على الكفار الذين لا يهتدون السبيل.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

فهذه الصفات المذكورة لليهود في هذه الآيات هي نفس الصفات التي ذكرت في أوائل الهجرة، مما يحكي إستمرار فساد اليهود وتماديهم.

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

يستفاد من هذه الآيات عدة أُمور، أحدها صدور أمور من المنافقين تدل على كفرهم والسرعة في الكفر في نفس الوقت الذي يدعون فيه الإسلام، والثاني إعلام اليهود المخرب المانع من إسلام الناس الذين يريدون الدخول في الإسلام، وقد سموا الفضاء خارج المدينة وصاروا يحرفون الآيات وأخبار السماء مما يحكي

عن الخبث ونجاسة قلوبهم، يأكلون الحرام بكل شهية، والعجيب أنهم يتظاهرون بشكل آخر ويأتون عند النبي للحكم والقضاء بينهم، وكان الرسول ﷺ مأموراً بأن يحكم بينهم بالعدل، ويستفاد أيضاً أن الأحكام كانت موجودة في التوراة التي بأيديهم ويوجد فيها بعض الحقائق، ولعل هذه الآية هي مستند المحققين القائلين بعدم تحريف التوراة من ناحية الكتابة وإنما وقع التحريف في المشافهة، وكذا يعلم من هذه الآية وجود شرّ من ناحية اليهود يصل إلى المسلمين يجب أن لا يتخوفوا منه، ولا شك من التخطي عن حكم التوراة يستوجب الكفر، وهذا ما تورط به اليهود بشدة. ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

والآية تصف الأنبياء بأنهم مسلمون ولكن اليهود لا يعلمون ذلك مما يدل على تفاوت تعاليم الأنبياء مع إعتقادات اليهود، وهو الفرق بين سبيل علي عليه السلام وسبيل العامة، ولكن لم يعد من الممكن تعطيل القرآن، ولا جذب العامة إلى السبيل الحق، ولذلك فإن مسايرة الأنبياء لليهود نظير مماشاة أئمة الهدى مع المذاهب الأُخرى، على أن هذه الآية تعكس عدم حقانية اليهود، ولكن يوجد بينهم أنبياء يحكمون بحكم التوراة ومن بعدهم الأحبار والربانيون.

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

القصاص والديات موجود في التوراة والظاهر عدم ثبوت الدية بدل القصاص إذا رضي بذلك أولياء الدم في دين موسى، وهو من مختصات الشريعة المحمدية، وليست هذه الآية أول آية يستفاد منها تشابه الأحكام الشرعية بين الأديان.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

وبيّن عيسى التوراة كما أرى بني إسرائيل الإنجيل، وقيل إنه لم يبين في الإنجيل حكم من الأحكام، ولكن الآية تنص على لزوم الحكم بما جاء في الإنجيل، فكيف من الممكن أن يحكم أهل الإنجيل بما ليس فيه، وإذا طالعناه قليلاً نستطيع أن نجزم بوجود إحكام إلهية كثيرة فيه.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

الآن وقد وصلت النوبة للقرآن وأن يحكَم بما فيه جميع العالم، فهو المصدّق لأحكام التوراة والإنجيل، وحتى أنه المهمين عليهما والحافظ لهما، يعني أنه لولا القرآن يصعب إثبات وجود كتاب بإسم التوراة وبإسم الإنجيل لموسى عليه السلام ولعيسى عليه السلام، لعدم وجود خبر متواتر على وجودهما ويستفاد من نهي الرسول ﷺ عن إتباع أهوائهم وجود ضغوط من ناحية اليهود، وعليه أن يتحذر من هذه الفتنة، ويستفاد أيضاً أنهم لا يأخذون بالأحكام الإلهية من النبي ﷺ ويميلون إلى آداب الجاهلية، لأن دنياهم قائمة على أساس ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم

مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾

لم يبلغ المجتمع الإسلامي إلى الحد المطلوب من الوعي في تلك الفترة، هو بحاجة إلى التعليم والتثقيف المستمر، وكأنهم لم يذعنوا بأن اليهود والنصارى هم أعداء المسلمين، والحال أنهم إتحدوا على تبييت المسلمين على رغم العداء الدائر بينهم، ولكن منافقي هذه الأُمة هم الذين يلتجئون إليهم لتبقى دنياهم عامرة، ويتخوفون الدوائر وتدهور الوضع الإقتصادي، ويتخوفون من تقلب الأحوال والهلاك على يد اليهود، فلم يجرؤا على قطع الروابط معهم، والآية تبشر بالفتح وتبين أن لجوء المنافقين إلى اليهود نتيجة العجز وبشكل الالتماس، ولكنهم سرعان ما سيندمون، والقرآن يهددهم بأن من يلتجئ إليهم يُعد منهم؟ وبذلك قطع السبيل لإيجاد روابط حميمة، والمؤمنون يعرفون المنافقين بأنهم يكذبون في سلوكهم، ويتعجبون ويسألون أنفسهم أهؤلاء الذين يدعون أنهم من المؤمنين :﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

فإذا دخلوا في عمل عبادي فإن عملهم باطل وأجرهم حبط لأن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم ، وعلى كل من يريد إعتناق هذا الدين في المستقبل يجب أن يعلم بوجود هؤلاء الناس من ذا اصل يهودي او مشرك فيسمى بالمنافق، حتى لا يقع في شباكهم، ولكن وللأسف فإن اليهود نفذوا في الدولة الإسلامية ووصلوا إلى مراكز القرار وعملوا كل ما أرادوا، من قبيل وضع الأحاديث الذي أشير إليها في الآيات السابقة، وبث الدعايات والإعلام المسموم، وإيجاد الفرقة والإختلاف بين المسلمين، وحرق المصاحف ومنع تدوين الحديث، وتعطيل الحدود الإلهية وتغيير سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

فالارتداد هو داء المجتمع الناهض في تلك الأيام، وقد تحمل الرسول ﷺ المشاق من أجل منع سراية هذا المرض في الأمة الإسلامية، وقد وعد الله سبحانه قبل ذلك بالحيلولة دون إنتشار هذا الوباء.

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾

وقد أشرنا مسبقاً إلى آية الولاية، وقيل إن السبب في إمتناع اليهود من إعتناق الإسلام في حياة النبي ﷺ هو الجهاد الذي يفترض عليهم إذا أسلموا، وإذا ما دعوا إلى الجهاد لا يسعهم التمرد وعدم الإجابة، لإيجاده الخلل في إيمانهم. وإذا شاؤا الذهاب إلى المعركة وقتلوا ستتيتم عوائلهم ولا يبقى من يكفلهم، ولذلك لم يؤمنوا، ولما نزلت آية الولاية وسألوا عن تأويلها، قال لهم الرسول ﷺ: أنا ولي من لا ولي له، وأولوا الأمر من أهل بيتي» يعني علي عليه السلام الذي تصدق وزكى وهو راكع، ولذلك علموا أنهم إذا قتلوا فهناك من يكفل عوائلهم، فآمنوا زرافات زارفات.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠ ﴾.

يأمر مرة أُخرى بهجر اليهود والنصارى وقطع الروابط السرّية معهم، لأنهم تابعوا الكفار في الإستهزاء بصلاة المؤمنين والإستهانة بهم، ثم يخاطب أهل الكتاب الذين يدّعون الدين والديانة ويقول لهم: هل هناك سبب لعدائكم لنا سوى ديانتنا وما حملكم على الحقد علينا سوى إيماننا بالله وحده والقرآن وكتب الأنبياء السابقين، فإذا كان الإعتقاد بالتوحيد يستدعي الإتحاد مع اليهود لم يخاطبهم القرآن بذلك النحو، ولذا فإن المساعي الأخيرة للتقريب بين الأديان الإبراهمية

يجب أن يعزل فيها حساب اليهود: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾.

ونحن نعلم أن الله قد مسخ منهم قردة وخنازير من أجل تقليدهم الأعمى، لأنهم كانوا يعبدون الطاغوت، واليوم يريدون انقاذ أنفسهم من الهلكة بالنفاق والمراءاة، يدخلون كفاراً ويخرجون كفاراً، ويعلم أن إعتناقهم الإسلام لم يكن له ثبات ويتكرر إرتدادهم إلى اليهودية، ثم إن الله يعاتب علماءهم بأنهم لا ينهون الناس عن إرتكاب المحرم، حتى شاع بينهم إرتكابه، مع علمهم بأحكام الله.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

هذه الفكرة من إنحرافات اليهود التي كانوا عليها قرون متمادية، فهم يعتقدون في الله سبحانه وخلقته، بأن الله لما خلق الكائنات ختم عمله ولا يمكنه التصرف والدخل والتدبير في شيء منها.

ولما كان نزول الآيات الإلهية على رسول الله قد أدّى إلى فضح اليهود بينما كانت رحمة للمؤمنين وفضلاً، فقد أثارت حسد اليهود وكفرهم، وصار يزداد شيئاً فشيئاً، والآية تشير إلى تداوم ذلك العداء والبغضاء إلى يوم القيامة، ففي الواقع هو إنذار للأُمة الإسلامية حتى لا تنتظم روابطهم مع اليهود.

وكذلك يستفاد من الآية إستمرارهم في إثارة الفتن وإشعال نار الحروب، والله سبحانه وتعالى يطفئ نائرتهم كلما حاولوا ذلك، ويبقى فسادهم مستمراً.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾.

باب التوبة في الإسلام مفتوح على الدوام، ويمكن التوبة مادامت الروح في البدن، وهي فرصة تظل باقية لأهل الكتاب، ويمكنهم بها تلافي ما فات، وقد ظل الرسول ينتظر إسلامهم ويستقبله برحابة صدر، وقد أعد الله سبحانه لمن آمن منهم جنته.﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾.

هنا يصرح الله سبحانه بأن قيمة اليهود والنصارى تتمثل بإقامة التوراة والإنجيل وليس ذلك سوى الإيمان برسول الله، ولكن لا يستفاد من الآية أن التوراة التي كانت بأيديهم هو الكتاب الذي أُنزل على موسى، لأن القرآن نفسه يذكر تحريفهم لها، والموجود في أيديهم اليوم يشتمل على المشوب بالشرك والأُمور المرفوضة بحيث لا يمكن قبولها جميعاً، فتكون إقامة التوراة، بامتثال أحكام التوراة التي جاء بها القرآن وصدقها، وعلى رأسها وصية التوراة بالإيمان بالرسول ﷺ.

ثم يؤكد القرآن مرة أُخرى على أن نزول هذه الأخبار يؤدي إلى طغيان اليهود والنصارى وكفرهم، ولذلك لا ينتظر منهم الشفقة والوفاء، فلا مجال للتأسف على كفر هؤلاء الظالمين الجحدة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

الصابؤن طائفة من النصارى أو من الحنيفية، وقيل هم عبدة النجوم، وكل من يؤمن منهم بالله واليوم الآخر فهو صالح، لما مر من أن مَن يؤمِن بالمعاد حقاً يؤمن برسول الله، ولعل المراد بالعمل الصالح هو الإيمان بالرسالة والإمامة.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

هذه هي أخلاق اليهود، يريدون كل شيء لأنفسهم، حتى نزول الوحي والآيات الإلهية، ولما رأوه يخالف رغباتهم كفروا به وجحدوه، وقد تكررت ذكر هذه الصفة لليهود في القرآن، ويكمن فيها حكمة يعلمها الله.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

يستشكل البعض على المسلمين بأنهم مع لعنهم وثبورهم لم يراعوا حسن الجوار مع اليهود والنصارى، وكل إنسان في نفسه محترم!!ولكن القرآن يذكر لعن اليهود والنصارى الكفار على لسان داود وعيسى بن مريم، داود الذي يحترمه اليهود ويشترطون في كل نبي أن يكون من نسل داود، كانت هذه الأُمور تطرح وقد أُوذي بعض المسلمين بسببها، فحينما يقال على لسان داود كان يثقل ذلك على اليهود.

والخلُق الآخرلليهود، ذلك الأمر الذي كان يتهدد المجمتع الإسلامي، وهو روابط اليهود الحميمة مع المشركين وعبدة الأصنام دعت المسلمين أن يتخذوا تلك المواقف رغم تقيدهم.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ .

يمتاز اليهود وعبدة الأصنام من غير المسلمين بعدائهم للإسلام أكثر ممن

سواهم، والنصارى أقرب صلة بالمسلمين، لأن الرهبانية والتورع قد أعطاهم روحية خاصة إذا سمعوا القول الحق مالوا إليه، ولذلك نجد أن أكثر من يسلم اليوم في جميع العالم هم المسيحيون وقد أشرنا سابقاً إلى ضرورة استلهام الدروس والعبر من القرآن.

وعلى أساسه يتم تنظيم الروابط مع أهل الكتاب، فلابد من فصل حساب اليهود، ويجب أن نعلمهم بذلك، لأن الله سبحانه وتعالى قرر ذلك و أمر به.

كما تذكّر هذه الآيات على أُمور قد أبتلي بها المجتمع يومذاك، ويجب تبيينها للناس وهو أن تواجد النصارى بين أهل المدينة أو اختلاطهم بهم وتردد المسافرين والمهاجرين المسيحيين والسماح لهم بنشر عقائدهم بين المسلمين قد يؤدي إلى تولد دين ملفق ومبتدع، كما وجد هذه الأيام، لأنه حدث في المدينة شوق ورغبة شديدة لتعلم الأحكام الدينية ومتابعتها، والإقبال الشديد على التعبد والتنسك، فليس من المستبعد أن يستغل البعض الفرصة ويأتي بمذهب خاص، كما تحقق في القرن الثاني وما بعده، فإن القرآن ينشر الحقائق في هذا الحال، ويذكر الناس على الأُمور المشوبة بالشرك ودواعي الإشراك.

فمن يرفع بعيسى إلى حد الأُلوهية، في الحقيقة هو إنزال مرتبة الرب إلى حدّ الإنسانية، ولذلك يقول القرآن بعدها: ﴿ما قدورا الله حق قدره﴾ والآيات التي تليها ترتبط بالمسيح، لا نخوض فيها. وقد تلخص أن تضمن هذه السورة التي نزلت أواخر الهجرة لإستمرار أخلاق اليهود الرديئة وإلقائهم معتقدات الشرك في المجتمع الإسلامي وهي تأخذ طريقها إلى التوسع قد عكست في هذه السورة بوضوح، فلولا أن هذه الأُمور تحظى بأهمية خاصة وفيها مخاطر غير قابلة للتدارك، ولولا أنها تهدد منافع المسلمين الدنيوية والأُخروية، لم يركّز عليها الله سبحانه عن طريق الوحي بكلام لاذع، فعلينا أن نكون يقظين نتابع تعاليم القرآن أكثر من السابق[1].

والحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) افحص الموضوع اكثر في الكتاب " اليهود في القرآن " للمولف .

مصادر الكتاب

١- القرآن المجيد
٢- آيينه عباسي در دين شناسي، إبن عبد النبي، مخطوط
٣- الإرشاد، الشيخ المفيد، مجلدين، قم ١٤١٣.
٤- الاسلام واليهودية، دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، الدكتور عماد علي عبد السميع حسين، من منشورات دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٥- أشَعيا نبيّ بني اسرائيل، دكتور محمود أحمد المراغي، دارالعلوم العربية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ ١٩٩٦م.
٦- إعلام الورى بأعلام الهدى، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، بتصحيح علي أكبر الغفارى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٧٩هـ
٧- إقامة الشهود في ردّ اليهود (منقول رضائي)، ميرزا محمد رضائي جديد الاسلام، ترجمه من العبرية آخوند ملا محمد علي كاشاني الملقب بآقا جاني، الطبع الحجري
٨- الأمالي، الشيخ الطوسي، من منشورات دار الثقافة، قم المقدسة، ١٤١٤ق .
٩- إنباء الأبناء، حاجي إسماعيل، والد صاحب محضر الشهود، مخطوط .
١٠- إنجيل برنابا، ترجمة حيدرقلي خان قزلباش (سردار كابلي)، إنتشارات ألمعي، ١٣٨.
١١- الأنوار النعمانية السيد نعمة الله الجزائري، أربعة اجزاء، طبع تبريز
١٢- أنيس الأعلام في نصرة الإسلام، محمد صادق فخر الإسلام، تحقيق السيد عبد الرحيم خلخالي، مكتبة مرتضوي طهران، ١٣٥٤. ٥ مجلدات.
١٣- بحارالانوارالجامعة لدررأخبارالأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ١١٠ أجزاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣. ه
١٤- البداية والنهاية لإبن كثير تحقيق علي الشيري الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م
١٥- بشارات عهدين، الدكتور محمد الصادقي، دار الكتب الاسلامية، تهران الطبعة الرابعة١٣٦٢. ش

١٦- بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي(الحبرشموائيل بن يهوذا)، دار بيبليون باريس، ٢٠٠٥. م.
١٧- بصائر الدرجات، محمد بن حسن بن فروخ صفار، مكتبة المرعشي، قم، ١٤٠٤ مجلد واحد.
١٨- بنو إسرائيل بين النبإ القراني وخبر العهد القديم .دكتر صابر طعيمة، عالم الكتب، بيروت الطبعة الاولى، ١٩٨٤م
١٩- بهجة التواريخ، شكر الله الرومي (م.٨٦١) مكتبة المرعشي، قم المقدسة، مخطوط
٢٠- تاريخ الكعبة، الدكتور علي حسني الخربوطلي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .
٢١- تاريخ اليمن القديم، محمد عبد القادر بافقيه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣ م.
٢٢- التاريخ العسكري لبني اسرائيل من خلال كتاباتهم، د- ياسين سويد، شركة المطبوعات للتوزيع و النشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
٢٣- تاريخ اليهودي العام، الدكتورصابرطعيمة، جزئين، دارالجيل، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١م
٢٤- تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، اسرائيل ولفنسون، دار بيبليون، پاريس، ١٩٢٧
٢٥- التبيان في تفسيرالقرآن، محمد بن حسن الطوسي، بيروت، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٩هـ
٢٦- التحريف في التوراة، الدكتور محمد علي الخولي دار محمد لاوي للطباعة والنشر، عمان الاردن، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٢٧- ترجمة الأناجيل الاربعة، كليمينطس ابن عبدالله ١٧١١.م. المحفوظة في مكتبة الفاتيكان، رم.
٢٨- ترجمة زبور المتعلق بالقرن الثالث من الهجرة، مخطوط.
٢٩- تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام، مجلد واحد، طبع مدرسة الامام الهادي، قم. ١٤٠٩هـ .
٣٠- تفسيرالقمي، آستان قدس، الأرقام :٧٥١٢، و١٢٢٩ و١٢٣٠ ومكتبة قمر بني هاشم دامغان ونسخة إحياء تراث رقم: ٢٩٢٣، مخطوط.

٣١- تفسيرالقمي، علي بن ابراهيم القمي، مجلدين، من منشورات العلامة، قم المقدسة ١٣٨٧هـ.
٣٢- تفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، طبع الثالث ، دار أحياء التراث العربي، ١٤١٧،
٣٣- التفسير للمحدث أبي نصر محمد بن مسعود بن عياشي تحقيق السيد هاشم الرسولي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران مجلدين .
٣٤- التناقض في تواريخ أحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل، محمد قاسم محمد، جامعة قطر مطابع ستار برس للطباعة والنشر، ١٩٩٢.م.
٣٥- التوراة والتراث السوري، مفيد عرنوق، دارالنضال للطباعة والنشروالتوزيع، الطبعة الاولى ١٩٨٦.م.
٣٦- جغرافيةالتوراة، زياد منى، رياض الريس للكتب والنشر لندن الطبعة الاولى ١٩٩٤
٣٧- جهاد الرسول المصطفى من موسوعة الرسول المصطفى، ستار جبارالزهيري، دار الأثر بيروت لبنان ١٣٨١.
٣٨- الحسام الممدود في الرد على اليهود، عبدالحق الإسلامي المغربي، من احبارااليهود بسبتة، تحقيق الدكتورعمر وفيق الداعوق، دار البشائر الاسلامية بيروت، الطبعة الاولى ٢٠٠١م.
٣٩- خفايا التوراة وأسرارشعب إسرائيل، كمال الصليبي، دار الساقي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٤.
٤٠- خدا- جهان- انسان وماشيح در آموزه هاي يهود، تأليف الدكتور إبراهام كهن، ترجمه امير فريدون گرگانى، إنتشارات المعي، تهران ١٣٨٢.ش
٤١- الخرائج والجرائح، الراوندي، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، قم، ثلاث مجلدات، ١٤٠٩هـ.
٤٢- الخصال، للشيخ الصدوق، مجلدين، منشورات جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٣هـ .
٤٣- درآمدي به مسيحيت، مري جوديود، ترجمه حسن قنبري، مركز مطالعات وتحقيقات اديان و مذاهب، ١٣٨١.
٤٤- رساله كشف الآثار في قصص أنبياء بني اسرائيل . دكتر كيت قسيس اگستى ترجمه ١٧٩٩.
٤٥- الروضة في فضائل الأئمة، لشاذان بن جبرئيل.

٤٦- سعد السعود للنفوس، السيد بن طاووس، مركز الابحاث للدراسات الاسلامية، بوستان كتاب، قم، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميه قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ه
٤٧- صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية - نجم الدين الطبسي،
٤٨- سلسلة غزوات الرسول الاعظم، دكتر شوقي، ابو خليل، ٢٠٠٢م
٤٩- الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية، إسرائيل بن شوئيل الأورشليمي، دار بيبليون، پاريس، ٢٠٠٥
٥٠- الرسول واليهود وجهاً لوجه، الدكتورسعد المرصفي، أربعة اجزاء، مكتبة إبن كثير، الكويت، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٢.م.
٥١- السيرة النبوية، إبن إسحاق، تحقيق أحمد فريد المزيدي، مجلد ١و٢ من منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.م.
٥٢- السيرة النبوية، ابي محمد عبدالملك بن هشام، تحقيق سعيد محمد اللحّام، اربعة اجزاء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى ٢٠٠٥م
٥٣- سيف المومنين في قتال المشركين، ترجمه وشرح ونقد سفر پيدايش تورات، علي قلي جديد الاسلام، باهتمام رسول جعفريان، منشورات الانصاريان، قم، ١٣٨٢
٥٤- سيري در تلمود آرين إشتاين سالتز، ترجمة الباقر الطالبي الدارابي، مركز مطالعات وتحقيقات الاديان والمذاهب، قم ١٣٨٣ .ه.
٥٥- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي، دارإحياء الكتب العربية، ٢٠، مجلد
٥٦- العرب قبل الاسلام، برهان الدين دلو، دارالفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤.م.
٥٧- الصحيح من السيرة للنبي الأعظم، جعفر مرتضى العاملي، بيروت، دارالسيرة، ١٩٩٥.
٥٨- صحيح البخاري مع فتح الباري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الرياض، الحديثة
٥٩- الصراط المستقيم، علي بن يونس بن نباطي، ٣ مجلدات، مكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ
٦٠- عدالت كيفري در آئين يهود، حسين سليماني، مركز مطالعات وتحقيقات اديان و مذاهب، قم ١٣٨٣.

٦١- العرب واليهود في التاريخ .الدكتور احمد سوسة، دار العربي للاعلان والنشر والطباعة، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٧٢
٦٢- العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الدكتور صالح موسى درّادكة، الاهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٩٩٢.م
٦٣- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي، الدكتور احمد بن عبدالله بن ابراهيم الزغيبي، أربعة أجزاء، مكتبة العبيكان، الرياض .
٦٤- عقل اليهود الاسير . محمد حسين مرتضى، الطبعة الاولى، ١٩٩٨ قم
٦٥- فتوح البلدان البلاذري تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد طبع ١٩٥٦م مكتبة النهضة المصرية القاهرة .
٦٦- الفصول المائة، السيد اصغر ناظم زاده قمي، ٥ مجلدات، انتشارات اهل البيت ١٤١١هـ.
٦٧- فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ، جدة، شركة المدينة المنورة، ١٤٠٥
٦٨- الفضائل، احمدبن حنبل، تحقِق حسن حميد السنيد، مركز الطباعة والنشر للمجتمع العالمي لاهل البيت، ١٤٢٥هـ
٦٩- الفضائل، ابن شاذان.
٧٠- الفلسفة الحديثه في الميزان وتاسيس القواعد من القران، الدكتور محمد بن فتح الله بدران، جزيرة
٧١- فلسفه يهودي در قرون وسطي، دن كوهن شرباك، ترجمة علي رضا نقد علي، مركز مطالعات وتحقيقات اديان ومذاهب قم ١٣٨٣ هـ
٧٢- قصص الأنبياء، السيد نعمة الله الجزائري، مكتبة المرعشي قم، ١٤٠٤هـ
٧٣- الكافي، الشيخ ثقة الإسلام الكليني، دارالكتب الإسلامي، ٨ مجلدات ١٣٦٥ش .
٧٤- كتاب الأغاني، علي بن الحسين ابي الفرج الإصفهاني، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٤مجلدا.
٧٥- كتابهائي از عهد قديم ترجمه پيروز سيار، نشر ني تهران، الطبعة الثالثة ١٣٨ش.
٧٦- كتاب العهد القديم، ترجمه عربي طبع ١٨٧٠.
٧٧- كتاب العهد الجديد، ترجمه عربي طبع ١٨٧٠.
٧٨- كلام مسيحي، توماس ميشل، ترجمة حسين توفيقي، مركز مطالعات وتحقيقات اديان ومذاهب، ١٣٨١هـ.

٧٩- كنز الكراجكي، مكتبة المصطفوي، قم، مجلد واحد، ١٣٦٩ش.
٨٠- لمعات ملكوتية، سيد احمد بن زين العابدين علوي متوفاي ١٠٥٤تا١٠٦٠، طبع في ميراث اسلامي، بإهتمام رسول جعفريان، المجلد الثالث.
٨١- ليال يهودية، هل ذبح البابليون والنصارى والمسلمون اليهود، نجاح عطاء الطائي، دارالهدى لإحياء التراث، لندن ١٤٢٣.هـ.
٨٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ١٠ أجزاء، ٥ مجلدات، دارإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ.
٨٣- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، الدكتور محمد حميد الله الحيدري آبادي، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠.هـ
٨٤- محضرالشهود رساله اي در رد يهود، حاجي بابا قزويني يزدي، تحقيق حامد حسن نواب.
٨٥- موسسه فرهنگى انتشاراتي حضور، قم ١٣٧٨ هـ طبع جديد.
٨٦- محمد درتورات وانجيل، عبدالاحد داود(عالي جناب داود بنيامين كلداني ازقسيسين مسيحي) فارسي.
٨٧- محمد رسول الله، آنه ماري شيل، مترجم حسن لاهوتي، تهران ١٣٨، انتشارات قلم
٨٨- المسترشد في الإمامة ، محمد بن جرير الطبري، مطبعة سلمان الفارسي، قم المقدسة، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ.
٨٩- مسيحيت وبدعتها، جوان اگريدى، ترجمه عبد الرحيم سليماني اردستاني، موسسه فرهنگى طه، قم ١٣٧٧ ش.
٩٠- المسند، احمد بن محمد بن حنبل تحقيق احمد شاكرى جزء ثاني، مكتبة التراث العربي القاهرة ١٦ مجلد.
٩١- مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.
٩٢- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتورجواد علي، جزء ٦، بيروت دارالعلم، بغداد مكتبة النهضة، ١٠ مجلدات، ١٩٧٦م.
٩٣- مكاتيب الرسول، علي أحمد ميانجي، ٤مجلدات، طهران، موسسة دارالحديث، ١٤١٩.
٩٤- مكايد اليهودية عبرالتاريخ، عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، دمشق، دارالعلم، ١٩٧٨م.

٩٥- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، الدكتور أحمد سوسة، مركز الدراسات الفلسفية جامعة بغداد، بغداد ١٩٧٨م.
٩٦- مناقب آل أبي طالب، محمد ابن شهرآشوب، موسسة انتشارات علامة ٣مجلدات قم، ١٣٧٩ش .
٩٧- موسوعة التاريخ الاسلامي، الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، مجمع الفكر الاسلامي، ١٤١٧ هـ .
٩٨- موسوعة فلاسفة متصوفة اليهودية دكتورعبد النعيم الحفني مكتبة مدبولي ١٩٩٤
٩٩- الميزان في تفسيرالقرآن، العلامة سيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، ٢٠ مجلد، قم المقدسة، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٤هـ
١٠٠-النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، د- سيد القمني، المركزالمصري لبحوث الحضارة، الطبعة الاولى، ١٩٩٩.
١٠١- نهج البلاغة من كلمات أمير المؤمنين الإمام عليّ (ع)،
١٠٢- نوادر المعجزات محمد بن جرير الطبرى الامامي، انتشارات دليل ما ، قم ،
١٠٣- هداية الضالين وتقوية المؤمنين، ملاعلي قلي پادرى جديد الاسلام، ، آستان قدس ١٢١١٦ مخطوط.
١٠٤-هل اغتيل النبي محمد(ص)، نجاح الطائي، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، لندن، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥.م،
١٠٥-اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية، عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع ، دمشق دارالفكر ١٤٠٨ق
١٠٦-يهود بثوب الاسلام، نجاح الطائي، دار الهدى لإحياء التراث، لندن، الطبعة الاولي، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٠٧-اليهود في الشرق الاوسط مأمون كيوان، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ١٩٩٦م.
١٠٨- اليهود بين الخرافة والممارسة، عبدالوهاب زيتون، بيروت المنارة، ١٩٩٦م.
١٠٩-يهود قديما وحديثا،الشيخ محمد ابراهيم الجناتي،مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م، الغري.

المحتويات

كلام للمؤلف ١١
المقدمة ١٢
القسم الاول

الفصل الأول

في التعرف على أنبياء الله

الكلام الأول: إبراهيم خليل الرحمن..... ٢٩
منزلة النبي إبراهيم عليه السلام في آخر الكتب السماوية ٣٠
دعاء إبراهيم في القرآن ٣٤
وصية إبراهيم الخليل في القرآن ٣٦
ذرية إبراهيم خليل الرحمن ٣٩
إبراهيم في التوراة ٤١
بناء الكعبة وصمت الكتاب اليهود ٤٤
الكلام الثاني: الأنبياء من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام ٤٧
النبي إسماعيل عليه السلام ٤٧
إسحاق النبي صلى الله عليه وآله ٤٨
النبي يعقوب عليه السلام وبنو إسرائيل ٤٩
النبي يوسف عليه السلام ٥٠
موسى بن عمران عليه السلام ٥١
النبي هارون عليه السلام ٥٧
النبي يوشع عليه السلام ٥٨

النبي دواد عليه السلام ٥٩
النبي سليمان عليه السلام ٦٠
عيسى المسيح عليه السلام ٦٣
الكلام الثالث: محمد رسول الله آخر الأنبياء من نسل إبراهيم ٦٩
خلقته النورية ٦٩
خلقته ﷺ في الأرض ٧١
مولد رسول الله ﷺ ٧١
محمد ينادي بدين إبراهيم ٧٦
معرفتنا بالرسول الخاتم ٧٩
أول من صدق بالنبي ﷺ وصار وصيّه ٨٤
القرآن المجيد كتاب الرسول معجزة خالدة ٨٧

الفصل الثاني

اليهود في جزيرة العرب

الكلام الأول: منشأ اليهودية ٩٣
دعاوي أهل الكتاب المحكية في القرآن ١٠٠
الكلام الثاني: هجرة اليهود إلى شبه الجزيرة العربية ١٠٣
شبه الجزيرة العربية ١٠٣
اليهود في اليمن ١١١
أصحاب الاخدود ١١٩
الكلام الثالث: تواجد اليهود في مكة المكرمة ١٢٠
الكلام الرابع: اليهود في يثرب وأطرافها ١٤٢

يثرب ١٤٢
هجرة اليهود إلى يثرب ١٤٣
يهود تيما ووادي القرى ١٤٦
الطوائف الأصلية ليهود الحجاز ١٤٧
ثقافة اليهود في المدينة ١٥٠

الفصل الثالث

خلفيات اليهود وموقفهم مع الرسول الخاتم

الكلام الأول: معرفة اليهود برسول الله صلى الله عليه وآله ١٥٧
معرفة الرسول بالإسم ١٦٣
اسم محمد ١٦٣
اسم أحمد ١٦٥
معرفة الرسول بالأوصاف ١٦٨
إنه من ولد إسماعيل ١٦٨
يتيم الأُم والأب ١٦٩
مولده مكة ومهاجره المدينة ١٦٩
صاحب الجمل وراكب الحمار ١٧٠
على كتفه خاتم النبوة ١٧١
صاحب المعراج ١٧٢
كتابه القرآن ١٧٣
قبلته الكعبة ١٧٣
الصلاة خمس مرات في اليوم ١٧٣
عن يمينه جبرئيل الأمين ١٧٤

معرفته بأخلاقه الحميدة ١٧٤
بجوابه على المسائل العلمية ١٧٦
معرفته بصدور المعجزة عنه ١٧٨
معرفته من جهة ذريته وأوصيائه ١٧٩
الكلام الثاني: عداء اليهود بالنسبة للنبي المكرم صلى الله عليه وآله ١٨٩
عداء اليهود لأجداد النبي ١٨٩
تعرض اليهود لشخص النبي قبل البعثة ١٩٢
تعرض اليهود للنبي بعد البعثة ١٩٤
تعامل النبي واليهود في مكة المعظمة ٢٠١

الفصل الرابع

علاقة الرسول صلى الله عليه وآله واليهود بعد الهجرة

الكلام الأول: هجرة النبي والمسلمين ٢٠٣
هجرة المسلمين إلى الحبشة ٢٠٤
هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة ٢٠٧
الجو الحاكم في المدينة إبان الهجرة ٢٢١
الكلام الثاني: المنشور العام الأول بعد الهجرة ٢٣٩
المعاهدة وآراء المحققين ٢٣٤
زمان المعاهدة ٢٣٦
أهمية هذا العهد ٢٣٧
يهود بني إسرائيل والعهد المذكور ٢٣٨
الكلام الثالث: المعاهدة مع يهود بني إسرائيل ٢٣٩

معاملة اليهود مع الرسول ﷺ ٢٤٥
كيف تشددت مجابهة اليهود في أول الهجرة؟ ٢٥٠
الكلام الرابع: اليهود في القرآن أوائل الهجرة ٢٥٣
اليهود في سورة البقرة ٢٥٤

القسم الثاني

الفصل الأول

دورة جديدة من علاقات اليهود والرسول ﷺ

الكلام الأول: تهييج اليهود وبدء إشعال الحرب ٢٩٤
معركة بدر وآثارها على سلوك اليهود ٢٩٤
غزوة بني قينقاع ٢٩٨
تاريخ الغزوة ٣٠٦
شروع الغزوة ٣٠٦
آثار الغزوة ٣١٣
ردود فعل اليهود بعد جلاء بني قينقاع ٣١٤
محاولات المشركين بين بدر وأُحد ٣١٥
الكلام الثاني: اليهود في القرآن أواسط الهجرة ٣١٩
سورة الأنفال ٣٢٠
سورة آل عمران ٣٢٥
الكلام الثالث: غزوة بني النضير وعواملها ٣٤٠
طائفة بني النضير وموقعهم عند اليهود ٣٤٠
مقتل كعب بن الأشرف ٣٤٥

غزوة بني النضير ٣٥٣
أسباب الغزوة ٣٦٨
إعلان الحكم الإبتداي وردود فعل اليهود ٣٦٦
خداع شيطان المدينة وظهور شفاء آخر ٣٦٨
تاريخ الغزوة ٣٦٨
كيفية الغزوة والحصار ٣٧٠
غنائم بني النضير ٣٧٧
آثار هذه الغزوة ٣٧٨
تأثير الغزوة على أدب اليهود ٣٧٩
معجزة الرسول بمحضر يهودي ٣٨١

الفصل الثاني

أوج عنف اليهود

الكلام الأول: غزوة الخندق ٣٨٣
نزول آيات من سورة الأحزاب ٣٨٣
دور اليهود ٣٩٣
رأفة رسول الله ٣٩٨
سرّ الإنتصار في شجاعة الإمام علي عليه السلام ٤٠٣
نقض بني قريظة العهد حقيقة الحرب في الإسلام ٤١٢
الكلام الثاني: غزوة بني قريظة ٤١٦
الآيات التي تتحدث عن غزوة بني قريظة ٤١٦
أسباب الغزوة ٤١٧

كيفية الغزوة ٤١٧
ما هو سبب الحكم بالقتل؟ ٤٢١
حكمية سعد ٤٢٤
عدد رجال بني قريظة ٤٢٦
غنائم بني قريظة ٤٣٢
لماذا بادر النبي بالتوجه إلى بني قريظة بعد معركة الأحزاب؟ ٤٣٣
نظرة المستشرقين حول هذه الواقعة ٤٣٥
تأثير غزوة بني قريظة على إقتصاد المدينة ٤٣٨
درس في التوبة والإخلاص ٤٣٩
الكلام الثالث: إقدامات الرسول قبل غزوة خيبر ٤٤١
سرية أبي رافع ٤٤٣
سرية فدك ٤٤٨
الإنتصار على الأعراب ٤٥١
بيعة الرضوان وصلح الحديبية ٤٥٣
صلح الحديبية ٤٥٤
إقتراح الصلح مع غطفان ٤٥٦
إرسال الكتب إلى الأطراف والرسالة إلى خيبر ٤٥٨
الكلام الرابع: غزوة خيبر ٤٦٢
دوافع الرسول والرد على المستشرقين ٤٦٢
الحكومة الإسلامية ٤٦٤
حقيقة هذه الحرب ورد كلام المستشرقين أيضاً ٤٦٥
ما هو الصراط المستقيم ٤٧٣

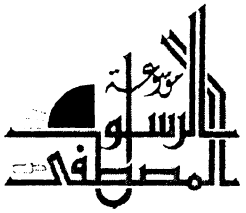
خيبر الخضراء ٤٧٤
تاريخ الغزوة ٤٧٦
فتح حصون نطاة ٤٨٠
فتح حصن صعب بن معاذ ٤٨٥
فتح حصن الزبير ٤٨٦
فتح منطقة الشق _ وقلة النزار ٤٨٧
فتح منطقة كتيبة _ قلعة قموص ٤٨٨

الفصل الثالث

تغيير اليهود طريقة تعاملهم مع الرسول ﷺ

الكلام الأول: تحليل أخلاق اليهود ٤٨٩
معاهدة الصلح ٤٩١
عطف الرسول على أهل خيبر ٤٩٣
ظروف اليهود ٤٩٥
عبرة للمسلمين ٤٩٦
أهمية فتح خيبر ٤٩٧
الحلقات المفقودة ٤٩٩
زواج الرسول ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب ٥٠٢
زينب اخت مرحب ٥٠٤
عودة جعفر بن أبي طالب من الحبشة ٥٠٥
ردّ الشمس ٥٠٧
طوائف اليهود وصلح خيبر ٥٠٨

الكلام الثاني: يهود فدك ٥١٢
نظرة عابرة على أمر فدك ٥١٦
سعة فدك ٥١٨
وادي القرى ٥٢٣
تيماء ٥٢٤
الكلام الثالث: إخراج اليهود من جزيرة العرب ٥٢٨
الكلام الرابع: أخلاق اليهود في القرآن أواخر الهجرة ٥٣٧
مصادر الكتاب..... ٥٥٣



Mawsouat Al-rasool
Al Mostafa
(26)

Address in Lebanon:
Beirut – Al Mosharafieh , Meghdad St., Opposite of Hamood Gallery
Telefax : 009611-273913
e-mail : alathar2002@yahoo.com

Address in Iran:
P.O. Box 91375/4436
Mashhad
Fax :(0098-511) 222 2483

Website: www.almawsouah.org

Published in Lebanon by:
Dar Al-Athar
Shahrur building - Dakkash St. Bir Al-Abed - Beirut - Lebanon
Tel: (00 961-1) 270574 - (00 961-3) 349237

Published in Iran by:
Sonbuleh Publisher - Lower level Mahtab Shopping Center-
Sa'adi St. Mashhad- Iran-
Tel: (0098-511) 221 6753

All rights reserved
Copyright © by: Dar Al-Athar

First print: Beirut 1429 – 2008
Second print: Mashhad 1429 – 2008

MAWSOUAT AL-RASOOL AL-MOSTAFA

A highly informative encyclopedia of
Prophet Mohammad's life
Administered by: Mohsen Ahmad Al-Khatami

PROPHET MOHAMMAD'S & the Jwes

By: Jafar Aref Kashfi